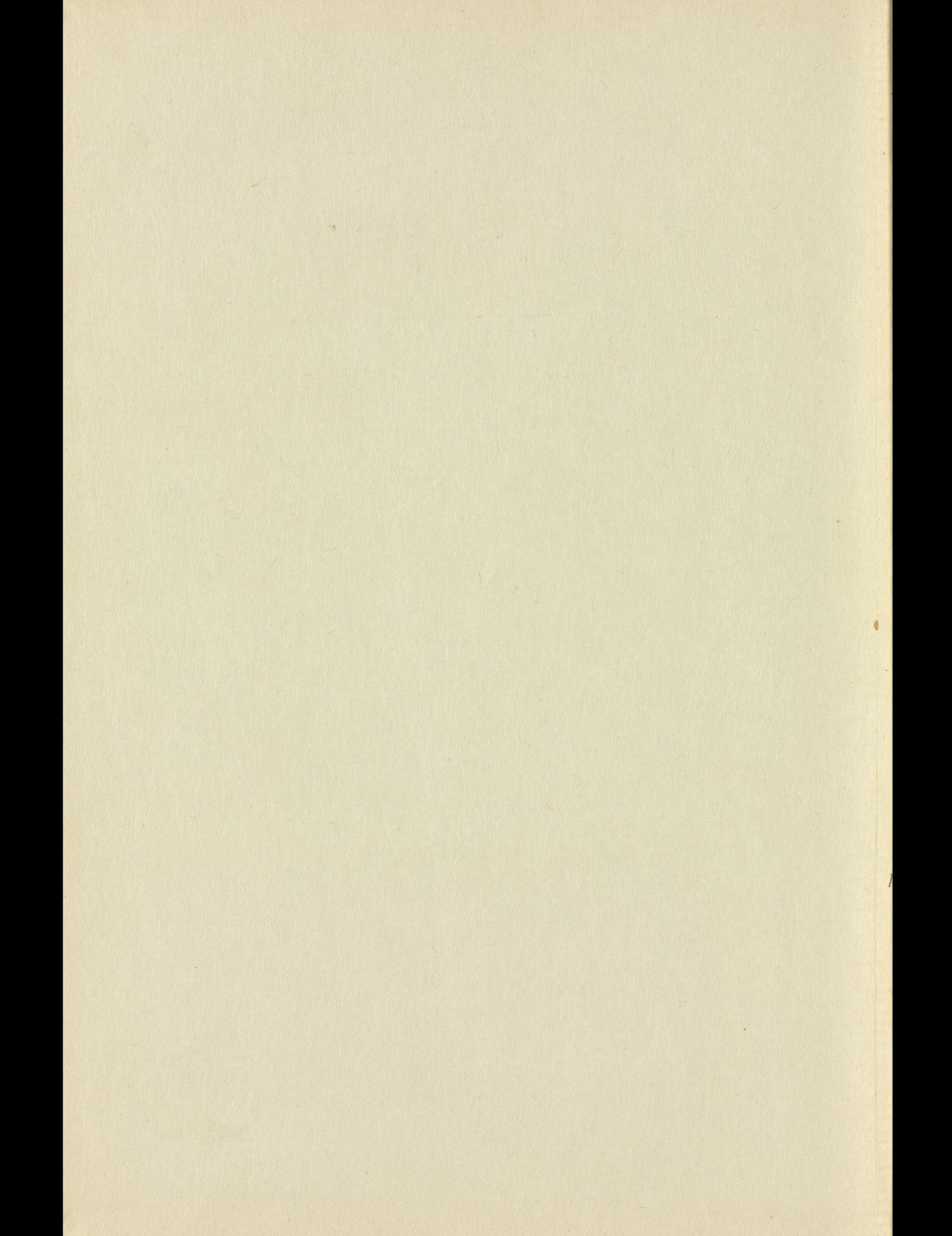
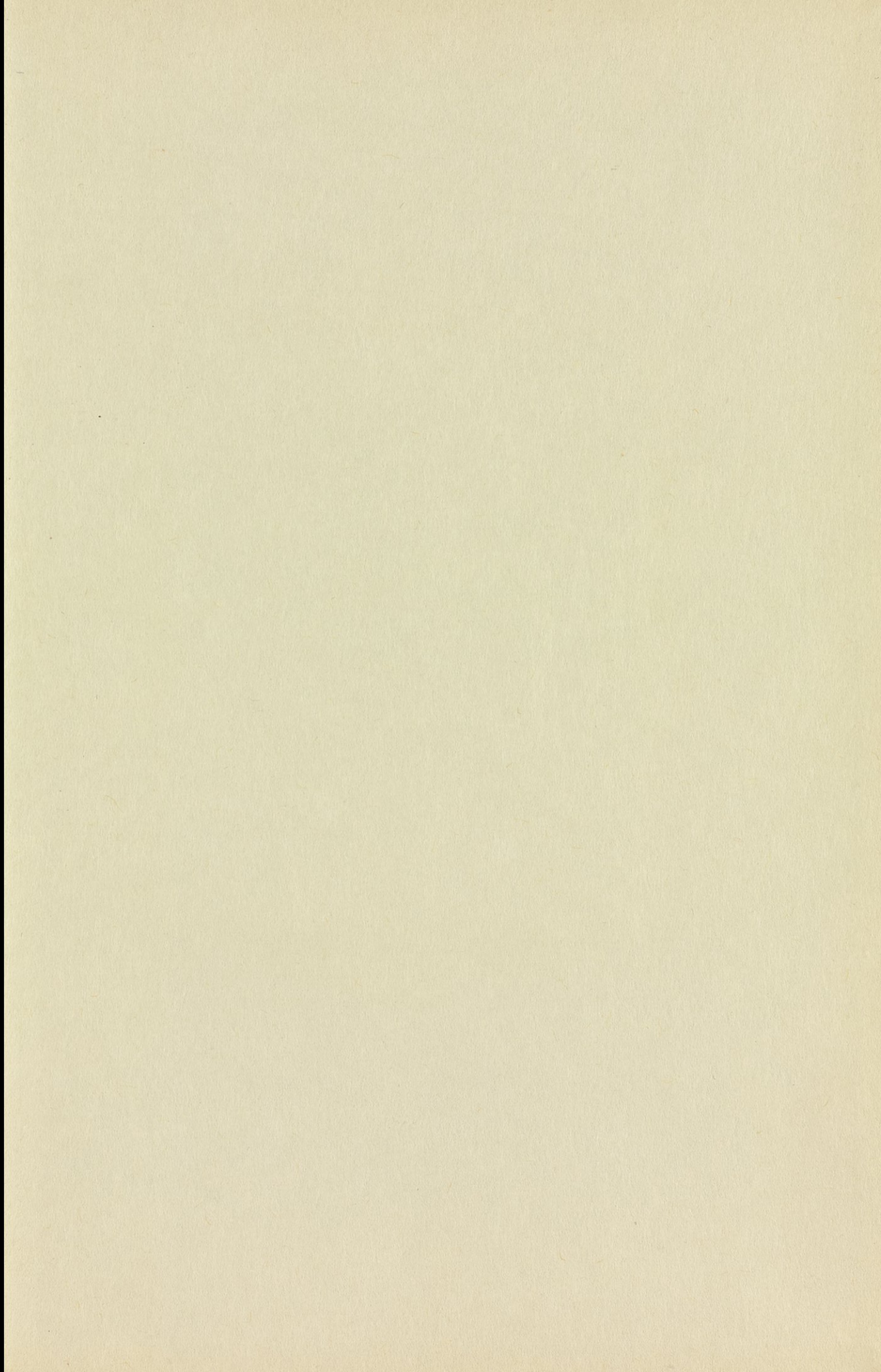


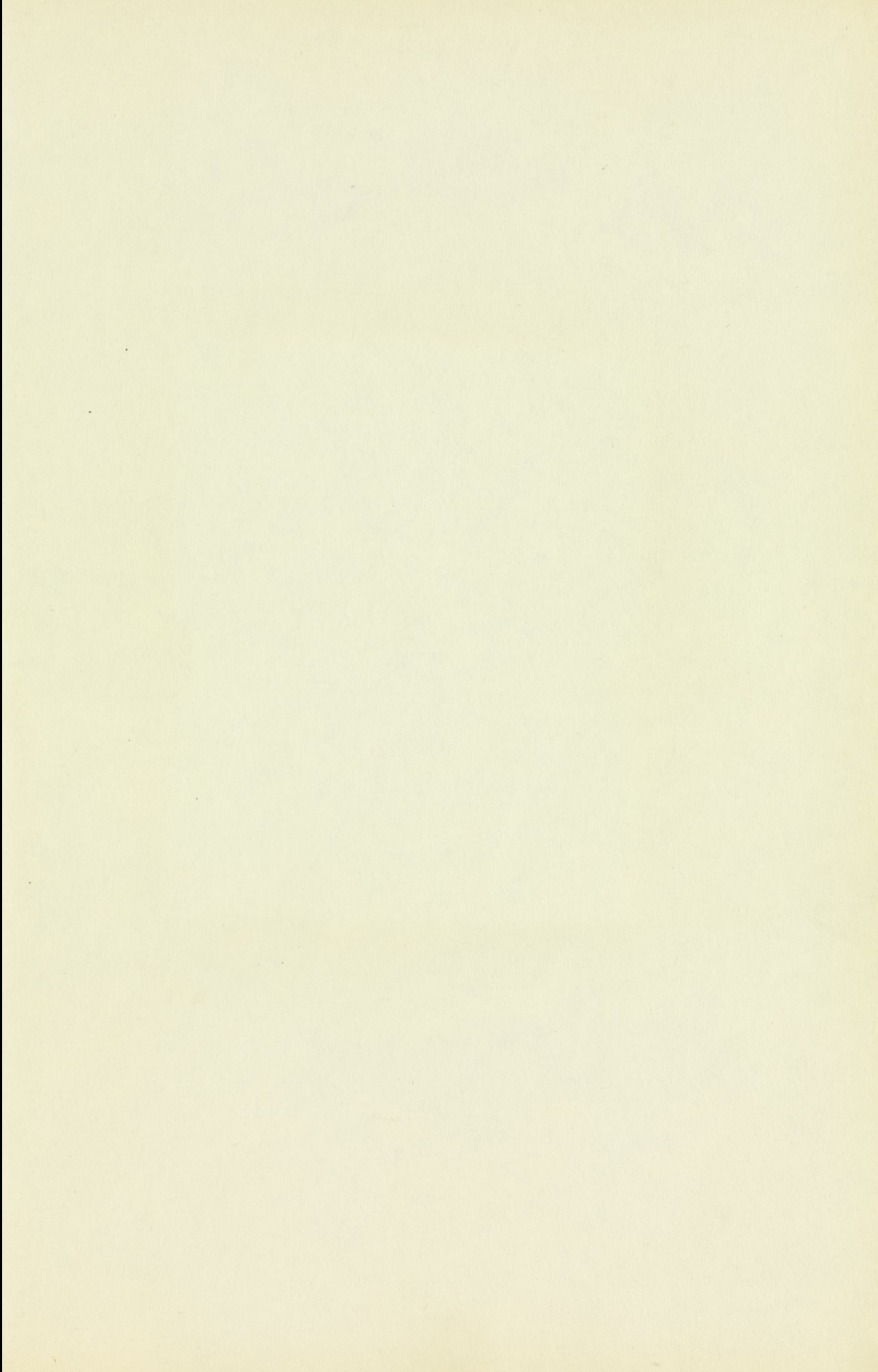
THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY











كتاب الوديع

أخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد

لأبي حيان التوحّدي

عني بتحقيقه

الدكتور إبراهيم الكيلاني

نشر وتوزيع

دار الفكر بدمشق

893.7T199
T

حقوق الطبع وإعادته محفوظة للمحقق

43459H

أبو حيان التوحيدي

٣١٠ هـ — ٤١٤ هـ

« فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة
ومكنة » .

يا قوت : إرشاد الأريب ٦/١٥

« ربما كان التوحيدي أعظم كتاب النثر العربي
على الإطلاق » .

آ . متر : الحضارة الإسلامية في

القرن الرابع الهجري ٣٩٤/١

١ — عصر التوحيدي :

عاش أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي في القرن الرابع
الهجري زمن بني بويه ، وهم جماعة من الفرس حكموا العراق وجنوبي فارس
زهة قرن ونيّف ، فكان من الطبيعي أن يصاب العربي في عهدهم بنكسة وأن
تكون الغلبة للقومية الفارسية ، وأن يسود المذهب الشيعي ويتوغل في شرق
الامبراطورية العباسية المفككة وغربها ، وأن يؤدي ذلك الى صراع عنيف بين
السنين الذين كان يساندون الأتراك وبين الروافض الذين كان يساندون البويهيين .
وكان هؤلاء على ما لهم من مزايا معروفين بالسلطنة والجبروت والقسوة حتى امتلأ
تاريخهم بأخبار الويلات والمآسي حلت بالناس من جراء الفوضى التي سادت
أيام حكمهم .

٢ - إن هذا الانحطاط السياسي كان يقابله رقي عقلي ، وكان من نتائج انقسام الدولة العباسية الى دويلات أن عمداً أمراءها سواء لأسباب سياسية أو بدافع حب الظهور أو تشبهاً ببغداد إبان عزّها الى تشجيع الحركة العلمية ورعاية أهل الفكر والأدب ، وبعد « أن كان نصير العلم الخليفة أو وزيره أو بعض عماله في بلد واحد أصبح نصراؤه في هذا العصر عدة ملوك وأمراء ووزراء في أشهر مدن العالم الاسلامي » فغدا كل قطر من اقطار المملكة مركزاً هاماً من مراكز الثقافة العربية فعرفت الحركة العلمية التي رعاها الخلفاء العباسيون شيئاً من الاستمرار .

وبالرغم من تشيع البويهيين ، ومن يقظة القومية الفارسية فإن هذين العاملين لم يحولا دون انتعاش الفكر العربي ، فقد كان كثيرون من البويهيين ووزرائهم على جانب من الثقافة حتى أصبح أساس الاختيار للوزارة عندهم شيئان : « القدرة الادارية والقدرة البلاغية » وعرف هذا العهد وزراء احتلوا مكانة مرموقة في تاريخ الأدب والبيان العربيين منهم : أبو الفضل بن العميد وولده أبو الفتح والصاحب بن عباد الذي جعل داره مجمعاً لجماعات الكتاب والمنشئين والمتكلمين والمتفلسفين والقراء حتى قال أبو حيان التوحيدي يصف مجلسه : « وهل عند ابن عباد إلا أصحاب الجدل الذين يشغبون ويحمقون ويتصايحون ! » ومن هؤلاء الوزراء الوزير المهلب الذي كان « غاية في الأدب والمحبة لأهله » وبهاء الدولة أبو نصر سابور بن اردشير ، وابن سعدان وزير صمصام الدولة وهو القائل يفخر بأهل مجلسه على زميليه المهلب وابن العميد « والله ما لهذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير ، وانهم لأعيان الفضل ، وسادة ذوي العقل ، وإذا خلا العراق منهم فرقن على الحكمة المروية ، والأدب المتهادي ، أتظن أن جميع ندماء المهلب يفون بواحدٍ من هؤلاء ، أو تقدّر أن جميع أصحاب ابن العميد يشبهون أقلّ واحد منهم ! »

هل هذا استدعى نبوغ كثيرين من العلماء والفلاسفة والفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتصوفة فعمّ النشاط العلمي مدناً في العراق وفارس كبغداد والبصرة والكوفة والريّ وأصفهان وشيراز وسيراف ، على أن بغداد على ما أصيبت به من ضعف وتضاؤل سياسي ظلت محتفظة الى حدٍّ ما ببقايا مجدها القديم ولم يخطيء متر حين قال : « إن جميع الحركات الروحية في مملكة الاسلام كانت تتلاطم أمواجها في بغداد ، وكان فيها لجميع المذاهب أنصار » .

٣ - كانت الحالة الاجتماعية في أواخر القرن الثالث شبيهة بالحالة السياسية من حيث الفوضى وفقدان الاستقرار ، وكان من أبرز مظاهر هذا الاضطراب تباعد في الطبقات الشعبية وسوء توزيع للثروة العامة ، وفشو الاستغلال والترف والبدخ في الطبقات العليا على حساب الطبقات الدنيا حتى أصبح الناس كما يقول مسكويه : « بين هارب جالٍ ، الى مظلومٍ صابر ، الى مستريح لتسليم ضيعته الى المقطع ليأمن شرّه وبوائقه » وتعدّ آثار التوحيدي صدى أميناً لحالة البؤس التي انحدر اليها الناس ومن بينهم المفكرون وأهل الأدب والمعرفة وهم الجديرون بحياة كريمة شريفة ، فقد كان ابو سليمان السجستاني المنطقي المشهور « بحاجة ماسةً الى رغيف ، وحوله وقوته قد عجزا عن أجره مسكنه ووجبة غدائه وعشاءه » وكان أبو سعيد السيرافي « عالم العالم ، وشيخ الدنيا ، ومقنع أهل الارض على حد تعبير تلميذه التوحيدي ينسخ في اليوم عشر ورقات بعشرة دراهم ليعيش » وكان سيد الفلاسفة يحيى بن عدي النصراني « يكتب في اليوم والليلة مائة ورقة وأكثر » وكان المعافى بن زكريا النهرواني ذا « أنسةٍ بسائر العلوم » شاهده التوحيدي في جامع الرصافة « وقد نام مستدبر الشمس في يومٍ شاتٍ ، وبه من أثر الفقر والبؤس أمر عظيم ، مع غزارة علمه ، واتساع أدبه ، وفضله المشهور » وقد زاد الحالة سوءاً كثرة الضرائب واشتداد وطأة الاقطاع ، وفرض

الرسوم ، واشتطاط عمال البويهيين من جند وقواد ومتصرفين في تحصيل الأموال ، واحتكار قوت الفقراء والاعتداء على الناس ومصادرتهم حتى ثارت الطبقات الفقيرة أكثر من مرة وخاصة في عهدي عضد الدولة وشمصام الدولة ، وقال المقدسي يصف حال العراق سنة ٣٧٥ : « إنه بيت الفتن والغلاء ، وهو في كل يوم الى الوراء ، ومن الجور والضرائب في جهد وبلاء » .

٤ - كان من الطبيعي أن تتأثر الآداب والفنون بهذا التدهور الاقتصادي فتجتمع الأدباء والمفكرون وأهل المعرفة على أبواب الخلفاء والامراء طلباً للرزق والمثالة ، وكثر التزاحم بينهم في جوار تسوده الدسائس والمؤامرات والوشايات والتملق مما أبعده الأديب عن المثالية والترفع عن الدنيا فحصر جهوده في الوصول الى المجد والثروة والشهرة فخففت العاطفة الصادقة ، وغلب التكلف والمبالغة على الأدب ، وتلوّن بلون الشحاذ والضراعة والاستعطاف ، وآمن الناس بالخطوط والطواع والنجوم والرزق المقسوم فذمّوا الزمان والفقر وعدوه مصدر كثير من الشرور والآفات حتى قال أبو حيان التوحيدي وهو الذي اکتوى بنار الحرمان طوال حياته الطويلة : « لحا الله الفقر ، فانه جالب الطمع والطبع ، وكاسب الجشع والضرع ، وهو الحائل بين المرء ودينه ، وسدّ دون مروءته وأدبه وعزة نفسه » وهو القائل أيضاً : « غدا شبابي هرماء من الفقر ، والقبر عندي خير من الفقر » ولذا قويت في هذا العصر نزعة التصوف والتوكل ونما أدب الكدية الذي تمثله المقامة .

٥ - لمحة عن حياة أبي حيان التوحيدي

ولد أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي سنة ٣١٠ هـ من أبوين فقيرين ، وصرف القسم الأكبر من حياته في بغداد حيث تلقى العلم على أيدي

أشهر أساتيد عصره كآبي سعيد السيرافي (٣٤٨ هـ - ٣٦٧ هـ) الذي علمه النحو وغيره من أنواع المعرفة الشائعة في عصره كعلوم القرآن والفقه والفرائض والحساب والكلام والبلاغة والشعر والعروض والقوافي ، كما أطلعه في سن مبكرة على أسرار علم التصوف ، وقد تأثر التوحيدي بآراء أستاذه وأفكاره إلى حد بعيد . ودرس التوحيدي أيضاً علم الكلام والمنطق والعربية على علي بن عيسى الرمّاني (٢٩٦ هـ - ٣٨٤ هـ) وهو أحد أئمة اللغة والأدب والمتكلمين على طريقة المعتزلة، والتوحيدي مدين لأستاذه بتكوينه العقلي والمنطقي . ودرس التوحيدي الفقه الشافعي على أساتذة ثلاثة : القاضي أبي حامد المرورودي المتوفى سنة ٣٦٢ هـ وهو « من أئمة الفقه الذي لا يشقّ غباره » وأبي بكر محمد بن علي القفال بن اسماعيل الشاشي المتوفى سنة ٣٦٥ هـ وكان « محدثاً ، فقيهاً ، أصولياً ، لغوياً ، شاعراً » ، والقاضي أبي الفرج المعافى بن زكريا النهرواني (٣٠٥ هـ - ٣٩٠ هـ) « أعلم الناس بفقه مذهب الطبري ونصرته والدفاع عنه » .

ودرس التوحيدي الفلسفة والمنطق على أبي زكريا يحيى بن عديّ الذي اهتم إليه « رئاسة أهل المنطق في زمانه » كما درس الحكمة والمنطق على أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني وهو من أعظم علماء زمانه ، وكان هؤلاء يجتمعون حوله لمناظراته ، وكان التوحيدي كثير الملازمة لأستاذه والأخذ عنه وتدوين كلامه ، ومن يتصفح كتاب « المقابسات » يجد أن أغلب المحاورات والمناظرات التي دوّنها التوحيدي هي من أحاديث أستاذه السجستاني .

وهناك أساتذة آخرون كان أثرهم فيه أقلّ ممن تقدّم ذكرهم .

وهكذا قيّض للتوحيدي أن يتصل بأكابر علماء عصره مما أكسبه ثقافة موسوعية نرى آثارها ماثلة فيما وصل إلينا من آثاره .

٦ — قضى التوحيدي حياته شريداً طريداً تارة ، ومنزويماً تارة أخرى ، ولم يعرف الهدوء والاستقرار إلا في فترات قصيرة ، ويبدو أنه طوّف في كثير من البلدان ، في الحجاز والعراقين والجبل والحجاز ، وقضى أكثر أيام عمره « متنقلاً من بلد إلى بلد ، يقف على الأبواب ، ويخالط الصوفية والغرباء » . ولذا كثرت الفجوات في مراحل حياته وخفي علينا كثير من المعلومات التي تعين الدارس على تأريخ سيرة متصلة الحلقات .

توفي التوحيدي سنة ٤١٤ هـ في مدينة شيراز ودفن فيها .

٧ — اتصاله بكبراء عصره

كان لاتصال التوحيدي بكبراء عصره أثر كبير في ظروف حياته وتجاهه الأدبي . فكان أول من اتصل بهم الوزير أبا محمد الحسن بن محمد المهلبی (٢٩١ - ٣٥٢ هـ) وزير معز الدولة . وكان المهلبی « جامعاً لأدوات الرئاسة » يعطف على الأدباء وأهل العلم ، شديد التعصب على أعداء الشيعة ، بعيداً عن روح التسامح ، فلم يلق التوحيدي صديقاً رجباً منه نظراً لموقف التوحيدي من الشيعة والرافضة ، وتذكر إحدى الروايات أنه نفاه من بغداد « لسوء عقيدته وزندقته وانحلاله » ، وقد اضطر التوحيدي إلى الاختفاء واحتراف مهنة الوراقة على كره منه لمهنة فيها « ذهاب العمر والبصر » .

٨ — ثم بدا للتوحيدي الرحيل إلى أبي الفضل بن العميد ، وكان من ألمع شخصيات عصره علماً وأدباً وسياسة مما « بهر به أهل زمانه » ، حتى أذعن له العدو ، وسلم الحسود ، ولم يزاحمه أحد في المعاني التي اجتمعت له « ، وكان التوحيدي يأمل من اتصاله بالوزير الفوز بالهدوء

والاستقرار بعد غربة وتشرد ، غير أنه لم يفز منه بما كان يؤمل ،
ولعل ابن العميد آلمه اعتداد التوحيدي بنفسه واستطالته عليه وهو
— أي التوحيدي — صوفي السمته والهيئة « غر » ، لا هيئة له في لقاء الكبراء ومحاوره
الوزراء ، وفي ابن العميد « أبهة الفرس وعظمة السلطان » فاحتقره
وازدراه ، فكان من رد الفعل عند التوحيدي تأليفه رسالة المثالب التي
طعن فيها بابن العميد مظهراً عيوبه وتقائصه ، ثم اتصل بعد ذلك بأبي
الفتح بن العميد ، فلم يكن نجاحه عنده بأحسن من نجاحه عند أبيه ، فأفرد
له في رسالة مثالب الوزيرين مقاطع كثيرة طعن فيها بأدبه وخلقه حتى
تداخل الاسمان في الرسالة وصعب أحياناً التمييز بينهما .

ولا شك في أن التوحيدي كان مدفوعاً بهواه وحقده في هجومه
على ابن العميد وابنه وقلماً ينجو الإنسان من سلطان الغايات لأن الهوى
كما يقول التوحيدي نفسه « مقيم لاث ، والرأي مجتاز عارض ،
ولا بد للهوى أن يعمل عمله ، ويبلغ مبلغه ، وله قرار لا يطمئن
دونه » كما أن الزام « لا يسلم إذا ذم من الإسراف تعنتاً لصاحبه ،
وحملأ عليه بالانحاء الشديد ، والقول الشنيع ، والنداء الفاضح ، والحديث
المخزي ، وجرياً مع شفاء الغيظ ويرد الغليل » .

وبعد فإن التوحيدي لم يكتب ما كتب في ثلب الوزيرين إلا بتأثير
إخفاقه في نيل عطاء ابن العميد والفوز برضاه بعد طول الرجاء والتأمل
والخدمة لأن « جرعة الحرمان — على حد قوله — أمرٌ من جرعة الثكل ،
وضياع التأمل أمض من الموت ، وخدمة من لم يجعله الله لها أهلاً أشد
من الفقر » .

٩ - عند صاحب بن عبّاد

في سنة ٣٦٧ هـ توجه التوحيدي من بغداد إلى مدينة الري للوقوف بباب صاحب بن عبّاد ، وكان هذا يومئذٍ من كبار وزراء بني بويه ، وله شهرة ومقام في المجالين الإداري والأدبي . وكان التوحيدي قصد صاحب كما يقول « بأمل فسيح ، وصدر رحيب » وهو في « بقيّة من غرب الشباب ، وبعض ريعانه » « فأناخ في فئائه مع شدة العدم والانفاض والحاجة المزعجة عن الوطن ، وصفر الكف عما يسان به الوجه ، وبعد تردده إلى بابه في غمار الغادين والرائحين والطامعين الراجين ، وصبره على ما كلّفه نسخه حتى نشب به تسعة أشهر خدمة وتقرباً وطلباً للجدوى منه ، والجاه عنده ، مع الضرع والتملّص ببعض ما فارق من أجله الأعزّة ، وهجر بسببه الاخوان » .

ماذا كانت عاقبة هجرة التوحيدي إلى صاحب بن عبّاد ؟ الاخفاق التام ، لأن كل شيء في نفسي الرجلين يحمل على التباعد والتضاغن والجفاء ، ويفسر التوحيدي ذلك بقوله : « ولكني ابتليت به ، وكذلك هو ابتلي بي » ، ورماني عن قوسه مُعَرِّقاً ، فأفرغت ما كان عندي على رأسه مغيظاً ، وحرمني فازدريته ، وحقرتني فأخزيتُهُ ، وخصّني بالخمية التي نالت مني ، فخصصته بالغية التي أحرقتهُ ، والبادي أظلم ، والمتنصف أعذر » . ويمضي التوحيدي في تسويغ سلوكه مع صاحب بن عبّاد بقوله : « ولئن كان منغي ماله الذي لم يبق له ، فما حظر عليّ عرضه الذي بقي بعده ، ولئن كنت قد انصرفت عنه بخفي حنين لقد لصق به من لساني وقلمي كلّ عار وشنار وشين ، ولئن لم يرني أهلاً لنائله وبرّه ، إني لأراه أهلاً لقول الحق فيه ،

ونث ما كان اشتمل عليه من مخازيه ، ولئن كان ظنّ أن ما يصير إليّ من ماله ضائع ، إني لأيقن الآن أن ما يتصل بعرضه من قولي شائع .

ولا ريب في أن التوحيدى معذور فيما فرط منه لأنه فقير ، مدفوع إلى المبالغة والشطط في حالى السخط والرضى ، وصاحب الفقر - كما يقول التوحيدى - « إن مدح فرط ، وإن ذمّ أسقط » .

ولذا لم يترك التوحيدى طريقاً للطعن بالصاحب والإساءة إلى سمعته إلا سلكها ، طعن في خلقه ، وأدبه ، وعلمه ، وعرضه ، فهو جاهل وبخيل وغبي ورقيع وسخيف وسفاك للدماء ، وغدار ، وقليل الوفاء والذمة ، كما أنه لم يدع أسلوباً من أساليب الوصف والتشنيع إلا اعتمد عليه في مهاجمة خصمه وجمعه موضعاً للهزء والسخرية والضحك ، فكأن التوحيدى وهو « المجبول على الغرام بثلب الكرام » قد عبأ موهبته الفنية ، وقدرته البيانية وثقافته الواسعة ليكشف مساوئ الصاحب الذى أساء إليه وردّه خائباً بعد ثلاث سنوات من الانتظار كانت عقباها كما يقول التوحيدى : « واني فارقت بابه سنة سبعين وثلاثمائة راجعاً إلى مدينة السلام بغير زاد ولا راحلة ، ولم يعطني مدة ثلاث سنين درهماً واحداً ، ولا ما قيمته درهمٌ واحد ، فاحمل هذا على ما أردت ، ولما نالني منه هذا الحرمان الذى قصدني به ، واحفظني عليه ، وجعلني من جميع غاشية ورده فرداً ، أخذت أملأ ذلك بصدق القول عنه في سوء الثناء عليه واللبادي أظلم » .

كان من أثر هذه الخصومة مع الوزيرين هذه التحفة الأدبية الثمينة التى أودعها على حد تعبيره « نفسه الغزير ولفظه الطويل والقصير » والتي يرجع إلينا فضل السبق إلى نشرها .

١٠ - رسالة مثالب الوزيرين

تعددت أسماء هذه الرسالة فهي مثالب الوزيرين وثلب الوزيرين عند ابن خلكان، ودم الوزيرين وأخلاق الوزيرين عند ياقوت الرومي ، وثلب الوزيرين عند طاش كبري زاده ، وورد عنوانها في المخطوطة «رسالة أبي حيان التوحيدي في أخلاق ابن العميد والصاحب بن عباد» ، ووصفها أبو حيان نفسه في كتاب الامتاع والمؤانسة فقال مخاطباً ابن سعدان الوزير : « على أي عملت رسالة في أخلاقه وأخلاق ابن العميد وهي تجزّع في دسّت كاغدٍ فرعوني^(١) » ، ويظهر ان أبا حيان قد أضاف إليها نصوصاً جديدة لأن ما وصل إلينا أكثر مما وصفه مؤلفها. وقد ظلت هذه الرسالة مفقودة ، فلم نعرف عنها إلا مقاطع ذكرها ياقوت في إرشاد الأريب في ترجمة أبي حيان التوحيدي ، والصاحب بن عباد ، وأحمد ابن محمد بن ثوابة ، واعتقد المستشرق مرجليوت في مقاله عن التوحيدي في دائرة المعارف الاسلامية « أن هذه الرسالة محفوظة في القسطنطينية ، وأن مطبعة الجوائب وعدت بنشرها » .

١١ - العثور على الرسالة

إني من المولعين بأبي حيان ، ومن أشد المتبعين لآثاره حماسة ، وقد ظلمت زمناً أتشوق للعثور عليها حتى عدت ذلك من أمنيات العمر إلى أن قبض لي القدر أحد المستشرقين وهو السيد مارك بيرج Marc Bérge الذي عثر عليها مصادفة، وكان يعرف مبلغ تعلقي بأبي حيان وحرصني على نشر آثاره فصور المخطوطة وأهدانيها فأليه شكري الخالص وشكر القراء والمعجبين بأدب التوحيدي على هذه الهدية القيمة .

(١) تجزّع : تجزأ ، الدسّت : أربع وعشرون ورقة ، الكاغد : الورق ، فرعوني : مصري .

١٣ - وصف المخطوطة

وهي محفوظة في مكتبة أسعد افندي في استانبول تحت رقم ٣٥٤٢ ضمن مجموعة يبدأ رقم صفحاتها من ٤٣ ب الى ٩٢ ب ويتراوح عدد سطورها بين ٢٠ سطراً و ٣٢ سطراً وخطها نسخي ، عادي ، متداخل ، ويظهر ان المخطوطة كانت مهمة في الأصل وقد ضبطها أحد مقتنيها بحبر يخالف الحبر الأصلي مما جعل قراءتها عسيرة ومهمة المحقق صعبة .

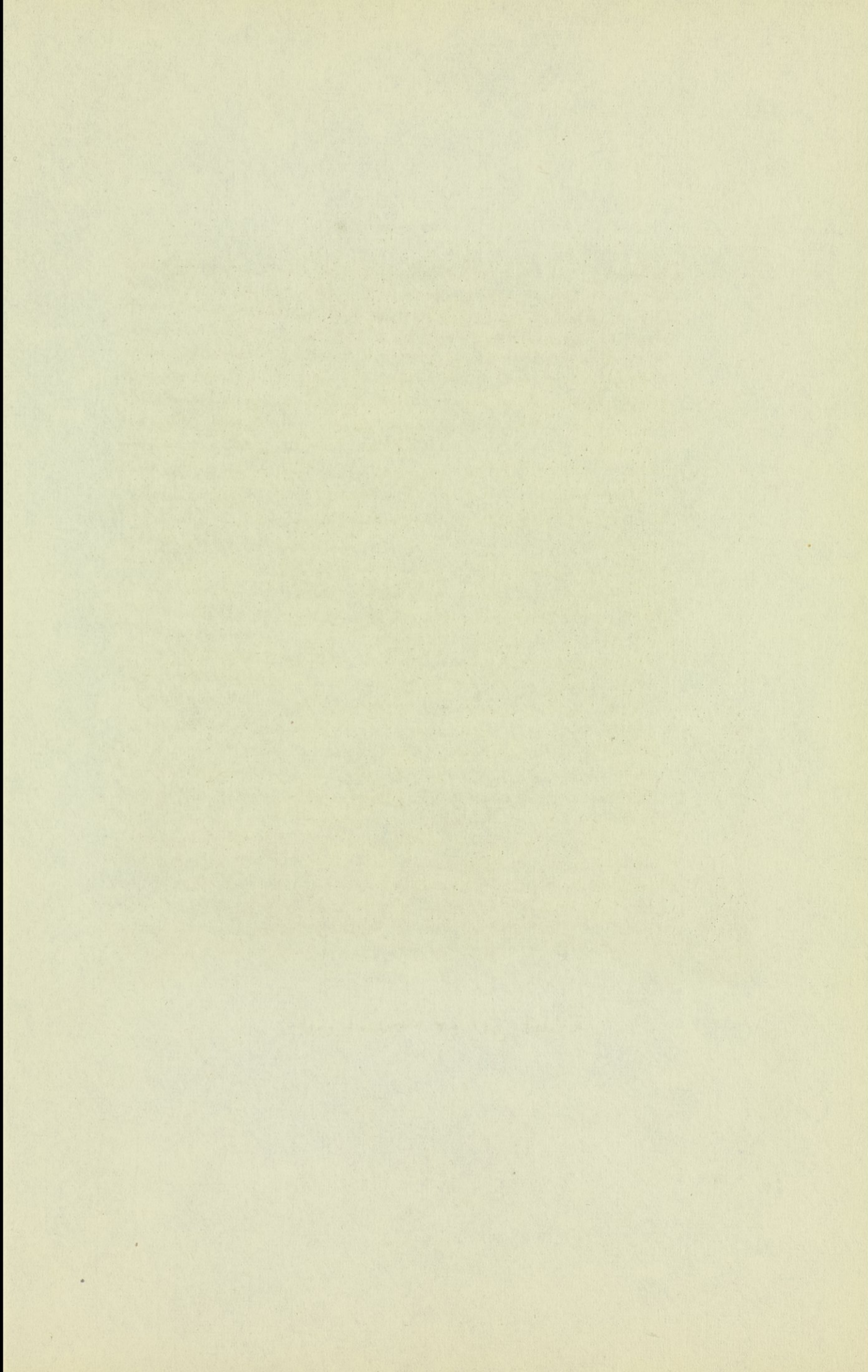
١٤ - طريقة التحقيق

كانت عنايتنا في التحقيق موجهة الى النص ولذا لم نشأ اثنائه بالحواشي والتفاسير والملاحظات . وقد اعترضتنا أثناء التحقيق مقاطع وجمل وكلمات غامضة فلم نقف عندها مقرين بالعجز عن حلها بل حاولنا جهدنا اعطاء حل هداانا اليه اجتهادنا تاركين للقارئ الحكم على خطئه أو صوابه .

أما ما ورد في الرسالة من جمل وأبيات وأخبار بذيئة يستنكرها التهذيب والحياء فلم نشأ حذفها أو التصرف بها حرصاً على الأمانة والنزاهة العلميتين . سدّد الله خطانا ووفقنا الى ما فيه خدمة تراثنا ولغتنا العربية الخالدة .

دمشق في ٢٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٦١

الدكتور ابراهيم الكيلاني



بسم الله الرحمن الرحيم

[قال أبو حيان التوحيدي :]

[١٦] / الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين ،
أمتعتك الله بنعمته عليك ، وتولاك بحسن معونته لك ، وألهمك حمده ،
وأوزعك شكره ، ومنحك صنعه وتوفيقه ، وألبسك عفوه وعافيته ،
وأوصل إليك رأفته ورحمته ، وصرف رغبتك إلى ما خلص عندك نفعه
عاجلاً ، وحلت لك ثمرته آجلاً ، وعرفك ما في الغيبة والفرية ^(١) من
الهجنة والشناعة ، وما في إظهار العيب والتنديد من العار والتباعة ^(٢) ، وما في
الإعراض عن أعراض الناس من السلامة والفائدة ، وما في مباقاتهم ^(٣) ومقاربتهم
والتوقيير لهم من الراحة والعائدة ^(٤) ، حتى لا تأتي ما تأتي إلا وأنت واثق بعاقبته
ومرجوعه ، ولا تدع ما تدع إلا وأنت محسوم الطمع من خيره ومردوده ،
وحق لا تتكلف إلا ما في وسعك وطاقتك ، ولا تكلف أحداً إلا ماله
طريق إلى طاعتك وإجابتك ، وعنده الحجة القوية في تقديم أمرك ، والبلوى ^(٥)
فيما يتجمله لك ، ويتوخى فيه مسرتك ، ويقصد به جذلك وغبطتك ، ويصير
بالصبر عليه من أوليائك وشيعتك ، ولا يخرج معه إلى محادثتك ومخالفتك لأمر

(١) الفرية : الكذب واختلاقه .

(٢) التباعة : ما ترتب على الفعل من الخير والشر إلا أن استعماله في الشر .

(٣) لم تقف على هذا المصدر في المعاجم التي بين أيدينا ولعل أبا حيان يريد من « المباقة »

المفاعلة من الإبقاء على الصحبة .

(٤) في الأصل : « والفائدة » .

(٥) البلوى : الاختبار .

يُعوز ، وحادث يعرض ، وعطن يضيق ، وبال يتحرك ، وطباع تخور ،
وحاسد يطعن ، وعدو يعترض ، وجاهل يتعجرف ، وسفيه يتهانف (١) ،
وصدر يخرج ، ولسان يتلجلج ، بل يتلقى أمرك بالقبول ، وينشط لخدمتك
بالتأميل ، ويرى أن ما يناله من رضاك فوق ما يبذل فيه جهده لك ، وما
يحزره من ثوابك أضعاف ما يبرزه من كدحه عندك ، وما ينجو به من عتبك
واستزادتك يوفي على ما يتعلق بسعيه في مرادك ، وما يعزّ به في الثاني من
إحمادك أردّ عليه مما يبذل به في الأول من اقتراحك ، وما يقوّى به من اليقين
والطمأنينة في كرامته عندك أكثر مما يضعف به من الترنح والشك في
بواره عليك .

[باب في أدب النفس]

وهذا باب يرجع إلى معرفة الأحوال إذا وردت مشتبهة مستبهمة ، وعواقب
الأمر إذا صدرت مستنيرة متوضحة ، وثمره هذه المعرفة السلامة في الدنيا ،
والكرامة في الآخرة ، وبهذه المعرفة يصح الفرق والموازنة ، ويميز ما يختلف
فيه مما اتفق عليه ، وما ترجح من الاختلاف والاتفاق ، ولم يقم عند الامتحان
والنظر على ساق . وهذه حال لا تستفاد إلا بقلّة الرضا عن النفس ، وترك الهوينا
في التشاور والتخاير ، ومجانبة الوكال كيف دار الأمر ، وأين بلغت الغاية .
وأنت حفظك الله إذا نظرت إلى الدنيا وجدتها قائمة على هذه الأركان ، جارية
على هذه الأصول ، ثابتة على هذه العادة ، فكل من كان نصيبه من الكيس

(١) يتهانف : يضحك ضحك المستهزئ .

والخزامة أكثر ، كان قسطه من النفع والعائدة أوفر ، وكل من كان حظه من العقل والتأييد أنزر ، كانت تجارته فيها أخسر ، وعاقبته منها أعسر. وهذا الباب جماع المنافع والمضار ، وبه يقع التفاوت بين الأخيار والأشرار ، وبين السَّفلة وذوي الأقدار ، وهو باب ينتظم الصدق والكذب في القول ، والخير الشر في الفعل ، والحق والباطل في الاعتقاد ، والعدل والجور فيما عم ، والاخلاص واليقين فيما خص ، والراحة والسكون فيما بان ووضع ، والقناعة والصبر فيما نأى ونزح .

ومتى تمت هذه المعرفة ، واستحكمت هذه البصيرة كان الإقدام على ثقة بالظفر والنكول عن الاطلاع على الغيب . وهذه معان من أبصرها نقدها ، ومن نقدها أخذ بها وأعطى ، وكان فيها أنفذ من غيره وأمضى ، / وهناك يحكم لغوره بالبعد ، ولصدره بالسعة ، ولصيته بالطيرورة ، ولطباعه بالكرم ، وخلقه بالسهولة ، ولعوده بالصلابة ، ولنفسه بالمرارة ، ولوجهه بالطلاقة ، ولشباته بالخلافة . ومتى عاشرت مَنْ هذا نعته وحديثه ، نَعَمْتَ معه ، وسأمت عليه ، وسعدت به ، وكرمت لديه ، وكان حظك من خللاته ومجاورته الغبطة به والغنيمة بمكانه .

[الانسان الكامل]

وأنى لك مَنْ هذا وصفه وخبره ، ومن لك بالمرء الذي لا بعده مع اضطراب دعائم الدنيا ، وتساقط أركان الدين . والأول يقول :
« وكيف التماس الدَّرِّ والضرع يابس ^(١) »

* * *

(١) البيت للمرقش الأكبر والشطر الأول :

تعاللتها وليس طبي بدرها ...

تعاللتها : أخذت علالتها يريد سيرها مرة بعد مرة أي ساعة يرفق بها وساعة يجهدها ، أخذها من العلل وهو الشرب الثاني . طي : طلي وإرادتي . درها : لبنها . (المفضليات ٢/٢٧)

« وما لامرئٍ عما قضى الله مزلحاً »

* * *

« وليس لرحلٍ حطّاه الله حاملٌ »

* * *

« إن البريء من الهنات سعيدٌ »

* * *

« وما خيرٌ سيفٍ لم يؤيد بقائمٍ ^(١) »

* * *

« ... ولكن أين بالسيف ضارب ^(٢) »

* * *

« الله يرزق لا كيسٌ ولا حمقٌ »

* * *

« والبرُّ خيرٌ حقيبةٍ الرجلِ ^(٣) »

* * *

(١) من قصيدة لبشار بن برد وصدره :

وما خير كف أمسك الغل أختها

(الديوان)

(٢) تمام البيت : فهذي سيوف يا صدي بن مالك

حداد ولكن أين بالسيف ضارب

كما ورد الشطر الثاني في رواية ابن الفراء :

كثير ولكن أين بالسيف ضارب

راجع : أمالي ابن الشجري ٢٦٧/١ ومعاني القرآن للفراء ٦٤/١

(٣) صدر البيت : الله أمنح ما طلبت به « شرح ديوان الحماسة ١٦٢/٣ »

ولقد أجاد الخزومي أبو سعد (١) في قوله :

« اصطلح السائلُ والمسؤولُ »

« ليس إلى مكرمة سبيلُ »

« غال بإخوان الوفاء غولُ »

« كل امرئ بشأنه مشغولُ »

بعد الآخر حين يقول :

أرى الناس شتى في النجار وإن غدتْ

خلاتُهم في اللوم واحدةَ النَّجَرِ

وقد زادني عَتَباً على الدهر أني

عدمتُ الذي يُعدي على حادث الدهر

وهذا كثير ، والداء فيه مُتفاقم ، والقول عليه مُعاد مملول .

[الشعراء والحكمة]

فإن قلت: هؤلاء شعراء ، والشعراء سفهاء ، ليسوا علماء ولا حكماء ، وإنما يقولون ما يقولون والجشع بادٍ منهم ، والطمع غالب عليهم ، وعلى قدر الرغبة والرغبة يكون صوابهم وخطأهم ، ومن أمكن أن يُزَحْزَحَ عن الحق بأدنى طمع ، ويُحمل على الباطل بأيسر رغبة ، فليس ممن يكون لقوله آتاء ،

(١) أبو سعد الخزومي : واسمه عيسى بن الوليد من شعراء العباسيين عاصر دعبلاً وجرت

بينهما مهاجاة « الفهرست ٢٣٥ ، الموشح ٣٤٧ ، الأغاني ٥٠/١٨ » .

أو لحكمته مضاء ، أو لقدره رفعة ، أو في حلقه طهارة ، ولهذا قال القائل :
لا تَصْحَبَنَّ شَاعراً فَإِنَّهُ يَهْجُوكَ مَجَاناً ، ويطري بضمن ، وهذا لأنه مع الريح ،
أين مالت به مال ، يتطوح مع أقل عارض ، ويحيب أول ناعق ، ويشيم
أي برق لاح ، ولا يبالي في أي واد طاح ، قد جمع دينه ومروءته في قرن
تهاوناً بهما ، وعجزاً عن تدبيرهما ، فهو لا يكثر كيف أجاب سائلاً ، وكيف
أبطل مجيئاً ، وكيف ذم كاذباً ومتجامللاً ، وكيف مدح موارباً ومخاتلاً ،
فلا تفعل فداك عمك وشب ابنك ، فإن رسول الله صلى الله عليه [وسلم] قد
قال : إن من الشعر لحكماً ، وقال : وإن من البيان لسحراً ، وكيف
لا يكون ذلك كذلك وفيه مثل قول ليبد (١) :

إن تقوى ربنا خير نَفَلْ وبإذن الله ريثي وعجل (٢)

[الشعر والنثر]

والشعر كلام ، وإن كان من قبيل النظم ، كما أن الخطبة كلام ،
وإن كان من قبيل النثر ، والانتثار والانتظام صورتان للكلام في السمع ،
كما أن الحق والباطل صورتان للمعنى ، وكذلك المثل في السمع ،
وليس الصواب مقصوراً على النثر دون النظم ، ولا الحق مقبولاً بالنظم
دون النثر ، وما رأينا أحداً أغضى على باطل النظم ، واعترض على حق

(١) هو ليبد العامري « ٠٠ - ٤١ هـ » أحد الشعراء الفرسان في الجاهلية ، أدرك
الاسلام وسكن الكوفة وكان من المعمرين وهو من أصحاب المعلقة.

(٢) مطلع قصيدة . راجع الديوان ص ١١ طبعة بروكلمان ليدن ١٨٩٢
Die Gedichte Des Lebid Leiden 1892

النثر ، لأن النثر لا ينتقص من الحق شيئاً ، وما أحسن ما قال
القائل (١) :

وإنما الشعر لب المرء يعرضه
على المجالس إن كيساً وإن حمقاً
وإن أشعر بيت أنت قائله
بيت يقال إذا أنشدته صدقاً

وهذا باب لا يفيد الإغراق فيه إلا ما يفيد التوسط والقصد ، فلا وجه مع
هذا للاطالة ، ولما يكون سبباً للملالة .

[أسباب تأليف الرسالة]

وهذه الجملة — أكرمك الله — أنت أحوجتني إليها ، وجشمتني
صعبها ، حتى نشبت (٢) بها قائماً وقاعداً ، وتقلبت في حافاتها مختاراً ومضطراً ،
وتصرفت في فنونها محسناً ومسيئاً لما تابعت إلي من كتاب بعد كتاب ،
تطالبني في جميعه بنسخ أشياء من حديث ابن عباد وابن العميد وغيرهما ممن
أدركته في عصري من هؤلاء منذ سنة خمسين وثلاثمائة إلى هذه الغاية ،
وزعمت أنني قد خبرت هذين الرجلين من غمار الباقين ، ووقفت على شأنهما ،
واستبنت دخائلهما ، وعرفت خوافي أحوالهما ، وغرائب مذاهبهما وأخلاقهما ،

(١) البيتان لحسان بن ثابت الأنصاري راجع الديوان طبعة البرقوقي ١٩٢٩ ص ٢٩٢

(٢) نشب بالشيء : تعلق به .

ولعمري قد كان أكثرُ ذاك إما بالمشاهدة والصحبة ، وإما بالسماع
والرواية من البطانة ، والحاشية ، والندماء ؛ وذوي الملابس وقلت : ينبغي
أن تضيف إلى ذلك ما يتعلق به ، ويدخل في طرازه ؛ / ولا يخرج عن الإفادة [ب٢]
بذكره ؛ والاستفادة من نشره ؛ فإن ذلك يأتي على كل ما تنوق إليه النفس
من كرم ولؤم ، وزيادة ونقص ، وورع وانسلاخ ، ورزانة وسخف ،
وكيس وبله ، وشجاعة وجبن ، ووفاء وغدر ، وسياسة وإهمال ،
واستعفاف ونطاف (١) ، ودهاء وغفلة ، وبيان وعي ، ورشاد وغبي ،
وخطأ وصواب ، وحلم وسفه ، وخلاعة وتمالك ، ونزاهة ودنس ، وفضيلة
ورقة ، وحياء وقحة ، ورحمة وقسوة .

[التزام الصراحة]

وقلت : ولا يجعلُ موقع ذلك كله ، ولا يـمـذُبُ وردّه ، ولا يغزر
عذّه ، ولا ينقاد السمع له ، ولا يُراح القلب به إلا بعد أن تدع المحاشاة
وأنت مقتدر ، وتفارق المحاشاة وأنت متبصّر ، وإلا بعد أن تترك العدو
والحاسد يتقدان بغيظهما اتقاداً ، ويرتدان على أعقابهما ارتداداً ، فإن
التقية في هذا الفن مجزعة مضرعة ، وركوب الردع فيه
مأثرة ومفخرة .

[وضع الأمور في نصابها]

وقلت والعامة تقوله : من جعل نفسه شاة دق عنقه الذئب ، ومن

(١) النطف : الرية والفساد ..

صَيَّرَ تَقْسَهُ نَخَالَةً أَكَلَهُ الدَّجَاجُ ، وَمَنْ نَامَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ دَقَّتْهُ الْحَوَافِرُ دَقًّا ، وَالْكَبِيرُ فِي اسْتِيفَاءِ الْحَقِّ مِنْ غَيْرِ ظَلَمٍ ، كَالْتَوَاضِعِ فِي أُدَاءِ الْحَقِّ مِنْ غَيْرِ ذَلٍّ ، وَكَمَا أَنَّ الْمَنَعَ فِي مَوْضِعِ الْإِعْطَاءِ حَرَمَانٌ ، كَذَلِكَ الْإِعْطَاءُ فِي مَوْضِعِ الْمَنَعِ خِذْلَانٌ ، كَمَا أَنَّ الْكَلَامَ فِي مَوْضِعِ الصَّمْتِ فَضْلٌ وَهَذَرٌ ، كَذَلِكَ السَّكُوتَ فِي مَوْضِعِ الْكَلَامِ لُسْكُنَةٌ وَحَصْرٌ .

[تَتَائِجُ الْإِحْسَانِ وَالْإِسَاءَةِ]

وَكَمَا أَنَّ الْقُلُوبَ جَبَلَتْ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا ، كَذَلِكَ النُّفُوسَ طَبَعَتْ عَلَى بَغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا . وَالْجَبَلُ^(١) وَالطَّبْعُ وَإِنْ افْتَرَقَا فِي اللَّفْظِ فَإِنَّهُمَا يَجْتَمِعَانِ فِي الْمَعْنَى ، وَكَمَا أَنَّ الْحُبَّ نَتِيجَةُ الْإِحْسَانِ ، كَذَلِكَ الْبَغْضُ نَتِيجَةُ الْإِسَاءَةِ ، وَكَمَا أَنَّ الْمَنْعَمَ عَلَيْهِ لَا يَتَّهِنُ بِنِعْمَتِهِ الْوَاصِلَةِ إِلَيْهِ إِلَّا بِالشُّكْرِ لَوَاهِبِهَا ، كَذَلِكَ الْمُسَاءَةُ إِلَيْهِ لَا يَجِدُ بَرْدَ غَلَّتِهِ وَلَذَّةَ حَيَاتِهِ إِلَّا بِأَنْ يَشْكُوَ صَاحِبَ الْإِسَاءَةِ ، وَإِلَّا بِأَنْ يَهْجُوَ الْمَانِعَ وَيَذِمَّ الْمَقْصِرَ وَيَثْلِبَ الْحَارِمَ ، وَيَنَادِي عَلَى الْخَسِيسِ السَّاقِطِ ، وَالنَّذْلِ الْمَهَابِطِ فِي كُلِّ سَوْقٍ ، وَفِي كُلِّ مَجْلَسٍ ، وَعِنْدَ كُلِّ هَزَلٍ وَجَدٍ ، وَمَعَ كُلِّ شَكْلِ وَضَدٍ ، مِيزَانِ عَدْلٍ ، وَوزنٍ بَقَسْطٍ ، وَنِصْفَةِ مَقْبُولَةٍ ، وَعَادَةٍ جَارِيَةٍ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ .

وَقُلْتُ أَيْضًا : وَمَنْ وَجَعُ قَلْبُهُ وَجَعُكَ ، وَأَلَمَ عِلْتُهُ أَلَمُكَ ، وَحُرْمَ حَرَمَانِكَ ، وَخَيْبَ خَيْبَتِكَ ، وَجُرْعَ مَا جُرْعَتُهُ ، وَقَصْدَ مَا قَصَدْتَ بِهِ ، وَعَوْمَلَ بِمَا شَاعَ لَكَ ، قَالَ وَأَطَالَ ، وَكَرَّرَ وَمَسَّيَّرَ ، وَأَعَادَ

(١) جَبَلَهُ : خَلَقَهُ وَفَطَرَهُ .

وأبدأ^(١) ، وعرض وصرّح ، ومرّض وصحّح ، وقام وقعد ، وقرب
وبعد ، وإنّ عيناً ترقد على الضيم للعمى أحسن بها ، وإنّ نفساً تقر على الخسف
لموت أولى بها من حياتها .

[العتب على ابن العميد]

وقلت : أما سمعت قول العاتب على ابن العميد في رسالته حين قال الحق له
قال : وليعلم المرء وإن عزّ سلطانه ، وعلا مكانه ، وكرّمت حاشيته وغاشيته ،
وملك الأعنة ، وقاد الأزمة ، أنه ينعم له في الحمد على الحسن ، والذم على
القبیح ، وإن الخوف يُرتاب من ورائه ، كما يقرّع المأمون في وجهه ، فأعلاهما
حالا أكثرهما عند التقصير وبالا ، وهذا بابٌ يعرفه من الناس من ساس الناس .
وهذا الكاتب يعرف بالأشل .

[ذكر محاسن الوزيرين ومساوئهما]

وقلت أيضاً : ولست أسألك أن لا تذكر من حديثها إلا ما كان جالباً
لمقتهما ، أو داعياً إلى الزرارة عليهما ، وباعثاً على سوء القول والاعتقاد .
فيهما ، بل تضيف إلى ذلك ما قد شاع لهما ، وشهرَ عنهما ، من فضائل
لم يثلثهما^(٢) فيها أحدٌ في زمانهما ولا كبيرٌ ممن تقدمهما ، فإن الفائدة
المطلوبة في أمرهما ، وشرح حديثهما ، تأديب النفس ، واجتلاب الأنس ،
وإصلاح الخلق ، وتخليص ما حسُن مما قبُح ، وتسليط النظر الصحيح

(١) في الأصل : أبدى .

(٢) ثلث « كضرب » كان ثالثهم .

مع العدل المحمود فيما أشكل ، واشتبّه بين الحسن المطلق
والقبُح المطلق .

[التوفيق بين المعنى والمبنى]

وقلت : مما ينبغي أن لا تغفله ولا تذهب عنه ، وتطالب نفسك
بالتيقظ فيه ، أن تجمع له باب اللفظ والمعنى في الصدق والكذب ، فإنك إن
حرّقت / في هذا بعض التحريف ، وجزّفت بعض التجزيف ، خرج معنك
[٣] من أن يكون فخماً نبيلاً ، ولفظك من أن يكون حلوّاً مقبولاً ، لأن
الأحوال كلها في صلاحها وفسادها موضوعة دون اللفظ المونق ، والتأليف
المعجب ، والنظم المتلائم ، وما أكثر ما رُدّ صالح معناه لفساد لفظه ، وقُبِلَ
فساد معناه لصلاح لفظه .

[صلاح الماضي]

وقلت : انما نهيتك على هذا شفقة عليك ، وحرصاً على أن لا يكون
لمعنتٍ وعائبٍ طريقٌ إليك ، وأنت بحمد الله مستوصى^(١) لا تحوج إلى
تنبيه بعنف ، وإن أحوجت إلى إذكّار بلطف . وقد كان البيان عزيزاً في
وقت البيان ، والنصح غريباً في وقت النصح ، والدين مستظرفاً في وقت
الدين ، إذ الحكمة معانقةٌ بالصدر والنحر ، مقبلةٌ بكل شفةٍ وثغر ،
مخطوبةٌ من جميع الآفاق ، يقرع من أجلها كلُّ باب ، ويجرّق على

(١) في الأصل : مستوص .

فأثما كلُّ ناب . والأدب متنافس فيه ، محروصٌ على الإكثار (١) منه
مع شُعبه الكثيرة ، وطرائقه المختلفة ، والدين في عرض ذلك مذبوبٌ عنه
بالقول والعمل ، مرجوعٌ إليه بالرضا والتسليم ، مقنوعٌ به في
الغضب والحلم .

[فساد الحاضر]

ككيف اليوم وقد استجالت الحال عجماء ، وملاك الغنى والثراء الرؤساء
والعلماء ، وقل الخائض فيما كسب زيادة ، أو نفى نقيصة ، وأورث عزاً
وأعقب فوزاً .

[حسن الاستعداد للقول]

وقلت : ولكن ذلك كله — إذا نشطت له مقصوراً غير مبسوط ، أو
بين المقصور والمبسوط — فإنه إن زاد على هذا التحديد طال ، وإذا طال
مُلٌّ ، وإذا مُلٌّ نُظِرَ إلى صحيحه بعين السقيم ، وحكم على حقه بلسان
الباطل ، وتُخيل القصد فيه إسرافاً ، والعدل فيه جوراً ، وعند ذلك يحول
عن بهجته ومائه ورونقه وصفائه .

وجميع ما قلته — حاطك الله — وأتيت به ، وسجبت ذيلك عليه ،
ورفلت أعطافك فيه ، قد سمعته وفهمته وطويته في نفسي ، وبسطته وجمعتـه
بذهني وفرقتـه ، ونظمتـه عندي ونثرتـه ، ولست جاهلاً به ولا ذاهلاً عنه
ولكن من لي بعتاد ذلك كله وبالتأني له ، وبالقدرة عليه ، وبالسلامة فيه
إن فاتتني الغنيمة فيه مع صدري الضيق وبالي المشغول ، ومع رزوح الحال ،

(١) في الهامش : استكثار .

وفقد النصر ، وعدم القوت ، وسوء الجزع ، وضعف التوكل ، نعم ومع
الأدب المدخول ، واللسان الملجلج ، والعلم القليل ، والبيان النزر ، والخوف
المانع ، وإني لأظن أن الطائع لك في هذه الخطة ، والمحجب عن هذه المسألة
قليل النقيّة (١) ، سيء البقية ، ضعيف البديهة والروية ، لأنه يتصدى لما
لا يفي به ، ولا يتسع له ، ولا يتمكن منه ، فإن وفي واسع وتمكن لم
يسلم على كثير ممن يقرأ كلامه ، ويتصفح أمره ، ويقص أثره ،
ويطلب عثرته .

[موقف الناس من المدح والذم]

لأن الناس في نشر المدح والذم ، وفي بسط العذر واللوم على آراء مختلفة
ومذاهب متباينة ، وأهواء مشتتة ، وعادات متعاندة ، على أنهم بعد شدة
جدالهم ، وطول مرأئهم رجلاً : متعصب لمن تدمه وتعييه وتنت (٢) القبيح
عنه ، فهو يغفر له جميع ما يسمع منك ، صادقاً كنت أو كاذباً ، معرضاً
كنت أو مفصلاً . أو متعصب على من تمدحه وتزكّيه ، وتفضّله وتثني عليه ،
فهو يرد عليك كل ما تدعيه ، محققاً كنت أو محرفاً (٣) موضحاً كنت أو
مزخرفاً ، ولذلك قال بعض علماء السلف الصالح : هما أمران مثواك
بينهما : راض عنك ، فهو يمدحك أكثر مما هو لك ، وساخط عليك
ينقصك من حقك ، فرم (٤) ما ثلم الباغى بفضلة الراضي ، يعتدل بك

(١) النقيّة : مؤنث النقي وهي الكلمة .

(٢) نت الخبر ينثه : أفساه .

(٣) في الأصل مجرفاً .

(٤) رمه يرمه رماً ومرة : أصلحه .

الأمر ؛ والشاعر قد فرغ من هذا المعنى وسيُمره في قريضه المشهور المتداول حيث يقول :

وعين الرضا عن كل عيبٍ كليلة

ولكن عين السخط تبدي المساويا (١)

على أن هذا الشاعر قد أثبت العيب ، وإن كان قد وصفه بـكلول العين عنه ، ودلّ على المساوىء وإن كان السخط مبديها .

[الهوى والرأي]

وهذا لأن الهوى مقيم لا بث ؛ والرأي مجتاز عارض ؛ ولا بد للهوى أن يعمل عمله ، ويبلغ مبلغه ، وله قرار لا يطمئن / دونه ، وحد هو أبداً يتعداه ويتجاوز ، وله غول تضلّ ، وتمساح يتلعب ، وثعبان إذا فح (٢) لا يبقى ولا يذر ، والرأي عنده غريب خامل ، وناصح مجهول . وقال بعض الحكماء : فضل ما بين الرأي والهوى أن الهوى يخصّ ؛ والرأي يعم ؛ والهوى في حيز العاجل ، والرأي في حيز الآجل ، والرأي يبقى على الدهر ؛ والهوى سريع البيود كالزهر ، والرأي من وراء حجاب ، والهوى مفتّح الأبواب ، محمد الأطناب ، ولذلك قال أيضاً بعض العرب ويقال هو عامر ابن الظرب (٣) : الرأي نائم والهوى يقظان ، فأرقدوا الهوى بفضاظة ، وأيقظوا الرأي بلطافة . وقال الشاعر :

[٣ب]

(١) الشعر لعبد الله بن معاوية الأغاني ٢٣٣/١٢

(٢) في الأصل : تفح .

(٣) عامر بن الظرب العدواني : حكيم ، خطيب في الجاهلية كانت العرب لا تعدل بفهمه فهماً ولا بحكمه حكماً وهو أحد المعمرين في الجاهلية وكان يقال له ذو الحلم .

كم من أمير في يدي شهواته

ظفر الهوى منه بحزم ضائع

وقال أعرابي : لم أر كالعقل صديقاً معقوقاً ، ولا كالهوى عدواً معشوقاً ،
ومن وفقه الله للخير جعل هواه مقموماً ، ورأيه مرفوعاً .

[الاسراف في المدح والذم]

وإذا كان الهوى - أبقاك الله - على ما وصفنا ، وعلى وراء ما وصفنا ،
مما لا نحيط به وإن أطلنا ، فمتى يخلو المادح إذا مدح من بعض الافراط تقرباً إلى
مأموله وخلافة (١) لعقله ، واستدراراً لكرمه ، وبعثاً على تنويله وتخويله .
وهذه حال مصحوبة في الممدوح إذا كان أيضاً غائباً أو ميتاً ، أو متى يسلم
الذام إذا ذم من بعض الاسراف تعنتاً لصاحبه ، وحمللاً عليه بالانحاء (٢)
الشديد ، والقول الشنيع ، والنداء الفاضح ، والحديث المخزي وجرياً مع شفاء
الغيظ وبرد الغليل .

[الحرمان والتأمل]

لأن جرعة الحرمان أمرٌ من جرعة الشكل ، وضياح التأمل أمضٌ
من الموت ، وخدمة من لم يجعله الله لها أهلاً أشد من الفقر ، وإنما يُخدم
من انتصب خليفة لله بين عباده بالكرم ، والرحمة ، والتجاوز ، والصفح ،
والجود ، والنائل ، وصلة العيش ، وبذل مادة الحياة ، وما يصاب به روح
الكفاية ؛ وحرمان المؤمن من الرئيس ككفران النعمة من التابع ؛ ورحى

(١) الخلافة : الخديعة باللسان .

(٢) أنهى عليه باللائمة : أقبل عليه بها .

الحرب في هذا الموضع راكدة ، والقراع عليه قائم ، والخطابة في دفعه وإثباته واسعة ، والتمويه مع ذلك معترض ، والاعتداد مردود ، والتأويل كثير ، والتنزيل قليل .

[الحرمان والشم]

ولقد رأيت الجرجرائي^(١) وكان في عداد الوزراء ، وجلة الرؤساء ، وإنما قتله ابن بقیة^(٢) لأنه نعم^(٣) له بالوزارة . يقول للحاتمي أبي علي ، وهو من أدهياء الناس : إنما 'تحرم لأنك تشتم' ، فقال الحاتمي^(٤) : وإنما أشتتم لأنني أحرّم ، فأعاد الجرجرائي قوله ، فأعاد الحاتمي جوابه ، فقال : ثم ماذا ؟ فقال الحاتمي : دع الدّست قائمة وإن شئت عملناها على الواضحة قال : قل !

[المادح والمدوح]

قال الحاتمي : تقطع هذا ألا يسمعوها مدائحهم ولا يكثرثوا بمراتبهم ، وأن يعترفوا لنا بمزية الأدب ، وفضل العلم ، وشرف الحكمة كما أخذ ينالهم

(١) هو محمد بن الفضل الجرجرائي . تولى الوزارة زمن المتوكل من سنة ٢٣٢ هـ إلى ٢٣٦ هـ . توفي حوالي ٢٥٠ هـ . ورد ذكره في الامتاع والمؤانسة للتوحيدي ٢١٧/٣

(٢) هو محمد بن بقیة نصير الدولة ، خدم معز الدولة بن بويه واستوزره ابنه عز الدولة وهو الذي سمل عينه سنة ٣٦٦ . ولما ملك عضد الدولة بغداد طلبه وألقاه تحت أرجل الفيلة وصلبه سنة ٣٦٧ هـ ، وفيه قال ابن الأنباري قصيدته المشهورة :
« علو في الحياة وفي المات »

(٣) النعم : الكلام الخفي ومنه : نعم .
(٤) هو أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي صاحب الرسالة الحاتمية توفي سنة ٣٨٨ هـ .

بعظمة الولاية ، وفضل العمل ، وبسط اليد ، وعرض الجاه ، والاستبداد
بالتنعم ، والطاق والرواق ، والأمر والنهي ، والحُجَّاب والبواب ، وأن
يكتبوا على أبواب دورهم وقصورهم : يا بني الرجاء ابعدوا عنا ، ويا أصحاب
الأمل اقطعوا أطعامكم عن خيرنا وميرنا ، وأحمرنا وأصفرنا ، ووفروا
علينا أموالنا ، فلسنا نرتاح لنترك^(١) في رسالة تجبرونها ، ولا لنظمكم في
قصيدة تتخبرونها . ولا نعتد بملازمتكم لمجالسنا ، وترددكم الى ابوابنا ،
وصبركم على ذل حجابنا ، ولا نهش لمدحكم ، وقريضكم ، ولا لثنائكم
وتقريظكم ، ومن فعل ما زجرناه عنه ثم ندم فلا يلومن إلا نفسه ،
ولا يقلعن إلا ضرسه ، ولا يخمشن إلا وجهه ، ولا يشقن
إلا ثوبه .

[ثمن المدح]

وإن من طمع في موائدنا يجب أن يصبر على أوابدنا ، ومن رغب في
فوائدنا نشب^(٢) في مكائدنا ، فاما إذا استخدمونا في مجالسهم لوصف
محاسنهم ، وسير مساوئهم ، والاحتجاج عنهم ، والكذب لهم ، وأن نكون
السنة نفاحة عنهم ، فليثيبوا على العمل ، فإن في توفية العمال أجورهم قوام
الدنيا ، وحياة الأحياء والموتى . فإن قصرنا بعد ذلك في إعادة الشكر
وإبدائه ، وتعميق الثناء وإفشائه ، فإنهم من منعنا في حيل ، ومن الإساءة
الينا في سعة .

(١) في الأصل « لبشركم » وهو تصحيف ..

(٢) نشب : لقي شراً .

[العطاء والمنع]

فرايت الجرجرائي حين سمع هذا الكلام النقي ، وهذه الحجة البالغة وَجَمَ ١١ ساعة ثم قال : لعمرى إذا جئنا إلى الحق / ونظرنا فيه بعين لا قذى بها ، ونفس لا لؤم فيها ، فإن العطاء أولى من المنع ، والتنويل أولى من الحرمان ، والخطأ في الجود أسلم من الصواب في البخل ، لأن الصواب في البخل خفي جداً ، وقل من يعرفه ، والخطأ في الجود حلوه جداً وقل من يكرهه . وأنا أقول : قد صدق هذا الرجل الجليل في هذا الحرف صدقاً لا تماري فيه .

[بين التوحيدى ومسكويه]

ولقد جرى بيني وبين أبي علي مسكويه (٢) شيء هذا موضعه . قال مرة : أما ترى إلى خطأ صاحبنا - وهو يعني ابن العميد - في اعطائه فلاناً ألف دينار ضربة واحدة ، لقد أضاع هذا المال الخطير فيمن لا يستحق . فقلت له بعدما أطال الحديث وتقطع بالأسف : أيها الشيخ أسألك عن شيء واحد وأصدق فانه لا مدب للكذب بيني وبينك ، ولا هبوب لريح التمويه علينا ، لو غلط صاحبك فيك بهذا العطاء وأضعافه وأضعاف أضعافه أكنت تتخيله في نفسك مخطئاً ، ومبذراً ،

(١) سكت وعجز عن التكلم .

(٢) ابو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مؤرخ وفيلسوف اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق والتاريخ والأدب والانشاء . صلب عضد الدولة البويهى وأشرف على خزانه كتبه . وكان مسكويه معاصراً للتوحيدى وله مؤلفات كثيرة أهمها تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، وتهذيب الأخلاق . توفي سنة ٤٢١ هـ . راجع الامتاع والموانسة ٣٥/١

ومفسداً أو جاهلاً بحق المال . أو كنت تقول : ما أحسن ما فعل وليته أربي عليه ! فإن كان ما تسمع على حقيقته فاعلم ان الذي بدد مالك ، وردد مقالك إنما هو الحسد وشيء آخر من جنسه ، فأنت تدعي الحكمة ، وتكلم في الأخلاق وتزيف منها الزائف ، وتختار منها المختار ، فافطن لأمرك واطلع على شرك وشرك.

[البذل والمنع]

هذا ذكرته - أبقاك الله - لتبين أن الخطأ في العطاء مقبول ، والنفس تغضي عليه ، والصواب في المنع مردود ، والنفس تقلق منه ، ولذلك قال المأمون وهو سيد كريم، وملك عظيم ، وسائس معروف : لأن أخطيء باذلاً أحب إليّ من أن أصيب مانعاً . والشاعر يقول :^(١)

لا يذهبُ العرفُ بين الله والناس

وإن كان يكفر النعمة بعض من أنعم عليه بها ، إنه ليشكرها كثير ممن لم يتلمظ^(٢) حلاوتها، ولم يطعم فتاةً منها ، ولم يسغ جرعةً من غديرها، ولم يسحب ذيلًا من أذيالها . وصدر هذا الكلام شبيه بشيء لا بأس بروايته في هذا الموضع ، وإن لم يكن من قبيل ما طال القول فيه ، وتوالى النفس به .

(١) البيت للحطيئة والشرط الأول :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

(٢) لمظ وتلمظ : أخرج لسانه بعد الأكل أو الشرب فمسح به شفثيه ، أو تتبع بلسانه

بقية الطعام بين أسنانه بعد الاكل .

[الطاعة والتوفيق]

قال المأمون (١) لأبي العتاهية (٢) : إذا قال الله لعبده لِمَ لِمَ تطعني ؟ أي شيء يكون من جوابه ؟ فقال : يقول : يارب لو وفقتي لأطعتك . قال : فان الله يقول : لو أعطتني لوفقتك . قال أبو العتاهية : فان العبد يقول : لو وفقتي لأطعتك ، أيكون ما يحتاج العبد اليه نسيئةً ، وما يطالبه الله به نقداً ؟ قال المأمون : فما يقطع هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين اصرف عنه فان الدست قائمة .

[المحاسن والمساوىء]

وأرجع فأقول : وما خلا الناس منذ قامت الدنيا من تقصير ، واجتهاد ، وبلوغ الغاية ، وتصور عن النهاية ، وتشارك في المحامد والمذام ، والمساوىء والمحاسن ، والمناقب والمثالب والفضائل والرزائل ، والمكارم والملائم ، والمنافع والمضار والمكاره والمسار ومن بعض ما يكون للقائل فيه مندوحة ، والمشاغب به استراحة ، وللناظر فيه متسع ، وللسامع مستمتع . وأحسنهم حالاً وأسعدهم جِداً ، وأبلغهم يُمناً ، وأربحهم بضاعةً من كانت محاسنه غامرة لمساويه ، ومناقبه ظاهرة على مثالبه ، ومادحه أكثر من هاجيه ، وعاذره أنطق من عاذله ، والمحتج عنه أنبه من المحتج عليه ، والنافع عنه أصدق من النافع فيه ، وليس العمل على عدد هذه وهذه ، ولكن على أن لا يكون مع صاحب المحاسن من الخصال اللثيمة وما يُجبطها ، ويحتاجها ، ويختلجها ، ويأتي عليها ، وإن صغر جرم تلك الخلعة ، وخمل

(١) الخليفة العباسي ابن هارون الرشيد « ١٧٠ هـ — ٢١٨ هـ »

(٢) اسماعيل بن القاسم بن سويد العيني الشاعر العباسي المشهور « ١٣٠ هـ — ٢١١ هـ »

اسم تلك الخصلة ، وأن يكون مع صاحب المساوىء من الخلال الكريمة وما يعطيها
ويُسبَل الستر عليها ، ويعين الزائد عنها ، ويبيّض وجه الناصر لها ، ويُمدُّ باع
المتناول إليها . وكما وجدنا السيئات يجبطن الحسنات ، وكذلك قد وجدنا الحسنات
يُذهبن السيئات .

[الدين والخلق والعلم]

والعمود الذي عليه المعوّل والغاية التي إليها المُوئل في خصال ثلاثٍ هن دعائم العالم ، وأركان
الحياة ، وأمّهات الفضائل وأصول مصالح الخلق في المعاش والمعاد ، وهن : الدين والخلق
والعلم . بهن يعتدل الحال ، وينتهي إلى الكمال ، وبهن تملك الأزمّة ، وينال أعزُّ
ما تسمو إليه المهمة ، وبهن تؤمن الغوايل ، وتحمد العواقب ، لأن الدين 'جماع' (١)
المرشد والمصالح ، والخلق نظام الخيرات والمنافع ، والعلم رباط الجميع ، ولأن
الدين بالعلم يصح ، والخلق بالعلم يطهر ، والعلم بالعمل يكمل ، فمن سلم دينه من
الشك والالحاء (٢) ، وسوء الظن والمرء ، وثبت على قاعدة التصديق بمواد اليقين
الذي / أقر به البرهان ، وطهر خلقه من دنس الملل ، ولجّاج الطمع ، وهجنة
البخل ، وكان له من البشر نصيب ، ومن الطلاقة حظ ، ومن المساهلة موضع ،
وحظي بالعلم الذي هو حياة الميت ، وحلّي الحي ، وكال الانسان ، فقد برز بكل
فضل ، وبان بكل شرف ، وخلا عن كل غباوة ، وبرىء من كل معاينة ، وبلغ
النجد الأشرف ، وصار إلى الغاية القصوى .

ولم أذكر لك العقل في هذا التفصيل وهو أولهن ، وبه تم آخرهن ، وعليه

(١) جماع : كل ما تجمع وانضم بعضه إلى بعض .

(٢) اللحاء : المنازعة والممانعة والمعاداة .

مجرى جميع ما افتنّ القول به ، لأنه موهبة الله العظمى ، ومنحته الكبرى ، وباب السعادة في الآخرة والأولى ، وكان ما عداه فرعاً عليه ، ومضموماً اليه ، لأنه متى عدمه الإنسان الحيّ الناطق فقد سقط عنه التكليف ، وبطل عليه الاختيار وصار كبعض البهائم العاملة ، وكبعض الشخوص الماثلة ، وبه يعرف الدين ، ويقوم الخلق ، ويقتبس العلم ، ويلتمس العمل الذي هو الزبدة . وقد يعدم العمل والعقل موجود ، وقد يفقد الخلق والدين ثابت ، فليس الأصل كالفرع ، ولا الأول كالثاني ، ولا العلة كمجلوب العلة ، ولا ما هو قائم كالجوهر كما هو دائر كالعرض . فهذا أضربت عن ذكره ، وغنيتُ عن الاستظهار به ، وإذا تمت فائدة الكلام ، فما زاد عليه لغوٌ ، وإذا استقرّ فيه المعنى ، فما ألمّ به فساد .

[أنصبااء الناس من الاركان الثلاثة]

والناس - هداك الله - من هذه الخصال التي ميّزتها ، والخلال التي نصصتُ القول فيها على أنصبااءٍ مختلفةٍ ، وهم فيها على غايات متنازحة ، بالقلة والكثرة ، والضعف والقوة ، والنقصان والزيادة ، ومن أجلها يتوخّون بالحمد على الاحسان ويُخدمون بالشكر على الجميل ، ويُحييَون بالنصائح الخالصة ، ويحبّبون بالقلوب الصافية ، ويثنى عليهم بالقرائح النقية ، والطويات المأمونة ، ويُدبُّ عنهم بالنيات الحسنة ، والألسنة الفصيحة ، ويعاونون عند الشدائد الحادثة ، والنوائب الكارثة ، والأمور الهائلة ، والأسباب الغائلة ، بالمال المدخور ، والنصح المنخول ، ويُدفع عنهم بالأيدي الباطشة ، والأقدام الثابتة ، والأرواح العزيزة ، والأنفس الكريمة .

[جزاء التقصير]

وكذلك يركلون على التقصير باللائمة ، ويجهّون على اللوم بالآبدة ^(١) ، ويذمّون على التهاون بكل فاقرة ^(٢) ، ويطوّقون بكل خزي ومعرة ، ويواجهون بكل شنعاء مفضّعة ^(٣) ، ويغتابون بكل فاحشة منكرة ، ويرمّون بكل ساقطة ولاقطة ، ويحرقون بكل نار حامية ، ويقذفون بكل مخجلة مندية . فهذا جمهور الخبر عن حال المجتهد إذا أحسن وحال المسيء إذا قصر ، وهم وإن كانوا على هذا السياق ثابتين ، ولهذا المنهاج سالكين ، فإنهم ينزعون إلى أصول حديثة وقديمة ، وأعراق كريمة ولئيمة .

[السعادة في العطاء]

والمجود من بينهم من لا ث الله ييا فوخه الخير . وعقد بناصيته البركة ، وجعل يده ينبوع الافضال والجود ، وعصم طباعه من الخساسة والدناءة ، وكفاه عار البطالة والعثالة ^(٤) ، ونزّاهه عن الإسفاف والندالة ، وهذا كله ثمرة البصيرة الباقية ، والنية الحسنة ، والضمير المأمون ، والغيب السليم ، والعقد المؤرّب ^(٥) ، والحق المؤثر وإن كان مرّاً ، والأدب الحسن وإن كان شاقاً ، والعفافة التي أصلها الطهارة ، والطهارة التي أصلها النزاهة . ومن عجن الله طينته بهذا الماء ، وروّح عنه بهذا الهواء ، وأطلق نفسه في هذا الجو ،

(١) الآبدة : الداهية يبقى ذكرها أبداً .

(٢) الفاقرة : الداهية الشديدة فكأنها تكسر فقر الظهر .

(٣) في الأصل مفصعة وهو تصحيف ومفضعة من فضغ العود كمنع هشمه .

(٤) عثل يعثل عثلاً : كان كبيراً وغليظاً ضخماً .

(٥) أرب : أحكم ووثق .

وقلبه على هذا البساط ، وسقاه بهذا النوء فقد أيده بروح القدس، ووصله بلطيف الصنع ، وأكمل عليه النعمة الجليلة ، وأبانه بالشرف المحسود ، وميزه بالمزية التامة، وخصه بخيم^(١) الأنبياء ، وألبسه جلابب الأصفياء ، وآتاه ضرائب الصالحين ، وأحضره توفيق المهديين للمرضيين .

[دواعي القول]

وقد صح - حفظك الله - عندي ، ووضح لي أن الذي هاجك على هذا المعنى حتى حركتني له ، وطالبتني به ، ولم ترض مني إلا بالمبالغة والاستقصاء ، وإلا بمبادلة الأعداء وذوي الشر ، اجتماعنا في مجالس العلماء، أو تلاقينا على أبواب الحكماء والأدباء أيام كنت أفكهم^(٢) الحديث النادر ، واللفظ الحسن ، وأضحك سنك بما ملح وحر ، وأزيدك في خلال ذلك خبرةً بالدهر وأهله ، واعتباراً بالزمان وتصرّفه ، وافتح عليك باب المؤانسة ، وأصف لك أخلاق الناس ، وما يفترقون به ويجمعون عليه من غرائب الأمور ، وطرائف الأحوال ، أيام كان عود الشباب رطيباً ، وورق الحياة نضيراً ، وظل العيش ممدوداً ، ونجم الزمان متوقداً ، ومقترح النفس مواتياً ، وروض المني خضلاً ، ودُرُّ النعمة متصلاً ، وداعي الهوى مشمراً ، أيام رأسك فينّان^(٣) وأنت كالصَّعدة^(٤) تحت السنان ، / شطاطك^(٥) معجب ، وحديثك معشوق ، وقربك مُتمنى ، والليل بك قصير ،

[٥ أ]

(١) الخيم (بالكسر) السجينة والطبيعة بلا واحد .

(٢) فكهم : أطعم الفاكهة وأطرف بملح الكلام وأطربه .

(٣) الفينان : حسن الشعر طويله .

(٤) الصعدة : القناة المستوية المستقيمة .

(٥) الشطاط : الطول وحسن القوام أو اعتداله .

والنهار عليك مقصور ، والعيون اليك طوامح ، والعواذل دونك نوافح ، وذلك زمان مضى فانقضى ، وإما غويّاً وإما رشيداً ، وكان الوقت يقتضي ذلك ويسعه ، والحال تواتيه وتحمله ، والعذر يقع لطالبه وملتمسه ، لكنني إذا نظرت إلى أملي المتعلق بك ، وطمعي الحائم عليك ، ورجائي المذبذب (١) حولك ، وحالي التي جعلك الله كافلاً وراعياً ، وجامعاً ومصلحاً ، وناظماً ما انتثر منها ، ومؤلف ما انتشر عنها ، رأيت البدار إليّ يغنيك أدباً محموداً ، وحظاً مُدرَكاً ، والتراخي عن طاعتك حرماناً حاضراً ، وعتباً مؤلماً .

[مساوىء الطمع]

وهكذا صنيع الطمع ، فقل لي : ما أصنع إن رد اعتذاري بعض من يسرّه عِثاري ، ويسوؤه استمرارى ، وليس إلا الصبر ، فانه مفتاح كل باب مرتبج ، وبرود كل حرّ أن ملهج ؟ وما زال الطمع قديماً وحديثاً ، وبدءاً وعوداً يضرع الخلد الصقيل ، ويرغم الأنف الأشم ، ويعفّر الوجه المفدى ، ويغضن العارض المندى ، ويخني القوام المهتز ، ويدنس العِرض الطاهر .

[مساوىء الفقر]

ولما الله الفقر ، فإنه جالب الطمع والطبّع (٢) ، وكاسب الجشع والضرع (٣) ، وهو الحائل بين المرء ودينه ، وسدّ دون مُروّته وأدبه وعزة نفسه . ولقد صدق الأول حيث قال :

(١) في الأصل « المذبذب عليك حولك » وعليك هاهنا زيادة من الناسخ .

(٢) الطبّع : الصدأ والدنس والعيب والجمع أطباع .

(٣) الضرع : الذل والهوان .

وقد يَقْصُرُ القُلُّ الفَتَى دونَ همِّه
وقد كان لولا القُلُّ طَلَّاعَ أَنْجِدِ
وما كذب الآخر حيث يقول :

إذا المرء لم يقن الحياء إذا رأى مطامع نيل دنسته المطامعُ
إذا قلَّ مال المرء قل صديقه وأهوت إليه بالعيوب الأصابعُ
وأجاد الآخر حين قال :

أزرى بنا أننا شالت نعمتنا والفقر يُزري بأحساب وألباب
وما أملح قول الأعرابي في قافيته :

ما بال أم حبيش لا تكلمنا إذا افتقرنا وقد نثري فنتفقُ
وصدق ، لأنها إذا لحقته على الفقر رغبت عنه ولم تواصله وفركته (١)
واختارت عليه .

وما أحسن ما قال بعد هذا في وصف سيرته وحسن عادة أهله فإنه قال :
إنا إذا حُطِّمَتْ حَتَّتْ لنا ورقاً (٢) نمارس العودَ حتى ينبت الورقُ
وصاحب الفقر إن مدح فرط ، وإن ذم أسقط ، وإن عمل صالحاً أحبط ،
وإن ركب شيئاً خلط وخبط ، ولم أر شيئاً أكشف لغطاء الأديب ، ولا أنشف
لماء وجهه ، ولا أذعر لسرب حياته منه ، وإن الحرَّ الأَنفَ ، والكريم المتعيف (٣)
من مقاساته والتجلد عليه ، لني شغل شاغل وموت مائت .

(١) فرك : أبغض وقيل هو خاص ببغضة الزوجين . والفارك المرأة التي تبغض زوجها
والفرك : الزوج المبغض .

(٢) الحطمة والحطمة : السنة الشديدة لأنها تحطم كل شيء ، حت الشيء : فركه وقشره ،
والشيء : حطه وأنزله . نمارس : الممارسة شدة العلاج . والبيت لذي الخرق الطهوي .
راجع : الاصمعيات : ص ١٣٣ .

(٣) المتعيف : المتشائم .

[التوحيدى وممدوحه]

وعلى ما قدمت من هذه الكلمات ، وأطلت به هذا الباب فقد امتثلت أمرك
وسارعت اليه ، وأرجو أن تهب لي فيه رضاك إن وقع موقعه الذي أمثلته ،
وتهديني إلى عين الصواب إن زل عن حدك الذي حددته ، وما غاية أملي به ،
وقصارى همتي منه إلا أن أكون سبباً قوياً فيما جاز لك الشكر مني ، وأوفر
عليك الحمد عني ، وأذاقك حلاوة مدحي وتمجيدى والشاعر يقول :

العرف أصل 'يجتنى' من فرعه الثمر 'الحميد'
يبلى الفتى في قبره وفعاله 'غصن' جديد

وسأجعل قصدي نحو السلامة إذا غلبني اليأس من الغنمة ، وأضيف إلى من
الحديث فوائد كبيرة ، واجتهد مُعذراً ، واتقصى معذوراً ، وأحكم متكرماً ،
وأقول ما أقول رائياً وراوياً ، على أني لا أثق بالخاطر إذا طاش ، ولا باللسان
إذا همز^(١) ، ولا بالقلم إذا استرسل ، ولا بالهوى إذا اشتمل وسوّل ، فإن
الهوى يُعمي ويُصم ، ولعل الغيظ يجرح ويُجهز .

[التزيد والتقصير في المدح والذم]

وهذه آفات متداركة لا سبيل إلى التفصّي^(٢) منها والسلامة عليها^(٣) ، وذلك
لأن الكلام في حمد من يُحمد ، وذم من يُذم ، إن غرق تنميماً دخله التزيد ،
والتزيد مَقْبُحٌ وإن أرسل على غراره شأنه التقصير ، والمقصر معجز ،
ولأن يدخله التقصير فيكون دليلاً على الإبقاء أحب إليّ من أن يدخله

(١) همز : اغتاب .

(٢) تفصّي : تخلص من خير وشر والفعل فصى .

(٣) كذا في الأصل .

التزيد فيكون دليلاً على الإرباء ، على أن من وصف كريماً أطرب ،
ومن أطرب طرب ، والطرب خفة وأريحية ، تستفز أن الطباع ،
وتشبه أن الحصيف بالسخيف . فأما من حدث عن لئيم فإن أساس
كلامه يكون على الغيظ ، والغيظ نار القلب ، وخُبث اللسان ،
وتشنيع القلم .

[التوحيد والوزيران]

فكيف الانصاف في وصف هذين الرجلين على هذين الحدين مع سرف
الهوى ، ووقدان الغيظ ، وعادة الجور ، وداعية الفساد ،
وصارفة الصلاح .

وهذه أعراض لا محيص منها ولا أمان / من اعترائها ولا راقى من
تعاورها ، وبعض هذا يهتك ستر الحلم وإن كان كثيفاً ، ويفتق جيب
التجمل وإن كان مكفوفاً ، ويُخرج إلى الجهل وإن كان العلم
يقبحه متقدماً .

[هـ]

وكنت هممت ببعض هذا منذ زمان فكبح عني عن ذلك بعض
أشياخنا ، وقصر إرادتي دونه ، وزعم أن الاختيار الحسن ، والأدب
المرضي ينهيان عنه ، ولا يجوز أن الخوض فيه ، لأن الغيبة ، والقذف ،
والعضية^(١) ، والتقييح ، والسب المؤلم ، والكلام الفاشر ، والمكاشفة
بالعلامة ، والشتم بلا مراقبة ، ليست من أخلاق أهل الحكمة ولا من
دأب ذوي الأخلاق الكريمة . وقد قال بعض الحكماء : لا تكونن
الأرض أكرم منا للسر ، ومن اعتاد الواقعة في الأعراض ومباداة الناس

(١) القذف : الحناء والفحش . العضية : البهتان والكلام القبيح .

بالسفه ، وثلبهم بكل ما جاش في الصدور ، وتذرّع به اللسان ، فليس
ممن يُذكر بخير ، أو يُرجى له فلاح ، أو يؤمن معه عيب .

قال : وهل الحلم إلا في كظم الغيظ ، وفي تجمّع المضض ، وفي
الصبر على المرارة ، وفي الاغضاء عن الهفوات ، ومن لك بالمهذب النذب^(١) الذي
لا يجد العيب اليه مختطى . والاول يقول :

ولست بمستبق أخاً لا تلمه

على شعث ، أي الرجال المهذب^(٢)

وقيل : لو تكاشفتم ما تدافتم ، ولو تساويتم ما تطاوعتم ، ولا بدّ من
هنة تُغفر ، ومن تقصير يُحتمل ، والاستقصاء فرقة ، وفي المسألة
تجب ، ومن ناقش في الحساب فقد رغب عن سجاحة الخلق ، وحسن الملكة ،
وإثارة الكرم .

وهذا الذي قاله هذا الشيخ الصالح مذهب معروف ، وصاحبه
حميد لا يدفعه من له 'مسكة' من عقل وسيرة صالحة في الناس ، وأدب موروث
عن السلف ، وليت هذا القائل ولي من نفسه هذه الولاية ، وعامل
غيره بهذه الوصية ، وليته بدأ بهذا الكلام وما شاكره^(٣) الرئيس
الذي قد أخرج تابعه الى هذا العناء والكد ، وإلى هذا القيام والتعوّد ،
لا ! ولكنه رأى جانب البأس المحروم ألين ، وعذل المنتجع المظلوم
أهون ، وزجر المتلذذ بما ينشئه ويستريح به أسهل ، فأقبل عليه واعظاً ،
وأعرض عن ظالمه 'محايياً' .

(١) النذب : السرب إلى الفضائل الظريف النجيب .

(٢) البيت للنابطه الدياني من قصيدة مدح بها النعمان بن المنذر .

(٣) شاكره مشاكه وشكاهاً : شابهه وشاكله وقاربه .

وبعدُ فصاحب هذا القول وادعُ غير مُحفظ ، وموفورٌ غير مُتَّقَص ، وناعم البال غير مُغْبَط ، وصحيح الجناح غير مَهِيض ، ولو شَيْكٌ بِجِدِّ قِتَادَةٍ لَكُنَّا نَقِفُ عَلَى عَرِيكَتِهِ كَيْفَ تَكُونُ ، وَعَلَى شَكِيمَتِهِ كَيْفَ تَثْبُتُ ، وَكُنَّا نَعْرِفُ مَا يَأْمُرُ بِهِ مِمَّا يَأْتِمُرُ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ بَرْدُ الْعَافِيَةِ مِنْ حَرِّ الْبَلَاءِ فِي شَيْءٍ .

[أبو سعيد الحسن ومروان بن المهلب]

ولما وقعت الفتنة بالبصرة أيام المهلب^(١) كان أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يُشَبِّطُ النَّاسَ عَنِ الْوُثُوبِ مَعَ بَنِي الْمُهَلَّبِ فِي قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ . وَقَامَ بِذَلِكَ مُقَاوِمَ شَقَّتْ عَلَى مَرْوَانَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، فَقَامَ مَرْوَانُ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيئاً وَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الْجِدِّ وَالْإِنْكَشَاشِ^(٢) ثُمَّ عَرَّضَ بِالْحَسَنِ فَقَالَ : بَلِّغْنِي أَنَّ هَذَا الشَّيْخَ الضَّالَّ ، الطَّالِحَ ، الْمَرَائِي ، يُشَبِّطُ النَّاسَ عَنِ الْطَلْبِ بِحَقْنِنا ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ جَارَهُ نَزَعَ مِنْ خُصِّ دَارِهِ قَصْبَةً لَظَلَّ أَنْفَهُ رَاعِفاً ، وَدَمْعُهُ وَاكِفاً ، وَقَلْبُهُ لَاهِفاً ، وَلِسَانُهُ قَارِفاً ، وَيُنْكِرُ عَلَيْنَا أَنْ نَطْلُبَ مَا لَنَا ، وَكَلَاماً غَيْرَ هَذَا غَادِرِنَاهُ قَادِرِينَ لِأَنَّهُ لَا وَجْهَ لِلْإِطَالَةِ بِهِ ، وَلَا أَقُولُ أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْمُهَلَّبِ أَحَقُّ بِمَا قَالَ مِنَ الْحَسَنِ وَلَكِنْ الْحَسَنُ تَكَلَّمَ عَلَى مَذْهَبِ النِّسَاءِ ، وَمَرْوَانُ قَابِلٌ ذَلِكَ بِمَذْهَبِ الْفُتَّاءِ .

(١) المهلب بن أبي صفرة (٥٧ - ٨٣ هـ) من أمراء العراق ولي البصرة وحارب الأزارقة الخوارج ثم ولاه عبد الملك بن مروان خراسان ومات فيها وله أخبار ووقائع كثيرة .

(٢) الانكماش : الاسراع .

[المتوسط والمتناهي]

وفي الجملة أبقاك الله ، ليس المضطر كالخيار ، ولا المجروح كالسليم ،
«ولا الموفور كالموتور ، ولا كل حكم يلزم المتوسط في حاله يلزم المتناهي في
حاله ، ومتى كان عافاك الله التابع كالمتبوع ، والآمل كالمأمول ، والمستميع
كالمنعم ، والمغبوط كالمرحوم ، والمدرك كالمحروم ، هذا في منقطع الثرى ، وذلك
في قلة^(١) المزن .

[رسالة للجاحظ]

هذا عمرو بن بحر أبو عثمان^(٢) وهو واحد الدنيا ، كتب رسالة
طويلة في ذم أخلاق محمد بن الجهم^(٣) ، ومدح أخلاق ابن أبي دؤاد^(٤) وبالغ
في الوصفين ، وخطب على الرحلين ، ولم يترك قبيحة إلا أعلقها محمداً ، ولا حسنة
إلا منحها أحمد ، وحتى جعل ابن الجهم مع إبليس في نصاب واحد ، وابن
أبي دؤاد مع ملك في نصاب واحد^(٥) وهكذا عمل من طب لمن حب ،

(١) القلة : أعلى الرأس والجبل وكل شيء .

(٢) الجاحظ .

(٣) محمد بن الجهم البرمكي القاضي . راجع :

G. Lecomte Mubammad b. al gahm al Barmaki in

Arabica V - 1958 263 — 241 .

(٤) ابن أبي دؤاد (١٦٠ هـ - ٢٤٠ هـ) القاضي المعتزلي المشهور قال عنه أبو العيناء :

« مارأيت رئيساً قط أفصح ولا أنطق من أبي دؤاد » كانت المعتصم يستشيريه في جميع

أموره وجعله قاضي قضاياه واتصل من بعده بالوائق والمتوكل . وتوفي في بغداد .

(٥) يقال : فرخان في قهاب ، يضرب للمتشابهين .

إذا غضب فسب أو رضي فمدح وأطرب ، وما أحسن ما دلّ على هذا المذهب أشجع / السلمي^(١) بفحوى كلامه ، فانه قال :

أعليّ لومٌ إن مدحتُ معاشراً
خطبوا إليّ المدح بالأموال
يتزحزون إذا رأوني مقبلاً
عن كلّ متكبرٍ من الإجلال^(٢)

وإذا لم يكن عليه لوم في مدح المحسن اليه ، وكذلك لا عتب عليه في ذمّ المسيء اليه ، نعم وأفاد أبو عثمان في رسالته فوائد لا يخفى مكانها على قارئها ، وقام فيها مقام الخطيب المصقع ، والشهيد النافذ^(٣) ، والناصر المدلّ ، والمتنقم المستأصل ، فهل قال أحد ممن له يد في الفضل ، وقدم في الحكمة ، وعرفان بالأمور ، وقوله معدود فيما يقال ، وحكمه مقبول فيما يثبت ويزال ، بشئ ما صنع ، وساء ما أتى به ، بل تهادوه ، وحفظوه ، واستحسنوه ، وتأدّبوا به ، وحذوا على مثاله ، وإن كانوا وقعوا دونه .

[أخلاق الناس]

ولم يصنّف الناس المتناقب والمثاب ، ولم نشرّوا أحاديث الكرام والثناء ؟ وكثير من الناس — عافاك الله — لا غيبة لهم ، أو في غيبتهم أجر ، وقد وقع

(١) أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمي ، شاعر عباسي كان معاصراً لبشار بن برد ولد باليمامة ونشأ بالبصرة ومدح البرامكة واتقطع إلى جعفر بن يحيى البرمكي فوصله بالرشيد . مات أشجع حوالي سنة ١٩٥ هـ .

(٢) البيتان في ديوان المعاني للعسكري ١٧/٣ وروي الأول :

لا تعذلوني في مديحي معشراً
خطبوا المديح إليّ بالأموال
(٣) السيد النافذ الحكم .

في الخبر عن النبي ﷺ : أذكروا الفاسق بما فيه ، كي يحذره الناس . وحدثنا
برهان الصوفي قال : ذم بشر الحافي ^(١) بخيلاً ثم قال : إن البخيل لا غنية له .
قيل : وكيف ؟ قال : لقول رسول الله ﷺ : يا بني سلمة من سيدكم ؟ قالوا :
الجد بن قيس على بخيل فيه . قال : فأبي داء أدوى من البخل ؟ فذكره وليس
هو بالحضرة .

[ابن فرخان شاه وأبو العيناء]

وهذا عيسى بن فرخان شاه ^(١) عُزل عن الوزارة ، وكان مستخفاً بأبي العيناء ^(٣)
فوقف عليه أبو العيناء وقال : الحمد لله الذي أذل عزتك ، وأذهب سطوتك ،
وأزال مقدرتك ، وأعادك إلى استحقاقك ومنزلتك ، فلئن أخطأت فيك النعمة
لقد أصابت منك النعمة ، ولئن أساءت الأيام بإقبالها عليك ، لقد أحسنت
بإدبارها عنك ، فلا أنفذ الله لك أمراً ، ولا رفع لك قدراً ، ولا أعلى لك ذكراً .
فهل قال أحد بئس ما صنع ؟ وليس للراضي عن المحسن أن يطالب المُنْساء إليه بأن
يكون في مَسْكة ، وعلى حال اعتدالة ، لأن بينهما في الحال مسافة لا يقطعها الجواد
المبرز ^(٤) ولا الريح العاصف .

(١) أبو نصر بشر بن الحارث بن علي المعروف بالحافي (١٥٠ هـ — ٢٢٧ هـ) من كبار
الصالحين والزاهدين توفي ببغداد .

(٢) أبو موسى عيسى بن فرخان شاه وزير المتوكل العباسي ثم المعتز من بعده . روى له
التوحيد كلاماً في الصداقة والصديق ١٦٣

(٣) محمد بن القاسم أديب فصيح ظريف (١٩١ هـ — ٢٨٣ هـ) .

(٤) في الأصل المبر ، والمبرز هو الأول في حلبة السباق وكذلك السابق والمجلى
(حلبة الفرسان) .

[محمد بن طاهر]

وذُكر محمد بن طاهر^(١) عند أبي العيناء فقال: ما دخلتُ عليه قط إلا ظننت أنه من طلائع القيامة ، قصير القامة ، مشؤوم الهامة ، خرج من خراسان وهو أميرُها ، ويطمع فيها وهو طريدُها . وَيَبْلِي على أسير الصغار ، ويطليق الهزيمة !

[رسالة لابن دينار]

ووجدت رسالة لأبي العباس عبد الله بن دينار على ما قدمت القول فيه ، وأنا أرويهما على وجهها لأنها مفيدة ، رواها لي المنصوري القاضي بأرجان ، أولها : إن في الشكر وإن قلّ وفاءً بحقّ النعمة وإن جلّ ، بل أقول إن الشاكر للنعمة وإن أطنب وأسهب ، لا يلحق شأؤ المبتدئ بها ، ولا يخرج بأقصى سعيه من أداء حقه فيها ، لأن نعمته صارت سبباً لشكره ، داعية لذكره ، فلهذا فضل سبقها ، وموقعها ، وفضلها ، فإن الشكر من أجلها ، وأنها حيث حلّت عائدة ببناء جميل ، وثواب جزيل ، ولا خلاف بين الحكماء أن الجالب خير من المجلوب ، والفاعل خير من المفعول ، ومن لي بشكرك وأنت الذي لا قصدتك بالرغبة بلغت بي ما وراء المحبة ، وناديتك فأجبت من قريب ، ولدت بك فأزلت بالبر والترحيب فلم تمت مني شعثاً ، ورعيت لي سبباً ، لولا رعايتك لكان رثتاً ، ووفرت عليّ نعمة الجاه واليد ، وقمت لي مقام الركن والسند ، فأصبحت لي على الدهر معيناً ، ومن أحداث الزمان ملاذاً حصيناً ، وما زلت بكل خير

(١) محمد بن طاهر الخزاعي أمير خراسان سنة ٢٤٨ هـ وتوفي في بغداد سنة ٢٩٨ هـ .

قميناً^(١) ، وجدت لي أملاً كان أخلق ، وأمسكت مني بالرمق ، وتلقيت
دوني نبوة من عاتبك واستزادك ، وجفوة من تغيظك فكادك ، في حين عز
الشفيق ، وخذل الشقيق ، وجار الزمان ، وتواكل الإخوان ، فكشف الله بك
تلك الغموم المطبقة ، وسكتن برأيك مني نفساً قلقة ، فأنا في قصوري عما أوجبه
الله عليّ لك كما قال الشاعر :

لو أن عمري الفُ حولٍ وقد بدلت الساعة بالدهر
وكان لي الفُ لسانٍ لما نطقت من شكرك بالعشر

فشكر الله لك ما أتيت ، وتولى جزاءك على ما تحريت ، وكافأك بأحسن
مانويت ، ولا أخلاك من أمل يئناط بك تحقيقه ، وظنّ يُعرفُ اليك فتصدقه ،
وشكر يوفّر عليك فتستحقه ، وصان لك من النعمة راهنها ، وبلغك أقصى
ما تؤمل منها ، وتفضل عليك بما لا تحتسب فيها ، / وكل ما فصلناه من الدعاء
لك بما يرغب المرء في مثله ، فوهب الله لي فيك ، ووهبه لك في كل أسبابك .

[٦ب]

فأما فضائلك والمواهب المقسومة لك ، فقد قادت اليك مودّات القلوب ،
ووقفت عليك خبيئات الصدور ، وارتمت لك شكر الشاكر ، وردّت اليك
نفرة النافر ، وحاطت لك الغائب والحاضر ، وأقمحت^(٢) عنك لسان المنافر ،
وقصرت دونك يد المتطاول ، وطامت لك نخوة المناضل ، وأوفت بك على درجة
الأدب ، والهمة ، والرئاسة ، فبلغك الله ذرى المحبة والأمل ، ووفقك لصالح
القول والعمل ، ولا زالت الحرية معمورة بطول عمرك ، والمكارم مؤيدة
بدوام تأييدك ، ولا برحت أيامك محفوفة بالعزيز والسعادة ، ونعمتك مقرونة

(١) جديراً .

(٢) أقيح : رفع رأسه وغض بصره .

بالبناء والزيادة ، ووقاك الله بعينه من الأعين ، وحاطك بيده من أيدي الحن ،
وفداك من النوائب والأحداث والنكب . من قد فقئت به عين النعمة ،
واتضعت بمكانه رتبة الهمة ، فلا يصدر عنه أملٌ إلا بنحية ، ولا يضطر
إليه حر إلا بمحنة ، إن أوْتَمَن غدر ، وإن أجار أخفر ، وإن وعد أخلف ،
وإن قدر اعتسف ، وإن عاهد نكث ، وإن حلف حنث ، تصدأ بمجاورته
الأنفهام ، وتصطرخ منه الدولة والأقلام ، سيّان قام أو قعد ، وغاب أو
شهد ، إن كشفته كشفت عن عالج فذم يُقضى له بكل خسة ودم ، لم
يقف للحرية على ريع ولا رسم ، ولا عرف مكرمة في يقظة ولا حلم ، أسوأ
الناس صنيعاً ، وأشدّهم بالدناءة ولوعاً ، لم يسلك إلى المجد طريقاً ، ولا وجد
يوماً من الجهل مفيقاً ، أولى الناس بشتم وقذف ، وأجدرهم بمجانة
وسخف ، ينطق قبح خلقه عن سوء خلقه ، ويدل بركاكة عقله على لؤم
أصله ، إذا اكتنفته الحوادث لوى عنها شذقه ، وإن لزمه الحق لواه وعقه ،
وقد وفّر الله حظه من الفدامة كما قصّر به في القامة ، فهو بكل لسانٍ
مهجو ، ولكل حرٍّ عدو ، وإن عوتب على الزهو والتيه أقام فيهما على
تماديه ، يلوث عمته على دماغ فارغ ، وحمق ظاهر سائح ، فهو في آخر حالاته
عند نفسه كما قيل صورة ممثلة ، أو بهيمة مهملّة .

[هجاء الصاحب]

وصلت هذا الفصل بقول فاضت به النفس بعد امتلائها ، وجاشت به
بعد ترده فيها ، وما اضطرني إليه إلا تتابعُ المكروه من جهته ، والشرُّ الذي
لا يزال يتعقبني به ، وانه حين وجد غيرةً اهتبلها ، ولما رأى الفرصة اتهمزها ،
ولم يرض حتى حسرَ عن الذراع يداً ، فكشف القناع ، وجردَ المداوة

والتعصب ، وأظهر التسلط والتغلب ، وأنا أعتذر من أن أصل مخاطبتي لك
بمثله ، وإن كنت أجعله بمنزلة اللهو الذي أستمعين به على الحق ، والهزل الذي
أستريح به من الجد . وقد قيل : من لم يذمهم المسيء لم يحمدهم الحسن ، ومن
لم يعرف للاساءة مضضاً لم تجد عنده للاحسان موقعاً ، وعلى أني لست أدري
أميلي اليك أصدق أم انحرافي عنه أوثق ؟ ورغبتني فيك أشد أم زهدي في
أوكد ؟ ومودتي لك أخلص أم أنا على مصارمته أحرص ؟ وسكوني اليك
أتم أم نبوتي عنه أحكم ؟ وأنا على ذمه أطبع أم في حمدك أبدع ؟ كما لست
أدري ، أحظك من الهمة والمروة أجزل أم حظه من الدناءة والقلة أجل ؟
ومكانك من الحزامة (١) والكرم أرفع ، أم محله فيها أوضع ؟ وكيف يُقرن بك
أو يساوى ، وما أتأملك في حال من الأحوال إلا وجدتكم فيها حساماً قاضياً ،
وشهاباً ثاقباً ، وعوداً صليماً ، ورأياً عند معضل الخطوب مصيباً ، في شمائل
حلوة عذاب ، وأخلاق معجونة بأداب ، لا تتجافى عن مكرمة ، ولا تتخلل
لدى أمل بجرمة ، ولا تؤودك الخطوب إذا اعتورتك ، ولا تتكأدك (٢)
الجهات إذا اكتنفتك ، قد تعرفتك الأيام بحالتي النعمى والبلوى ، فكشفت منك
عن أمضى من الدهر عزمياً ، وأرزن من رضوى حلماً ، وأثبت من الليل جناناً ،
وأسمح من صوب الغمام ندىً ، وأمنع من السيف جانباً ، وأعز من كليب وائل
صاحباً ، / وما أتأمله في حال من الأحوال إلا وجدته برّقاً كاذباً ، ورأياً عازباً ،
وركاكة ظاهرة ، ونذالة وافرة ، وهيئة خسيصة ، ونفساً على الذم حبيسة ، لم
ينشأ منشأ أدب ، ولا راضته أولية حسب ، فهو دهره على وجل وذعر ، إن
صال فعلى القريب الداني ، وإن همّ فبمضلات الأمانى ، فليس تتجاوز صولته عبده

[١٧ أ]

(١) الحزامة : ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة .

(٢) تكأده الأمر : شق عليه .

ولا يخاف عدوه كيده ، قد جمع إلى قبج المخبر بشاعة المنظر ، وإلى دمامة الخلق
سوء الخلق ، إذا فكر المفكر فيما أوتي من الحظ ، ومنح من الحال أيقن بعلو
الجهل وفوز قذحه ، وإكداء الباطل وكساد ربحه ، هو والله كما قال
الشاعر :

عدوٌ لمولاه (١) عدوٌ صديقه وتلك التي يأتي اللئيم من الفعل
مقلمة أظفاره عن عدوه على أقربيه ظاهر الفحش والجهل
وما أخطأ بوجهه المشوه قول الحمدوني (٢) : كأن دماميل جمعت فصور
وجهه منها .

والعجب كل العجب ، والحديث الذي عندي سيان فيه الصدق والكذب ،
ما تظهره من الانحراف والازورار على ما بي عنه من السلوة والاصطبار ، وما محله
فيما يأتيه إلا محل أم عمرو وما قيل فيها :

ألا ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار
بل هجوه والله الفائدة التي يجب في مثلها الشكر ، والأحدوثة التي يحسن
فيها الذكر ، فأما غضبه وتغيظه فغضب الخيل على اللجج الدلاص (٣) . وأنا أقول
فيه كما قيل :

فإن كنت غضباناً فلا زلت راغماً
وإن كنت لم ترغب إلى اليوم فاغضب
والله لو كانت له مثل أيديك التي لها مني موقع القطر في البلد القفر ، ولطف
محل الوصل يعقب التصارم والهجر ، لما وجدني محتملاً له أذى ، ولا مغضياً له

(١) في الأصل : مولاه .

(٢) ورد ذكره في البصائر والنخائر ٧٤/١ .

(٣) الدلاص : اللينة البراقة .

على قذى ، ولو كان تخويفه إياي بمثل إعراضك الذي أدناه يُقلق الوساد ،
وُمرض الفؤاد ، لما ألفتني له معتباً ، ولا اليه معتذراً ، فكيف وهو من لا يجب له
حق الصنيعة ، ولا ذمام أدب ، ولا ذمار معرفة ، لم أسر برضاه لما رضي فأساء
بغضبه وقد غضب ، ولا نفعتني إقباله فيضرني إعراضه ، لأنه بحمد الله كما قلت :

فتى إن يرض لا ينفعك يوماً وإن يغضب فإنك لا تبالي

لست والله أحفل به ، أقبل أم أدبر ، وسكن أم نفر ، ولا أبالي بحالتي
مسخطه ورضاه ، ولا بأولي أمره ولا بأخراه ، فأدام الله له سورة النبوة
والإعراض ، وأعانه على الجفوة والإقباض ، ولا أخلاه من الغضب والامتعاض
فقد رضينا بذلك فيه حظاً ، واكتفينا به فيه وعظاً .

[ابن مكرم وأبو العيناء]

وأخبرنا المرزباني^(١) عن الصولي^(٢) قال : كتب ابن مكرم الكاتب إلى أبي
العيناء : لست أعرف طريقاً للمعروف أحزن ولا أوعر من طريقه إليك ،
ولا مستزراً أقل زكاءً ، ولا أبعد من ثمره خير من مكانه عندك ، لأن
المعروف يضاف منك إلى جنب دنيء ، ولسانٍ بذيء ، وجهل قد ملك عنانك ،
وشغل زمانك ، فالمعروف عندك ضائع ، والشكر لديك مهجور ، وإنما غايتك في
المعروف أن تحوزه ، وفي موليه أن تكفره .
فكتب إليه أبو العيناء : بسم الله الرحمن الرحيم :

(١) محمد بن عمران المرزباني (٢٩٦هـ - ٣٨٤هـ) العلامة البغدادي المشهور صاحب التصانيف
الكثيرة وأهمها الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء . ومعجم الشعراء .
(٢) أبو بكر الصولي من كبار علماء الأدب والمؤلفين والتقاد . توفي في البصرة
سنة ٣٣٥ هـ .

وأنت كما قال الآله فإنما

أتيت بلفظٍ ضعفه فيك موجدٌ

أما بعد : فقد وصل إلي كتابك ، سبُّك وعَرُّك ^(١) ، ولقد كان لك في سديفٍ وبغا ، ما يشغلك عن البذا ، ولكن الله إذا أراد بقومٍ سوءاً فلا مردٌ له ، وما لهم من دونه من وال ، وأنت امرؤٌ تزعم أنك من أهل ما ذارايا ^(٢) وهناك حلت بك الخزايا ، من غير تقصٍّ لأهلها ، ولا دفع لفضلها ، لأنك تحبها وتشنؤك ، وتنتمي إليها وتدفعك . وإن امرءاً مكرمٌ أبوه لجدير عند الفخر أن يعفرَ فوه ، وأما أمك فمراة من المسلمات الغافلات ، والغفلة مقرونة بالخير ، والعجب لك ولأخيك أنك لا تنيك ولا ينيك ، فعلامَ غررتهم الحرائر ، واستهديثهم المهاثر ^(٣) ، وأتم قوم تلقفون ما تأفكون ، والله أعلم بما توقعدون ، وفيهم خطبتهم النساء وأتم تخطبون ، وكيف تقدم المهور مع حاجتكم إلى الذكور ، ثم أظهرتم حب النساء ، وبكم عرق النساء ، وكيف ادعيت في الحرب الطعان ، وأتم معشرٌ تحيرون للأذقان ، ولكم في كل يوم دفاع ، ومعتكٍ جماع ، ثم تلقون وقعاً للصدور ، والرماح / في أعجازكم تمور ^(٤) ، وقد طبتم أنفساً بأن أضحت نساؤكم عند جيرانكم ، ورجالكم عند غلمانكم ، فإذا سيبتموهن بالزناء سيبتنكم بالبناء ، وقد لعمرى أظهرتم الدف ، ونقرتم الدف ،

[٧ب]

(١) عره : ساءه ولطخه بشر .

(٢) قرية بالقرب من البصرة ويرجح ياقوت أنها بالقرب من واسط .

(٣) المهيرة من النساء : الحرة الغالية المهر .

(٤) تمور : تموج وتضطرب .

وأكثرتم الطعن ، وادعيتم الآثار (١) ، فلما احتيج منكم إلى اللقاء ،
وتنجز منكم الوفاء ، انهزم الجمع ، ووليتم الدبر ، فقبحاً لكم آل مكرم ،
قبحاً يُقيم ويلزم :

فلستم على الأعقاب تدمي كلومكم
ولكن على أعجازكم يقطر الدم

فيا بؤس العروس وإزارها الذي لم يُحمل ، وفرعها الذي لم يُبلل ، وللظبية
الغريرة وطرفها الفتان ، وقولها للأتراب: أما لآل مكرم زباب ، وقد زعمت
النساء ، غير ما إفك ، أنك وأباك وأخاك جندٌ ماهنالك مهزوم من الأنباط .
وذكرت أنك لا تعرف للمعروف طريقاً أحزن ولا أوعر من طريقه إليّ ،
ولا مستزراً أقل زكاء ، ولا أبعد من ثمره خير من مكانه عندي ، فلو كان
ما وصفت على ما ذكرت لما لحقك كفر إنعام ، ولا شكر إحسان
لقصور جدتك عن الفضل ، وهمك عن الافضال ، بلى أستغفر الله ! لو
وجدت فضلاً لوجهت به الى العاملين عليها ، أعني أمّ الفلّك ، القاضية عليك
بالهلسك ، وأين أنت فيلحقني اكرامك ، أو ينالني إنعامك ، هيهات !
جلّ الأمر عن الحزن ، وعفي السيل والعطن ، ولكنك يا أبا جعفر ،
وأنسى لك بجعفر ، لا يعرف للجماع طريقاً أسهل مأتى ، ولا أقرب مأخذاً من
طريقه اليك ، وحلوله عليك ، هذا مع دنس أثوابك ، ووضر أطرافك ،
وتن أرواحك . وزعمت أن المعروف يحصل مني في حسب دنيء ، ولسان
بذيء ، فانظر ، لك الوليات ! كيف ارتقيت ، وإلى من تعديت ، وهل
فوق رسول الله صلى الله عليه [وسلم] مفخر ، وهل عن خلف الله مرغب ،
ولولا عدل سلطانتنا ، وفضل أحلامنا ، وأن الاقتدار يمنع الحر من

(٣) الأثر والأثر : أثر الجرح والجمع آثار وأثر .

الانتصار مع دَفْنِكَ (١) عن المجازاة ، وسقوطك عن الملاحاة ، لاصطلمك ،
مني الاعتزام ، فاشكر لؤمك إذ نجاك ، وخصمك إذ رفع قدره عنك ،
وأما البذاء ، فما اعتذرُ اليك من أقماع اللئيم ، وتعظيم الكريم ،
ولذلك أقول :

إذا أنا بالمعروف لم أشن صادقاً
ولم أشتم الجبِسَ اللئيم المذمماً
فقيم عرفتُ الخيرَ والشرَّ باسمه
وشقَّ لي الله المسامعَ والفها

[من رسالة للجاحظ]

وأما الجاحظ فانه يقول في رسالة : سألتني - أبقاك الله - عن فلان
وأنا أخبرك بالأثر الذي يدل على صحة الخبر ، وبالواضح الذي يدل على الخفي ،
والظاهر الذي يقضي على الباطن ، فتفهم ذلك رحمك الله ، ولا قوة
إلا بالله ، فمن ذلك أني رأيته وهو في جيرانه كالحيضة^(٢) المنسية ، وكلهم يعرفه
بالأبنة^(٣) ، وله غلام مديد القامة ، عظيم الهامة ، ذو ألواح وأفخاذ ،
وأوراك وأصداغ ، أشعر القفا ، يلبس الرقيق من الثياب ، ويشابر على
العطر ودخول الحمام ، ويتزيّن ، ويقلّم الأظفار ، وكان مع هذه الصفة
المدبر لأمره ، والمشفع لديه ، والحاكم على مولاه دون بنيه وأهله وخاصته ،
والصارف له عن رأيه إلى رأيه ، وعن إرادته إلى هواه . وكان أكثر

(١) الدفن : الستر والمواراة .

(٢) الحيضة : خرقه الحائض .

(٣) الأبنة : العيب والحقْد .

أهله معه جلوساً ، وأطولهم به خلوة ، ولا يبيت إلا معه ، وإذا غضب حزّنه^(١) غضبه ، وطلب رضاه ، وكان أيام ولايته لا يتقدمه قريب ولا بعيد ، ولا شريف ولا وضيع ، إن ركب فهو في موضع صاحب الحرس من الخليفة ، وإن قعد ففي موضع الولد السارّ ، والزوجة البارة ، وإن التوت على أحد حاجة كان له من ورائها ، وكانت أهون عليه من خلع نعليه ، يبيت في لحافه ، فحكمتنا عليه بهذا الحكم الظاهر ، ولا حكم القضاة بالتسجيل ، وتجليدها في الدواوين ، ولا كالأقرار بالحقوق وشهادات العدول .

[تحذير العتي]

وكتب العتي^(٢) الى صديق له يحذره رجلاً ويصف ، فقال: إحذر فلاناً ، فإن ظاهره برّ ، وغيبه عداوة ، وإن أفشيت اليه حديثك وضعه عند عدوك ، وإن كتمته إياه سبّك عند صديقه ، لا يصلح لك عند نفسه حتى يفسدك عند غيره ، وهو / صديقك بما يلزمك من حقه ، وعدوك بما يضيع من حقه عليك ، إن دنوت منه أذاك ، وإن غبت عنه اغتابك ، يلطخ كرم صاحبه بأذاه ، فإن غسله بالأعتاب أعاد بالعتب ، وإن تركه عيّر به ، السلامة منه أن لا تعرفه ، فإن عرفت فهو الداء ، إن تداويت لم ينفعك ، وإن تركته قتلك . أخلط الناس جده بهزله ليمنعك ما في يده منع هزل ، ويغلبك على ما في يدك مسألة جدّ .

(١) حزّنه : أحزنه .

(٢) محمد بن عبد الله أديب شاعر وراوي للأخبار توفي سنة ٢٢٨ هـ راجع :

الفهرست ١٧٦ .

[بين أبي هفان وابن مكرم]

ووجدت أيضاً رسالة لأبي هفان (١) الى ابن مكرم وهي :
أما بعد يا ابن مكرم ضد اسمي ، وخطيئة أبيه وأمه ، يا سُبّة العار على
سببته ، ولعنة ابليس على لعنته ، ما أظنك من 'نطفة' ، ولا كانت لواضعتك
عُدرة (٢) ، أفرغك من سَلْجَحَةٍ على سَلْجَحَةٍ ، وأجراك من أمك من فِقْجَحَةٍ الى
فِقْجَحَةٍ (٣) فأنت كما قال الشاعر :

لعنة الله على نَتْنِهِمَا

شعرتين احتككتا في طَلْبِهِ

أولك زنية ، وآخرك أبنة (٤) ، فكلّك لعنة في لعنة ، تقصّع القمل
بأسنانك ، وتمسح 'مخاطك بلسانك ، وتستنزل منيئك بينانك ، ومنيّ
غيرك بعجانك (٥) . عبدك يصفعك ، وخدامك يقمعك ، وكلبك يقطعك (٦) ،
وصديقك يقطعك ، نفسك 'فساء' ، وجسمك خراء ، وريقك ماء
العذرة (٧) ، وكلّ خلاك قدرة ، وأنت للأحرار عيّاب ، وبين الكرام

(١) عبد الله بن أحمد بن حرب أبو هفان المهزبي العبدي الشاعر ، كان من أهل البصرة
وسكن بغداد وكانت له منزلة كبرى في الأدب . راجع : تاريخ بغداد ٣٢٠/٩ ،
سميط اللآلئ ٣٣٥ .

(٢) العذرة : البكارة .

(٣) الفقحة : حلقة الدبر وواسعها ، وراحة الكف .

(٤) الأبنة : العيب .

(٥) العجان : الاست والفضيب الممدود من الخصية إلى الدبر .

(٦) طعه : لحسه بلسانه وضرب مؤخره برجله .

(٧) العذرة : ماء الغائط .

نَمَام ، أنت للأدباء حاسد ، وللعلماء شاتم ، وبالجليس هامز ، وفي المحسن
اليك غامز ، 'تظهر جورك' ، وتعدى طورك ، مَهينٌ في نفسك ، 'عرّة' في
جنسك ، حالفٌ في كل حق وباطل ، كذوبٌ على الجادِّ والهازل ، تطلب
أن 'تهجا' ، وتستدعي أن 'تزني' ، وقد سبق القول في مثلك مع ندالة فعلك
ولو لم أصلك .

أما الهجاءُ فـ'دق' عرضكُ دونه
والمدح عنكُ كما علمتَ جليلُ
فأذهب فأنت طليقُ عرضكُ إنه
عرضٌ عززتَ به وأنت ذليلٌ^(١)

فأنت يابن الكشخان^(٢) القرنان ، الديوث الصفعان ، عتق لاست الشيطان ،
لا لوجه الرحمن ، فالهجاء من أن يعذب بك في أمان ، فأنت بعز لوئك
في سلطان ، معرفتك تشين ، وقطيعتك تزين ، وذكرك سبّة ، وقتلك
'قربة' ، لا يحصي الخلق عيوبك ، ولا يثبت الحفظ ذنوبك ، أنت بالله
'مُشرك' ، وفي خلقه متهتك ، نقصك مفروض ، ودينك مرفوض ، وبكل
قبح منعوت ، وعند العالم ممقوت ، أحسنُ آدابك الزندقة ، وأفضل حالاتك
الصدقة ، نذل الأبوة ، رذل الأخوة ، عدو المروّة ، لم تؤمن بنبوة ،
ولم تعرف بفتوة ، تقصد الكريم بسبابك ، فيذلك بترك جوابك ، جئت
بأمّ من حمام الدجال ، توازي بها أمهات الرجال ، لا صوم ، ولا صلاة ،
ولا صدقة ، ولا زكاة ، لا تغتسل من جنابة ، ولا تهمُّ بإناة ، عقوقك
بأييك أنه غيرٌ من يدعيك ، لقاتلك أرفع الدرج ، وما على قاذفك من حرج .

(١) البيتان لمسلم بن الوليد الديوان ٢٤٢ ليدن ١٨٧٥ .

(٢) الكشخان : الديوث .

وكل ذلك بالآيات والحجج ، الحدّ لتارك وصفك ، والنار للمطنب في مدحك ، ولقارىء مثالبك وكاتب معانيك ثواب مُعتق الرقاب ؛ يوفى أجره بغير حساب ، فله فيك من الثواب ، أكثر مما لك من العقاب ، لك خلقت سقر ، ومن أجلك يعذب البشر ، أحسن في عينك من القمر ، ما 'تستدخله من الكَمَر' (١) ، تعيب المؤمنات والمؤمنين ، وتقذف المحصنات والمحصنين ، إذ ليسوا لك بآباء ، ولستَ لهم في عداد أبناء ، فأنت كما قال الشاعر :

مغرىً بقذف المحصنا

تِ ولستَ من أبنائها

آنفُ للعلم الذي حويته ، وأغارُ على الشعر الذي رويته ، فأنت وإن غلظت بكلمة طريفة ، أو حجة حكيمة ، أو نادرة مليحة ، اعتباراً للسامع ، وفكرة للعاجب ، سفيه على إفراط قدرك ، حسود على شدة بخرك (٢) ، ووقّاع على قاتل ذَفَرَكَ (٣) ، تمازح فلا تحسن ، وتجاب وتذعن ، إن تركت عبثت ، وإن عبثت بك استغبت ، فمثلك كمثلك الكلب إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، فاستمع لكلام يشبهك في الأنام ، يا عيب المعائب ، ويا شين المحاضر والمغائب ، فلك المثل الأسفل ، والقياس الأرذل ، والشبه الأنذل . كما قيل :

وأدعوك للأمر الذي أنت شينُه

على شينِه يا فاضحاً للفضائح

(١) الكمرة (محرّكة) رأس الذكر والجمع كمر .

(٢) البخر : رائحة الفم الكريهة .

(٣) الذفر : شدة الرائحة النتنة .

[رسالة العروضي في ابن مقلة]

[ب] / وجدت رسالة أفادنيها أبو محمد العروضي^(١) لابن حماد في ابن مقلة أبي علي^(٢) يمزقه فيها ، ويذكر حساسة أله ، وسقوط قدره ، ولؤم نفسه ، وفحش منشأه ، تركت تخليدها في هذا المكان .

[حمد المحسن وذم المسيء]

وكذلك تركت غيرها هرباً من التطويل . وبعد : فحمد المحسن ، وذم المسيء أمران جاريان على مر الزمان منذ خلق الله الخلق ، وعلى ذلك يجري إلى أن يأذن بفنائته ، وهو عز وجل أول من حمد وذم ، وشكر ولام ، ألا تراه كيف وصف بعض عباده عند رضاه عنه فقال : « نِعِمَّ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ »^(٣) ، وقال في آخر : « إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ »^(٤) وعلى هذا فإنه أكثر من أن نبليغ آخره ، ثم انظر كيف وصف آخر عند سخطه عليه وكراهته لما كان منه فقال : « هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنِيمٍ . مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . عُتِلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ »^(٥) وهذا فوق ما يقول مخلوق في مخلوق .

(١) أبو محمد العروضي : راجع ما ذكره صاحب تاريخ الحكماء ص ٢٢٤

(٢) محمد بن علي بن الحسين بن مقلة أبو علي وزير وشاعر وأديب يضرب بحسن خطه المثل
ولد في بغداد سنة ٢٧٢ ثم امتحن بقطع يده ولسانه توفي سنة ٣٣٨ هـ

(٣) سورة ص .

(٤) سورة مريم .

(٥) سورة القلم .

وقال الحسن البصري ^(١) : الهمّاز : العيّاب ، ومشاء نعيم : ينقل الكلام القبيح ،
متّاع للخير : بخيل ، معتدٍ أثم : ظلوم ذميم ، عتل : جاف ، والزّيم : الدّعي .
قال أبو سعيد السيرافي ^(٢) : القتلُ تراه من قولهم : جيء بفلان يُعتل إذا
غلظ عليه ، وعنف به في القود ، وكيف يأثم الإنسان في غيبه من كان قلبه
نفلاً بالنفاق ، وصدره مريضاً بالكفر ، ونفسه فائضة بالتأقّة ^(٣) ، ووجهه مكسواً
بالصفاقة ، ولسانه ذرباً بالفحش والبذاءة ، وسيرته جارية على الكيد والعداوة ،
وعشرته محقّوة بالنكد والرداءة ، وقد أثنى الله على واحد ولعن آخر ، وخطّ هذا
إلى الحش ^(٤) ، ورفع ذاك إلى العرش ، وعاتب ، وأنّب ، ولام ، وذمّ ، وكذلك
رسوله ﷺ ومن تقدمه من الأنبياء والمرسلين ، والأولياء المخلصين ، وعلى هذا
فورق السلف الطاهر ، والصحابة العلية ، وهم القدوة والعمدة ، واليهم ينتهى
في كل حال ، وعليهم يعتمد في كل أمر ذي بال ، فمن ذا يزري على هذا المذهب إذا
خرج القول فيه معضوداً بالحجة ، ممدوداً بالمعذرة ، معقوداً بالنصفة ، وكان فيه
برد القليل ، وشفاء الصدور وتخفيف الكاهل من ثقل الغيظ على أجمل وجه
وأسهل طريق ، مع مسامحة ظاهرة ، وتغافل عريض .
وقيل لبعض الصالحين : أي شيء ألدّ ؟ قال : ركوب هوى وافق حقاً ، وإدراك
شهوة لا تقلم ديناً ، وقضاء وطر لا يخيف مروءة ، وبلوغ مراد لا يسيّر قالة قبيحة .

(١) أبو سعيد الحسن بن يسار البصري ولد بالمدينة سنة ٢١ هـ إمام أهل البصرة وكبير
علمائها وفصائها ونسائها المشهورين . توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ .
(٢) الحسن بن عبد الله ولد سنة ٢٨٤ هـ من كبار النحاة والتكلمين المعتزلة وهو من
أساتذة أبي حيان التوحيدي وعليه درس النحو واللغة والتصوف توفي سنة ٣٦٨ هـ .
(٣) التأقّة : شدة الغضب والسرعة إلى الشر .
(٤) الحش : بفتح الحاء وضمة البستان ، وهو أيضاً المخرج لأنهم كانوا يقضون حوائجهم
في البساتين .

والمذهب الأول هو مذهب الزهاد والمتأبدن وأصحاب الورع والمتعبدين ،
ونحن قد بيّنا الأصل في هذا الباب فليس بنا حاجة الى التكثير ، وكيف يلزمنا
حلم من يتعجرف في قوله ، ويختار على رأيه ، ويعترض بجوره ، ونحن قد اقتدينا
بالله رب العالمين ، وجرينا على عادة الأنبياء والمرسلين ، وأخذنا بهدي عباد الله
الصالحين ، وإنما أشكل القول في هذا المذهب على قوم مدحوا الصمت ، وكرهوا
كثيراً من القول . وقليل الكلام عندهم فضل ، وكثيره هُجْر ، وفيه اللغو الذي
يجب أن يُتجنب ، والحشو الذي لا ينبغي أن يُعتاد . وهؤلاء قوم - أكرمك الله -
لا يعرفون فضل ما بين التفيق^(١) المذموم ، والبلاغة المحمودة ، والتشدق^(٢)
المكروه ، والخطابة الحسنة ، وما هو من باب البيان المشتمل على الحكمة ،
وما هو من باب العمي الشاهد بالهجنة^(٣) ، ومتى كان ذكر المهتوك حراماً ،
والتشنيع على الفاسق منكراً ، والدلالة على النفاق خطيئاً ، وتحذير الناس من
الفاحش المتفحش جهلاً ؟ هذا ما لا يقوله من قد قام بالموازنة وبالمكايلة ، وعرف
الفرق بين المكاشفة والمجاملة ، وإنما غزر الأدب ، وكثر العلم ، وجزلت
العبارة ، وانبعجت^(٤) العبر ، واستفاضت التجارب لما وقفوا عليه من أنباء الناس
وقصصهم وأحاديثهم ، في خيرهم وشرهم ، وفي وفائهم وغدرهم ، والحسن الذي شاع عنهم ،
والقبائح التي لصق بهم ، والمكارم التي بقيت لهم ، والفضائل التي ركبت عليهم .
والدنيا دار عمل ، فمن عمل خيراً ذُكر به ، وأكرم من أجله ، ولحظ
بطرف الوقار ، وصين عرضه عن لصوص العار والشنار ، وألحق بأصحاب

(١) تفيق في الكلام : توسع فيه .

(٢) التشدق : لي الشدق للتقصص .

(٣) الهجنة من الكلام : العيب أو القبيح أو ما يعيبه الانسان .

(٤) انبعج علي بالكلام : تدفق .

التوفيق ومن له عند الله الوزن الراجح ، والوجه المسفر ، ومن عمل شراً ليم عليه ، وأهين من أجله ، ونظر اليه بعين المقت ، وألصق بعرضه كل خزي ، وبيع بثمر ينقص لا بثمر يزيد ، والجزاء وإن كان مؤخراً إلى الدار الآخرة لأهله فإن بعض ذلك قد عجل لمستحقه ، ولهذا قال الله عز وجل / في تنزيله : « ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ »^(١) .
والذي ذكرته عن الجاحظ^(٢) فليس هو أول من اقتضبه وسنّه ، وقد سلف فيه قوم كرام ، وخلف عليه ناس من جلّة الناس .

[٩]

[رسائل]

أنا قرأت رسالة لابن المقفع^(٣) في معائب بعض آل سليمان بن علي الهاشمي ،^(٤) وكذلك أصبت رسالة لسهل بن هرون^(٥) في مثالب الحراني^(٦) ، ورأيت أيضاً

(١) سورة المائدة .

(٢) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ إمام البيان العربي وواضع أسس النثر الفني ، ولد في البصرة سنة ٢٦٣ هـ وتوفي فيها سنة ٢٥٥ هـ ، له مؤلفات كثيرة في مقدمتها الحيوانات والبيان والتبيين .

(٣) عبد الله بن المقفع إمام الكتاب والمترجمين وواضع أسس الكتابة الفنية ولد سنة ١٠٦ هـ ومن آثاره المشهورة : كتيبة ودمنة والأدب الكبير والأدب الصغير واليتمية ، قتل في البصرة سنة ١٤٢ هـ .

(٤) سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ولي البصرة وعمان والبحرين لأبي جعفر المنصور وتوفي بالبصرة سنة ١٤٢ هـ .

(٥) سهل بن هارون بن راهبوت أبو عمرو الدستيميسي من كبار الكتاب والبلغاء وواضعي القصص ، تولى رئاسة « خزانة الحكمة » زمن المأمون وكان شعوبياً يتعصب للعجم على العرب ضاعت آثاره كلها ولم يبق منها سوى رسالة في « البخل » أوردها ابن عبد ربه في العقد الفريد . توفي سهل سنة ٢١٥ هـ .

(٦) سنان بن ثابت بن قرّة الحراني أبو سعيد طبيب عالم من حران ، نشأ وتوفي في بغداد سنة ٣٣١ هـ .

رسالة لسعيد بن حميد^(١) في فضائح علي بن هشام ، وحتى الصولي بالأمس ذمّ
بعض بني المنجم في رسالة له .

وحدثنا حمزة المصنف عن أبي الحسن البغدادي قال : كتب أبو العيناء إلى
أحمد بن أبي دؤاد : أما بعد فالحمد لله الذي حبسك في جلدك ، وأبقى لك الجارحة
التي بها تنظر الى زوال نعمتك .

قال وهي طويلة . قال: وقال أبو العيناء : لولا أن القدر، يُعشي البصر ، لما
نهى ولا أمر .

ومن غريب هذا الفن رسالة لأبي العباس محمد بن يزيد^(٢) في خبائث
الحسن بن رجاء .

ورأيت أيضاً رسالة للعمري في رقعات الفضل بن سهل^(٣)
ذي الرياستين .

[الشعراء والصدق]

وأما الشعراء وأصحاب النظم، وأرباب المدح والمهجاء، والثلب والحمد، والتشنيع
والتحسين ، فهو كالطّم والرّم^(٤) ، لا يكسبون إلا بهذا المذهب ، ولا

(١) أبو عثمان سعيد بن حميد من الكتاب المترسلين والشعراء ولد ببغداد وتولى ديوان
الرسائل للمستعين العباسي ، توفي سنة ٢٥٠ هـ

(٢) محمد بن يزيد أبو العباس المعروف بالمبرد ، أحد أئمة الأدب والعريفة في زمنه ولد
ببغداد سنة ٢١٠ هـ وتوفي فيها سنة ٢٨٦ هـ ، أشهر كتبه « الكامل » .

(٣) الفضل بن سهل السرخسي وزير المأمون « ١٥٤-١٧٨ هـ » .

(٤) الطّم : الماء والبحر والعدد الكثير . الرّم : الثرى . ويقال : جاء بالطّم والرّم
أي بالبحري والبري، أو بالرطب واليابس، أو بالتراب والماء، أو بالمال الكثير .

يعيشون إلا على هذا الاختيار ، ولهم الهجاء المنكر ، والقول المخزي ،
والقذع المؤلم ، واللفظ الموضع ، والتعريض الذي يتجاوز التصريح ، والتصريح
الذي يجمع كل قبيح ، وأمرهم أظهر من أن ندل عليه ، وشأنهم أيسر من أن
نردد القول فيه .

وإنما المدار على الصدق في القول ، وعلى تقدير الحق في العقد ، وقصد
الصواب عند اشتباه الرأي ، وغلبة الهوى .

فأما قول أبي الحارث جَمِين^(١) ، وقد سئل عمن يحضر مائدة محمد بن
يحيى^(٢) . وجوابه : الملائكة . قيل له : إنما نسألك عمن يأكل معه قال : الذباب ،
فإن هذا من باب المَلَح والمَجَانة ، وليس من قبل الصدق في شيء ، وإن
كان بعض الصدق مشوباً ، وبعض الحق ممزوجاً ، ولا بأس ولا حرج فإن
ذلك القدر لا يقلب الصدق كذباً ، ولا يحيل الحق باطلاً ، وأين المحض من
كل شيء ، والخالص من كل خير ؟ ، إنك إن رُمْتَ ذاك في عالم الكون
والفساد ، ودار الامتحان والتكليف مع هذه الطبائع المختلفة ، والعناصر
المتمازجة ، والأسباب القريبة ، رمت محالاً ، ورائم المحال خابط ، وطالب الممتنع
خائب ، ومحاول مالا يكون مكدوداً معنئاً ، ومحدود معرئاً ، ومرجعه
إلى الندم ، وغايته الأسف الذي يشجو النفس ، ويترسُ الفؤاد ، ويوجع القلب ،
ويضاعف الأسى ، وربما أفضى إلى العطب .

(١) أبو الحارث جَمِين وفي رأي صاحب القاموس جيز ، من أهل الأدب والدماية ، كان
معاصراً للجاحظ ، راجع أخباره في الأغاني ٣٧/١ ، ١٧/٦ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي المتوفى في بغداد سنة
٣٣٥ هـ .

[غرض رسالة الوزيرين]

قد ذكرنا — حاطك الله — جملة من القول رأينا تقديمها والاستظهار بها قبل أخذنا فيما أنشأنا له هذا الكلام قصداً لفلّ حدّ الطاعن ، وحسباً لمادة الحاسد ، وتعلماً للجاهل ، وارشاداً للمستجير ، واحتجاجاً على من يُبدل بحفظ اللسان ، وكتمان السر ، وطبي القبح ، ومسالمة الناس ، واغترار المنكر ، وهو مع ذلك في قوله كالأسد في غيله ^(١) ، والنمر في أشبه ^(٢) ، والثعبان في وجره ، حتى إذا غمز غمزة ، أو وخز وخزة ، رأيت معاهد حلمه متحللة ، وذخائر صبره منتهبة ، وكظمه الذي كان يُدل به مفقوداً ، وجلده الذي كان يدّعه باطلاً .

وما أكثر من يتكلم على السلامة من النفس والمال ، وطيب القلب ، ورخاء البال ، وعند موآلة الأمور وطاعة الرجال ، ومساعدة المراد بالحكمة البالغة ، والموعظة الحسنة ، وبالنظر الدقيق ، واللفظ الرقيق ، حتى إذا التوت عليه حال ، وتعمّس دون مراده أمر ، وعرض في بعض مطالبه تعقّد سمعت له هناك ، زخرة ونخرة ، وضجرة وكفرة ، كأن لم يسمع بالحلم والتحلم ، والصبر والتصبر ، يخرج من فروته عارياً من الحلم والكظم ، بادي السوء بالبذاء والجهل كما يخرج الشعر من العجين .

ولعلّ ما نزل به ، وحلّ عليه لم يرزأه زُبالاً ^(٣) ، ولا مسح عنه عذاراً ، وهذا هو اللئيم الذي بلغاك ، والساقط الذي سمعت به ، والله تعالى يقول :

(١) الغيل : موضع الأسد .

(٢) الأشب : كثرة الشجر حتى لا يجاز فيه .

(٣) الزبال : ما تحمله النملة في فمها يقال « ما أصاب منه زبالاً أي شيئاً » .

« لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ »^(١) وروى أصحابنا عن ابن عباس أنه قال: معناه: إلا من لم يكرم في ضيافته، فإن كان هذا التأويل صحيحاً وهذا الوجه معروفاً فأنا / ذلك المظلوم ، ولا بدّ أن ظلم من أن يتظلم ، وكيف يكون المظلوم إذا انتصر ظالماً والله يقول : « وَلَمَنْ انتَصَرَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ »^(٢) ، ولو كان المظلوم إذا تظلم ظالماً لكان الظالم إذا ظلم معذوراً ، وكما هجّن الله لوم المحسن فكذلك حسن توبيخ المسيء ، وكما أثاب على تزكية من كان طاهراً كذلك آجر على جرح من كان مدخولاً ، ألا ترى أن التقرب إلى الله بعداوة أبي جهل وذمه ولعنه ، وذكر لؤمه وخساسته كالتقرب إلى الله بولاية أبي بكر ومدحه والترحم عليه وذكر فضله وبلائه ونصرتة .

[٩ب]

وهذا مستمر في خبر أبي جهل ممن عادى الله ورسول الله ﷺ كما أنه مستمر في غير أبي بكر ممن أطاع الله ورسوله ، وإتباع الأمور بعواقبها، والمذاهب بشواهدا ، والتأنيج بمقدماتها ، كما أن الفروع بأصولها ، والأواخر بأوائلها والسقوف بأساسها .

[نزاهة التوحيد وحياده]

ولست أدعي على ابن عبّاد ما لا شاهد لي فيه ، ولا ناصر لي عليه ، ولا أذكر ابن العميد بما لا بينة لي معه ، ولا برهان لدعواي عنده ، وكما أتوخى الحق عن غيرهما أن أعترض حديثه في فضل أو نقص كذلك أعاملهما به فيما عرفا بين

(١) سورة النساء .

(٢) سورة الشورى .

أهل العصر باستعماله، وشهرا فيهم بالتحلي به . لأن غايي أن أقول ما أحطت به .
خبراً ، وحفظته سماعاً .

[صفات الوزيرين]

وسهل عليّ أن أقول: لم يكن في الأولين والآخرين مثلهما ، ولا يكون إلى
يوم القيامة من يعشرهما، اصطناعاً للناس ، وحلماً عن الجهال ، وقياماً بالثواب
والعقاب ، وبذلاً لقضية المال ، ولكل دخر من الجواهر والعقد ، وأنها بلغا
في المجد الذروة الشماء، وأحرزا في كل فضل وعلم قصب السبق ، وأن أهل
الأرض كانوا لهم ، وخضعوا لفعالهما ، وأن النقص لم يشنّهما بوجه من الوجوه،
وأن العجز لم يعترهما في حال من الأحوال ، وأنها كانا في شعار إمام الرافضة
وعصمته المعروفة ، وأن الاستثناء لم يقع في وصفها في حال ، لا في الصناعة
والعرفة ، ولا في الأخلاق والمعاملة ، ولا في الرئاسة والسياسة ، ولا في
الأبوة والعمومة ، ولا في الأمومة والخوولة ، وإن الولادة مرت على شرف
الحنّة ، والمنشأ جرى على كرم المولد ، فالجوهر فائق في الأصل ، والمجد
عميم في الفرع ، والنصاب مقوّم بالقديم المذكور ، والخير شامل في الحديث
المشهور ، والنجابة معروفة عند الولي والعدو ، والعرق نابض بكل فعل
رضي ، والغور بعيد على المتأمل ، والامر كله عالٍ عن المتناول ، وأنه كما
يقال لهذا ابن العميد لنباهة أبيه ، كذلك كان يقال لذاك ابن الأمين لخير كثير
كان فيه ، وإن العميد وإن كان مقدماً في الكتابة ، فقد كان الأمين معظماً في
الديانة، والكتابة صناعة تدركها الخلوقة ، والديانة حلية لا تزداد إلا الجدة ،
وتلك الدنيا وهي زائلة ، وهذه الآخرة وهي باقية . والله تعالى يقول :

« وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى » (١) وما عند الله باق ، على أن الأمين كتب لركن الدولة كما كتب العميد لصاحب خراسان ، والأمين كان ينصر مذهب الأشناني (٢) تديناً وطلباً للزلفى عند ربه ، والعميد كان يعمل لمعجلته ، وإن قلت كان الأمين معلماً بقرية من قرى طالقان الديلم .

قيل : وكان والد العميد نَحْلاً في سوق الحنطة بقم ، فدع هذا ونظيره ، وإنك متى أردت أن تحصي صنائع ابن العميد وابن عبّاد أردت عسراً ، ومتى آثرت أن تحصل فضائلها حاولت ممتنعاً ، وإنهما كانا بالسياسة عالمين ، ولأولياء نعمهما ناصحين ، وإلى الصغير والكبير متحبيين ، وعلى القاضي والداني حديد ، ولأموالهما باذلين ، ولأعراضها صائنين ، وفي مرضاة الله دائبين ، وعلى هدى أهل التقى جاريين ، ومن كل دنس ونطف (٣) بعيدين ، زهينين ، وأنهما لو بقيا لنزل عليهما الوحي ، ولتجدد بهما الشرع ، وسقط بمكانهما الاختلاف ، وزال بنظرهما ما فيه الأمة من هذا العيش النكد ، والشؤم الشامل ، والبلاء المحيط ، والغلاء المتصل ، والدرهم العزيز ، والكسب الدنس ، والخوف الغالب ، ولكانت الأرض تخرج أثقالها ، وتلفظ كنوزها ، ويستغي من ألم الفقر أهلها ، ومن فضيحة الحاجة أربابها ، ويعود ذوي الدين ناضراً ، وخامل المروءة نبهاً .

(١) سورة النبأ .

(٢) راجع : الأوراق للصولي أخبار الرازي والمتقي ٢٣٤

(٣) لعله القاضي أبو الحسين عمر بن الحسن بن مالك الشيباني الذي ذكره صاحب

الفهرست ص ١٦٦

(٤) نطف : الشيء فسد ونطف الرجل : اتهم بريئة وتلطخ بعيب .

[احتمال تكذيب التوحيد]

[١٠] ولكن قد يسمع هذا الكلام مني / من شاهدهما ، وتبطن أمرهما ،
وخبر حالهما ، وعرف ما لهما فلا يماسك عن زجري وخسئي ^(١) وإسكاتي ،
ومقتي ، ولا ينهذه شيء عن مقابلي بالتكذيب واللوم ، ولا يجد بداً من أن
يردّ قولي في وجهي ، ولا يسعه إلا ذاك بعد ازدرائي وتجهيلي ، ولا يلبث أن
يقول : انظروا إلى هذا الكذب الذي ألفه ، وإلى هذا الزور الذي فوّقه ^(٢) ،
والباطل الذي وصفه ، والحق الذي دفعه بسبب ثوب لعله أخذه ، أو درهم ثنى
عليه كفه ، أو حاجة خسيسة قضيت له ، يبلغ به قلة الدين وسوء النظر فيما يتعقب
بالتقييح والتحسين أنه يمدح واحداً مقدوفاً بالزندقة والكفر ، ويقرّظ آخر
معروفاً بالإلحاد والسخف ، ويصف بالجود من كان أبخل من كلب على عقي
صبي ^(٣) ، ويدعي العقل لمن كان أحمق من دُغة ^(٤) ، ومن أظلم ممن يصف السفينة
بالحصافة ، والثلثم بالكرم ، والمتعجرف بالأناة ، والعاجز بالكفاية ، والناقص
بالزيادة ، والمتأخر بالسبق ، والعنيف بالرفق ، والبخيل بالسخاء ، والوضع
بالعلاء ، والوقاح بالحياء ، والجبان بالغناء ، ولا يكون حينئذ لقولي قابل ،
ولا لحكمي ملتزم ، ولا لنصي مرجوع ، ولا لسعيي نجح ، ولا لصوابي
مختار ، ولا لحداثي مستمع . وفي الجملة لا يكون لدعواي مصدّق .

(١) خساً الرجل الكلب : طرده وأبعده .

(٢) مفوف : مطرز ومنمق وموشى .

(٣) العقي : شيء يخرج من بطن المولود حين يولد قبل أن يأكل وهو أسود لزج كالغراء

يقال : « أحرص من كلب على عقي صبي » .

(٤) دُغة بنت مغنج : امرأة عجيبة يضرب بها المثل في الحق .

[التوحيدى والصاحب]

ولعمري لو انقلبت عن ابن عبّاد بعد قصدي له من مدينة السلام، وإن اخطى
بفنائهم مع شدة العدم والإفناض، والحاجة المزعجة عن الوطن ، وصفر الكف عما
يصان به الوجه ، وبعد ترددي إلى بابه في غمار الغادين والرائحين ، والطامعين
الراجين ، وصبري على ما كلفني نسخه، حتى نشبت به تسعة أشهر خدمة وتقرباً
وطلباً للجدوى منه ، والجاء عنده مع الضرع والتملق ببعض ما فارقت من أجله
الأعزة، وهجرت بسببه الاخوان ، وطويت له المهامه والبلاد، وعلى جزء مما كان
الطمع يدندن حوله ، والنفس تحلم به ، والأمل يطمئن اليه ، والناس يعذرونه
ويحققونه لكنت لإحسانه من الشاكرين ، ولإساءته من الساترين ، وعند
ذكره بالخير من الساعدين المصدقين ، وعند قرنه بالسوء من الذابئين الممتنعين
والشاعر يقول :

ومن يُعطَ أثمان المحامد يُحمد

والآخر يقول :

والحمد لا يُشترى إلا بأثمان (١)

والآخر يقول (٢) :

وإنَّ المجد أوله وُعودٌ ومصدر غبه كرمٌ وخيرٌ

وإنك لن تنال المجد حتى تجود بما يضمن به الضمير

(١) البيت لحاجب بن حبيب الأسدي وصدره :

والمعطيان ابتغاء الحمد مالهما

المفضليات ١٧١/٢

(٢) الأبيات لعمر بن الأهم راجع المفضليات ٢١٠/٢ طبعة دار المعارف ١٣٦٢ هـ .

غبه : عاقبته . الخير : الكرم .

بنفسك أو بملكك في أمور^(١)
يهابُ ركوبها الورع الدثور^(٢)
والآخر يقول^(٣) :

والحمدُ لا يُشترى إلا له ثمنٌ
مما يضمنُ به الأَقوامُ معلومُ
والجودُ نافيةٌ للمالِ مَهْلِكَةٌ
والبخلُ مُبْقٍ لأهليه ومذمومٌ^(٤)

وقال آخر :

ومن لا يضمنُ قبل النوافد عرضه
فيحرزه يُعَرِّزُ به ويخرقُ
ومن يلتبسُ حُسْنَ الثناءِ بماله
يضمنُ عِرضه من كل شِئَاءٍ مُوبِقٍ

[دوافع حقد التوحيد]

ولكني ابتليتُ به ، وكذلك هو ابتلي بي ، ورماني عن قوسه مُعْرِقاً^(٤) ،
فأفرغت ما كان عندي على رأسه مَغِيطاً ، وحرمني فازدريته ، وحقرتني
فأخزيتني ، وخصني بالخيبة التي نالت مني ، فخصصته بالغيبة التي أحرقتني ،
والبادئ أظلم ، والمتنصف أعذر ، وكنت كما قال الأول :

(١) رواية الفضليات : بملك . الورع : المتحرج . الدثور : الحامل النؤوم .

(٢) الأبيات لعقمة بن عبدة في الفضليات ٢٠١/٢

(٣) رواية الفضليات باق .

(٤) أعرق : صار عريقاً في الكرم ويقال في اللؤم أيضاً .

وإن لساني شهده يُشتفى به
أجلٌ وعلى من صبه الله علقمٌ
ولئن كان منغي ماله الذي لم يبق له ، فما حظر عليَّ عرضه الذي بقي
بعده ، ولئن كنت انصرفت عنه بخفي حنين لقد لصق به من لساني وقلمي
كلُّ عار وشنار وشين ، ولئن لم يرني أهلاً لنائه وبرّه ، إني لأراه أهلاً
لقول الحق فيه ، ونث^(١) ما كان اشتمل عليه من مخازيه ، ولئن كان ظنُّ
أن ما يصير أليَّ من ماله ضائع ، إني لأيقن الآن أن ما يتصل بعرضه من
قولي شائع ، والحساب يخرج الحاصل من الباقي . والنظر يميز الصحيح من
السقيم ، والاعتبار يُفرد الحق من الباطل ، والمنصف في الحكم يعذر المظلوم
ويؤلم الظالم والشاعر يقول :

فإن تمنعوا ما بأياتكم
فلن تمنعونا إذن أن نقولا
وقال آخر :

فيا قومنا لا تظلمونا فأننا
نرى الظلم أحياناً يشلُّ ويعرج
ونترك أعراض الرجال كأنها
فريسة لحم ليس عنها مُهَجِّجٌ^(٢)
وقال آخر^(٣) :

إن الذي يقبض الدنيا ويُسْطِها
إن كان أغناكَ غني فهو يُغْنِي^(٤)

(١) نث : أفشى .

(٢) هجج الرجل : رده عن الشيء .

(٣) هو ذو الأصبع العدواني في مفضليته ١٦٠/١

(٤) رواية المفضليات : سوف يغني .

ماذا عليّ وإن كنتم ذوي رَحْمِي
ألاّ أُحِبَّكُمْ إذ لم تُحِبُّوني
/ يا قوم ! إن حصاتي ذات مَعْجَمَةٍ^(١) على العدو ، فخلوهم واخلوني . [١٠ب]
وقال آخر :

لئن طِبَّتْ نفساً عن ثنائي إني
لأطيبُ نفساً عن نذاك على عُسْري
فلستُ إلى جدواك أعظمَ فاقةً
على شدة الإعسار منك الى سُكْري
وروى الخزنبل^(٢) عن ابن الأعرابي^(٣) قال : مدح زياد الأعجم^(٤) بعض
العمال فحرمه ، ورأى لُكْنَتَهُ فاستحقّره ، فدخل وأنشده :
وكنْتُ إذا ما عاملَ عَقَّ أُمَّه
ولم يَحْمِها مِنِّي أبحتُ حِمَاهَا
كسوتَهما بُردَيْنِ مِن يَمِينِيَّةٍ
إذا ألبسا كانا بطيئاً بلاهما
وأجهل الناس في ارتفاع منزلته من ظنّ أن عرضه في خفارة قدرته ،

(١) معجمة : قوة وصلابة .

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عاصم التميمي روى عن ابن السكيت كتاب
السراقات « الفهرست ١٠٨ » .

(٣) محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي لغوي ونسابة وراو وعالم بالشعر ، ولد بالكوفة
سنة ١٥٠ هـ ومات بسامراء سنة ٢٣١ هـ .

(٤) زياد بن سليمان الأعجم شاعر ولد ونشأ في اصفهان وانتقل الى خراسان ومات فيها
سنة ٨٥ هـ ، كان معاصراً للمهلب بن أبي صفرة وله فيه مدائح ومراث ، وكان هجاءً ، وسمي
الأعجم لعجمة في لسانه .

وأنَّ المقدم عليه متعرضٌ لنكيره ، وخيرٌ من هذا الظن أن يحتمل ألمَ
مُفارقة المال ببعض الميسور حتى لا يُقرَفَ بشيء ، لا غسل له ، ولا
نافع عنه .

ما الذي ربح اليزيدي^(٢) حين آسَدَ^(٣) الشاعر الذي حرمه على نفسه
حتى قال فيه شيئاً شافياً لغليله منه بما بقي على است الدهر^(٤)
وذلك قوله :

بنو اليزيدي في أدبارهم شعورٌ
قد شاب مما عليه 'تُحلب' الكمرُ
أما حُبَيْشَة منهم فهو ممتحن
من البغاء بما لم يمتحنَ بَشْرُ
بودّه أن كل الناس من حُسْرِ
وكل جارحةٍ في جسمه ذَكَرُ

والله للخروج من الطارف والتالد أسهل من التعرض لهذا القول والصبر
عليه ، وقلة الاكتراث به . ولهذا بكت العرب من وقع الهجاء ، كما
تبكي الثكلى من النساء ، وذاك لشرف نفوسها ونزاهتها عن كل ما يتخون
جمالها ويعيب فعالها .

(١) قرف فلاناً : عابه واتهمه .

(٢) أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد من كبار علماء العربية والادب
« ٢٢٨ - ٣١٠ هـ » .

(٣) آسد : هيج وأغرى .

(٤) أَسْت الدهر : قدمه .

[التوحدي وابن العميد]

ومما 'يختل' (١) به الرئيس ، ويذهل عليه أنه ينظر إلى جماعة بين يديه
قد أحسن إلى كل واحد منهم وقرّبه وأعطاه واختصه بشيء وأبانه بحال .
وإذا رأى واحداً بعد هؤلاء لا نباهة لقدره ، ولا جهازة لمنظره ، أو
لا شهرة لاسمه ومنصبه حقره ، وثنى طرفه عنه ، وأغضاه دونه ، ولم يهش
لذكره ورؤيته ، واعتقد أنه ليس بذئ محل يُبالي به ، ولا يبين في غمار
الباقيين ، أو يجب على ذلك المحروم أن يذكره بما هو أغلب عليه وأشهر عنه ،
وأن يعدّ نيلاً غيره كرمًا قد عمّ ، وإن كان إخفاقه وحده لؤماً قد
خصّ . وهذا موضع يُشكل قليلاً ، وتطول فيه الخصومة بين الآمل
والمأمول ، على أن الكرم والاحتجاج لا يجتمعان ، واللؤم والاحتياال لا يفترقان.
وقد ألمّ الشاعر بطرف من هذا المعنى بقوله :

إن تكلمتُ لم يكنْ لِكلامي
موقعٌ والسكوت ليس بمُجدٍ
فأبْنُ لي ، أكلُ هذا التواني
في جميع الاحوال أم فيّ وحدي
أم ترى ما اصطنعتَه عند غيري
واجبٌ أن أعدّه لك عندي

[شروط السؤدد]

والذي أقول غير محتشم ولا مراقب أن السؤدد لا يكون إلا باحتمال خصال من الصبر والحلم والتكروم والبذل والعطاء والتفقد، وهن أثقل ما يعاينه الزائر بآمله ، والفقير برجائه ، والشاعر بطمعه ، والمنتجع بزيارته . اللهم إلا أن يكون السيد يجري في هذه الاخلاق والشم على الهوى فيُعطي من كان أخف روحاً عنده وأحلى شمائل ، وألطف فضلاً ، وأعير^(١) قولاً ، فهذا ليس عليه من ثقل السؤدد شيء، لأنه قد ميّز ما يخف عليه مما يثقل ، وما يتصل بنفسه مما ينبو عنه ، وما هذا من السؤدد إذا كان صريحاً تاماً ، عريقاً في شيء ، بل السؤدد ما قال أبو الاسود الدؤلي^(٢) لعبيد الله بن زياد^(٣) : إنك لن تسود حتى تصبر على شرار الشيوخ النجر^(٤) . وهذا الكلام كالمثل، وقال الشاعر :

لا تحسب المجد تماًراً أنت آكله

لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبيرا

وقيل لعدي بن حاتم ° : من السيّد ؟ قال : الأحق في ماله ،

(١) أعارت القصيدة : سارت والاعارة السيورة .

(٢) ظالم بن عمرو الدؤلي الكناني واضع علم النحو . وله ديوان شعر، مات بالبصرة سنة ٦٩ هـ .

(٣) عبيد الله بن زياد بن ظبيان من فتاك العرب كان مقرباً من عبد الملك بن مروان وهو الذي قتل مصعب بن الزبير ثم ثار على الحجاج مع ابن الجارود مات في عمان سنة ٧٥ هـ .

(٤) النجر : الأصل والحسب .

(٥) عدي بن حاتم صحابي رئيس قومه في الجاهلية والاسلام أسلم سنة ٩ للهجرة وشهد فتح العراق وشهد الجمل وصفين والنهروان مع علي بن أبي طالب يروى له ٦٦ حديثاً في الصحيحين مات سنة ٦٨ هـ .

الذليل في غرمة المطرَح لحقده ، المعنيُّ بأمر جماعته فليس يسود المرء إلا بعد أن يسهر من أوّل ليله الى آخره فكراً في قضاء الحقوق ، وكفّ السفاه ، وازدراع الحجة في القلوب ، وبعث الالسنّة على الشكر .

[معاملة الناس بالمثل]

وفي الجملة . من جهل حقك فليس يلزمك ان تعترف له بحقه ، ومن لم ينظر فيما لك عليه لم يجب عليك أن تنظر فيما له عليك . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ماترى له .

وقد قيل : تواضع للمحسن اليك وان كان عبداً حبشياً ، وانتصف بمن اساء اليك وان كان حراً قرشياً . ومن صفات الكريم ما قال الشاعر :

إن الكريم من تلفت حوله
وإن اللئيم دائم الطرف أقود
وقال آخر :

لح الله اكبانا زناداً (١) وشرنا
وأيسرنا عن عرض والده ذباً
رأيتك لما نلت مالاً وعضنا
زمان ترى في حد أنياه شغباً (٢)
جعلت لنا ذنباً لتمنع نائلنا
فأمسك ولا تجعل غناك لنا ذنباً

[١٨١]

/ وقال آخر :

نال الفنى بعد فقر فاستغاث به
كما استغاث بياقي ريقه الشرير

(١) كبا الزند : لم يور .

(٢) كذا في الأصل ولعلها «شعبا» والشعب: أسنان السفود التي يغرز فيها اللحم للاشتواء .

مثالب (م ٥)

[التزام التوحيد للبرهان والعيان]

وإذا احتججت بالعيان في وصف هذين الرجلين في الكرم واللؤم فقد رفعتُ
المِرْيَةَ ، وإذا أَقمتُ الشاهد على الدعوى فقد منعتُ من اللائمة ، وإذا أَرَيْتُ
الضرورة فقد بلغت الغاية .

وأيُّ خَفَقَةٍ للقلب بعد اليقين ، أم أيُّ وحشةٍ للنفس بعد الاستبصار ، أم
أيُّ تَقِيَّةٍ على المحتجِّ إذا وصل البرهان ، أم كيف يستحيى من الحق وإن كان
مرأً ، أم كيف يعتذر من الصدق وإن كان موجعاً هذا ما لا يُكَلِّفُهُ حَكِيمٌ ،
ولا يَأْمُرُ به مرشدٌ ، ولا يَحْتُ عليه ناصح . وهذا مبدأ الخبر في حديث ابن
عباد على ما يتفق من ترتيبه ووضعه غير آخذ في أهبة ، ولا محتفل بتقدمة .

[رقاعة انصاحب وسخفه]

فأول ما أذكركه من ذلك ما أدلُّ به على سعة كلامه ، وفصاحة لسانه ،
وقوّة جأشه ، وشِدَّة مُنَّتِهِ وإن كان في فحواه ما يدلُّ على رقاعته ، وانتكاث
مسيرته ، وضعف حِوْلِهِ ، وركاكة عقله ، وانحلال عقده . ولما رجع من
همدان سنة تسع وستين وثلاثمائة بعد أن فارق حضرة عضد الدولة استقبله الناس
من الريّ وما يليها واجتمعوا بساوة^(١) ودونها وفوقها وكان قد أعدَّ لكل
واحد منهم كلاماً يلقيه به عند رؤيته وأين كانوا يقعون منه ، وأين كانوا يبيتون
عنده ، وهذا الذي ذهب به في الإعجاب والكبر ، وبعثه على احتقار الناس ،
وتركه في التيه المضلّ . فأول من دنا منه القاضي أبو الحسن المهمداني وهو من

(١) مدينة بين الري وهمدان .

قرية يقال لها أسدأباد^(١) ، فقال له : أيها القاضي ما قارفتك^(٢) شوقاً
إليك ، ولا فارقتي وجداً عليك ، ولقد مرت بعدك مجالس كانت تقتضيك ،
وتخطبك وترتضيك ، ولو شهدتني بين أهلها وقد علوتهم بيباني ولساني
وجدلي لأنشدت قول حسان بن ثابت في ابن عباس^(٣) ورأيتني أولى به منه ،
فإن حسان قال :

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه رأيت له في كل مجمة فضلاً^(٤)
إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ بملتقطاتٍ لا ترى بينها فصلاً^(٥)
كفي وشفى ما في النفوس فلم يدع

لذي إربة في القول جداً ولا هزلاً^(٦)
سموت إلى العليا بغير مشقة

فقلت ذراها لا دينياً ولا وغلاً^(٧)

ولذكرت أيضاً أيها القاضي قول الآخر وأنشدته، فإنه قال فيمن وقف موقفي،
وقُرف مقُرفي^(٨) ، وتصرف متصرفي وانصرف مُنصرفي ، واعترف له
معترفي :

(١) اسدأباد : قرية تبعد مرحلة واحدة عن همدان نحو العراق .

(٢) المفارقة : المخالطة .

(٣) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي الصحابي الجليل لزم الرسول صلى الله

عليه وسلم وروى عنه الأحاديث الصحيحة توفي بالطائف سنة ٦٨ هـ .

(٤) لم يرد هذا البيت في الديوان انظر ديوان حسان بن ثابت ٣٥٩

(٥) ملتقطات : متخيرات .

(٦) إربة : حاجة .

(٧) الوغل : النذل الضعيف الساقط .

(٨) قُرفه : اتهمه وعابه .

إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف
لعيٍّ ولم يثنِ اللسان على هُجْرٍ
يصرفُ بالقول اللسان إذا انتحى
وينظر في أعطافه نظر الصَّقْر

ولقد أودعتُ صدرَ عضد الدولة ما يطول به التفاته إليَّ ، وديم حسرتَه
عليَّ ، ولقد رأى ما لم يرقبهُ مثله ، ولا يرى بعده شكله ، فالحمد لله الذي
أوفدني عليه على ما يسرُّ الوليَّ ، وأصدرني عنه على ما يسوء العدوَّ .

أيها القاضي ! كيف الحال والنفس ، وكيف الامتاع والأنس ، وكيف
المجلس والدرس ، وكيف القرص والجرس ، وكيف الدس والدعس ،
وكيف الفرس^(١) والمهرس^(٢) ، وكاد لا يخرج من هذا الهذيان ، لتهيجهِ
واحتدامه ، وشدة خيلائه وغلوائه ، والهمذانيُّ مثل الفأرة بين يدي السَّتَّور
قد تضاءل وقمؤ^(٣) لا يصعد له نفْسٌ إلا تبرع تذلاً وتقللاً ، هذا على
كبره في مجلسه ، مع ندائته في نفسه . ثم نظر إلى الزعفراني ، رئيس اصحاب
الرأي^(٤) فقال : أيها الشيخ سرَّني لقاءك ، وساءني عناؤك ، وقد بلغني
'عدواؤك'^(٥) ، وما يتخيَّله اليك خيلاؤك، وأرجو أن أعيش حتى يردَّ عليك

(١) الفرس : القتل .

(٢) المهرس : الدق الشديد .

(٣) قمؤ : ذوى وصغر .

(٤) الزعفراني رئيس فرقة الزعفرانية وهي فرقة من التجارية أتباع الحسين بن النجار الذين
وافقوا أهل السنة في أصول والقدرية في أصول وانفردوا بأصول . راجع : الفصل في الملل
والأهواء والنحل ٥١/٢ ، والامتاع والمؤانسة ٧٨/٢

(٥) العدواء : الشغل يصرفك عن الشيء .

غلاؤك ، ما كان عندي انك تقدم على ما أقدمت عليه ، وتنتهي في عداوتك
لأهل العدل والتوحيد إلى ما انتهيت إليه ، ولي معك إن شاء الله نهاراً له ذيل ،
وليل يتبعه ليل ، وثبور^(١) يتصل به ويل ، وقطر يدوم معه سيل ،
وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار . قال الزعفراني : حسبنا الله ونعم الوكيل ؛ ثم
أبصر أبا طاهر الحنفي فقال : أيها الشيخ ما أدري أشكوك أم أشكو اليك ؟
أما شكواي منك فلأنك لم تكاتبني بحرف ، حتى كأننا لم نتلاحظ بطرف ،
ولم نتحافظ على ألف ، ولم نتلاق على ظرف ، وأما شكواي اليك ، فهو أنني
ذممت الناس بعدك ، وذكرت لهم عهدك ، وعرضت بينهم ودك ، وقدحت
عليهم زندك ، ونشرت عندهم غرائب ما عندك ، فاشتاقوا اليك بتشويقي ،
واستصفوك بتروقي ، وأثثوا عليك بتنميقي وتزويقي . وهكذا عمل الأحاب
إذا نبات^(٢) بهم الركاب ، والتوت دونهم الاعناق ، واضطربت في صدورهم
نار الاشتياق ، فالحمد لله الذي أعاد الشعب ملتئماً ، والشملى منتظماً ،
والقلوب وادعة ، / والأهواء جامعة ، حمداً يتصل بالمزيد ، على عادة السادة
مع العبيد ، عند كل قريب وبعيد .

[١١ب]

ثم التفت إلى ابن القطّان القزويني الحنفي ، وكان من ظرفاء العلماء فقال:
أيها الشيخ كدت والله أحلم بك في اليقظة ، وأشتمل عليك دون الحفظة ،
لأنك قد ملكت مني غاية المكانة والخطوة ، والله ما أسغت بعدك ريقاً
إلا على جرح ، ولا سلكت بعدك طريقاً إلا على مضض ، ولا وجدت
للظرف سوقاً إلا بالعرض ، سقى الله ربك أنت ساكنه بنزاهتك ، وطبعاً أنت

(١) الثبور : الهلاك والخسران .

(٢) نبات ونبؤ : خرج من أرض إلى أرض .

طابنه (١) يبراعتك ، ومغرساً (٢) أنت أينعته (٣) بنباهتك ، وأصلاً أنت فرعه بفقاھتك . وقال للعباداني : أيها القاضي ! أيسرك أن أشتاقك وتسو عني ، وأن أسأل عنك فتسل مني ، وأن أكتبك فتغافل ، وأطالبك بالجواب فتتكاسل ؟ وهذا ما لا أحتمله من صاحب خراسان ، ولا يطمع مني فيه ملك من ساسان ، متى كنت منديلاً ليد ، ومتى نزلت على هذا الحد لأحد ، إن انكفأت إلي بالعدر انكفاء ، وإلا اندرأت عليك بالعدل اندراء ، ثم لا يكون لك معي قرار بحال ، ولا يبقى لك بمكاني استكثار إلا على وبالٍ وخبال . ثم طلع أبو طالب العلوي فقال : أيها الشريف ! جعلت حسناتك عندي سيئات ، ثم أضفت إليها كهنات بعد كهنات ، ولم تفكر في ماض ولا آت ، أضعت العهد ، وأخلفت الوعد ، وحقت النحس ، وأبطلت السعد، وحملت (٤) سراباً للحيران ، بعدما كنت شراباً للحران ، وظننت أنك قد شبعت مني ، أو اعتضت عني ، هيات ! وأنى لك بمثلي ، أو من يعثر في ذيلي ، أوله نهار كنهاري ، أوليل كليلي ، وهل عائض مني وإن جلّ عائض ، أنا واحد هذا العالم ، وانت بما تسمع عالم ، لا إله إلا الله وسبحان الله . أيها الشريف ! ابن الحق الذي وكّدناه (٥) أيام كادت الشمس عنا تزول ، والزمان علينا يصول وأنا أقول ، وانت تقول ، والحال بيننا تحول ؟ سقى الله ليلة تشيعك وتوديعك ، وأنت متنكّر

(١) في الأصل غير منقوطة ورجحنا طابنه ، وطابنه : واقفه .

(٢) المغرس : موضع الغرس .

(٣) في الأصل ينعه .

(٤) حلت : تحولت .

(٥) وكد يكد كوداً : أصاب والعقد : أثره .

تنكراً يسوء الولي ، وأنا متفكر تفكراً يسُرُّ العدو . هذا ونحن متوجهون
إلى ورّامين (١) خوفاً من ذلك الجاهل الميهن ، يعني بالجاهل الميهن ذا الكفاءتين
حين أخرجه من الريّ بعد أن ألَبَ عليه ، وكاد يُؤْتى على نفسه الخبيثة ،
وهو حديث له فَرَش (٢) ، وما أنا بصددٍ يمنع من اقتصاصه ، ولعله يجري على
وجهه فيما بعد ، ولقد ظلم بقوله ، وكان بالجهل والمهانة أحق ، وسيمر مايدل
على قولي ، ويصحح حكمي ، ويبيّن لك أنه لم يكن معه إلا الجَدُّ المساعد
فقط ، وما في ذلك تشيع وإيهام ، وتمويه وكذب ، وبُهِتٌ ووقاحة .
ثم نظر إلى أبي محمد كاتب الشروط فقال : أيها الشيخ ! الحمد لله الذي
كفانا شرّك ، ووقانا عَرَّك (٣) ، وصرف عنا ضَرَّك ، وأرانا فيحْك (٤)
وحرَّك ، دَبَّيْتَ الضراء لنا ، ومشَيْتَ الخَمَرَ (٥) علينا ، ونحن نحيس لك
الحَيْس (٦) ، ونصِفُكَ باللبابة والكيْس (٧) ، ونقول : ليس مثله ليس ،
وأنت في خلال ذلك تقابلنا بالوَيْح والوَيْس (٨) ، لولا أنك قُرْحان (٩)
لسقط العشاء بك منّا على سِرْحان (١٠)

(١) بليدة من نواحي الري تبعد عنها ثلاثين ميلاً .

(٢) فرش : بسط وتوسيع .

(٣) العر : السوء .

(٤) فيحك : الفيح : خصب الريع في سعة البلاد . ويقال : أفح عنك من .

الظهيرة : أبرد .

(٥) الخمر : الخاتلة ، يقال : « هو يدب لنا الضراء ويمشي له الخمر » لمن ختل صاحبه .

(٦) حاس يحيس : الشيء : خلطه والحبل : فتله .

(٧) اللبابة : العقل . الكيس : العقل والظرف والفطنة .

(٨) ويح : كلمة ترحم وتفجع . ويس : بمعنى ويح .

(٩) القرحان : من أصابه القرع .

(١٠) السرحان : الذئب .

[الصاحب وابن أبي خراسان]

وقال لابن أبي خراسان الفقيه الشافعي : أيها الشيخ! ألغيت ذكرنا عن
السيانك ، واستمررت على الخلوة بالناسك ، جاريًا على نسيانك ، مستهترًا بفتيانك
وافتنانك ، غير عاطفٍ على إخوانك وأخذانك ، لولا أنني أُرعى قديمًا قد
أُضعتَه ، وأعطيتك من رعايتي ما قد منعتَه ، لكان لي ولك حديث ، إما طيب
وإما خبيث ، خلفتك محتسبًا ، فخلفت مكتسبًا ، وتركتك أمرًا بالمعروف ،
فلحققتك راكبًا للمنكر ، قد يفيل^(١) الرأي ، ويخبى الظنُّ ، ويكذبُ
الأمَلُ . وقد قال الأول :

ألا ربُّ مَنْ تَغْتَشُّهُ لَكَ ناصحٌ
ومؤتمِنٌ بالغيبِ وهو ظنِّين

[الصاحب والشادباشي]

ثم نظر إلى الشادباشي فقال : يا أبا علي ! كيف أنت وكيف كنت ؟
فقال : يا مولانا لا كنتُ إن كنتُ أدري كيف كنت ، ولا لا كنتُ إن
كنتُ أدري كيف لم أكن . فقال : اغربُ يا ساقط يا هابط ، يا من
يذهب إلى الحائط بالغائط ، ليس هذا من نحت يدك ، ولا هو مما نشأ من عندك ،
هذا لمحمد بن عبد الله بن طاهر أوله :

كُتِبَتْ تَسْأَلُ عَنِّي كَيْفَ كُنْتُ وَمَا
لَا قِيْتُ بِعَدِّكَ مِنْ غَمٍّ وَمِنْ حَزْنٍ

(٧) قال يفيل فيولة وفيلاً : الرأي أخطأ وضعف .

لا كنتُ إن كنتُ أدري كيف كنتُ ولا
لا كنتُ إن كنتُ أدري كيف لم أكن.

[صورة هزلية]

وكان يُنشد وهو يلوي رقبتَه ، ويجحظ حدقته ، وينزّي أطراف
منكبيه ، ويتسائل ويتأمل كأنه الذي يتخبطه الشيطان من المَسِّ ،
ثم قال يا أبا عليّ ! لا تعول على أُنيرٍ في سراويل غيرك ، لا أُر
إلا أُر تمطّي تحت عاتك ، فانك إن عولت على ذلك خانك وشانك ،
وفضح حالك^(١) ومانك .

[الصاحب والغلام]

ثم نظر الى غلام قد بقّل^(٢) وجهه كان يُتهم به على الوجه الأقبح ،
فالتوى وتقلقل وقال : أدن يا بني ! كيف كنتَ ، ولم حملت على نفسك هذا
العناء ؟ وجهك هذا الحسن لا يُتبدّل للشحوب ، ولا يُعرّض للفحات
الشمس بين الطلوع والغروب ، أنت يجب أن تكون في بذلة بين حجّلة^(٣)
/ وكلّة ، تزاح بك العلة وتعلّا فيك القلّة^(٤) ، وتشفى منك الغلّة^(٥).

[١٢]

(١) في الأصل : خانك .

(٢) بقّل وجه الغلام : خرج شعره .

(٣) حجّلة : « محرّكة » كالقبة ، وموضع يزين بالثياب للعروس .

(٤) القلّة : النهضة من علة أو فقر .

(٥) الغلّة : العطش أو شدته .

[الصاحب وفيروزان المجوسي]

هذا آخر حديث الاستقبال ، وقد حذفتُ منه أشياء كثيرة من رقاعاته ، لأن الغرض غير مقصور على فن واحد من حديثه . وقال يوماً في دار الإمارة لفيروزان المجوسي ، وكان الخرائطي حاضراً ، في شيء نابذه عليه : إنما أنت محشّ محشّ محش ، لا تهش ولا تبش ولا تمتش ، فقال له فيروزان : أيها الصاحب! برئت من النار إن كنت أدري ما تقول ، إن كان من رأيك أن تشتمني فقل ما شئت بعد أن أعلم ، فإن العرض لك ، والنفس فداؤك ، لست من الزنج ولا من البربر ولا من الغز^(١) ، كلمنا بما نعقل على العادة التي عليها العمل ، والله ما هذا من لغة آبائك الفرس ، ولا لغة أهل دينك من هذا السّواد، فقد خالطنا الناس فما سمعنا منهم هذا النمط ، وإني أظن أنك لو دعوت الله بهذا الكلام لما أجابك ، ولو سألته لما أعطاك ، ولو استغفرت الله به ما غفر لك ، وحقيق على الله ذلك . فقال الخرائطي : أيها الصاحب ! والله لقد صدق فلا تغضب ، فليس كلُّ من وثق بآنه لا يراجع في قوله وفعله ركب ما يحمق فيه ، شاهداً وغائباً ، فقام عنهما خزيان يردّد ريقه حقداً عليهما ، وكان ذلك سبباً كبيراً في فساد أمرهما .

[رأي الزعفراني في الصاحب]

وقلت للزعفراني الشاعر ، وكان من أهل بغداد : أصدقني أيها الشيخ عن هذا الانسان كيف وجدته في طول ما عجمت عوده ، وتصفحت أخلاقه ، وخبرت دُخلته ، فقال : وجدته كليل الكرم ، حادّ

(١) الغز : جنس من الترك .

اللؤم ، رقيق الظاهر ، مريب الباطن ، دنس الجيب ، مثيراً من
الغيب ، كأنه خلق عبثاً ، مما مليء خبثاً ، سفهه ينفي حكمة خالقه ، وغناه
يدعو إلى الكفر برازقه ، وأنا أستغفر الله من قولي فيه ونفاقي معه ، ولعن
الله الفقر فهو الذي يَخْبُلُ المروءة ويقدح في الديانة، ولو كان لي بيغداد قوت
يحفظ عليّ ماء الوجه ما صبرت على هذا الرقيق البارد ، والمجنون المطاع
ساعة . ولكن ما أصنع ، قد قلبت أمري ظهراً لبطن ، مالي إلى الرزق باب
إلا منه وأنشدت :

والرزق كالوسميّ ربّتمّا عدا
روض القطا وسقى مهامه جلق
فاذا سمعت بحولٍ متألّه
متأدّبٍ فهو الذي لم يرزق
والرزق يُخطيء باب عاقل قومه
ويبيت بوّاباً لباب الأحمق
وأنشد أيضاً :

الرزق قد يأتيك في وقته
والحرص لا يُغني ولا يُجدي
كم قاعدٍ يبلّغ مأموله
وطالبٍ مضطربٍ يُكدي
فاسترزقِ الرازق من فضله
وارض بما يوليك من رفد
وثيقٍ باحسانٍ له واسع
فكذا عادته عِندي

وأنشد القرميسيني^(١) قال : أنشدنا علي بن سليمان الأخفش لشاعر :
قد يرزق المرء لم تتعب رواحله
ويحرم الرزق مَنْ لم يُؤْتِ من تعبِ
يا ثابِتَ العقلِ كم عاينتَ ذا أدبِ
الرزقُ أعدى له من ثابتِ الجربِ
ولمّني واجدٌ في الناس واحدةً
الرزق والنَّوْكَ مقرونان في نسبِ^(٢)
وخصلة قل فيها من ينازعني
الرزق أروغ شيء عن ذوي الأدبِ^(٣)

[رأي المسيني في الصاحب]

وقلت للمسيني : ما قولك في ابن عبّاد ؟ فقال : له في الخلاعة قرآنٌ
مُعْجَز ، وفي الرِّقَاعة آية منزلة ، وفي الحسدِ عرقٌ ضارب ، وفي الكذب
عارٌ لازب ، لا ينزع عن المساوىء إلاّ ملأً ، ولا يأتي الخير إلاّ كسلاً ،
ظاهره ضلالة ، وباطنه جهالة ، وليس له في الكرم دلالة ، ولا في الاحسان
إلى الأحرار آلة . فسبحان من خلقه غيظاً لأهل الفضل والأدب ، وأعطاه
فيضاً من المال والنشب .

(١) راجع : الامتاع والموانسة ١٣٤/١

(٢) النوك : المحق .

(٣) راغ : حاد وذهب ههنا وههنا .

[رأي الخوارزمي في الصاحب]

وقلت لأبي بكر الخوارزمي الشاعر (١) وكان قد خبره : كيف وجدت
الصاحب وقد أعطاك وأولاك وقدمك وآثرك ، وسفر لك إلى عضد الدولة
وهو اليوم شاه الملوك ، حتى ملأت عيالك (٢) تبراً ، وحقائبك ثياباً ،
ورواحيك زاداً ؟ فقال : دَعْنِي مما هنالك والله إنه لخوارزمي في المكارم ،
صباراً على الملائم ، زحافاً إلى المآثم ، سماعاً للنائم ، مقدام على العظام (٣)
يدعو إلى العدل والتوحيد ، ويدعي الوعد والتخليد ، ثم يخلو باستعمال الأمور ،
ويشتمل على الفسوق والفجور ، ويمسي وهو بور ، ويصبح وما على وجهه
نور .

[أبو بكر الخوارزمي]

وكان الخوارزمي من أفصح الناس ، ما رأينا في العجم مثله ، وإنما نؤله
الصاحب ما نؤله ، وخوؤه ما خوؤه ، لأنه كان أذكاه (٤) عينا على محمد بن ابراهيم
صاحب الجيش بنيسابور ، واستملى فيه أخبار المشرق ، وبهذا المعنى استدر له
من ملك بغداد بواسطة ابن يوسف ، وكان الظاهر أنه إنما يُعطيه لأدبه ، ويُحيزه
لشعره ، ويصطفيه لفضله .

(١) محمد بن العباس الخوارزمي أبو بكر من أئمة الكتاب والشعراء العلماء . كان ثقة في
اللغة ومعرفة الأنساب ، ولد في خوارزم وتوفي في نيسابور سنة ٣٨٣ هـ .
(٢) العيبة : الزنبل من آدم وما تجعل فيه الثياب كالصندوق .
(٣) العظيمة : النازلة الشديدة .
(٤) يقال : أذكى عليه العيون أي أرسل عليه الجواسيس .

[رأي الزعفراني في الصاحب]

ولقد قلت للزعفراني : أرى الخوارزمي سيء الرأي في ابن عباد مع ما يصل إليه منه ، فما السبب ؟ فقال : ابن عباد سيء السياسة / لصنائه ، وذلك أنه يعطي الانسان عطية ما ثم يبلوه بجفاء يتمنى معه لـتَقْطَ النّوِي في السكك . والمُصْطَنِعُ الكريم هو الذي يكون اصطناعه بلسانه ، فوق اصطناعه بيده ، وإني أحذّثك ببعض ما عامل به الخوارزمي ليصح لك القياس عليه ، والعجب منه .

[الخوارزمي والصاحب]

حضر الخوارزمي يوماً وجرى حديث القافّة (١) . فقال الخوارزمي: دخل محرز المدلجي على رسول الله ﷺ ونظر إلى أقدام أسامة وزيد فقال : هذه أقدام بعضها من بعض ، وصحف البائس كما يصحف الناس العلماء فمن دونهم . وكان ابن عباد على برّكة فما زال يدور حول البركة وهو يصفع الخوارزمي ويقول محرز بحياتي إلى أن رَعَفَ (٢) الخوارزمي وتنحّى وخرج ، فهذا وما دانه هو الذي كان يُفسد به ما يفعله من الخير والبرّ .

[رأي أبي الطيّب النصراني في الصاحب]

وحدثني بذكر أبي بكر عينا بخراسان أبو الطيّب النصراني وكان على السرّ عند مؤيد الدولة ، وكان يعرف من محازي ابن عباد عجائب ، سمعته يقول :

(١) القائف : من يعرف الآثار والجمع قافّة .

(٢) رَعَفَ الرجل : خرج الدم من أنفه .

لَوْ بُحْتُ بِمَا فِي نَفْسِي مِنْ حَدِيثِ هَذَا الْمَأْبُونِ لَتَصَدَّعَ الْجَبَلُ ، وَلَتَقْلَعَ الْجَنْدَلُ .
وَكَانَ ابْنُ عَبَّادٍ شَدِيدَ السُّفْهِ ، عَجِيبَ الْمُنَاقِضَةِ ، سَرِيعَ التَّحَوُّلِ مِنْ هَيْئَةٍ
إِلَى هَيْئَةٍ ، مُسْتَقْبِلًا لِلْأَحْرَارِ بِكُلِّ فِرْيَةٍ ^(١) وَفَاحِشَةٍ . كَانَ يَقُولُ لِلْإِنْسَانِ
الَّذِي قَدِمَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ : تَقَدَّمْ يَا أَخِي وَتَكَلَّمْ ، وَاسْتَأْنَسْ ،
وَاقْتَرَحْ ، وَابْسُطْ ، وَلَا تُتَرَّعْ ^(٢) ، وَاحْسِنِي فِي جَوْفِ مُرَقَّعَةٍ ،
وَلَا يَهْوُلُكَ هَذَا الْحَشَمُ وَالْخَدَمُ ، وَهَذِهِ الْغَاشِيَةُ وَالْحَاشِيَةُ ، وَهَذِهِ الْمُرْتَبَةُ
وَالْمُسْطَبَةُ ، وَهَذَا الطَّاقُ وَالرَّوَّاقُ ، وَهَذِهِ الْمَجَالِسُ وَالطَّنَافِسُ ، فَإِنَّ سُلْطَانَ
الْعِلْمِ فَوْقَ سُلْطَانِ الْوِلَايَةِ ، وَشَرَفُ الْعِلْمِ أَعْلَى مِنْ شَرَفِ الْمَالِ ، فَلْيَفْرِخْ رَوْعَكَ ^(٣) ،
وَلْيَنْعَمْ بِأَلَاكَ ، وَقُلْ مَا شِئْتُ ، وَانْصِرْ مَا أَرَدْتُ ، فَلَسْتُ تَجِدُ عِنْدَنَا إِلَّا
الْإِنْصَافَ وَالْإِسْعَافَ وَالْإِتْحَافَ وَالْإِطْرَافَ ، وَالْمُقَارَبَةَ وَالْمُوَاهِبَةَ ، وَالْمُؤَانَسَةَ
وَالْمُقَابَسَةَ ، وَعَلَى هَذَا التَّنْزِيلِ وَمَنْ كَانَ يَحْفَظُ مَا يَهْدِي بِهِ فِي هَذَا وَغَيْرِهِ ،
حَتَّى إِذَا اسْتَقَى مَا عِنْدَ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ بِهَذِهِ الزُّخَارِفِ وَالْحِيلِ ، وَسَالَ الرَّجُلُ
مَعَهُ فِي حُدُودِهِ عَلَى مَذْهَبِ الثِّقَةِ ، وَرَكِبَ فِي مَنَازِلِهِ ، رَدَّعَهُ وَحَاجَّهُ ،
وَرَاجَعَهُ وَضَاقَهُ ، وَسَاكَمَهُ ^(٤) وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى النِّكْتَةِ الْفَاصِلَةِ ، وَالْأَمْرَ
الْقَاطِعَ ، تَنَمَّرَ لَهُ ، وَتَسَغَّرَ ^(٥) عَلَيْهِ ، وَاسْتَحْصَدَ ^(٦) غَضِبًا ، وَتَلْظَى
لِجِبًا ، وَقَالَ بَعْدَ وَثْبَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ : يَا غَلَامُ خُذْ يَدَ هَذَا الْكَلْبِ إِلَى الْجُبْسِ

(١) الفرية : الكذب واختلاقه .

(٢) لا ترع : لا تحف .

(٣) لينذهب رعبك . افرخ الروع : انكشف .

(٤) سكم : مشى على غير هداية . ورجل سكم : متحير .

(٥) نغر الرجل على فلان : غلا جوفه عليه غضباً .

(٦) استحصد الرجل : غضب .

وضعه فيه بعد أن تصبَّ على كاهله وظهره وجنبه خمسمائة عصاً فانه معاندٌ ، ضدٌ ، يحتاج إلى أن يشدَّ بالقد^(١) ، ساقطٌ هابطٌ ، كلب نباحٌ ، متعجرفٌ وقاحٌ ، أعجبه صبري وغرّه حلمي ، ولقد أخلف ظني ، وعدت على نفسي من أجله بالتوبيخ ، وما خلق الله العصا باطلاً ، ولا ترك خلقه هاملاً ، فيُقام ذلك البائس على هذه الحال التي تسمع ، على أن مسموعك دون مشاهدتك لو شاهدت ، ومن لم يحضر ذلك المجلس لم يرَ منظرًا رفيعاً ، ورجلاً رقيقاً قد عامل بما وصفت الجريري^(٢) غلام ابن طرارة ، والحامدي^(٣) الشاعر الوارد عليه من البصرة ، وأبا زيد الكلابي وغيرهم .

[رأي ابن العميد في الصاحب]

وكان أبو الفضل، أعني ابن العميد، إذا رآه يقول : احسبوا أن عينيه ركبتا من زئبق ، وعنته عمل بلولب . وصدق لأنه كان ظريف الثني والتلوي ، شديد التفكك والتفتُّل ، كثير التعوُّج والتموُّج في شكل المرأة المومسة ، والفاجرة الماجنة ، والمختل الأشمط .

[رأي الصاحب في الطب]

وسمعت أبا الفضل الهروي يقول له يوماً : لو وضع في خزانة الكتب

(١) القد « بكسر القاف » السير يقدر من جلد غير مدبوغ يقيد به الأسير .

(٢) في الأصل الحريري وكذلك في تاريخ الحكماء للقفطي والصواب ما أثبتناه نسبة إلى مذهب ابن جرير الطبري .

(٣) ورد ذكره في تنمة اليتيمة ٢٧/١

لوقوف شيء من الطب لكان ذاك باباً من المنافع الحاضرة ، والفوائد المعجّلة ، والخير العام . فقال على حدّته وجنونه : الطبُّ يا أبا الفضل سلّمٌ إلى الالحاد ، ولقد أسررت في هذا القول حسّواً في ارتقاء^(١) ، أنت مهندس وأنت متهم ، ويكفي منك في هذا المعنى ما هو دون هذا ، فانخزل الهروي ، وكان جباناً ، وأخذ يتلافى ما فرط منه .

قال أصحابنا بالريّ : كيف يُسوَّغ له أن يقول هذا ، وهو يشاور الطبيب في كل غداةٍ ، ويعتمد على الطب في كل عارض ، ويجمع الكتب فيه ، ويرجعُ إليه .

[الصاحب وعلم النجوم]

قالوا : وليس هذا بأعجب من عيبه لعلم النجوم ، وزمه لأهله ، وهو لا يفارق التقويم ، ولا يخلو يوماً من النظر فيه مرات ، لأنه كان لا يركب إذا وجد نحساً ، هذا على تقليده فيه ، لأنه ما كان يعرف حرفاً من علم النجوم ، لا على طريقة من ينظر في أحكامه ، ولا على مذهب من يختاره لهيئته ، فهل رأيتُ بهتاً أشدّ من هذا ، / ومناقضةً أقبح من هذا ، يذمّ شيئاً في الظاهر ، ثم يحبه في الباطن ، ويزهّد غيره في شيء وهو يؤثّر . وكان من ضعف عقله يقول : يجوز أن يكون الفلك من سلجَم^(٢) أو جزر أو فيجل . قال هذا للصاغاني أبي^(٣) حامد ونحن حضور ، وهو مع هذا

[١٣]

(١) اسر حسواً في ارتقاء : مثل يضرب لما كر الخادع .

(٢) سلجم « كجعفر » نبات .

(٣) ورد ذكره في الامتاع .

العقل السخيف يطلب كتب الأوائل ، ويجمعها وينظر فيها ، ويشتهي أن يفتح فاتح عليه شيئاً منها في السر وعلى وجه التهجين ، لا على وجه التقبل .
ويقول في أبي الحسن العامري ^(١) قال : الحراني كذا وكذا وإذا خلا نظر في كتبه ومصنفاته وكان أحدها من أبي الحسن الطبري طيب ركن الدولة .

[قلة دين صاحب]

وكان مع هذا المذهب الذي يُدَلّ به ويسميه العدل والتوحيد قليل التوجه إلى القبلة ، قليل الركوع والسجود ، وكان مع حفظه الغزير عليه مؤونة في تلاوة آية من كتاب الله عز وجل إذا أراد أن يستدل بها في المناظرة والجدل ، أو يذكر وجهاً من وجوها في المذاكرة ، ولم يكن عليه طابع العبادة ، ولا سيما المتألهين .

[مساوىء صاحب]

وكان مع ذلك متفكاً للدماء ، قتالاً للنظر والأكفاء ، وكان شديد الحسد لأهل الفضل والدراية ، ولأصحاب الحفظ والرواية ، وكان جلي حسده لمن كتب فأحسن الخط ، وأجاد اللفظ ، وتأتى للرسم ، وملح في الاستعارة ، وكان إذا سمع من إنسان كلاماً منظوماً ، ومعنى قوياً ، ولفظاً مسجوعاً ، وشرأ مطبوعاً ، وبياناً بليغاً ، وغرضاً حكيماً ، انتقص طباعه ،

(١) محمد بن يوسف أبو الحسن العامري ورد ذكره في مواضع عدة من المقابسات والامتناع والمؤانسة ، ويقول عنه التوحيدي « انه من أعلام عصره » .

وذهب عليه أمره ، وتبدّد حلمه ، وزال عنه تماسكه ، والتهبَ كأنه نار ،
واضطرب كأنه شرار ، وحدث نفسه بقتله أو نفيه ، أو إغرامه (١)
وابعاده وحرمانه .

[رأي التميمي الشاعر في الصاحب]

وقلت للتميمي الشاعر المصري المعروف بالرغيب : كيف ترى هذا الرجل
أعني ابن عبّاد؟ فقال : طويل العنان في اللؤم ، قصير الباع في الكرم ، وثّاباً
على الشر ، مُقعداً عن الخير ، كافراً بالنعم ، متحرشاً بالنقم ، جّباهاً بالمكروه
سفيهاً في الجملة ، خليعاً في التفصيل . فقلت : أين هو من صاحبكم بمصر أعني
ابن كلس؟ فقال : ذاك رجل له دار ضيافة وله زوّار كالقطر ، لا يعرف مَحْكاً
ولا لجأجأ ، ولا مجادلة ، ولا كياداً ، ولا مخاتلة ، يُعطي على القصد
والتأميل ، والرجاء والتّوجّه ، والطمع والطلب ، وسائر الوسائل عنده بعد
هذه الاوائل فضل يستحق به الزيادة ، وليس هناك امتحان ولا محاسبة ، ولا
احتجاج ولا تعسير . المال مصبوبٌ ، والخازن قائمٌ ، والمفرّق مُجترِفٌ (٢) ،
والنداء عالٍ ، والواصل موصول ، والمؤمل مشكور ، والراحل شاكر ،
ووزارة ذاك نيابة عن خلافة ، ووزارة هذا خلافة عن عمالة .

[عطاء الصاحب]

هل ترى هاهنا صلة ترتفع عن مائة درهم إلى ألف ؟ أليس أنبلُ من ورد

١ . أغرمه : ألزمه بوفاء الدين .

(٢) جرف جرفاً جرفة : ذهب به كله أو أخذه أخذاً كثيراً .

عليه البديهي^(١) وهو شيخه في العروض ، وعنه أخذ القوافي وتفتححه وهدايته؟ قال الشعر، هل زاده في طول مقامه إلى رحيله على خمسة آلاف^(٢) درهم تفاريق ، وإن أقل ضيف بمصر يصير اليه مثل هذا في أول يوم . وقد سألت جماعة من سادة الناس عنه ، وحصلت عن كل واحد منهم جواباً سيمر بك فيما يستقبل ، واذكر هاهنا أشياء حدثني بها بطانته وخدمه .

[حديث أبي بكر الجرفادقاني]

حدثني الجرفادقاني أبو بكر ، وكان كاتب داره قال : يبلغ من سُخْنَةِ^(٣) عين صاحبنا أنه لا يسكت عمّا لا يعرف ، ولا يُسالم نفسه فيما لا يفي به ، ولا يكمل له ، ويظن أنه إن سكت عنه 'فُطِنَ' لنقصه ، وإن احتال وموّه جازَ ذلك وخفي واستتر ولم يظهر ، ولم يعلم أن ذلك الاحتيال طريق إلى الإغراء بمعرفة الحال . وصدق القائل : كاد المريب يقول خذوني . قلت له : وما الذي حذاك على هذه المقدمة ؟ قال : قال لي في بعض هذه الأيام : ارفع حسابك فقد أخزته وقصرت فيه ، واغتنمت سكوتي وشغلي بتدبير الملك ، وسياسة الأولياء والجند ، والرعايا والمدن وما عليّ من أعباء الدولة ، وحفظ البيضة^(٤) ، ومشارفة الأطراف النائية والدانية ، باللسان والقلم والرأي والتدبير والبسط والقبض ، والابرام

(١) علي بن محمد أبو الحسن البديهي الشاعر ، راجع ترجمته في اليتيمة ٣٠٩/٣ وفي تاريخ بغداد ٨٣/١٢ .

(٢) في الأصل : « خمسة ألف » .

(٣) سخنة العين : تقيض قرتها . وقرت عينه : هدأ واطمأن .

(٤) البيضة : ساحة القوم وحوزة كل شيء .

والنقض ، وما على قلبي من الفكر في الأمور الظاهرة والغامضة . وهذا
لعمري باب مُطْمَع ، وإمساكي عنه مغرٍ بالفساد مُوَلَع ، فبادر عافاك الله
إلى عمل حساب بتفصيل باب باب تبين فيه أمر داري وما يجري عليه دخلي
وخرجي . قلت له : وهذا كله تثبيت قوله هات حسابك بما تراعيه ،
قال : إي والله ! ولقد كان أكثر منه وإنما اختصرته . وصدق هذا
الكاتب ، كان يأخذ طرفاً من الحديث فيمدّه إلى الملل بالغشائة والجهل
والهذر^(١) . قال أبو بكر : فتفردت أياماً وحررت الحساب على قاعدته
وأصله والرسم الذي هو مألوف بين أهله ، وحملته إليه فأخذه من يدي وأمر
عينه فيه / من غير تثبيت أو فحص أو مسألة ، ثم حذف به إلي وقال :
[١٣ب] أهذا حساب ؟ أهذا كتاب ؟ أهذا تحرير ؟ أهذا تقرير ؟ أهذا تفصيل ؟
أهذا تحصيل ؟ والله لولا أنني قد ربيتك في داري ، وشغلت بتجريبك
ليلي ونهاري ، ولك حرمة الصبا ، ويلزمني رعاية الآباء لأطعمتك هذا
الطومار^(٢) ! وأحرقتك بالنفط والنار ، وأدبت بك كل كاتب وحاسب ،
وجعلتك مشلة لكل شاهدٍ وغائب ، أمثلي يموء عليه ، ويطمع
فيما لديه ، وأنا خلقت الكتابة والحساب ، والله ما أنام ليلة إلا وأحصل
في نفسي ارتفاع^(٣) العراق ، ودخل الآفاق ، أغرك مني أنني أجرتك
رسنك ، وأخفيت قبحك ، وأبديت حسنك ، غير هذا الذي رفعت ،
واعرف قبل وبعد ما صنعت ، واعلم أنك من الآخرة قد رجعت ، فزد
في صلاتك وصدقك ، ولا تعول على قحتك ، وصلابة حذقك ، قال :
فوالله ما هالني كلامه ، ولا أحاك في هذيانه ، لأنني كنت أعلم جهله

(١) سقط الكلام ورديته .

(٢) الطومار والطامور : الصحيفة والجمع طوامير .

(٣) كذا في الأصل .

بالحساب ، ونقصه في هذا الباب ، فذهبتُ وأفسدتُ ، وقدّمتُ وأُخرتُ ، وكأبدتُ وتعمدتُ ، ثم رددته اليه فنظر فيه ، ثم ضحك في وجهي وقال : أحسنتَ بارك الله عليك ، هكذا أردتُ ، وهذا بعينه طلبتُ ، ولو تغافلتُ عنك في أول الأمر لما تيقظتَ في الثاني ، فهذا كما ترى ، إعجبَ منه كيف شئتُ !

[شتم الصاحب الأبهري]

ومن رقاعاته أيضاً : سمعته يقول يوماً ، وقد جرى حديث الأبهري المتكلم ، وكان يُكنى أبا سعيد فقال : لعن الله ذلك الملعون ، المأبُون^(١) ، المأفون^(٢) ، جاءني بوجه مكسّح^(٣) ، وأنف مفلطح^(٤) ، ورأس مسفّح^(٥) ، ودقن مسلّح ، وسُرم^(٦) مفتّح ، ولسان مبلّح^(٧) ، يكلمني في مسألة الأصلاح . فقلتُ له : اغرُبْ عليك غضبُ الله ألا ترَح ، الذي يلزم ولا يبرح . بالله يا أصحابنا ! حدثوني أهذا عقل رئيس أو بلاغة كاتب ؟ أو كلام متماسك ؟ لمَ تجنونَ به ، وتتهالكون فيه ؟ وتغيظون أهل الفضل

(١) أبته : اتهمه وعابه والأبنة : العيب والحقْد .

(٢) أفن وأفن أفناً : ضعف رأيه .

(٣) كسّح وجهه : تكشر في عبوس وكذلك الكلو ح .

(٤) فلطح القرص : بسطه وعرضه ورأس فلتاح ومفلطح ومفريطح : عريض .

(٥) سفّح : سفك وأراق .

(٦) السرم : الدبر .

(٧) بلح : ييس وجف .

به . هل هناك إلا الجدة الذي يرفع من هو أنذل منه ، ويضع من هو أرفع منه .

ولقد حدثت بهذا الحديث أبا السلم الشاعر فأنشدني لشاعر :
سبحان من أنزل الدنيا منازلها
وصير الناس مشنوءاً ومرموقاً
فعاقل فطين أعيت مذاهبه
وجاهل خرق تلقاه مرزوقاً
كأنه من خليج البحر مغترِفٌ
ولم يكن بارتزاق القوت محقوقاً
هذا الذي ترك الأبواب حائرة
وصير العاقل التحرير زنديقا

[حديث المأموني]

وحدثني المأموني عند روايتي هذا الحديث : سمعته أنا يقول على غير هذا الوجه قال : جاءني فلان بهامة مُسطحة ، وأرنبة مُفلطحة ، ولحية مُسرحة ، وفقحة مُسلحة ، وجهة موقحة ، وجمة مقبحة ، يناظرني في المصلحة ، فهمت والله أن أصلبه على باب المسلحة ، وباب المسلحة بالرأي سوق معروفة . وهذا الكلام الثاني هو الأول ، يسفق^(١) ويؤذي ، ويصيح ويهذي ، ويوم ويدعي ، وقاحة وجهلاً ، وازدراء للناس ، وحقراً لكل من يرى من أهل الفضل والأدب والحُرمة والحسب ، وكان كلفه بالسجع

(١) سفق وجهه : لطمه .

في الكلام والعلم عند الجِدِّ والهزل يزيد على كلف كل من رأيناه في هذه البلاد .

[الصاحب والسجع]

قلت للمسيبي : أين يبلغ ابن عباد في عشقه للسجع ؟ قال : يبلغ به ذاك أنه لو رأى سبعة تنحلُّ بها عروة الملك ، ويضطرب بها جبل الدولة ، ويحتاج من أجلها إلى غرم ثقيل ، وكلفة صعبة ، وتجشم أمور ، وركوب أهوال لكان يخفُّ عليه أن لا يُفرجَ عنها ويخليها ، بل يأتي بها ، ويستعملها ، ولا يعبأ بجميع ما وصفت من عاقبتها .

وقال علي بن القاسم الكاتب : السجع لهذا الرجل بمنزلة العصا للأعمى ، والأعمى إذا فقدَ عصاه فقد أقعدَ ، وهذا إذا ترك السجع فقد أفحم .

[استرقاع ابن العميد الصاحب]

وقلت للخليلي : كيف كان ابن العميد أبو الفضل يقدم هذا ويرشحه ، وهذا عقله ولفظه وشمائله ؟ فقال : كان يسترقه ويضحك منه ، ولا يفتأ ، لأنه كان تحت تدبيره ، والرقاعة الخالية من القدرة مقبولة ، وإنما تضاعف اليوم حديثه في الرقاعة لأنه أصبح بسيط اللسان بالدولة ، مُطاع الأمن في القريب والبعيد . ونعوذ بالله من جنون موصول بانقياد الأمور ، وطاعة الرجال .

[أبو الفضل بن العميد]

وكان يقول : هو مع هذا الطيش والخفة والتفتل والتثني أفضل من أيه ،

فإن أباه كان ثوراً خوَّاراً ، وحماراً نهاقاً ، وكان أيضاً يقدح ^{١١} ابنه أبا
الفتح ، ويبعثه على الحركة والنطق ، وكان أيضاً مظنوناً به وهو غلام ما بقلَّ
وجهه . قال : وأسباب الجَدِّ عجيبة ، وكما لا يدري الانسان من أين تحقق
ذلك ، كذلك لا يدري من أين يُنال .

[ابن العميد والصاحب]

[١١٤] فقلت للخليلي : أما كان ابن العميد يسمع كلامه ؟ قال : / بلى ، وكان
يقول : سجعُه يدل على الخلاعة والمجانة ، وخطه يدل على الشلل والزمانة ،
وصياحه يدل على أنه قد غلبَ بالقمار في الحانة ، وما نظرت إليه قط في
وقت إلا خِلْتُ أنه قد سقاه الغباوة دواء مذساعة ، وهو أحقُّ بالطبع
إلا أنه طيب ، وإن كان له يوم تضاعفُ حمقه ، وذهب طيبه ، وضرَّ
أهل النعم والمروءات والأدب بالحسد والكِبَر والإعنات.

[طالع الصاحب]

قلت للخليلي : هل عرفتَ طالعَه ؟ قال : حدثني أصحابنا منهم
المهرَوي أن طالعَه الجوزاء « كط » ، والشعرى اليمانية « كظ » وكان
زُحلُّه في الحادي عشر في الحمل « كح » ، والقمر فيه « بط » ، والشمس
في السنبلة « نح » ، والزهرة فيها « بي » ، والمشتري في الميزان « كد » ،
والمريخ في العقرب « ن » وسهم السعادة في القوس « يد » ، وسهم الغيب في الجدي
« يذ » ، والرأس في الثالث في الأسد « با » . قال : وخفي عليَّ عطارِد ،
وذكر أنه ولد سنة ثلاثمائة وستٍ وعشرين من الهجرة لأربع عشرة

(١) قدح في عرضه : طعن في عرضه وعابه وتقصه .

ليلة بقيت من ذي القعدة « روزشروس » « من ماه شهرير » قلت : فأين ولد ؟
فقال : كان عندنا أنه ولد بطالقان ، وقال لنا قوم بل بإصطخر ، وقال
لي غير الخليلي : كان عطاردي في السنبلة « ط . ي » .

[التوحيددي عند الصاحب]

و كنت بالريّ سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وابن عباد بها مع مؤيد الدولة
قد وردا في مهمات وحوائج ، وعقد ابن عباد مجلس جدل ، وكنا نبئتُ عنده في
داره بباب سين ، ومعنا الضرير أبو العباس القاضي ، وأبو الجوزاء الرقي ،
وأبو عبد الله النحوي الزعفراني وجماعة من الغرباء .

[الصاحب والشاب السمرقندي]

فراى ليلة في مجلسه وجهاً غريباً صاحب مرقعة ، فأحب أن يفروه ويعرف
ما عنده ، وكان الشاب من أهل سمرقند زعم أنه يُعرف بأبي واقد الكرايسي ،
فقال له : يا أخا انبسط واستأنس وتكلم فلك منا جانب وطيء ومشرب
روى ، ولن ترى إلا الخير . بيم تُعرف ؟ قال : أعرفُ بدقائق ، قال :
تدقُّ ماذا ؟ قال : أدقُّ الخصم إذا زاغ عن الحق ، فلما سمع هذا تنكّر
وعجب ، لأنه فجىء ببديعة ، فقال له : دَعْ ذا [و] تكلم قال : أتكلم
سائلاً ؟ والله ما بي حاجة إلى مسألة ، أم أتكلم مسؤولاً ؟ فوالله إني لأكسلُ
عن الجواب ، أم أتكلم مُقررأ؟ فوالله إني لأكره أن أبدد الدُرَّ في غير موضعه ،
وإني لكما قال الأول :

لقد عجمتني العاجات فلم تجد

هلعاً ولا لينَ الجسّة في العجم

وكاشفتُ أقواماً فأبديتُ وصمهمُ

وما للأعادي في قناتي من وصمٍ

فقال له : يا هذا ما مذهبك ؟ قال : مذهبي ألا أقرُّ على الضيم ، ولا أنامَ على الهوّن ، ولا أعطي صمتي لمن لم يكن وليّ نعمتي ، ولم يصلِّ عصمته بعصمتي . قال : هذا مذهب حسن ، ومن هذا الذي يأبى الضيم طائِعاً ، ويركب الهوّن سامعاً ؟ ولكن ما نَحَلْتُكَ التي تنصرُها ؟ قال : نَحَلْتُ طوية صدري ولستُ أَتَقَرَّبُ بها إلى مخلوق ، ولا أنادي عليها في سوق ، ولا أعرضها على شاك ، ولا أجادلُ عليها المؤمن . قال : فما تقول في القرآن ؟ قال : وما أقول في كلام رب العالمين الذي يَعِجْزُ عنه الخلق إذا أرادوا الاطلاع على غيبه ، وبحشوا عن خافي سرِّه ، وعجائب حكمته ، فكيف إذا حاولوا مقابلته بمثله ، وليس له مثْلٌ مظنون ، فكيف عن مثل مُتَيْقِنٍ ؟ قال ابن عباد : صدقتَ ، ولكن أُمُخْلوقٌ هو أم غير مخلوق ؟ فقال : إن كان مخلوقاً كما تزعم فماذا ينفعُك ؟ وإن كان غير مخلوق كما يزعمُ خصمُك فماذا يضرك ؟ فقال : يا هذا أبهذا العقل تناظر في دين الله ؟ وتقوم على عبادة الله ؟ إن كان كلام الله ينفعني إيماني به وعملي بحكمه ، وتسليمي لمشاياه ، وإن كان كلام غيره ، وحاشا لله من ذلك ، ضرّني . فأمسك عنه ابن عباد وهو مَغِيْظٌ ، ثم قال له : أنت لم تخرج من خراسان بعد ، فكث الرجل ساعة ثم نهض ، فقال له ابن عباد : إلى أين يا هذا ، قد تكسّر الليل ، بت هاهنا . قال : أنا بعدُ لم أخرج من خراسان كيف أبيتُ بالريّ ، وخرج فارتاب به ابن عباد فقفتاه بصاحبٍ له ، ووصّاه بأن يتبع خطاه ، ويبلغ مداه من حيث لا يفتنُّ له ، ولا يراه ، فما راغ الرجل عن باب ركن الدولة حتى دخل ووصل في ذلك الوقت الفائت إليه ، فقيل لابن عباد ذلك فطار نومُه من

عينه وقال : أيُّ شيطان هبط علينا ، وأحصى ما كنا فيه بيننا ، وبلغ أربه منا ،
وأخذ حاجته من عندنا بلسان سليط ، وطبع مريد.

[ركن الدولة والخراساني]

فحدثني الهروي وكان يبيت عند ركن الدولة أن ركن الدولة قال
للخراساني : كيف رأيت ابنا ؟ قال : رأيت وجهه وجه خنزير ، وعقله عقل
سنور ، وكلامه كلام مبرسم ، وحرته حركة مخنث ، ونظره نظر
فاجر ، ورأيه رأي موسوس ، وأعضائه أعضاء مفلوج . ولقد عشنا
وتعشنا معنا فما زال / يذكر القدر والخبز ، والأدم والبوارد ، والغضائر^(١)
والمطابخ، حتى عرقت جباهنا من الحياء والانخزال ، واسترخت أيدينا من
الخجل ، فقال له ركن الدولة : لو علمت أنك هكذا تنقلب عن مجلسه لما
أذنت لك في لقائه، ولكن قد فات . قال الهروي : وكان هذا الكرايسي عيناً
لركن الدولة بخراسان ، فلذلك كان قريباً منه ، وكان أحد رجالات الدنيا ،
ولم يتمكن من مكائده .

[مقارنة بين الصاحب وابن العميد]

وقلت للخليلي : بما انفرج ما بين هذا الرجل أعني ابن عباد وصاحبكم، أعني
أبا الفتح ذا الكفاءتين؟ فقال : كان صاحبنا غريباً ، صعب القياد ، شديد
الزهو ، وهذا على رقايته التي ترى ، ولم يكن بينهما عاقل يرأب المصدوع ،
ويصل المقطوع ، ويرفع الموضوع ، ويضع المرفوع ، ويرد هذا عن حدته

(١) الغضائر : مفردا غضارة ، وهي القصعة الكبيرة .

بلسانه ، وكيف ذاك عن تيمه واعتنانه (١) ، وقد كان ركن الدولة يكتنفهما بظله ، ويكفهما بفضلها ، ويخفض لهما جناح إحسانه ، ويمزج بينهما في استخدامه، ويجمعهما على طاعته بصحة رأيه ، وحسن مداراته ، ونفوسهما على ذلك تغلي ، وصدورها تفيض ، والألسنة تكتفي ، والحواجب تتغامز ، والشفاه تلتوي ، والأعين تحتلج ، والوشاة تدب ، والزمان يعمل عمله ، فلما مضى سائسهما تفارقا الفرحة ، وتنازعا الرتب ، فكان ما كان. قلت : ما الذي كان ينقم هذا من ذاك ، وذاك من هذا ؟ فقال : كان صاحبنا يقول : أشد ما علي أن خصمي معلم مأبوت ، وكان هذا يقول : كيف أسامي حدتاً صغير الرأس ، كليل اللسان، قليل الهمة ، الخير عنده حرام (٢) ، والدرهم في نفسه رب ؟ وكان ينشد فيه :

فَيَمْنَعُ الطَّعَامَ لَا يَمْنَعُ الْحُرْمَ
فَيَجْمَعُ النِّسَاءَ الْحِلَّ ، وَالْمَطْبِخَ الْحُرْمَ .
فهذا هذا .

[كتابة الصاحب]

قلت لأبي عبيد الكاتب النصراني ببغداد ، وكان سهل البلاغة ، حلو اللفظ ، حسن الاقتضاب ، غريب الإشارة ، مليح الفصل والوصل : كيف ترى كتابة ابن عبّاد ؟ فقال : هي شوهاء ، فيها شيء في غاية التقبح ، وفيها شيء في غاية الركاكة ، وبينهما فتورٌ راكدٌ بمذاهب المعلمين الحمقى المتعاقلين أشبه منها بمذاهب السلف الأولين من الكتاب وأصحاب

(١) العتن : عتته يعتنه : دفعه دفعاً شديداً عنيفاً ، واعتن على غريمه : اذاه وتشدد .

(٢) في الأصل « حر » ولعل الصحيح ما أثبتناه .

الدواوين . قال : السجع الذي يلجج به هو مما يقع في الكلام ، ولكن ينبغي أن يكون كالطراز في الثوب ، والصنفة^(١) في الرداء ، والخط في القصب^(٢) ، والملح في الطعام ، والخال في الوجه ، ولو كان الوجه كله خالاً لكان مقلياً . قال : وبديعُه في هذا الفن لا يستر ركاكته في سائر فنون الكلام ، فان فنون الكلام محصلة على التقريب بين البدد والسجع ، والوزن وما يسميه قوم تجنيساً وتطبيقاً . قال : ومنها شيء يجب أن يسمى المسلسل وأمثله في كلام أبي عثمان موجودة . ثم قال : والذي ينبغي أن يهجر رأساً ، ويُغَبَّ عنه جملة التكلف والاعلاق ، واستعمال الغريب والعويص ، وما يستهلك المعنى أو يفسده أو يحيله ، وينبغي أن يكون الغرض الأول في صحة المعنى ، والغرض الثاني في تخير اللفظ ، والغرض الثالث في تسهيل النظم وحلاوة التأليف ، واجتلاب الرونق ، والاقتصاد في المواخاة ، واستدامة الحال ليستمر الثاني على الأول ، والثالث على الثاني ، وأن تتوقى الفضاء الذي يعرض بين الفصل والفصل . قلت : ما معنى الفضاء ؟ قال : عدم الرباط بين المتقدم والمتأخر وهو النبوء العارض في النفس عند سماعه وتحصيله : قال والهجنة التي ليس بعدها هجنة ، والركاكة التي ليس فوقها ركاكة الولوع بالغريب وما يشكّل فيه الاعراب ويتجاذبه التأويل ، فان هذا وما شاكلة كلفة على النفس عند سماعه ، ومؤونة على الطبع عند تخييره ، ومشقة على اللسان عند اللفظ به .

(١) في الأصل الصنيفة والصنفة : حاشية الرداء والثوب أو جانبه الذي لا هذب له أو الذي فيه هذب .

(٢) القصب : ثياب ناعمة كتان .

[الأسلوب المثالي]

ثم قال : فخيرُ الكلام على هذا التصفح والتحصيل ما أيده العقلُ بالحقيقة ، وساعده اللفظ بالركة ، وكان له سهولةٌ في السمع ورَّيعٌ في النفس ، وعدوبة في القلب ، وروح في الصدر ، وإذا وردَ لم يُحجب ، وإذا صدر لم يُنس ، وإذا طال لم يُمل ، وإذا قصرَ لم يُحقر ، له غنجٌ كغنج العين ، ودلٌّ كدلِّ الحبيب ، ولذة كلذة الغناء ، وانقياد كانقياد الذليل ، وتيهٌ كتيه العزيز ، وجشٌّ كجشٍّ^(١) الغانية ، ووقار كوقار الشيخ ، وحلاوة كحلاوة العافية ، ولين كلين الصبيب^(٢) ، وأخذٌ كأخذ الخمر ، وولوجٌ كولوج النسيم ، ووقعٌ كوقع القطر ، وريح كريح العطر ، واستواءٌ كاستواء السطر ، وسبكٌ كسبك التبر ، يجمع لك بين الصحة والبهجة والتمام ، فأما صحته : فمن جهة شهادة العقل بالصواب ، وأما بهجته : فمن جهة جوهر اللفظ ، واعتدال القسمة ، وأما تمامه : فمن جهة النظم الذي يستعير من النفس شغفها ويستثير / من الروح كلَفَها.

[١٥]

[أنواع الكتاب]

ثم قال : قال ابن الربيع : الكتاب سبعة : الكامل ، والأعزل ، والمبهم ، والرقاعي ، والمخيل ، والمخلط ، والسكَّيت^(٣).

(١) الجش : الصوت الخفي .

(٢) الصبيب : المصوب والغسل الجيد .

(٣) السكَّيت : آخر خيل الحلبة ، وإنما قيل له سكَّيت لما يعلو صاحبه من الذل والسكوت .

فأما الكامل : فهو الذي له في الانشاء والاملاء حظ .
والأعزل : الذي يُعْمَل ولا يكتب .
والمبهم : الذي يكتب ولا يُعْمَل .
والرقاعي : الذي يبلغ في الرقاع حاجته ، ولا يصلح لعُظَم الكتابة .
والخيل : الذي له عارضة ، وبيان ، ورواية ، وانشاء ، ويُعرف بالآداب ، ولا طبع له في
الكتابة ، وإذا كان عاقلاً صلحَ لمُنادمة الملوك .
والخُلُط : الذي يُرى له في الكتاب الواحد بلاغةٌ جيدة ،
وفدامة ^(١) عجيبة .
والسُكَيْت : المتخلف المتبذل ، وربما جاء بالشيء المحتمل إذا
تَعَنَّى ^(٢) فيه .

[مكان الصاحب]

قلت له : فمن أيهم ابن عبّاد ؟ قال : هو مُشْكَل ، لا يجوز أن تهضمه
فتضعه في أسفل سافلين ، ولا يجوز أن تغلط فيه فترفعه إلى أعلى عليين ،
ثم تضعه بين هذين أين شئت ، على أنه على كل حال جَبَلِيٌّ ! قلت له : قد
استمرّ قولك بما لو كان تصنيفاً لك لساغَ وبقي تمامه في كلمة ، هذا وقت
المسألة عنها ومعرفة الحال فيها ، قال : قلّ فقد استرسلنا في الحديث
وتبأثنا كل ضمير .

(١) القدم : العي عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم وفطنة .

(٢) عنا يعنو : بذل مشقة .

[رأي في القرآن]

قلت : كيف ترى كتابنا، أعني القرآن، وأنت رجل قد أشرفت على غاية هذا الباب ، واستوعبت جميع ما فيه ؟ قال: ذاك كلام ليس فيه أثر للصنعة ، ولا علامة للتكلف ، وهو كلام منسكب انسكاباً ، وجارٍ جرياً ، يزيد لطفه على الطبع بقدر ما يزيد الطبع على التصنع ، قليلاً كثير ، وكثيره غزير ، ومعناه أقوم من لفظه ، ولفظه أرشق من وزنه ، ووزنه أعدل من نظمه ، ونظمه أحلى من نثره ، ومجموعه أبهى من مفرداته ، ومفرداته أظرف من مجموعته ، وبعضه أغرب من كله ، وكله أعجب من بعضه ، وهو شيء يستوي فيه تعجب الجاهل وتخير العالم ، ويستعلي الذهن ، ويستغرق الفهم ، ويحجب الرؤية عن الإدراك ، ويردّها إلى البديهة في التسليم . وهذا يصح ويبين لمن كان ذا أداة تامة ، وعقل ثابت ، وعلم غزير ، وطبع سجيح ^(١) ، وبصر بالجوهر صحيح ، ومعرفة بالصورة والصورة ، وتمييز بين الحال والحال، ورفق ^(٢) فيما تريد البيان عنه ، لا تحمله ما لا يطيق ، ولا تحتمل له ما لا يجب ، ويكون في جميع ذلك كالطبيب الخاذق ، والناصح المشفق .

قلت له : أفما يكون هذا كله ، وما هو عتيد عندك داعياً إلى الإيمان به ، والتصديق لصاحبه ؟ فقال : أتراني لا أنصح لنفسي في قضاء الحق عنها مجتنباً للسعادة ، كما أنصح لها في اقتضاء الحق لها مكتسباً للزيادة ؟ بلى والله ! ولكن وراء هذا ما يُشكل ، ويُعضل ، ويُطول ، ويُملّ .

(١) السجيح : اللين السهل .

(٢) الرفق بالكسر : ما استعين به .

وكان هذا الرجل ممن يدوّن كلامه كما يدوّن كلام أبي هلال الصائبي^(١) ، [قال ينصح] صاحباً له : يا هذا انفع صاحبك على كل حال وإن ضرّك ، وزينته وإن عرّك ، وحسن به ظنك وإن غرّك^(٢) .

[ولع الصاحب بالسجع]

ومما يدلُّ على ولوع ابن عباد بالسجع ، ومجاوزه الحدّ فيه بالافراط ، قوله يوماً : حدثني أبو علي بن باش ، وكان من سادة الناس . جعل السنين شيئاً .

ومرّ في الحديث وقال : هذه لغة ، وكذب ، وكان كذوباً . وكان أبو مالك مرة^(٣) بين يديه ، [فقال له :]^(٤) إنما أنت خط وخط فقط ، وقبّت^(٥) أطرافه بحركاته تخنثاً وتأنثاً .

وقال لعبد الله المعلم وقد أنشده : يا عبد الله أنت طويل النفس ، عتيق القوس ، شديد المراس . وقال لشيخ من خراسان في شيء جرى . والله لولا شيء لقطعتك تقطيعاً ، وبضعتك تبضيعاً ، ووزعتك توزيعاً ، ومزعتك تمزيعاً ، وجزعتك تجزيعاً ، وأدخلتك في حر أمك ، ثم وقف وقفةً وقال : جميعاً .

(١) أبو اسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الصائبي ولد سنة ٣١٣ هـ .
نابعة عصره في الأدب والانشاء تولى دواوين الرسائل زمن البويهيين كان متعصباً لدين الصائبة
وكان الصاحب بن عباد يحبه ويتعصب له توفي سنة ٣٨٣ هـ .

(٢) يبدو أن في الأصل نقصاً .

(٣) في الأصل « أنت » ولعله غلط من الناسخ .

(٤) في العبارة نقص ولعل الصحيح ما أثبتناه .

(٥) كذا في الأصل .

ومُلَحَّحُ هذه الحكاية ينتثر في الكتابة ، وبهاؤها ينقص بالرواية دون مشاهدة الحال ، وسماع اللفظ ، وملاحظة الشَّكْلِ في التحريك والثني ، والترنُّح والتهادي ، ومدِّ اليد ، وليّ العُنُق ، وهزُّ الرأس والاكتاف ، واستعمال جميع الاعضاء والمفاصل .

وقلت لابن القصار الفقيه : لو ناظرته ، وكان يذهب مذهب القلاسي . فقال : الرجل كلف بالمذهب ، والكلفُ لا يُفْهَمُك ما يقول استكباراً عليك ، ولا يَفْهَم ما تقول استحقاراً لك .

[صورة هزلية]

وطلع عليٌّ يوماً في داره ، وأنا قاعد في كسر رواق أكتب له شيئاً قد كأدني^(١) به ، فلمّا أبصرته قمت قائماً ، فصاح بحلق مشقوق أقعد فآلور أقون أحسُّ من أن يقوموا لنا ، فهمت بكلام فقال لي الزَّعْفَرَاتِيّ الشاعر : احتمل فإن الرجل رقيقٌ فغلب عليّ الضحك ، واستحال الغيظ تعجباً من خِفَّتِهِ وسُخْفِهِ لَأنه قال هذا وقد لَوَى شِدْقَهُ ، وشَجَّ أَنْفَهُ ، وأمال عنقه ، واعترض في انتصابه ، وانتصب في اعتراضه ، وخرج في مَسْكٍ مجنونٍ / قد أفليت من دَيْرِ جنون . والوصف لا يأتي على كُنْهِ هذه الحال لأن حقائقها لا تدرك إلا باللاحظ ، ولا يُؤْتَى عليها باللفظ ، أفهذا كله من شمائل الرؤساء ، وكلام الكبراء ، وسيرة أهل العقل والرَّزَانَةِ؟ لا والله ! وتَرَبَّأَ لمن يقول غير هذا .

[١٥ب]

(١) كأده بالشيء : كلفه به .

[مخازي الصاحب]

وسمعت الخثعمي الكاتب ، كاتب علي بن كاهن يقول : مارأيت في طول عمري ، مع علو سني ، وكثرة تجاربي ؛ وشدة تتبعي رجلاً أجمع لمخازي والمقايح والرقعات والجهالات والخساسات والفواحش والخبائث من ابن عبّاد ، أفيل الناس رأياً إذا ارتأى ، وأذككهم عن الخصم إذا تراءى ، وأقلهم وفاء لمن جعله الله ولي نعمته ، وأوقحهم وجهاً مع كل إنسان ، وأحدّهم لساناً بكل خنّ وفحش ، وأحسدّهم لنظير ، ولن دون النظير ، وأسعاهم بالفساد على الصغير والكبير ، وأخطبهم^(١) على الدين وأضرّهم للمسلمين ، وأفجرّهم من بين العالمين . فقلت له : ما الذي يمدّه على ما هو فيه ، وبأي شيء يطرد له ما هو عليه ؟ فقال : لم يبقَ فيمن فوقه من ينتقد ، ولا فيمن دونه من يزاحم ، فقد خلا له الجو فهو يبيض ويصفّر ، ويتمطّي ويبيوع^(٢) ، ويقول سبعاً في ثمان ، لم يذلّ لأحد وذلّ له كلُّ أحد ، وأمر كل إنسان وما نهاه إنسان ، وضرّع إليه كلُّ محتاج وما احتاج إلى غيره ، نشأ على البطر والخبون^(٣) ، وعلى الخلاعة والمجون ، فهذا وأشباهه فسدت أخلاقه ، ومساء أدبه ، وبذو لسانه ، ووقع وجهه ، وغلط في نفسه غلطاً شديداً ، وأعجب بعريته إعجاباً بعيداً ، وهكذا يفسد كلُّ من فقّد الخطّيء له إذا

(١) كذا في الأصل ولعلها من الخطب ، وهو الأمر المكروه .

(٢) باع ، يبيع : بسط يده ومد باعه .

(٣) رجل أجنب : منتفخ البطن خلقة أو من داء ، وبه حبن وقد أجنبه كثرة أكله

أو داء اعتراه وخرجت به حبون وهي دماويل مقيحة .

أخطأ ، والموبخ له إذا أساء ، والمقوم له إذا أعوج ، لا يسمع
إلا : صدق سيدنا ، وأصاب مولانا ، وما له في الزمان ثلث ، ولم
يُعرف فيمن تقدّم له نظير ، رجل هذه المملكة الواسعة العريضة على ما ترى
من التمكن والاستعلاء وهو لا يحصل شيئاً من خراجها وعمارتها ،
ولا ينظر في مصلحتها ومفسدتها ، ولا يعرف المختلس منها ولا الضائع ، بين
الناظرين فيها أعمال بائرة ، وبلاد غامرة ، وأموال محتجّنة ، وطمع
مستحكم ، وضعف غالب ، وعدو راصد ، ووقت فائت بالفرص ،
وخوف مؤذن بسوء العاقبة ، وهو قاعد في صدر مجلسه يقول : قال
شيخنا أبو علي وأبو هاشم ، تارة يتطلّس ويتعمّم ويتلجّى وينظر العامة
هذا البقال ، وهذا الخبّاز ، وهذا الخلقاني^(١) ، وهذا الاسكاف
بالفارسية إما بالدرية وإما بالرازية وإما بغيرهما ، ويرى أنه في شيء مهم ، وأنه
في نشر مذهب ، ونصرة دين ، وتارة يناغي هذا الأُمرد ، ويعاتب هذا
الخدّام ، وينشد الشعر البارد الذي يورث الفالج :

أبا يوسف إن العثانين آفة^(٢)

على حاليها فاتخذ الحية قصدا
ولا تك مشغوفاً بسحب فصولها
ولا تولها إلا الإبادَةَ والحصدا

وينشد :

قد استوجب في الحكم سليمان بن مختار

(١) أخلق الثوب : يلي والخلقاني : بائع الثياب العتيقة .

(٢) العثانين : مفردا عثنون وهو اللحية .

بما طوّل من حيّــــــــــــــــته التحريق بالنار
أو التنف أو الجزّ أو النشر بمنشار
وقد صار بها شهـرَ من راية ييطار

[نوادر مجونية]

فاذا ملّ الشعر قال : قال سعيد بن حميد لأبي هفّان : لئن ضرتُ عليك
ضربة لأبلغنك الى فيّد^(١) ، فقال أبو هفّان : زدني أخرى تبلغني مكّة
فاني صرورة^(٢) ؟ أتدري يا أبا فلان ما الصرورة ؟ وكم لغة فيها ، وما
أصلها ، وما نظيرتها ؟

ويقول : ضَرَبَ المتوكل على فقّحة^(٣) عبادة فضرط، فقال : ويحك
ما هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين خليفةٌ يُقَرَّع باب قومٍ فلا يحيمونه !
ويقول : مرّ بعلي بن الحسن العلوي رجلٌ عباسي مأبون فقال : من هذا ؟
ف قيل : هذا تيسُ الجنّ ، فقال : ينبغي أن يقال له نعيّة الإنس !
ويقول : جمع مُزَبَّد^(٤) بين قحبة وصديقتها في بيت فتعابها ، فأراد أن
يجامعها فامتنعت وقالت : ليس هذا موضع ذا ، فسمعها مزبّد فقال : يازانية !

(١) فيد : اسم مكان على طريق مكة .

(٢) صرورة : الذي لم يحج .

(٣) الفقّحة : حلقة الدبر .

(٤) مزبّد المديني أبو اسحق من مشهوري أصحاب النوادر والفكاهة والعبث .

قال التوحيدي عند كلامه عن الجاحظ « وإن هزل زاد على مزبّد » معجم الأدباء ٩٨/١٦ ،

فوات الوفيات ٣٠٣/٢

فأين موضعه ؟ أين القبر والمنبر ، والله ما بُني هذا البيت إلا من خدر القحاب
ولا وُزِنَ ثمن خشبه إلا من أثمان نعال اختطفت في شهر رمضان من المساجد ،
وما اشترت أرضه إلا من السرقة ، وما أعرف موضعاً أحق بالزنا فيه منه .
وكان ينشد لابن الحجاج^(١) كل سُخْفٍ ويستجيده ويعجب به . أنشد
له يوماً :

يسألني محمدُ عن أخيه

وعنه وقد بلوتُها شديداً

فقلت : كلا كما جعَسَ ولكن^(٢)

أخوك الحقُّ أكثرُ منك دوداً

ويقول : امرؤ القيس والنابعة يقصّرانِ عن هذا . الفن وينشدُ
أيضاً له :

ومُصرفٍ أنفاسَ ليثٍ خادرٍ^(٣)

يصدُرْنَ عن لهواتٍ كلبٍ رابضٍ^(٤)

(١) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج الكاتب الشاعر الخليلي راجع ترجمته
في معجم الأدباء ٢٠٦/٦ ، يتيمة الدهر : ٣١/٣ ، شذرات الذهب لابن
العماد ٤٢٦/١ .

(٢) جعَسَ : تغوط .

(٣) خدر الأسد في عرينه : لزمه .

(٤) لهوات : مفرد لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الحلق . ربضت .
الدابة : بركت .

ذِي لَبَّةٍ غَرْوِيَّةٍ (١) الرِّبَا (٢) وَذِي
لَحْمٍ مُصَلٍّ (٣) فِي لُعَابٍ حَامِضٍ
رَثَّ الثِّيَابِ يَجْرُ مِنْبَتُهُ دَمًا
فَكَأَنَّا شَفْتَاهُ شَفَرَا حَائِضٍ
لَمْ أَدْرِ مَاذَا قَالَ ، إِلَّا أَنَّهُ
مَا زَالَ يَفْسُوْ ضَرْسَهُ فِي عَارِضِي

[أَحَادِيثُ الصَّاحِبِ]

وَمِنْ أَحَادِيثِهِ السَّخِيفَةِ الَّتِي يَتَنَزَّهُ عَنْهَا الرَّؤُوسَاءُ قَالَ : قَدِمَ أَبُو فِرْعَوْنَ
الْأَعْرَابِيُّ ، / وَكَانَ يُسَمَّى سَلَمَانَ الْبَصْرَةَ ، فَنَظَرَ إِلَى بَعْضِ آلِ الْمُهَلَّبِ عَلَى (٤)
قَدْ فَرَشَ لَهُ ، وَوَصِفَتْهُ أَدْمَاءُ كَأَنَّهَا ظَبْيَةٌ قَائِمَةٌ تَذُبُّ عَنْهُ ، فَجَعَلَ يَحْدِجُ (٥) إِلَيْهَا ، وَيَحْدِثُ
النَّظَرَ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهَا : أَتَشْتَهِيهَا ؟ فَقَالَ : إِي وَالَّذِي خَلَقَهَا ، قَالَ : فَهَلْ لَكَ أَنْ تَكْشِفَ
عَمَّا مَعَكَ بَيْنَ يَدَيَّ وَتَنْكَحَهَا وَأَنَا أَنْظُرُ ، فَانْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَهِيَ لَكَ ، فَلَمَّا أَلْقَاهَا
وَأَخْرَجَ مَتَاعَهُ كَأَنَّهُ عَمُودُ الْبَيْتِ وَبَرَكَ عَلَيْهَا ، صَاحَ بِهِ النَّاسُ زَرْ زَرْ (٦) ،
فَأَكْثَرُوا عَلَيْهِ فَاسْتَحْيَا وَفَتَّرَ وَوَلَّى هَارِبًا وَالنَّاسُ فِي إِثْرِهِ يَصِيحُونَ فَأَخَذَ
بِرَأْسِ مَتَاعِهِ وَقَالَ :

[١٦]

(١) غَرْوِيَّةٌ : مِنْ غَرِي ، وَغَرَا السَّمْنُ قَلْبَهُ لَزَقَ بِهِ مِنَ الْغَرَا وَهُوَ مَا طَلِيَ أَوْ
أَلْصَقَ بِهِ .

(٢) الرِّبَا : الرَّائِجَةُ .

(٣) صَلَّ اللَّحْمُ وَأَصَلَ : أَتَتْ .

(٤) غَيْرُ وَاضِحَةٍ فِي النَّصِّ .

(٥) فِي الْأَصْلِ « يَجْمَحُ » تَصْغِيفٌ .

(٦) زَرْ الْقَمِيصُ : شَدَّ أَزْرَارَهُ وَأَدْخَلَهَا فِي الْعُرَى .

فيا لك من أيرٍ جُزيتَ شراً
أقمتهُ حتى إذا اكفهرًا
واضطربتُ أعراقُهُ ودراً
عادَ إليَّ وجهُهُ مزوراً
أريدُ جواً ويريدُ برًا
كأنَّه صاحبُ ذنبٍ فرًا
كأنَّما ألقمُ شيئاً مرًا
وما عليك أن يقال زراً

وحدثت أيضاً قالُ عبادة : اختصم الحرُّ والجحرُ في الجلدة التي
بينهما ، فكان كلُّ يدعيها فتقدما إلى الأير فقال : ليست لأحدكما ، قالا :
فلمن هي ؟ قال : هي لي إذا دخلت حططتُ عليها رحلي ، وإذا خرجت استرحتُ
عندها من كربي .

وحكى يوماً عن جحظة قال : كانت لي جارية ، فحببتُ ، فقلتُ لها :
يا ملعونة ! من أحببك ؟ قالت : من غرقه يا مولاي !
قال : وقيل لعبادة : لم صار الصقُّ بالقرع على القفا ثقيلًا وفي
الجوف خفيفًا . قال : لأنه ينزل على القفا جملة ، ويدخل
الجوف تفاريق .

وكان ديدنُهُ السخفُ والخلاعة والمجون ، والرواية عن مزبَّد المدني ،

(١) أبو الحسن أحمد بن جعفر البرمكي شاعر وأديب وراوي للأخبار عرف بالجرأة
والاستهتار ولد سنة ٣٤٧ في بغداد ، وتوفي فيها سنة ٤٢١ هـ ، معجم الأدباء ٢/٢٤١ ،
ابن خلكان ١/٤١ ، تاريخ بغداد ٤/٦٥

وأبي الحارث 'جَمِينُز' (١) وعبَّاد وِجَحْظَة وبصلة براليك ومن أشبه هؤلاء .
وكان يضعُ أحاديث من الفواحش على بني ثوابة ويرويها عنهم ، ويسمهم بها ،
وكان القوم معادين منها على ما حدثنا شيوخُ جِلَّة كرماء ، لهم دين
ومروءة ، وكان يتكذب على اليزيديين وغيرهم ، وكان أكثر هذا فيه ،
وإنما كان يتحدث بمثله تبرؤاً ونزاهة ، وكان أدنسَ من الخنزير ، ولثلث
هذه الخصال كتب إليه أبو راغب فتىً من آل أبي جعفر العُتبي الوزير
بخراسان رسالة هتَّكَّه بها ، وأنا أرويها لتعلمَ أني لم أنفرد بتهجينه ،
والنكير عليه ، بل كلُّ حرٍّ كريم ، وكلُّ دينٍ مذكور ، وكلُّ ذي
مروءة ظاهرة معي فيما ثبوت (٢) عنه وكرهته منه ، فإن لم تعبأ بما تسمع
مني فاعبأ لمن لعله عندك أشفَّ مني ، ولا تتسرع إلى عُتبي هذا الرجل بما قد
دونه حتى يتبين الأمر على حقه وصدقه .

[رسالة أبي راغب العتبي إلى الصاحب]

كتب أبو راغب : أصلحك الله أيها الرجل لنفسك ، فانك إذا صلحتَ
لنفسك ، صلحت لقريبك وبعيدك ، أما بعد : فان بُعِدَ صيتك بعثني على
تصفح شأنك ، وتصفحني لذلك وقفي على أحوالِ كرهتهالك ، وأنفتُ
منها لمن بلغ درجتك ، والعيبُ منك مضاعف ، واللسانُ فيك جوَّال ،
والحقْدُ عليك سريع ، ولولا الحال التي أنت عليها من القدرة والتمكن لكان

(١) في الأصل جمين ، ويرجح صاحب القاموس والأغاني جيز . وهو من أرباب
النوادر والفكاهة عاصر الجاحظ ودعبل . الأغاني ٨٣/١ ، الحيوان : ٨٤/٣ ، ١٩٢/٥

(٢) ثنا الحديث : حدث به وأشاعه .

العدرُ يناضل عنك ، والتوبيخ يتبدّد دونك . وما أحسن ما قال شاعر
عصرك في نظمه :

ولم أرَ في عيوبِ الناس شيئاً
كنقصِ القادرينَ على التمام^(١)

قد خوّلك الله ما يفوتُ ذرعَ همتك ، وآتاك ما يتجاوز اشتطاطك ،
في حكمك من المال والثروة والرئاسة والعلم والقوة والمكانة . ولم يخصك
بهذا كله بسابقة لك عنده ، ولا لحقّ لك عليه ، بل كله تفضّل في
الأول ، واختيار في الثاني ، وثواب أو عقاب في الثالث ، ولقد شددت
وسططي في تعرف أخبارك ، واستعنت كل عين وأذن في معرفة ليلك
ونهارك ، فلم أجد في تفصيل ذلك إلا ما يعصّب برأسك العار ،
ويحشد عليك أسباب الدمار ، ويكون عاقبتك منه دخول النار ،
لأنك تظهر القول بالوعيد ، ثم تركب كلّ كبير من أخذ المال المحرّم ،
واستباحة الحريم المصون ، وقتل النفس المؤمنة ، ومساهمة الفسقة
الفجرة ، وخدمة الظلمة العسمة ، وتقديم أهل الجور
والعيارة^(٢) ، وفي 'عشر هذا سقوط المروءة ، والانسلاخ من
الديانة ، فيا أيها المدلّ بالتوحيد والعدل ! أهذا كله في مذهبك
أو في مذاهب أسلافك مثل واصل بن عطاء^(٣) ، وعمرو بن

(١) البيت للمتنبي من قصيدة مطلعها : « ملوكها يجل عن الملام »

(٢) العيار : الكثير التجوال والطواف الذي يتردد بلا عمل يخلي نفسه وهواها .

(٣) أبو حذيفة واصل بن عطاء رأس المعتزلة وإمام المتكلمين في زمنه ولد سنة ٨٠ هـ في

المدينة وتوفي سنة ١٨١ هـ « ابن خلكان ١٧٠/٢ » .

عبيد^(١) ، وأبي موسى المردار^(٢) ، والجعفرين^(٣) ؟ أما كانوا مع بدعتهم التي شافوا بها وجه الاسلام ، وكادوا بها أهله ، مجتهدين في غير ما أنت به راضٍ لنفسك ومصرّ عليها ، باعتذارك أن الله لا يُخادع ، ولا منجاة للعبد إلا بالطاعة الخالصة ، والتوبة النصوح ، هذا إذا كان الايمانُ ساكنَ صدره ، والخوفُ من الله متردداً في أقطار فكره ، واليقين بالمعاد عمودَ دينه ، والعلمُ بالجزاء راسخاً في فؤاده . فأما إذا كان عارياً من هذا كله [١٦ب] / فهو الكافر بعينه الذي سمعت به ، وعاقبة الكافرين جهنمُ يصلونها وبئس المصير .

والله ما حركني لبذ هذا الكلام اليك مَعْتَبَةً عليك ، لأنني لم أُنَجِّعْكَ ، ولم أطمع في مالك ، ولا عرفتَ وجهي ، ولا سمعت باسمي ، لكن أبتُ نفسي أن تقرّ على الجهل بحالك ، وبدُخْلَةٍ^(٤) ما يكون عليه أمثالك فأثرتُ نصيحتك ، فإن النبي صلى الله عليه [وسلم] قال : الدينُ النصيحة ، وما أخوفي أن تكون جرأتك على هتك حُرُمات الدين ، ومعارضة الصالحين مع العُكوف على الخسران المبين ، إنما قويت وثرث لأنك شارد

(١) أبو عثمان عمرو بن عبّيد من شيوخ المعتزلة الأولين توفي بمران قرب مكة سنة ١٤٤ هـ زمن المنصور ، تاريخ بغداد : ١٦٦/٢ — ١٨٨ هـ

(٢) أبو موسى عيسى بن صبيح المردار الكوفي من أشيخ المعتزلة وصاحب طريقة المردارية في الاعتزال ، كان شديد التطرف والمغالاة في عقيدته .

(٣) الجعفران : جعفر بن مبشر الثقفي المتوفى سنة ٢٣٤ هـ وجعفر بن حرب الهمداني المتوفى سنة ٢٣٦ هـ ، من رؤساء المعتزلة وعلماء الكلام في بغداد واليهما ينسب مذهب الجعفرية في الاعتزال .

(٤) الدخلة « مثله » : النية والمذهب وجميع الأمر والخلد والبطانة.

على ربك ، كافرٌ من دين نبيِّك مدَّعٍ له بلسانك ، شاكٌّ فيه بفؤادك ، متعجبٌ ممن له اخلاص ، أو له بالدينونة اختصاص ، والويل لك إن كنت بهذا قانعاً من نفسك في الحال الاولى ، ثم الويل لك مع الشبور إن كنت جاهلاً بما عليك في الحال الأخرى .

حدَّثني ، أيُّ أمر أنت فيه على رشيد ، وآخذٌ منه باحتياط ، ما أنت عليه مع الغلمان المرء الجرد ، أم ما أنت مشهور به من المجانة والسخف ؟ ثم تدعي الاطعام للخاص والعام ، وقد شاهدنا فوجدنا على بابك قوماً يضربون بالمقارع وجوه الناس ، ويحطون على رؤوسهم العذاب طرداً لهم وإبعاداً . أفما هذا بأمرك وعينك وأذنك ؟ فلم تتكلف ما لا تقر به ، ولم تدعي ما لا تسلم فيه ؟ لقد وقفنا عياناً من استخفافك بالأحرار ، ووضعك من ذوي الأقدار ، وكفرك بولي نعمتك ، وتعريك من كل شبهة في أمرك ما لو تنفسنا به بين الناس ، أو رسمناه بالقلم في القرطاس ، لكان ذاك زائداً على تمرد فرعون ، وكفر أبي جهل ، وجرأة ديك الجن (١) . لقد قيست مروءتك إلى مروءات قوم قرنوا بالزندقة ، فوجدت مروءاتهم فوق ديانتك ، ولقد رأينا قوماً لم يتحلوا بالدعوى تحليك استنفدوا قوتهم في طلب مرضاة مؤملهم ومنتجمي قطرهم ، وبلغوا من ذلك المبالغ وأنت مع تمكّنك ويسارك لم تسمح من الشاة بظلفها ، ثم ملأت الدنيا بقباقاً بالامتنان على الصغير والكبير ، كأنك خالق الخلق ، وباسط الرزق .

انظر ! أيها الرجل أيّ آخر سؤالك ، والله إنك شديد الثقة وقد قيل :
ربّ واثق خجل ، أيها الرجل :

ما طار طيرٌ فارتفع
إلا كما طار وقع

(١) عبد السلام بن رغبان الشاعر المحصي المشهور ولد سنة ١٦١ هـ وتوفي سنة ٢٣٥ هـ .

أما تعتبرُ بما آلَ إليه أمرُ ذي الكفاءتين مع ذلك الثأو^(١) والخنزوانة^(٢) ،
أما رأيتَ بعينك في هذه السنين ما يحدوك على الأخذ بالوثيقة لنفسك ،
وكفَّ اليَد عن كثير مما يُوثع^(٣) دينك ، ويهشم أنف مروّتك ،
ويقطع عرق أبوتك ، ويهيجُ الألسنة على تبكيتك ، ويسط الأيدي
في الدعاء عليك ، ويحشو القلوب تمّي زوال دولتك ، فاتعظ
بقول الشاعر :

يا أيُّها الباغي على الأحرار
ثقةً بلينٍ مَقادة الأقدارِ
لا تغترّرْ بمدى تطاولِ حينه
فالظلم يُقصر من خطي الأعمارِ
والعيش نهلةٌ واردٍ ولربما
سُدَّت عليه مدارجُ الإصدارِ

وأختم قولي هذا بما قال بعض السلف لأصحابه . قال : أحذركم
الدنيا ، وأخوفكم يوم التّناد ، يوم لا يُعرف خير أمدٍّ ، ولا ينقطع لشرٍّ
أمدٍّ ، ولا يعتصم من الله أحدٌ .

وأرجو أن تسمع ما صدقتُ القول فيه باتّضاح ، وتعرف ما تؤثيه
بارتياح ، والسلام .

(١) الثأو : التكبر .

(٢) الخنزوانة : الكبر .

(٣) وثع : شذخ .

[نواذر الصاحب]

قال : ويقول أيضاً ، قال أبو العيناء لحجاج الكاتب : ابْنُكَ في أي شيء هو من النحو ؟ قال : هو في باب الفاعل والمفعول ، قال : هو إذاً في باب والديه ! ويقول : قيل لأعرابي : اشترى الأمير سراويل من فَنَّاكَ . فقال : التقى الثريان ^(١) ! ويُنشد :

شيخ لنا يُعرف بالخلدي
يريده في غلظ المردي ^(٢)
أدخلني يوماً إلى داره
فناكني والأير من عندي ^(٣)

[عودة إلى مخازي الصاحب]

قال الخشعمي : وهو في هذا كله على نزق شديد ، وقهقهة عالية ، وتفكك قبيح ، وسيلان منكر ، وشمائل منفرة ، الويل له ! هلاّ ترك هذه السخافات والجماقات على قوم يلبق بهم هذا النمط ، وأقبل على الدولة فنظم مختلفها ، وسدد التي ليس لها محصول ؟ يا قوم ! أيّ دين يصح له وقد

(١) جاء في القاموس المحيط : التقى الثريان ، شعر العانة ووبر الفروة .

(٢) المردي : خشبة للدفع في السفينة .

(٣) رواية يا قوت :

أديننا المعروف بالكرد

يولع بالغلمان والمرد

قتل آل العميد ؟ وأيُّ وفاء يسلم له وقد سمَّ أولاد بُويَّه الذي هو وليُّ
نعمته ، وحافظُ بهجته ، وباسطُ يده ، وبه نال ما نال ، وبلغ ما بلغ ؟
وأَيُّ مروءةٍ تبقى له وهو يمينٌ بالقليل إذا أعطى ؟ وأيُّ كرم يُعتقد فيه
وهو يغرُّ الآمل ، ويسجُبُه على الوعد ؟ حتى إذا انتهى فقراً
وضجراً حرَمَه حرماناً يابساً ، وردَّه ردّاً مرّاً ، وأعطاه شيئاً
قليلاً وقحاً .

[الصاحب وبنو المنجم]

وهل تجد فيمن تقدّم عنده ، ونفق عليه غير ابن المنجم ^(١) ؟ وهو
يعبثُ بلحيته وهامته ، ويسخرُ منه ، ويضحكُ به ، ويعمل له الشعر في
النوروز والمِهْرَجَان وغيرهما ، ويسمعه في نفسه يوم الحفل ، ويطربُ
على إنشاده ويقول : ما أحسنَ شعركَ ، وما أسلسَ طبعك ، ويُعطيه
على ذاك ، ويتقدم إليه بالقيادة ، وبكلِّ ما لا يُحيزه الدين والمروءة ،
وكذلك ابن المنجم الآخر أبو محمد جَبَسُ جاهل ، صلفٌ ، سبيله
وحديثه / أن يقول : وردت على مولانا الصاحب وأنا كالبدْر إذا طلع ،
فَعَشَقَنِي وعشق عِذارِي ، وهامَ بسبي ، ورزقتُ منه ، وخَفَقْتُ على

[١٧]

(١) راجع ما ذكره صاحب اليتيمة عن بني المنجم فقد وصفهم بقوله :
« ... وما منهم إلا أعر نجيب ، ولهم وراثة قديمة في منادمة الملوك والرؤساء ،
واختصاص شديد بالصاحب ... وهم : هبة الله بن المنجم ، وأبو عيسى بن المنجم ،
وأبو الفتح بن المنجم ، وأبو محمد بن المنجم ، وأبو الحسن بن المنجم » اليتيمة ٣/ ٣٩١ ،
الأوراق للصولي : أخبار الرازي والمتقي ٩، ١١٥، ١٣٧

قلبه ، وحظيتُ عنده ، وكان يُعجبهُ مني ما لا يجوزُ التحدثُ به ، وصَدَقَ الخُثُعي في هذا كله . وكان أبو محمد يقول ما هو أكثر مما قال ، وكان مع ذلك في مَسْئِك (١) كلب ، خِسَّةً ، ولؤماً ، ونزقاً ، وطمعاً ، رأيته يوماً وقد كتب لانسَانِ كتاباً بِمِكنَسَة أخذها منه وجعلها في كُمته . وقضى لآخر حاجةً بعشر باذنجانات ، والباذنجان إذ ذاك بالري مائة بدانق .

وقال أيضاً الخُثُعي : وهل يتقدم عنده إلا هؤلاء الهُوج الطغام الذين يجوبون الدنيا ، ويدخلون كل مكان ويسخرون فيقولون : فعل مولانا ، وكان مولانا ، وما رأينا مثل مولانا ، وإن رأى مولانا أمكننا من نسخ رسائله ، وكتب ألفاظه ، فإذا سمع هذا وأشباهه ، ماعَ وسال ، وترجرجَ وذابَ ، وأعطى عليه وجاد .

[علم الصاحب]

وقال أيضاً : كيف تدعي له التبريز في كل علم ، وهو لا يعرف النحو إلا ما جُلَّ منه ، ومن الكلام إلا ما وُضِحَ ، ثم هو في اللغة على تصحيفٍ شديد ، وتخليط كثير ، وفي الأخبار على تمويه لا يخفى على مميّز ، وقد أفسدَ رسائله بطريقة المتكلمين ، وأفسد طريقة المتكلمين بطريقة الكتّاب ، وكذلك النحو واللغة والحديث . وهذا وصف ظاهر لا يدفعه إلا مكابر . وصدق هذا الشيخ ، فاني رأيتُ ابن ثابت البغدادي

(١) المسك : الجلد .

المحدث^(١) وقد سأله عشية يوم عن قول النبي صلى الله عليه [وسلم]
 « قوّموا صفوفكم فتراصوا ألا يتخللكم الشياطين كأنها بنات الحذف
 ما الحذف؟^(٢) فلم يجبه ، وقال : سأقول لك ، وأخذ في حديث آخر
 قال الخثعمي : وهو مع هذا كله يكذب صراحاً في كل شيء ، يقول : كان
 عندنا معلّم وسئل عن يوسف أذكركم هو أم أنثى؟ فقال: يوسف يذكر
 ويؤنث ، ألا ترى إلى قول الله عز وجل : « يوسفُ أعرِضْ عَنْ هَذَا
 واستغفر لي لذنبك^(٣) » وقد اجتمعت له العلامتان . وكان هذا ينسبه
 إلى إنسان معروف بالأدب ، ولكنه كان يحمق ابن عبّاد ويث مخازيه ، وكان
 هذا يضع عليه نواذر باردة .

[ادعاءات الصاحب]

قال : ويقول : دخلت بغداد فلقيت أبا سعيد السيرافي^(٤) ، وعلي بن
 عيسى^(٥) ، والمراغي^(٦) ، وناظرت المراغي في عسى وأعلّ وكاد وغير ذلك

(١) أحمد بن ثابت بن بنية من أهل واسط نزل بغداد وحدث بها ، سمعت منه أحاديث
 سنة ٣٥٣ هـ « تاريخ بغداد ٤ / ٥٨ »

(٢) الحذف : ورق الزرع .

(٣) سورة يوسف .

(٤) الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد السيرافي النحوي تولى القضاء في بغداد وتوفي
 فيها سنة ٣٦٨ هـ « الفهرست ٩٣ » ، ابن خلّكان ١٣٠ »

(٥) أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني البغدادي من كبار
 النحاة في زمنه ، ولد في بغداد سنة ٢٩٦ هـ وتوفي فيها سنة ٣٨٤ هـ « طبقات
 النحويين للزبيدي : ١٣٠ » .

(٦) أبو عبد الله المغلسي المراغي ، اليتيمة ٣ / ٤١٥ ، الامتاع ١ / ١٢٩

فبرزتُ وذكرتُ وأشير إلي بالأصابع ، وُفسح لي في الجامع ، وكذلك
ناظرتُ فلاناً وفلاناً وأفدتهم أكثر مما استفدت منهم .

وسألت أنا أبا سعيد عن هذا فقال : سبحان الله ! وسكت استعظاماً لهذا
الحديث ونفياً له وهو كما أوما إليه .

[الصاحب والعروض]

وقلت للمراغي : أكان لهذا الحديث أصل ؟ فقال : لا والله . وقال
الخشعمي : وهل يدلُّ ولوعه بالعروض إلا على سوء الطبع ، وقلة التأني ،
وكان أخذها عن البديهي ، وإنما ردُّ شعرُ البديهي أيضاً لمثل هذا ، وبلغ من
جنونه عليها ، أعني العروض ، أنه كان يلقيها على كل انسان ، ويطلبُ بها كلَّ
شاعر وكاتب حتى أخذ في هذه الأيام يلقنُ غلاماً تركياً ، وآخر قوهياً (١)
وآخر زنجياً ، وكان يظهر بهذا وما أشبهه الخدق والبراعة والتخريج .

[الصاحب والنحو]

ثم ينظر في كتاب « الفصيح » (٢) و « مختصر الجرمي » (٣) ويقول :

(١) قوهي : نسبة إلى قوهستان وهي كورة بين نيسابور وهراة قصبتها قاین ، وهي
أيضاً بلد بكرمان قرب جيروفت .

(٢) الفصيح تأليف أحمد بن زيد بن سيار المعروف بشعلب ، إمام الكوفيين بالنحو
« ٢٠٠هـ — ٢٩١هـ » .

(٣) الجرمي : أبو عمر صالح بن اسحاق البجلي الجرمي ، فقيه نحوي تتلمذ على الأخفش
كان يقول عن نفسه : « أنا منذ ثلاثون أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه » توفي سنة ٢٢٥هـ
طبقات النحويين للزبيدي ٧٦ — ٧٧

ما رأيت كاتباً يُخطيء إلا من هذا ، ولا يلحنُ إلا من هذا ، وهذا حفظك الله منه مغالطة . إن الكاتب قد يُخطيء من غيرها أيضاً وهو ذاك المخطيء المحرّف إذا وزنت كلامه بالقسطاس واعتبرته بالقياس على ما أوضحه العلماء والنحويون . قال : ومن أراد ذلك ، بينت له ، فليس الباب دونه مغلقاً ، ولا الطريق إليه متعسفاً .

[سخف الصاحب]

ثم قال الخنعمي : وهل مداره إلا على السخف ، والجَبَه ، والمكابرة ، والبهت ، يقول فيمن هو أكتب ، وأعفُّ وأسرى :

‘جحر أبي نصر بن كوشاذ’^(١)

أوسع من مصر وبغداد

قلت له : هل لك في فيئشة^(٢)

فقال مولاي وأستاذي !

ينشد هذا وهو يتطايّر ويفتل يده ويتسبّل ويصفق ! أفهذه مخايل ذوي الأقدار والرئاسة ، أم مخايل أصحاب الرعاع والسفلة .

[الصاحب وأهل القصص والحديث]

وهل شاعَ القولُ بتكافؤ الأدلة في هذه الناحية إلا به ، وكثير المراء والجدل والشكُّ إلا في أيامه ؟ لأنه منع أهل القصص من القصص والذكر

(١) هو أبو نصر خواشاذه الفارسي من رجال العهد البويهى .

(٢) الفيشة والفيش : رأس الذكر .

والزجر والمواعظ والرقائق ، ومنع من رواية الحديث - وقال : الحديث حشو -
وتفسير القرآن ونشر التأويل ، وسماع قول الصحابة والتابعين ، وما يُعْنَى به
من الحلال والحرام ، ويتعلق بجلال الأحكام ، وطردهم ونفاهم ، منهم :
ابن فارس ^(١) والروابي ^(٢) وابن بابويه ^(٣) وابن العطّار ، وابن شاذان ^(٤)
والبخاري وفلان وفلان ، وأجلس النجار ليحدثه الديلم بالزيدية ، ويزعم
أنه على مقالة زيد بن عليّ ورأيه ودينه ومذهبه ، وزيد - يعلم الله - منه
بريء لفسقه وفجوره وتهتكه وظلمه وغصبه ونهيه ، / وقتله النفس المحرّمة ،
وأخذ الأموال المحظورة. أترانا لا نعرف مذهب زيد وأن جميع ما هو فيه مخالف
للدين والاسلام !

وقال الخثعمي ^(٥) : زعم أنه إنما منع المذكّرين والقصاص لئلا
يفشو الحشو والتشبيه ، ولئلا يقيسوا عليه الصغير والكبير ، فهلاّ منع من
الكلام والجدل لئلا يفشو الاتحاد ولا يكثر الشبه .

ثم يجلس لأصحاب الحديث ، ويروي ، ويُفسد ، ويكذب ، ويختلق
الأسناد ، وَيَسْتَك ^(٦) المتن ، فأَيُّ عيب لم يظهر به ، ولم يغلب عليه ، وأيُّ

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس من أئمة اللغة والأدب صاحب المجلد والصاحي في علم اللغة
ولد سنة ٣٢٩ هـ وتوفي بالري سنة ٣٩٥ هـ .

(٢) نسبة إلى روي قرية ببغداد .

(٣) محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي أكبر علماء الشيعة في القرن الرابع ،
له مصنفات كثيرة توفي في الري سنة ٣٨١ هـ .

(٤) ورد ذكره في الامتاع ١/ ١٢٩ ، ١٣٤

(٥) اسمه محمد بن عبد الله أو عبد الله بن محمد ، له من الكتب : الشعر والشعراء ،

« الفهرست ١٥٩ »

(٦) بتك : قطع .

خِزْيٍ لَمْ يَبَيِّنْ وَلَمْ يَكْثُرْ ، وَأَيُّ فَعْلٍ سَيِّئٍ لَا فَعْلُهُ . أَلَيْسَ هُوَ سَبَبُ كُلِّ قَبِيحَةٍ ، وَفَاتِحُ كُلِّ بَابٍ شَرٍّ ؟ فَمَا هَذَا الْعَلَطُ (١) فِيهِ ، وَمَا هَذَا التَّعَصُّبُ لَهُ ؟ وَمَا هَذَا اللَّجَاجُ بِسَبَبِهِ ؟ أَيْنَ الْعَدْلُ الَّذِي يُدِلُّ بِهِ فِي مَذْهَبِهِ أَنْ يَجُورَ وَيَغْضَبَ وَيَقْتُلَ ؟ أُمِّ مِنَ التَّائِبِينَ بِالتَّوْحِيدِ أَنْ يَرْكَبَ الْفَوَاحِشَ ، وَيَأْتِيَ الْقَاذُورَاتِ ، وَيَخْلُو بِالْأَبْنِ (٢) وَالسُّوءَاتِ ، وَيَتَسَنَّمُ الْكِبَارُ الْمَبِيرَاتِ ، ثُمَّ يَبْنِي دَاراً يَسْمِيهَا دَارَ التَّوْبَةِ اسْتِهْزَاءً وَسُخْرِيَةً وَسُخْنَةً عَيْنٍ ؟ أُمِّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ يَتَعَاطَى كُلَّ مُنْكَرٍ قَوْلًا وَفِعْلًا ؟ إِنْ لَأْظُنُّ أَنْ مَنْ يَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ لِأَعْمَى أَصَمٍّ قَدْ أَسْلَمَهُ اللَّهُ مِنْ يَدِهِ ، وَأُلْجَأَهُ إِلَى الشَّيْطَانِ قَرِينِهِ ؛ أُمِّ مِنَ الْعَقْلِ وَالْمَرْوَةِ وَالْكَرَمِ وَالْفَتْوَةِ أَنْ يَقُولَ : أَيْنَ مَائِدَتُنَا مِنْ مَائِدَةِ مَطْرُوفٍ - يَعْنِي أَبَا نَصْرٍ مَطْرُوفَ بْنِ أَحْمَدَ وَزِيرَ مَرْدَوَائِجِ الْجَبَلِيِّ ، وَكَانَ أَكْرَمَ النَّاسِ - وَمِنْ مَائِدَةِ الْمُهَلِّبِيِّ ، وَمِنْ مَائِدَةِ ابْنِ الْعَمِيدِ ! وَأَيْنَ طَعَامُنَا مِنْ طَعَامِهِ ، وَأَيْنَ إِطْعَامُنَا مِنْ إِطْعَامِهِ !

[ابن العميد وابنه في نظر الصاحب]

وَكَانَ أَبُو الْفَضْلِ سَيِّدًا ، وَلَكِنْ لَمْ يَشَقَّ غِبَارَنَا ، وَلَا أَدْرَكَ سِرَارَنَا (٣) وَلَا مَسَحَ عِذَارَنَا ، وَلَا عَرَفَ غَرَارَنَا ، لَا فِي عِلْمِ الدِّينِ ، وَلَا فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى مَنَافِعِ الْمُسْلِمِينَ . فَأَمَّا ابْنُهُ فَقَدْ عَرَفْتُمْ قَدْرَهُ فِي هَذَا ، وَفِي غَيْرِهِ ، طِيَّاشٌ قَلَّاشٌ (٤)

(١) العلط : الذكر بالسوء .

(٢) الأبن : جمع أبنة وهي العيب .

(٣) السرار : محض النسب وأفضله ، وسرارة الشيء : أطيبه وخالسه .

(٤) القلاش والأقلش : المحتال .

ليس عنده إلا قاش وقماش مثل ابن عياش ، والهروي والحواش . يا قوم هذا كلام من له عقل ورجع إلى رزاة ؟ .

[تفاخر الصاحب]

ثم يقول في مجلسه : أنا الذعاف^(١) لمن حساني ، والجرف^(٢) لمن عصاني ، والجحاف^(٣) لمن عناني أو حرّك عناني ، أخمصي^(٤) فوق هامة الدهر ، أين ابن الزيات منا^(٥) ؟ أين ابن خاقان^(٥) من غلامنا ، يعني أبا العباس الضبي^(٦) ، ومن علي بن عيسى الحشوي ؟ ومن ابن الفرات^(٦) الأرعن ؟ ومن ابن مقلّة الخطاط ؟ ومن الحسن بن وهب^(٧) الضراط ؟ هل كانوا إلا دوننا إذا ذكرت سيادتنا ، وشوهدت سعادتنا ؟ ولدت والشعرى في طالعي ، ولولا ربيعة لأدركت النبوة ، وقد أدركت النبوة إذ قتت بالذب عنها ، والنصرة لها ، فمن ذا يجارينا ، ويمارينا ، ويبارينا ، ويعاديننا ، ويضاريننا ، ويُساريننا ، ويُشاريننا ؟ .

(١) الذعاف : ساقى الذعاف وهو السم القاتل سريعاً .

(٢) جحف : جرف .

(٣) أخمص القدم : ما لا يصيب الأرض من باطنها ، وربما يراد به القدم كلها .

(٤) محمد بن عبد الملك المعروف بابن الزيات الوزير الأديب المنشيء «١٧٣هـ — ٢٣٣هـ» .

(٥) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوح أديب وشاعر وزير للمتوكل وقتل معه

سنة ٢٤٧ هـ .

(٦) أبو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات وزير المقتدر بالله العباسي توفي

بالرملة سنة ٣٢٧ هـ .

(٧) الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين ، كاتب وشاعر ، كان معاصراً لأيّ قادم

والبحري توفي سنة ٢٥٠ هـ .

وكاد الخشعي لا يقطع هذا المجلس لطول ما مرّ فيه ، وشدة ما أهمه
منه ، فهذا كما ترى .

[المسيحي والصاحب]

وقلت للمسيحي يوماً : لم انقطعت عن هذا الرجل وقد كان محسناً
إليك ، مقدماً لك ، معجباً بك ؟ فقال : الصبر على الرقاعة معور ،
ومكاذبة النفس وخداع العقل من الكلف الشاقة والأمور الصعبة ، ولعن
الله الرغيف إذا لم يُصَبْ إلا بضعة النفس ، وغضاضة القدر ، وكذ
الروح ، ومفارقة الأدب الحسن ، ودنس العرض النقي ، وتمزيق الدين
المعتقد ، وكسب الزور المحبّط ، وإزالة المروءة الخدومة ، وإني لأكفها
قال الشاعر :

وإني على عُدْمي لصاحبُ همّةٍ
لها مذهبٌ بين الجرّة والنسرِ
وإنّ امرأً دنياه أكبرُ همّه
استمسك منها بجمل غرورِ

[كلام بذوي]

وسمعه يقول لابن ثابت : جَعَلَكَ اللهُ مَن إِذَا خَرَى شَطَرٌ ، وَإِذَا بَالَ
قَطَرٌ ، وَإِذَا فَسَا غَبَرٌ ، وَإِذَا ضَرَطَ كَبَرٌ ، وَإِذَا عَفَجَ (١) عَبَرٌ !

(١) عَفَجَ مِنَ الْعَفْجِ : وَهُوَ مَا يَنْتَقِلُ إِلَيْهِ الطَّعَامُ بَعْدَ الْمَعْدَةِ .

وهذا سُخِفَ لا يليق بأصحاب الفرضة ، والذين مشوا بالمرزفة ، واختلفوا إلى الخندق ودار بانوكه والربد والخلد (١) .

[التقبج عند الصاحب]

وسمعه يقول : أنشدني صقلاب (٢) وابن باب ، وقرأت على ابن البواب ، وسمعتُ من أبي الحُبَاب ، ورويت لأبي المرتاب الدُّبَاب كل شيء عجاب ، ولقد تحيَّر المهلبِيُّ مني ، وعرف معزُّ الدولة فضلي وأدبي ، وأكبر قدري ، وبلغ الحدَّ الأقصى في أمري !

[انكار الجبر]

وأنشدني أبو دُلف الخزرجي عندما رأى من كلفه بالمذهب وإفراطه في التعصب (٣) :

يا بنَ عبَّادِ بنِ عبَّاسٍ سِ بن عبد الله جرَّها
تُنكِرُ الجَبْرَ وقد أخذ رَجَّتْ في العالَمِ كُرَّها (٤)

(١) أسماء أمكنة للفساد والدعارة فيما يبدو !

(٢) ذكره الجاحظ في البيان ونسب إليه البيت الآتي في المعلمين :

وكيف يرجى الرأي والعقل عند من

يروح على أشئ ويغدو على طفل

(٣) نسب البيتان في ياقوت ، وكذلك في اليتيمة إلى السلامي في هجاء الصاحب ، ورواية البيت الثاني في ياقوت : تنكر الجبر وأخرج ت إلى دنياك كرها

(٤) وجره يجره وجرأ : أسمع ما يكره .

[الصاحب وبنو ثوابة]

وكان إذا نشط واهتز لا يُسمع منه إلا حديث عبادة وجحشويه وأمثال هؤلاء ، وكان يضع على بني ثوابة كل حكاية غثّة فاحشة .

[دفع التهم]

وكان إذا أراد أن ينفي عن نفسه ما يُعرف به قال : قيل لقاضي الفساد : نيك الرجال زينة ، فقال: هذا من أراجيف الزناة .

وقيل لابن ماسويه (١) : الباقلسي بقشوره أصح في الجوف، فقال: هذا من طب الجياع! وقيل للوطي: إن اللواط إذا استحكم صار حُلَاقاً (٢) قال: هذا من توليد أصحاب القحاب .

[كلام المجانين]

فأما الذي يدل على كلام المبرسمين (٣) والمجانين ، / ومن قد شهّر بالصرع والماليخوليا (٤) فما سمعته يقول لشيخ خراساني قد دعا به وأكرمه وتوفّر له وكلمه، فسمعته يقول : ما يجب أن يكون لا يقتضي ، وما يكون فيه لا يجب أن يكون ، وقد يجب أن يكون ما يكون ، ويكون ما يجب أن

(١) يوحنا بن ماسويه الطبيب . راجع أخباره في تاريخ الحكماء للقفطي طبعة ليبسك . ٣٨٠—٣٩٠ ، الفهرست ٤١١

(٢) الحلاق : ألا تشبع الأتان من السفاد ولا تعلق على ذلك وكذا المرأة.

(٣) البرسام : التهاب الحجاب الذي بين الكبد والقلب ، والمبرسم من أصيب بالبرسام .

(٤) السوداء Melancolie .

أن لا يكون، وإنما لا يكون ما يجب أن يكون، فيكون ما يجب أن لا يكون، لأن يجب أن يكون ليس في وزن ما يكون ، والكون والوجوب لا يتلازمان، بل يجتمعان ثم يفترقان ، والاجتماع والافتراق عليهما جاريان، فلهذا يرى الواجب كائناً ، والكائن واجباً ، وما أكثرَ من يظنّ أن الكون متضمن الوجوب، والوجوب متضمن الكون ، وتحصيل الفصل بينهما بالنظر من سحر العقل ، وهذا فنّ لم أجد فيه لمشايخنا شوطاً محموداً ، ولعلي أُملي فيه كلاماً بسيطاً بجميع ما يكون شرحاً له إن شاء الله .

[الابتلاء بالصاحب]

فلما خرجنا قلت للخراساني وقد أخذنا في المؤانسة ، وتجادبنا أطراف الحديث كما قال الشاعر :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

وسالت بأعناقِ المطيِّ الأباطح^(١)

كيف سمعت الليلة ذلك الكلام في الكون والايجاب؟ فقال: يا خيتي! إما أن يكون هذا الرجل مرجوماً في أيديكم ، أو تكونوا مرجومين في يده ، أما في بلدكم مارستان ! أما للسلطان شفقة على هذا الانسان ، أما له من يأخذ بيده وينصح له في نفسه ، ويكسح هذا الخرف^(٢) من عقله ، إنا لله وإنا إليه

(١) من قصيدة للمضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى ومطلعها :

وما زلت أرجو تقع سلمى وودها

وتبعد ، حتى ابيض مني المسائح

راجع : أمالي المرتضى ٤٥٨/١

(٢) في الأصل « الحر » ولعل المقصود حرارة الغيظ أو غيره .

راجعون. عُمَّ عليٍّ باسمه عندنا بخراسان (١) به في تلك البلدان، وقد كان والله يلوح خلدٌ كبير لقومٍ من أهل العقل والأدب والحكمة من رسائله وورقائه ، وكانوا يحملون الذنب على الوراقين .

[فلسفة الحق]

وقال يوماً آخر لابن القطّان أبي الحسن الفقيه المتكلم : أيها الشيخ ! أنت على الحق قال : نعم. قال : والله الحق. قال : نعم. قال : فأنت على الله. فقال القصار: الحمد لله على سرعة هذا الانقطاع ، وسطوع هذا البرهان ، ولزوم هذا الحكم . فلما خرج قلنا له : هلاّ فصلت أيها الشيخ وقد عرض بك ، وتضاحك عند الإشارة اليك؟ فقال : وما مناقلي رجلاً لو كان في المارستان مغلولاً لكنت لا آمن جنائيته إذا كلمته ، فكيف وهو مطلق مطاع؟ ونعوذ بالله من مجنونٍ قادر مطاع ، كما نعوذُ به من عاقل ضعيف معصيّ !

ثم قال : وهذا الكلام من صاحبه سوء أدب ، وضعف عقل ، وخسارة نفس ، واجتلابُ مَقْتٍ ، وقلة دين ، إن الحق ، والحق اسمان يقعان بالاشتراك في اللفظ على معنيين مختلفين وأنا على الحق ، ولكن على الحق الذي ضده الباطل ، ولستُ على الحق الذي لا ضده له ، والحقُ يُطلقُ على الله ، ويراد به أنه مُحَقَّقٌ ، والحق يُطلق على ما عَدَاه ، ويراد به أنه مُحَقَّقٌ ، والله الحق الحق المحقق ، وما جاوره فهو الحق الحق المحقق ، وإذا قيل في وجه آخر : الله مُحَقَّقٌ فالمراد به غيرُ هذا ، لأنه يُراد به أنه مُثَبَّتٌ موجود ، ومعتقد مشهود له بالوحدة والقدرة ، والحكمة والمشئّة .

(١) في الأصل : «طوبى» وهي غير واضحة .

[انقطاع الصاحب]

وحدثنا ابن عباد يوماً قال : ما قطعني إلا شباب ورَدَ علينا أصهبان من بغداد يقصدني فأذنتُ له ، وكان عليه مرقعة ، وفي رجله نعل طاق ، فنظرتُ إلى حاجبي ، فقال له وهو يصعد إليّ : اخلع نعلك ، قال : ولم ؟ ولعلي أحتاج إليها بعد ساعة ، فغلبنني الضحك وقلت : أترأه يريد أن يصفني بها ؟

[علي بن الحسن الكاتب والصاحب]

وقال لي علي بن الحسن الكاتب ^(١) : هَجَرَنِي فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ هَجْرًا أَضْرَبِي ، وَكُشِفَ مَسْتَوْرٌ حَالِي ، وَذَهَبَ عَلَيَّ أَمْرِي ، وَلَمْ أَهْتَدِ إِلَى وَجْهِ حِيلَةٍ فِي مَصْلَحَتِي ، وَوَرَدَ الْمَهْرَجَانُ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي غَمَارِ النَّاسِ ، فَلَمَّا أُنْشِدَ يُونُسَ تَقَدَّمْتُ فَأَنْشَدْتُ فَلَمْ يَهْشَ لِي ، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيَّ ، وَكُنْتُ ضَمَنْتُ أُبَيَّاتِي بَيْتًا لَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ عَلَى رُويِّ قَصِيدَتِي ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِ الْبَيْتَ هَبَّ مِنْ كَسَلِهِ ، وَنَظَرَ إِلَيَّ كَالْمُنْكَرِ عَلَيَّ ، فَطَأْطَأْتُ رَأْسِي ، وَقُلْتُ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ : لَا تَلُمْ وَلَا تَزِدْ فِي الْقُرْحَةِ فَمَا عَلَيَّ مَحِيلٌ وَإِنَّمَا سَرَقْتَ هَذَا الْبَيْتَ مِنْ قَافِيَتِكَ لِأَزِينَ بِهَا قَافِيَتِي ، وَأَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَجُودُ بِكُلِّ عِلْقٍ ثَمِينٍ ، وَتَهْبُ كُلَّ جَوْهَرٍ مَكْنُونٍ ، أَتَرَاكَ تَشَاحِنِي عَلَى هَذَا الْقَدْرِ ، وَتَفْضَحُنِي فِي هَذَا الْمَشْهَدِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَصَوْتَهُ وَقَالَ : يَا بُنَيَّ أَعَدَّ هَذَا الْبَيْتَ ، فَأَعَدْتَهُ ، فَقَالَ :

(١) علي بن الحسن بن حَسول أَبُو الْقَاسِمِ كَاتِبُ الصَّاحِبِ ، وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي

طَنَانُ وَاللَّهِ ، يا هذا ارجع إلى أول قصيدتك ، فقد سهونا عنك ، وطارَ
الفكرُ بنا في شأن آخر ، والدنيا مشغلة ، وصار ذلك ظلماً لك ،
لا عن قصد منا ، ولا تعمد ، قال : فاعدتها وأمررتها وأطربت بانشادها ،
وفغرت فمى بقوافيها ، فلما بلغت آخرها قال : أحسنت ! إلزَمْ هذا
الفن فانه حَسَنُ الديباجة ، وكأنَّ البحري قد استخلفك ، وأكثِرَ
بمحضرتنا ، وارتفع بخدمتنا ، وابدل نفسك في طاعتنا ، نكن من وراء
مصالحك بأداء حقك ، والجذب بضبعك^(١) / والزيادة في قدرك على
أقرانك . قال : فلم أرَ بعد ذلك إلا الخير حتى عراه مللٌ آخر فصاد
إلى عادته ، ثم وضعني في الحبس سنة وجمع كتي وأحرقها بالنار وفيها كتب
الفراء والكسائي ، ومصاحف القرآن وأصول كثيرة في الفقه والكلام ،
فلم يميزها من كتب الأوائل ، وأمر بطرح النار فيها من غير تثبت
لفرط جهله ، وشدة نزقه ! أفهذا يا قوم من سيرة أهل الدين أو أخلاق
ذوي الرئاسة أو من جنس ما يعتاد ممن له عقل أو تماسك ؟ وهلاً طرح
النار في خزانة كتبه على قياس هذا ؟ فإن فيها كتب ابن الراوندي^(٢) ،
وكلام ابن أبي العوجاء في معارضة القرآن بزعمه ، وصالح بن عبد القدوس^(٣) ،
وأبي سعيد الخصيري مع غيره من كتب أرسطاطاليس وأشباهه ، ولكن من
شاء حَمَّقَ نفسه .

[١٨ب]

(١) الضبع : العضد .

(٢) أبو الحسن أحمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي فيلسوف متهم بالزندقة وهو أحد
زنادقة الاسلام الثلاثة أبو العلاء المعري وأبو حيان التوحيدي . ولد سنة ٢٠٥ هـ وتوفي في
بغداد سنة ٢٤٥ هـ

(٣) صالح بن عبد الله بن عبد القدوس ، شاعر حكيم متكلم اتهمه المهدي بالزندقة فقتله
ببغداد سنة ١٦٠ هـ .

[الصاحب والأقطع الكوفي]

كان الأقطع المنشد الكوفي يقول كثيراً : لو لم تستدل على جنون هذا الرجل ، وقلة دينه ، وضعف عقله ، إلا بنفائي عليه لكفى ، لأنني رجل قطعتُ في اللصوصية ، فما قولك في لص مقامر ؟ أقودُ ، وألوطُ ، وأزني ، وآثم وأضرب ، وليس عندي من خيرات الدنيا شيء لأنني لا أصلي ، ولا أصوم ، ولا أزكي ، ولا أحج ، ونشأتُ في المساطب والشطوط والفُرَـض^(١) والمواخير ، ومشيتُ مع البطالين سنين وسنين ، وجرحتُ وخنقتُ وطررتُ^(٢) ونقبت و قتلت وسلبت وكذبت وكفرت وشربت وسكرت وشابكت وساكنت وماحت ودامكت^(٣) ، ولم يبق في الدنيا منكر إلا أتيتُ ، ولا خنا إلا ركبت ، وهو على هذا يغري بي ، ويلجُ معي ، ويؤذيني ، ويمعني من الرجوع إلى بيتي وامراتي ، قد حبسني في داره هكذا فإذا اغتسلتُ جلدتُ عميره ضرورة .

وصدق هذا الشيخ ، كذا كان مذهبه وعليه شاخ ، ولكن ابن عباد كان يتعلم منه كلام المكارين ، ومناغة الشحاذين ، وعبارة المقامرين ، ومن بَصُرَ في اللعب بالكعبين ، ويضجر ، ويكفر وينخر ويشق

(١) مفردها فرضة وهي من النهر الثلثة ينحدر منها الماء وتصدر منها السفن ويستقي منها ، ومن الجبل ما انحدر من وسطه وجانبه .

(٢) أطر : أغرى وقطع .

(٣) دمك : أسرع في عدوه .

المُتَزَر ، ويزقُ في الجو ، وكان لا يجد هذا عند أحد كما يجده عنده ،
فلذلك كان يتمسك به .

[نواذر الأقطع]

وكان الكوفيُّ هذا مع ما وصفناه طَبَّيًّا (١) مليحاً نظيفاً ظريفاً فصيحاً ،
وهو الذي حدثنا عن بعض أصحابه في المسطبة قال : قلنا له : إنك تحب
الطيب ، وتلهجُ بالنكاح وتُفِرط . قال : فقال لنا : والله ما أقتدي في هذا
إلا بنبينا صلى الله عليه [وسلم] فانه قال : حُبُّ إليَّ من دُنْيَاكم ثلاثة :
الطيبُ والنساءُ قال : فقلنا له ؟ ففي الخبر : وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة ، وأنت
لا تُصلي أصلاً ، فقال : يا سَمْعِيُّ ! لو صليتُ لكنتُ نبيّاً ، وقد قال صلى الله عليه
[وسلم] لا نبيَّ بعدي !

ورأيت الأقطع هذا واقفاً بين يدي ابن عباد في صحن الدار ، وذاك
أيضاً واقف ، فطلع صالح الوراق فقال ابن عباد حين نظر إليه وإلى
لحيته المشرحة :

ولحية كأنها القُبَاطِي (٢)

فقال الأقطع بلا وقفة :

جعلتها وقفاً على ضُرَاطِي

وكان صالح هذا يقول : أنا من ولد محمد بن يزيد الوزير .

(١) الطب : الحاذق الماهر بعمله .

(٢) القباطي : ثياب من كتان منسوبة إلى القبط .

[حفظ شعر الصاحب]

وكان ابن عباد يطالب الأقطع بأن يحفظ قصائده في أهل البيت وينشدها
الناس على مذهب النّوح ، وكان يعطيه على كل بيت درهماً ، وإذا لم يحكم
ضربه لكل بيت بعصا عَجْرَاء ^(١) ، فكان الأقطع المسكين كل يوم يضرب
فقلت له : من كلّفك الصبر على هذا الضرب إ حفظ كما كنت تحفظ ، وارجع
الدراهم ، وتخلص من الألم فقال : والله لو ضربني بكل عصا في الأرض كان
أخف عليّ من حفظ شعره الغث ، وانشاد قافيته الباردة ، والله ! وإن شعره
في أهل البيت خرا ! فهذا قوله .

[تصرف مشين]

وكان لا يدع الأقطع لينصرف إلى منزله ، وكان يشكو الشبق ^(٢) ،
وكانت امرأته تأتيه في كل قليل إلى دهليز الباب وتغيّر ثيابه ، وتصلح أمره
وتحدثه وتنصرف بشيء معه قد جمعه ، فصادف الأقطع يوماً الدهليز خالياً ،
وكانت الهاجرة منعت من الحركة ، فراودها ، وطرحها في المكان المتخطى
وتقمّمها ، وأخذ في عمله ، فرمقه بعض السّريين فغدا ورفع الحديث إلى
ابن عباد وذكر الحال والصورة ، فهاج من مقيله البارد ، ومكانه الظليل ،
وحشيشته التي قد استلقى عليها حاسراً حافياً قد جعل طرف كفه على رأسه بلا

(١) العصا العجرا : ذات الأبن أي العقد .

(٢) الشبق : اشتداد الشهوة للجماع .

سراويل ، وَلَقَطَ قَدَمَهُ لَقَطًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى الْإِقْطَعِ وَهُوَ يَكُومُ ، يُولِجُ وَيُخْرِجُ وَيَرْهَنْ ذَاهِبَ الْعَقْلِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَقْطَعُ ! وَيْلَكَ يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ إِيشَ هَذَا فِي دَارِي ؟ فَقَالَ : أَيُّهَا الصَّاحِبُ أَذْهَبَ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ النَّظَّارَةِ ، وَهَذِهِ أَمْرَاتِي بِشُهُودٍ عَدُولٍ ، وَعَقْدٌ ، وَقِبَالَةٌ ، أَذْهَبُ أَذْهَبُ [فَأَخَذَ] يَهْذِي وَلَا يَعْقِلُ حَتَّى أَفْرَغَ وَسِيدِي عَلَى رَأْسِهِ يَضْحَكُ ، وَيَصْفَقُ ، وَيَرْقُصُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ وَهُوَ يَشْدُ تَكْتَهُ وَابْنُ عَبَّادٍ يَعِينُهُ وَأَدْخَلَهُ إِلَى / مَقِيلِهِ يَعَاتِبُهُ وَيَسْأَلُهُ عَنِ الْعَمَلِ وَالْحَالِ وَكَيْفَ اسْتَطَابَهُ وَكَيْفَ هَاجَ ، ثُمَّ خَلَعَ عَلَيْهِ وَوَهَبَ لَهُ ، وَوَهَبَ لَأَمْرَأَتِهِ ثِيَابًا وَطَيِّبًا .

[١٩]

أَفْهَذَا مِنَ الْمَرْوَةِ وَالْفَضِيلَةِ وَأَدَبِ الرَّئِيسَةِ وَآيِينَ (١) الْوِزَارَةِ ؟ ! أَهَكَذَا كَانَتْ الْبِرَامِكَةُ وَهُوَ لَا يَرْضَاهُمْ ؟ أَمْ هَكَذَا كَانَ حَامِدُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْحَسَنِ ، وَآلُ الْفَرَاتِ ، وَآلُ الْجَرَّاحِ ، وَهُوَ لَا يَزْنَهُمْ بِشَيْءٍ فَيَمْنُ تَأْخِرُ . إِنْ مِنْ يَسْتَحْسِنُ هَذَا وَأَمْثَالَهُ ، وَيَعْذِرُ أَهْلَهُ فِي الرَّئِيسَةِ وَالْجَلَالَةِ لَضَعِيفِ النَّجِيزَةِ ، سَلِيبِ الْمَرْوَةِ ، وَإِنْ مِنْ يَنْظُرُ هَذَا وَشَبْهَهُ لَصَفِيقِ الْوَجْهِ ، قَلِيلِ الْمَعْرِفَةِ .

[لَحِيمة ابن الزيات المتكلم]

وَقَالَ لابْنُ الزِّيَاتِ الْمُتَكَلِّمُ يَوْمًا فِي مَنَازِلِهِ : لَا تَعْبَثْ بِلَحِيَّتِكَ ! فَقَالَ ابْنُ الزِّيَاتِ : وَمَا عَلَيْكَ مِنْهَا ؟ هِيَ لِحْيَتِي ! قَالَ : أَنَا سُلْطَانُ ! قَالَ : أَفِي عَهْدِكَ النَّظَرُ فِي لِحْيَتِي ؟ قَالَ أَصْحَابُنَا : بَلْ قَالَ لَهُ : أَنَا سُلْطَانُ وَإِذَا خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِي وَلِحْيَتُكَ عَلَى غَيْرِ الشَّكْلِ الَّذِي دَخَلْتَ عَلَيَّ بِهِ ظَنَّ النَّاسُ أَنِّي ظَلَمْتُكَ فِيهَا عِنْدَ الْمَنَازِلَةِ وَالْخِلَافِ ، وَأَنَا أَحَبُّ صِيَانَتِكَ وَصِيَانَتِي عِنْدَ النَّاسِ بِسَبَبِكَ ، قُلْتَ لِابْنِ الزِّيَاتِ بِيَعْدَادٍ : كَيْفَ رَأَيْتَ ابْنَ عَبَّادٍ ؟ قَالَ : هُوَ كَالْحَرِّ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنْ خَرَجٍ مِنْهُ .

(١) آيِينَ الْوِزَارَةِ : الْقَوَاعِدُ أَوْ الْقَوَالِيدُ ، فَارْسِيَّةٌ .

[رأي الجيلوهي في الصاحب]

وقلت للجيلوهي الشاعر ، وكان شيخاً له تجربة ومعرفة بأيام الناس ومشاهد^(١) . حدثني عن ابن عباد قال : مغرور من نفسه لمواتة جدّه ، وتصديق ذوي الأطماع في جميع دعواه ، وما أحوجه إلى أنصاف الناس من نفسه بأحد شيئين : إما بأن لا يدعي الكمال ، أو بأن لا يبكت الرجال ، فلا هو بريء من النقص ، ولا هو غير مستحق للتبكي ، وليس من لا يمكن أن يواجه بالنقص الذي فيه ، وبالتويع الذي يستحقه على فعله ليد له في السلطان قوية ، وشمس له في الدولة طالعة ينبغي أن يركب هام الناس ، ويأكلهم بلسانه ، فريح الدولة قد تركد ، والضعف يزول ، والحشم يتحول ، وقد يقال وراء ظهره ما يربي على ما هو عليه ولو قصر يده على فضله الذي له لم تشلّ ، ولو وقف قدمه عند غايته لم تزلّ ، ولكنه يجري طلقاً ثم يكمبو ، وينصت للقراع ثم ينهبو ، ويتناول إلى ما لا يناله ثم يخبو ، وهذا طريق الجاهلين المغترين ، ثم قال : والكذب من آفاته ، وهو خلق يعثر المروءة ، ويشين الديانة ، ويسقط الهيبة ، ويجلب الخزي ، ويستدعي المقت ، ويقرب الموت ، وقلّ من لهج به إلا كان حنقه فيه ، وما رؤي شيء أحى لنضارة الوجه ، ولهجه العلم ، ولزينة البيان منه . قال : وعلى ذلك فما رأيت رئيساً يحسن ما يحسن من الاحسان ، مردود بالتكّد لانه ما هنأ قط بنعمته ، ولا أمتع بإحسانه ، ولا ترك له يداً بيضاء عند أحد إلا وكرّ عليها بالتسويد .

قال : وقد شاهدت النافقين عليه ، والمتقدمين لديه ، ووقفت على مرادهم ووسائلهم وأسبابهم وذرائعهم فلم أجد فيهم إلا مخشي اللسان استكف شره بالاحسان كالحوارزمي وغيره ، أو مرتبطاً لأمر يراد منه لا يفي به سواء

(١) في الأصل « مشاهده » تصحيف .

كالهمذاني ومن جرى مجراه ، ملعوباً به 'قرب على ظنة وريية ، وحال
زائدة على القبح والفضيحة كفلان وفلان، وهم الدم . ولم أجـد في ضروب
المتوسلين اليه بعد هؤلاء من وصل إلى درهم من ماله إلا يبذل النفس وإزالة
العرض ، ومواصلة البُكور والرواح ، واستنشاق الغبار والرياح ، وتجرع
الغيظ والكـد ، ومزاحمة أهل الجهل والنقص، ومغالبة ذل الحُجَّاب، وسوء أدب
البواب ، والرضا بالهزء والسخرية ، وما ابيضَّت له يد عند أحد ، ولا تمت
له نعمة على أحدٍ لِمَلِكِهِ ، وحسده ، وضجره ، ونكده، وامتنانه وكثرة
ذكره لفضله ، ومدحه لنفسه . والعرب تقول في حكمها : المنة تـزري
بالألـبـاء . على أن عطاءه لا يزيد على مائة درهم وثوب الى خمسمائة، وما يبلغ الى الف
نادر ، وما يوفي على الالف بديع ، بل قد نال به ناسٌ من عرض جاهه على
السنين ما يزيد قدره على هذا بأضعاف ، وعدد هؤلاء قليل جداً ، وذاك
أيضاً بابتذال النفس ، وهتك السـتر ، والافراج عن الدين والمروءة
والعرض والانفة .

[غرور الصاحب]

قال : وأيُّ عقل يكون لمن يقول : لم يكن في الدولتين الأموية والعباسية
مِثْلِي . وهذا الكلام قد دَوَّنَهُ في بعض كتبه ، وقد حكيتُ هذا
بمدينة السلام ، فسمعه قومٌ كرام يرجعون إلى فضل كثير ،
وبصائر حسنة ، منهم ابن البقيال الشاعر^(١) ، ومحسن ابن

(١) ورد ذكره في الامتاع والمؤانسة ٣/ ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢١٣

التنوخي^(١) ، وابن قناش المصري ، فضحكوا وهزئوا وشعَّثوا عرضه
وجحدوا محاسنه التي لو سكت عليها لسانت له ولادَّعى في جملتها أكثر مما
يدعيه لنفسه . ولعمري ما كان له ممن يقدِّم في الدولتين مثله ، ولا شبيهه ،
ولكن في الخلاعة والمجون ، والرقاعة والجنون . قال : ومن العجب أنه
يدَّعي العدل والتوحيد وهو لا يفيق من قتل من ظنَّ / به عداوته ، والوقعة [١٩ب]
فيه ، أو القدح في رقعة له ، وإن كان ذلك الانسان من
الصالحين العابدين .

[ركاكة الصاحب]

ولقد بَلَغَ من ركاكته أنه كان عنده أبو طالب العلوي فكان إذا
سمع منه كلاماً يسجع فيه ، وخبراً ينمقه ويرويه يسلُّق عينيه ، وينشر
منخريه ، ويُري أنه قد لحقه غشي حتى يرش على وجهه ماء الورد ، فاذا
أفاق قيل له : ما أصابك ؟ ما عراك ؟ ما الذي نأبك وتعشاك؟ فيقول :
ما زال كلام مولانا يروقي ويؤتقي حتى فارقي لي ، وزايلني ذهني ،
واسترخت له مفاصلي ، وتحللت عرى قلبي ، وذهلَّ عقلي ، وحيلَ
بيني وبين رُشدي . فيتهلل وجه ابن عباد عند ذلك ويتنفس ويضحك
عجباً وجهلاً ، ثم يأمر له بالمكرمة والحِباء^(٢) والصلة والعطاء ، ويقدمه

(١) المحسن بن علي بن محمد بن داود بن الفهم التنوخي عالم وأديب وشاعر وقاض صاحب
كتاب نشوار المحاضرة ، والفرج بعد الشدة ، والمستجد من فعلات الأجواد . ولد في البصرة
سنة ٣٢٩ هـ وتوفي ببغداد سنة ٣٨٤ هـ .

(٢) الحِباء : العطاء .

على بني عمه وبني أبيه . ومن ينخدع هكذا أفلا يكون ممن له في الكتابة قِسْطٌ ، أو في التماسك نصيبٌ ، وهو بالنساء الرُعن ، والصبيان الضعاف أشبهُ منه بالرؤساء والكبار .

[حديث الشاذبائي]

وحدثني الشاذبائي قال : حُجبتُ مدة عنه فضقتُ ذرعاً بذلك ، فان الجاه الذي كنت مددته انزوى ، والأمر الذي قوِّمته تأوَّد ، وأخذت المادةُ تقف ، والحال تنقص ، والذكر يقلُّ ، فأحييتُ الليلَ أرقاً وفكراً فيما اعتل ، فقدَحَ لي الخاطرُ بحيلةٍ فأصبحتُ وكتبتُ رقعة ذكرت فيها إني رجل امتُحِنْتُ بما لم يُمتَحَن به أحد ، غشيَ بابك ، ونالَ احسانك ، واستمرعَ فِئاءك ، واستحصدَ جنابك .

إني بعد هذا الدأب الشديد ، والنصب المتصِّل ، والقراءة والنسخ ، والبحث والمناظرة ، والصبر والمناصحة ، قد شككتُ في مسائل الأصول الخمسة التي عليها مدارُ المذهب ، وركن المقالة ، وهذه محنة بل فتنة بل شيء فيه هلاكٌ وخُسران عملي وذهاب عمري فالله الله فيَّ ! تداركني فاني من الأموات بين الأحياء ، غريبُ الدار ، خائبُ الأمل ، بائِرُ البضاعة خاسرُ الصِّفَّة ، طلبتُ الزيادة على ما كان عندي ، فأتلُفتُ ما كان معي . قال : فلما قرأ الرقعة قلق في نصابه ، وأقبل على أصحابه وقال : مسكين الشاذبائي ، لقد نزل به أمرٌ عظيم ، وحلَّ به خَطْبٌ جسيم ، دُهيَ في دينه ، وأصيبَ بيقينه ، إنَّ هذا هو البلاء المبین ، عليَّ به ، هاتوا البأس ، ودُعيتُ فأدنانِي ولاطفني وقال : ما هذا الشكُّ الذي اعتراك ، وأين أنت عن القاضي أبي الحسن حتى يحلَّ ذاك .

قلت : لست أثق إلا ببيان مولانا ، ولا عجب من بيانه ، ولكن العجب من انصافه مع سُلطانته ، وحسن اقباله مع أشغاله . قال : فانفسخ عقده ، وابتل شنه ، واستحال ذلك الملل استظرافاً ، وذلك النبوة استعطافاً . وأقبل يقول : هات ! وأنا أهاتيه هكذا أياماً وليالي ، أتأطرو له تارة بالاستحسان والقبول ، وأتعرس عليه تارة بالتوقف والفتور ، ولا أفارق الكيس والحيلة حتى استنفدت قوته وقوتي له ، ثم قبلت أطرافه ، وتباكيت وقلت : يا مولانا ! أسلمت على يدك ، ونجوت من النار بارشادك . فقال : يا أبا علي ! أكثر عندنا ، واقتبس علمنا ، قد ذلنا لك الحجاب ، وتقدمنا بذلك إلى الحجاب ، فاسكن واطمن ، وطب نفساً وارفأناً^(١) ، ولا تقلق فترجحن . قال : فانصرفت من مجلسه قريح العين ، ممدود الجاه ، مملوء اليد ، ونفسي ريثاً بكل أمل ، وتفشحت علي أبواب الرزق ، وجمعت إجابة^(٢) كبيرة خضراء دنانير . قال الجيلوهي : وحديث هذا الرجل ذو شجون ، على أنك إذا أنصفت لم تجد له نظيراً في دهرك ، ومتى بليت به طلبت الخلاص منه ولو بفقرك . قال : وما أخوفني أني اذا دُفعت الى غيره بعده تمنيته فأكون كما قال الأول :

عتبت على بشرٍ فلمّا فقدته

وجرّبت أقواماً بكيت على بشرٍ

هكذا أنشد وغيره ينشد على عمرو ، والصحيح على سلمه . وله حديث .

(١) رفاً : سكن واطمأن .

(٢) الإجابة : إناء تغسل فيه الثياب .

[بين العامة والحجاب]

قال : ومن خواص ما فيه حبه للعامة ، وذلك بقدر بغضه للخاصة ، وقد قال يوماً : أنا أعلم أن الحجاب قبيح وبغيض ، والصبر عليه متعذر ، وهو الذي يورث العداوة الشديدة ، ويبعث على القالة الشنيعة ، ويمحو كل حسنة ، ويهجن كل نعمة ، ويشير كل نقمة ، ويؤدي كل عورة ، ويبرز كل سوء ، وقد دُهي الناس منه قديماً وحديثاً ، لكني أتأذى به ، ولست أجد طعم هذه المرتبة العلية ، ولا أعرف ثمرة هذه الحال السنية إلا بعد أن احتجب ، وتقف الناس على منازلهم بالباب ، وأعلم أن صدورهم تغلي بالغيظ ، وألستهم تجري باليب ، وأهواءهم تأتلف على القلي والبغض ، فإن الحديث ينخرق بكل معنى إلى سوء ، ولكن لا أسمح بحلاوة / الدولة ، وبجلالة الصولة ، وبهيبة المكانة وبما إن سهوت عنه صرت إلى المهانة . قال هذا الشيخ : وهذا قول من قد نص الله على خذلانه ، وأسلمه إلى خيله^(١) ، وأنطقه بلسان إبليس الذي هو عدو الله ، ولا شك أن هذا المذهب من علامات الشقاء في الدنيا ، وآيات الخسران في العاقبة . ولن يقدم عليه إلا من قد سمح بعرضه ، واستهان بشنيع القالة في نفسه وأبيه وعمه وأسرته وجميع من ضرب في مذهبه بسهم ، وشابهه بوجه .

[٢٠]

[حديث ابن التلاج المتكلم]

وحدثني ابن التلاج المتكلم ، وكان ديناً صدوقاً ، قال : العجب أن ابن عبّاد يدّعي أنه قرأ على شيخنا أبي عبد الله البصري^(٢) ، ولقد كذب في

(١) في الأصل : « خوله » ولعل الصحيح ما أثبتناه ، والخلل : الفساد

(٢) راجع : الفهرست ٢٩٤

دعواه ، وفَجَرَ في قوله ، لقد ورد علينا بغداد وهو ينصر ابن كلاب على حد
المبتدئين ، فحمله مسكويه إلى ، ودخل الواسطي عليه ، وفتح باب المذهب له ،
ولم يكن غير ذلك .

وكان أبو عبد الله لا يعرفه ولا يعدّه ، لأنه كان لا يدري ما يكون منه ،
ويصير إليه في الثاني^(١) . وما قدر كُؤَيْتِبٍ يرد مع صاحبه لا سرّ له ، ولا
شهرة ، ولا إفضال ، ولا توسع ، ولا حاشية ، ولا حشم . ودارت
الأيام ، ودالت الأحوال فكتب هذا الشيخ إلى هذا الإنسان بعهد الدين ، وأنا
أبرأ إلى الله من دين هذا عماده .

وكتب هذا إلى ذاك بالشيخ المرشد ، وأي إرشاد كان عنده ، وكيف
يكون مرشداً من ليس برشيد؟ ! وكيف يكون رشيداً من لا يفارق الغي؟ ،
إن كنت تشك في أمره فانظر إلى غلمانه الرازي وابن الغازي ، وابن طرخان ،
والبزاز ، والنصبي أبي اسحاق ، والصيرفي ، والمهمداني ، والدامغاني ،
عصابة الكفر ، ما فيهم من يرجع إلى ورع وتقى ، أو إلى مراقبة وحياء
أو هدى .

[مناظرة في مجلس عز الدولة]

ولقد رأيت أبا عبد الله البصري في مجلس عز الدولة ، سنة ستين في
شهر رمضان . والجماعة هنا أبو حامد المروزي^(٢) ، وأبو بكر

(١) العبارة غير مستقيمة ولعل في الأصل قصاً .

(٢) أبو حامد أحمد بن بشر البصري المروزي القاضي ، عالم وأديب وفقه شافعي
عده ابن خلكان « من أئمة الفقه الذي لا يشق غباره فيه » وهو أستاذ أبي حيان وكان
هذا كثير الإعجاب باستاذة ، توفي أبو حامد سنة ٣٦٢ هـ .

الرازي^(١)، وعلي بن عيسى، وابن زبَّهان، وابن كعب الانصاري، والابهرى، وابن طرارة، وابو الجيش شيخ الشيعة، وابن معروف، وابن أبي شيان، وابن قريعة وناس كثير، وهو في إيوان فسيح، في صدره من حضروا من أجله، وأبو الوفاء المهندس^(٢) نقيب المجلس ومرتب القوم، فسئل البصري عن مسألة فأظهر انه في بقیة علته، وأنه لا يقدر على الكلام، ثم قام علي بن عيسى الشيخ الصالح وقال: هذا مجلس يُبْتَهَى^(٣) بحضوره لشرفه، ويُفْتَخَرُ بالكلام فيه لكثرة من يعرف ويُنْصَفُ، والمغالطة فيه مأمونة، وليس في كل أو أن يتفق هذا الجمع، وبيننا وبين هذا الشيخ يعني أبا عبد الله مسألة من أجلها ومن أجل نظائرها قد استجاز تكفيرنا، وتفسيقنا، والتشنيع علينا، وتنفير المقتبسين منا، وهأنذا قد ابتدأت سائلاً، فليُنصِرْ مذهبه كيف شاء، وانما هو دين يجب أن نبحث عنه من العارفين. فقال عز الدولة: كلام مُنْصَف، ما أسمع بأساً، ولا أرى ظنة تحتُ بذلك على الجواب، فاصفرَّ أبو عبد الله، وقلق، وفطن أبو الوفاء، وكان ضلعه معه، وصفوه له فقال بينه وبين الأمير وقال: الشيخ عليل وانما حضر للخدمة، وبعض غلمانته ينوب عنه، ولا ينبغي أن يتعب فيحمي جسمه، ويُخاف نكسه، ويصير ما قصد من قضاء حقه في التجميل بحضوره سبباً للتألم.

(١) محمد بن زكريا الرازي فيلسوف وعالم بالطب والموسيقى، تولى رئاسة أطباء البيمارستان في بغداد، صنف كتباً كثيرة ذكرها ابن النديم في الفهرست. توفي ببغداد سنة ٣١١ هـ.

(٢) أبو الوفاء المهندس البوزجاني ولد سنة ٣٣٦ هـ كان من كبار علماء زمانه «بلغ المحل الأعلى في الرياضيات ومن مشاهير أئمة علم الهندسة» وكان يعطف على أبي حيان التوحيدي وهو الذي ألقاه من برائن الشقاء توفي سنة ٣٧٦ هـ.

(٣) انتهى به: افتخر.

ثم أقبل أبو الوفاء على علي بن عيسى فقال : يُكلمك أيها الشيخ من غلمان
من تحب . فقال : لا حاجة لي الى الكلام مع غلمانه ، انما كان الكلام معه
هو القصد لان الاجتماع بيننا يقل ، ولان الخصومة تكون معه الفيصل ،
وذلك أنه يكتب كلامي سائلاً ، وكلامه مجيباً ، ثم لا نزاع . فأما أصحابه
فانهم يكلمون أصحابي وذاك قائم بينهم ، وكانت البغية قطع المشادة ، وحسم
الشغب ، وبلوغ الحد ، واذا وقع الالباء فلا لجاج ، واذا عرف المراد
فلا حجاج .

ثم قال عز الدولة : هاتوا شيئاً آخر قبل أن يتصرم النهار بما ليس له درء.
وكان فصيحاً ، فأعرض أبو الجيش الخراساني ، وكان متكلم الشيعة . فسأل
عن القرآن وقال : أروني من القرآن تنزيله على هيئته الأولى حين نزل به جبريل
على قلب محمد ﷺ وتلاه على أمته بلسانه ، فإنني أجد عند حملة اختلافاً
كثيراً في تحريفه ، وتصحيفه ، ونقصه وزيادته ، وإعرابه وغريبه ، ووضعه
وترتيبه ، ولهذا وأشباهه اختلف في تأويله ، وشك في تنزيله ، وكثر خوض
الناس فيه وفي تفسيره ، والاحتجاج له .

وقد سبق علمي أن كلام الله لا يكون في حكم كلام عباده، وأن ما يجوز على
ذلك لا يجوز على هذا لأن الله حكيم كريم ، رحيم ، والحكمة والكرم
والرحمة تأبى ما تصفون به كتاب ربكم ، وتستجيزونه في كلام خالقكم . قال:
وهذا الذي قلت بين معروف ، القرأة تختلف / ضرباً من الاختلاف، والنقلة
تختلف ضرباً آخر ، والفقهاء تختلف على قدر ذلك ضرباً آخر ، وكذلك
أصحاب الكلام ، وحتى أفضى هذا إلى طعن الزنادقة فيه ، وانجر عليه
قدح الملحدين به.

[٢٠ب]

وقال كلاماً كثيراً من هذا الجنس، فكلهم كناع^(١) عن الجواب ، وكاد

(١) كناع : جبن .

أبو الجيش بعد تذرُّعه بالقول يشمت ويبالغ في التشنيع . فقال عز الدولة :
يا أبا الجيش ! أنت في معركة لا مبارٍ لك فيها فافتر كيف شئت وذر ،
والله المستعان .

فانبرى أبو حامد وتكلم بملء فيه ومحق أبا الجيش ، وبيّض وجوه الناس ،
فلما خرج قال له محمد بن صالح الهاشمي : لقد دعمت الاسلام بدعامة لا يززعها
الزمان ، ولقد حصّنت الدين حصانةً الله يجزيك عنها ، ورسوله صلى الله
عليه [وسلم] يكافئك عليها .

ولو أن هذه الرسالة لا تحمل المسألة والجواب بما فيها من فنون القول لأتيت
بالمجلس على وجهه .

[البصري جُعِلَ]

فهذا كان اقتدار البصري جُعِلَ في المناظرة ، وقوته عند لقاء الخصم ،
ونصرة المذهب والدين ، ولقد كان عيناً عشرين سنة على صاحب بغداد
للساحب^(١) ، حتى آلت الأمور إلى ما عرفه الصغير والكبير بأصحابه ،
أصحاب المحابر والأقلام والكراريس ، ولقد بلغ من قلة دينه أنه صنّف
رسالة ذكر فيها الدلالة على أنه هو المهدي المنتظر ، فان معنى المهدي
أن الله هداك وهدى أهل العدل والتوحيد ، وأما المنتظر فلأننا كنا
نتنظر في العراق .

وهذه الرسالة مشهورة آخر ما رأيتها عند أبي عبد الله المذهب ، مكتوبة
بالذهب ، وُحملت في جملة الهدايا إلى قابوس .

وسمعت أبا محمد الفرغاني الحنفي يقول : ما خلوت بفكري في أمري ،

(١) في الأصل : ولقد ذكا عيناً عشرين سنة على صاحب بغداد لصاحب .

وملازمي هذا الرجل، يعني البصري، إلا ظننتُ أن الله تعالى يرسل عليّ صاعقة،
أو يجعلني آيةً وعبرةً باقية .

[حديث ابن أبي كانون]

وأما ابن أبي كانون ، فاني قلت له يوماً : ما لي أراك واجماً من غير
عارض ، وطويل السكوت من غير عيٍّ ، وكثير الفكر من غير وسواس ،
وشديد الحزن من غير إفلاس ، ليس لك أنسٌ بالجماعة ، ولا تفكُّهُ
بالمحادثة ، ولا استمتاع بالمجالسة بعدما عهدتكَ في حدثان مقدمك ، وأنت
تتقَدُّ كالنار ، وتزخر كالبحر ، وتأرَن كالمهر ، وتذكو كالغبر ، فقال :
ومن أولى بالبال الكاسف ، والغم الطويل ، والأرق الدائم مني ؟ فارقتُ
وطني وأهلي وإخواني ومعارفي ، وجميع ما كنت آلفه وأحيا به ، وأشتمُّ
روحَ العيش منه ، وتجرعتُ مرارةً بُعدي عنهم ، وصبرتُ نفسي على
ماناهم بخروحي من بينهم ، وسلوتي دونهم ، وما نزل بي بعدهم من جفاء
الغربة ، ووحشة الوحدة ، وشطَف العيش بالقلَّة ، كل ذلك طمعاً فيما
أبرِّد به غليلَ قلبي في الدين والمذهب ، وأنفي به الحرج من صدري وأُسعد ،
وأن آخذ من هذا الشيخ ما اهتدي به ، وأُسكنُ إليه ، وأجعلهُ عدَّةً
لآخرتي ، والآن قد حصلتُ بعد الدراسة الطويلة والمنازعة الشديدة ،
وبعد البحث والنظر ، والكشف والجدل ، وبعد اعتبار هذا الشيخ في نفسه
وسيرته ، وما عليه أصحابه والمقدِّمين عنده ، على حالٍ عسراء ، وغاية
عمياء ، وما أراه إلا صاحبَ دنيا ، يعمل للعاجلة ، ولا أرى أصحابه المطيفين
به إلا كذلك ، وإنَّ هذا مما يؤلم القلب ، ويفرِّق البال ، ويحشدُ
الهمَّ ، وينفر الناس ، ويُوقع اليأس ، فلذلك تراني على غير ما عهدتني عليه .

[حديث ابن بنان الوراق]

وأما ابن بنان الوراق فإني سمعته يقول: لقد خطب^(١) البصريُّ على الإسلام بما لا يقدر عليه الرومُ والترك . قلت : كيف ذاك وأنت لا ترى اليوم ببغداد مجلساً أبهى من مجلسه لما يجتمع فيه من مشايخ العراق ، وشُبان خراسان ، وفقهاء كل مِصر ، وما في هؤلاء أحد إلا وهو يصلح أن يكون داعيةً صقَّع ، وإمامَ بلد . فقال لي : صدقت ! فهل تعرف فيهم من إذا ذكر الله وجِلَّ قلبه ، واقشعر جلده ، واطمأنَّ صدره ، وإذا سمع موعظةً دمعت عينه ، وخشعت نفسه ، أو سمع نسيجه ، وإذا عرضت له منالة عفَّت نفسه ، أو إذا هاجته شهوة اتَّقَى عندها ربَّه ، وإذا لزمه انكارٌ أمرٍ بذل فيه وسعه . أما ترى اللعب والمزاح والسفَه والقحَّة والتخلُّج والفسق والفجور فاشية فيهم ، وغالبة عليهم ، وظاهرة بينهم؟

أما لك في الرازي أبي الفتح عبرة ؟ أما لك با بن طرخان^(٢) خبرة ؟ فما زال يقول هذا وأشباهه حتى سددت وقطعت عليه .

[أبو إسحاق النصيبي]

وكان أبو إسحاق النصيبي من أفسق الفاسقين ، وهو يلقب بمقعدة . لا أعلم في الدنيا قاذورة إلا أتاها ، / ولا خساسة إلا أظهرها وجاهر بها . هكذا كان ببغداد ثم بالدينور عند أبي عمرو كاتب فخر الدولة الأصبهاني . وحديثه بأصبهان مشهور . وكذلك بالصيِّمة وكيف أكل في نهار شهر رمضان من غير عذر ، وكيف تهتَّك بمِجاعةٍ من الأحداث ، نعوذ بالله من الخذلان .

[٢١]

(١) خطب : أنزل الخطب أي الفساد .

(٢) هو الفيلسوف الإسلامي المشهور أبو نصر الفارابي «ولد سنة ٢٦٠ هـ وتوفي سنة ٣٣٩ هـ» .

[حديث أبي سليمان السجستاني]

وحدثنا أبو سليمان محمد بن طاهر السجستاني ، وكان بعيداً من التزيد ، شديد التوقّي قال: حضرت وليمة في قطيعة الربيع ، فلقيني فيها البصري أبو عبد الله فجلس إلى جاني ، وتصرّف في الحديث معي ، وأرخى عنانه إليّ إلى أن قال لي: يا أبا سليمان هل وجدتم في فلسفتكم شيئاً تسكنون إليه ، وتعتمدون عليه ؟ فأنا من الكلام ومذاهب أهل الجدل على غرور . قال : فسكنت منه من أجل الموضع وقلت :

الناس أخفاف^(١) وشتّى في الشيم

وكلّهم يجمعه بيت الأدم

فقال: آخر ما عندي أن الأدلة تكافأ، وأن المذاهب والآراء والنحل جارية بين أربابها على قوة السانح وضعفها ، وجودة العبارة ورداءتها . قال : وقلت له : ما بعدَ نظركَ نظري ، ولا بعدَ تحصيلك تحصيل وانتهى .

وأمثل من شاهدناه عندنا ببغداد الواسطي أبو القاسم وكان يبرأ إلى الله من البصري جعل ، ويلعنه عند الولي والعدو ، تقرباً إلى الله . وكان ابن الثلاثج يقول : حكم الله بيننا وبين ابن عبّاد وفلان ، فانهما سلّطا هذا الإنسان في هذا المكان حتى أفسد من أجابه إلى المذهب ، ونفّر من أراد أن ينظر في العدل والتوحيد .

[الفرغاني والمعتزلة]

وسمعت الفرغاني يقول : لولا أني لا أعرف في جميع المذاهب أقوى من مذهب المعتزلة لناديت على أصحابي بمخازيهم التي يشتملون عليها ، ويجهلون

(١) أخفاف : أي مختلفون .

بها في الأسواق والشوارع ، بل في المحاضر المشهورة ، والمنابر الرفيعة ، ولكن لهم حُرمة الدعوى ، وضمائم النسب الى المقالة، ورجاء في الاقلاع والتوبة. فان اليأس غير غالب ما دامت الاستطاعة موجودة ، والنزوع ممكناً ، والتلافي مظنوناً .

[عودة إلى الصاحب]

ذاك حديث ابن عباد ، وهذا حديث شيخه وإمامه ، ومُرشدُه بزعمه ، وهو المرشدُ والهادي لمن أخذ عنه واقتدى به ، يا قوم ! أين يُذهب بكم ، ما هذا العمى الذي قد غلب عليكم ، والهوى الذي قد أصمَّ آذانكم وأعمى أبصاركم ؟ وما هذا الأمر الذي قد حال دون الإيمان، وطَمَس وجهَ الرشد ، وقلب أثر الحس ؟

أليس هذا القائل في مجونه ، وتلعبه بدينه :

من عملي من عملي	فَيْكُ الرجال البُزَلِ (١)
وإنما أنيكم	لأني معتزلي
تلميذ شيخ فاضل	ملقب بالجعَلِ

أفكذا يكون من كان عمادَ الدين ، وناصِرَ الاسلام والمسلمين؟ الويلُ له ثم الويلُ لمن يتولاه وينصره . قال يوماً لابن قشيشا صاحب مصطبة المكيين بالري :

(١) البزل ، مفردا بازل : وهو الرجل الكامل في تجربته ، أصلها البعير الذي فطر نابه أي انشق في السنة التاسعة .

لا تبطنن عن اللذات إن حضرت
لكن تنيك ولا تحفل بتأنيب
ولا تزق إذا ما نلت ذاك وب^(١)

مع شوزر وافر الأرداف محبوب
فالصمي^(٢) والمتر^(٣) من بعد القشام^(٤) به

طيب الحياة فلا تعدل عن الطيب
خذ في القشام وخذ في الصمي بالكوب
فالدهر يمزج تكسيحاً بهريب^(٥)

افهذا كلام من يدعو إلى الله ويحب أن يستجاب له ، ويُجزى على طريقته ،
ويكون ذريعة بين الله والعبد ؟ هذا عافاك الله بالعنة أولى ، وبالبراءة منه .
ومن أصحابه أحق . ما أقل حياء هؤلاء ، وأشد تكاذبهم ومكابرتهم .

[كفاءة الصاحب]

وإذا أضربت عن باب الدين ، ورجعت إلى الكفاية التي زعم أنه بها تكفى ،
وأنه كافي الكفاة ، وأنه واحد الدنيا ! هل كان يعرف من الحساب باباً ، هل عقد
جماعة ، هل عقيدت له فتكلم عليها ، هل قرأ مؤامرة ، هل عرف منها حداً ، هل أمكنه
أن يحتج على عامل ، أو يناظر ناظرأ ، أو يخاطب مشرفاً ، أو يرسم في العمل رسماً ، أو يحجب

(١) زق الطائر فرخه : أطعمه بمنقاره .

(٢) صمي ، يصمي صمياً : الرجل ثقل ووثب وأسرع .

(٣) المتر : الجماع .

(٤) القشام : ما بقي على المائدة مما لا خير فيه . وقشم الطعام : أكثر أكله
وأكل طيبه .

(٥) هرب الرجل هرباً : هزم .

عن كتاب واحد في العمالة ، وفيما يتعلق بأبواب النظر في العمارة ، هل ناظر خائناً مقتطعاً ، أو استدرك مالا مختلساً ، هل فصل حكومة بين كاتيين ، أو قطع خصومة بين جُنديين ؟ هل رأينا شيماً إلا الرقاعة والتدفق والجنون والهذيان والتسايل والتمايل ، والبقيقة والطققة ، والقرقرة والبربرة ، إلا أنه غلط فيه ، ووثق به ، ووكل إليه الرأي ، ولم يؤذن لأحدٍ في تحريكه بكلمة ، ولا في مصاداته بحرف ، حتى تم له ذلك كله بأسهل وجه مع الجدة المواتي ، والأمر المنقاد ، وحب أن يعتقد أن ذاك عن كفاية في الصناعة ، وحذق في العمل ، وسعة علم بالكتابة الديوانية ، والرسوم الخراجية ؟ .

[الصاحب والنحو والشعر]

وسئل يوماً عن قول الشاعر (١) :

سقوني النسبي ثم تكنفوني

عُدّة الله من كذبٍ وزور

فقال : الحمر تسمى نسبياً . ف قيل له : ولم ؟ فقال : ليس للأسماء علل .

/ فلما خلوت بالزعراني الشاعر قال لي : أخطأ فإن الأسماء ضربٌ

[٢١ب]

منها مبتدأ ، فالغرض فيه اختصاص العين به ، ليقع التمييز بينه وبين غيره ،

وضربٌ آخر يؤخذ من أصل العقل ، وهو الذي يسمى مُشتقاً ليكون فيه

دالتان : دلالة كدلالة الأول في اختصاص العين ، ودلالة على النعت ،

والنسبي في أسماء الحمر من الضرب الثاني ، لأن الحمر تَنسبُ للعقل أي تؤخره .

(١) البيت لعروة بن الورد من قصيدة مطلعها :

أرقت وصحبي بمضيق عمق

الديوان طبعة أبي شنب ياريز ص ٤٨

[حسد الصاحب للموهوبين]

وقال : هذا قاله بعض العلماء . فقلت له : هلا قلت هذا في المجلس ؟ فقال : لو قلتُ هناك لما وجدتني عندك قاعداً مطمئناً . قلت : صدقت ، الرجل حسود ، فقال : وَلِرَبِّهِ كَنُودٌ^(١) ، ولآياته هنيئ ، كأنَّه من اليهود ، أو من بقية ثمود . ولقد غضب يوماً من شيء رواه المصري وحجبه أياماً ، وذلك أنه روى : أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فيما رواه عبد الله ابن عمرو بن العاص فقالت : يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء ، وحجري له حواء ، وثديي له سقاء ، وزعم أبوه أنه ينزعه مني . فقال رسول الله ﷺ : أنت أحقُّ به ، ما لم تنكحي ، وكان غضبه من الحسد ، لأنه روى هذا في عرض حديث ، بفصاحة وتسهل ، وله مثل هذا كثير .

[حسد الصاحب للشعراء]

كان لا يستطيع أن يسمع من أحد كلاماً منظوماً ، قال لأبي السلم مسلم الأعرابي يوماً : ما خبرك مع فلان ؟ قال : انقلبت عنه خاسئاً وأنا حسير ، قال : لا تنتجع أمثاله ، قال : أيها الصاحب ! ما أعلمني بمظانّ الرجاء والخيبة ، ولكني ربما اغتررت بالشك اغتراراً ، وانجرت على الشوك انجراراً ، وآخر دعواي أن الحمد لله الذي لم يقطع أمني من خيره ، حتى غمرني بأيادي غيره ، وذاك أنت . وكان حسده لغيره على فصل حسن ولفظ حرّ بقدر إعجابه بما يقوله ويكتبه .

(١) الكنود : الكافر بالنعمة .

[غرور الصاحب]

كتبَ يوماً إلى إنسان : وأقسم انك لو كتبت بأجنحة الملائكة المقربين
على جباهِ الحُور العين ، مستمداً من أحداق الولدان المخلدين ، جوازاً على
الصراط المستقيم ، إلى جنات النعيم ، لما حسنَ هذا البخل . فأخذ 'يعيد'
هذا ويبدئه ويقول : كيف تَرَوْنِ ، وكيف تسمعون ، وهل قرأتم
شبهه — ٤ .

[حسده للمجيد]

وروى في مجلسه يوماً ابن ثابت البغدادي حكاية للخليل فأحسن سياقه —
وإمرارها ، فحجبه أياماً ، وأختر عنه رسمه وقال : تبسّط في مجلسنا
واسحّنفِر بحضرتنا ، واترك توقيرنا وهيئتنا ، حتى تشفع في أمره أبو
الحسن الطيب وغيره ، فعاد له على شَنَف^(١) . وأنا أسوق الحكاية حتى تكون
فائدة في هذا الكلام الذي قد نَشَبْنَا^(٢) فيه .

[الخليل وسليمان بن علي]

قال الخليل : دخلتُ على سليمان بن علي وهو والي البصرة فوجدته يسقط
في كلامه^(٣) ، فجلست حتى انصرف الناس ، فقال : هل من حاجة أبا
عبد الرحمن ؟ قلت : أكبر الحوائج ، قال : قلْ فان مسائلك^(٤)

(١) الشنف : البغض .

(٢) نشب في الأمر : لم يكده ينحل عنه .

(٣) سقط في الكلام : أخطأ .

(٤) في الأصل وسائلك . وما أثبتناه أصح .

مقضية ، ووسائلك قوية ، قلت : أنت سليمان بن علي ، وكان علي في العلم
علياً ، وكان عبد الله بن العباس الحَبَرُ والبحر ، وكان العباس بن عبدالمطلب
إذا تكلم أخذ سامعَه ما يأخذ النَّشْوَانُ على نقر العيدان ، وأراك تسقط
في كلامك ، وهذا لا يشبه منصبك ومحتدك ، قال فكأنما فُقيء في
وجهه الرمان خجلاً . فقال : لن تسمعه بعدها ، ثم أذن للناس في مجلس عام ،
فدخلت عليه في لُمة^(١) من الناس فوجدته يُفصح حتى خلتُه معدن عدنان
فجلست حتى انصرف الناس . فقال : كيف رأيت أبا عبد الرحمن ؟ قلت :
رأيت كل ما سرني للأمير وأنشدته :

لا يكون السريُّ مثل الزريِّ

لا ، ولا ذو الذكاء مثل الغيِّ

لا يكون الألدُّ ذو المقوَلِ المرِّ

هفِّ عند الخصامِ مثل العييِّ

قيمة المرء كل ما يحسن المر

ء قضاءً من الإمام عليِّ

أي شيء من اللباس على ذي الس

سرو أبهى من اللسان السريِّ

ينظمُ الحجةَ الشتيّة في الس

سلك من القول مثل نظم الهدى

وترى اللحن في لسان أخي الهم

مةٍ مثل الصدا على المشرفي

فاطلبِ النَحْوَ للقران والش
شعر مقيماً والمُسند المروي
والخطابُ البليغ عند حجاج القو
م تزهى بمثله في الندي
كلُّ ذى الجهل بالفنون يُعادي
ها ويزري منها بغير الزري
قال : فانصرفتُ فشيَّعني غلامه على كتفه بدرّةٌ فرددتها عليه ،
وكتبت اليه :

ايلغ سليمان أني عنه في سعةٍ
وفي غنى غير أني لستُ ذا مالٍ
سخا بنفسي أني لا أرى أحداً
يموتُ هزلاً ولا يبقى على حالٍ
والرزقُ عن قَدَرٍ لا العجزُ يدفعه
ولا يزيدك فيه حَوْلٌ مُحْتالٍ

[مسألة نحوية]

وقال يوماً : فَعَلَ وأفعال قليل . وزعم أصحابنا النحويون أنه ما جاء
إلا زيدٌ وأزباد ، وفَرَّخَ وأفراخ ، وفَزَدَ وأفراد . فقلت : أنا أحفظ
ثلاثين حرفاً كلها فَعَلَ وأفعال . قال : هات يا مدعي ! فسردتُ الحروف
/ ودلت على مواضعها من الكتب . ثم قلت : ليس للنحوي أن يجزُمَ
مثل هذا الحكم إلا بعد التبحر والسمع الواسع ، وليس للتقليد وجهٌ إذا
كانت الرواية شائعة ، والقياس مطرداً ، وهذا كقولهم فَعِلَ على عشرة

أوجه ، وقد وجدته أنا على أكثر من عشرين وجهاً ، وما أسهبتُ في التتبع إلى أقصاه . فقال : خروجك من دعواك في فعل يدلنا على قيامك بالحجة في فعيل ، ولكننا نأذن لك في اقتصاصك ، ولا نهبُ آذانك لكلامك ، ولم يفِ ما أتيت به بمجراتك في مجلسنا ، وتبسّطت بحضرتنا ، فهذا كما ترى .

[أبو حامد المرورّوذي]

وسألني عن أبي حامد المرورّوذي ، فوصفت له بناهته ومقدمه ، وحفظه وبيانه ، فقال : ماتحفظ عنه ؟ قلت : أشياء مختلفة ، فانه أقام عندنا ببغداد في آخر أيامه سنتين ، ولقد رأيته في مجلس أبي الفرج محمد بن العباس في أيام وزارته بعد أبي الفضل العباس بن الحسين ، وهو يتدفق بالكلام مع ابن طرارة .

[تعريفات شتى]

فلما انتهى قال له أبو الحسن إسحاق الطبري : ارسم لنا كلاماً خفيفاً في الدليل والحجة ، والبرهان والبيان ، والقياس والعلة والحكم ، والاسم ، والفعل ، والحرف ، والنص ، والظاهر ، والباطن ، والتأويل ، والتفسير ، والفحوى ، والاستحسان ، والتقليد ، والاقتداء ، والاجماع ، والأصل ، والفرع ، والوجوب ، والجواز . فاندفع فقال : الدليل ما سلكك إلى المطلوب ، والحجة ما وثّقتك من نفسه ، والبرهان ما أحدث اليقين ، والبيان ما انكشف به الملتبس ، والقياس ما أعارك شبهه من غيره ، أو استعار شبهه غيره في نفسه . والعلة ما اقتضى أبداً حكماً بالزوم . والحكم ما وجب بالعلة . والاسم ما صحّت به الإشارة إلى مُشارٍ إليه . والفعل

ما شاع في الزمان . والحرف ما ائتلف به اللفظ . والنص ما أغنى بنفسه
لاستقلاله . والظاهر ما سبق إلى النفس بلا جالب . والباطن ما غيض عليه
بالتفسير . والتأويل الجهة المتباعدة عن المراد ، ومع ذلك فهي مشمولة
بقارة بالقصد ، وقارة بغير القصد . والفحوى الجهة القريبة . والتفسير
عبارة عن عبارة على طريق الخلافة . والاستحسان القول الأولي والأشبه
في ظاهر الحال . والتقليد قبول بلا بيان . والافتداء سلوك مع عالم
سالف . والاجماع اتفاق الآراء الكثيرة . والأصل ما لم ينظر إلى ما قبله لأنه
بنفسه قبل غيره . والفرع ما انشعب عن الأول . والوجوب ما لم يسع
الاضراب عنه . والجواز ما وقف بين الواجب وبين غير الواجب .

وكادَ لا يسكت ، فقال له أبو الفرج : ما كان أبو محمد المهلب يثني
عليك جزافاً ، ولا يُشغف بك على طريق الهوى . فقال لي : كيف حفظت
هذا ؟ قلت : كنا جماعة نتعاون على ذلك ويرسم في ألواح فقال : إني
لشديد الحسرة على قوت لقائه ، ومما يزيدني عجباً به أنه كان على مذهب
أصحابنا ولو نصرَ في الأحكام مذهب أبي حنيفة لكان قدوة لأهل
زمانه . وقال له بعض الغرباء : إذا قلت : عشي الرجل كما يقول عمي
الرجل ، وتقول يعيش كما تقول يعمى . وقلت أعشى كما تقول أعمى ،
فهلاً قلت امرأة عشياء كما قلت عمياء ، ولك مع ذلك شفة لمياء وماء
طمياء (١) قال : فهكذا أقول . قال له : قد خالفت العلماء لأنهم نصّوا
عشواء ، كما قالوا ناقة عشواء فقال : في هذا نظر وأخطأ ، ولي نظر
في المسموع .

(١) طمى الماء . يطمي : علا .

[عبث أبي حامد]

وحدثني محمد بن المرزبان قال : كنا بين يديه ليلة فنعس وأخذ إنسان يقرأ « والصفات » فاتفق أن بعض هؤلاء الأجلاف من أهل ما وراء النهر نعس أيضاً فضرط ضرطة منكرة فانتبه وقال : يا أصحابنا مننا على « والصفات » وانتبهنا على « والمرسلات » . هذا من ملاحاته .

وحدثني أيضاً قال : انفلتت ليلة أخرى ضرطة من بعض الحاضرين وهو في الجدال فقال على حديثه وجنونه : كانت بيعة أبي بكر خذوا فيما أنتم فيه ، يعني كانت فلتة ، لأنه قيل في بيعة أبي بكر كانت فلتة ! أفهذا من المجون المستطاب ، أو من جنس ما يجب أن يكون محكياً عن الرؤساء الديانين ، والكبراء المستبصرين والذين يدعون لأنفسهم الفضل والمروءة والدمائة واحتقار الناس ؟ .

وقال له ابن ثابت الجويني يوماً يتملح معه (١) : أنا آكل التمر على أنه كان مرة رطباً أي أميل إلى الحدث وإن بقل وجهه (٢) ، لأنه قد كان مرة أمرد فقال له : فكل الخرا على أنه مرة كان هريسة .

وسمعه ينشد في الشاعر الملقب بالمشوق :

وديوثٍ يقال له المشوقُ

له من عرسه كسبٌ وسوقُ

فكم خيرٍ يساق إليه منها

وكم أئبرٍ إلى حرِّها يسوقُ

(١) في الأصل أثبتت هذه العبارة في غير موضعها ولعله خطأ من الناسخ، وتملح: تكلف الملاحظة.

(٢) بقل وجه الغلام : خرج شعره .

وكان يُنشد في شيخ كاتب من أهل جرجان :
جزعتُ من أمرٍ فظيعٍ قد حدثُ
ابن تميمٍ وهو شيخ لا حدثُ
قد جلس الأصلع في بيت الحدث^(١)

[مناظرة بين الخشوعي والصاحب]

ورأيت شيخاً قدم مع الحاج من خراسان يُعرف بالخشوعي من الكرامية
أصحاب الرأيين حضر مجلسه وناظره في مسألة الجسم ، وكان يقول: وهو مذهب
هشام بن الحكم في المتكلمين المتقدمين لما كان مثبتاً بالعقل دون غيره ، وكنت
لا أثبت بالعقل إلا معقولاً ، كما لا أثبت بالسمع إلا مسموعاً ، وكما لا أثبت
بالبصر إلا مبصراً ، وكان اثبات العقل لمن هو غير جسم في المشاهدة غير
معقول وجب أن يكون جسماً لأنه قد دخل في قسمة المعقول ، وإن بطل أن
يكون جسماً بطل أن يكون معقولاً وقد ثبت أنه معقول فإذن قد ثبت أنه
جسم فقال ابن عباد : هاتوا مسألة أخرى فسمع الحُكْل^(٢) أرجع بالفائدة من
هذا ، وأخذ في مسألة أخرى .

وحكى قومٌ منهم أبو طاهر الانماطي القطّان أنه قد شُده ولم يحضره في
الحال شيء ، وكان الخصمُ ألدّ ، ذا سلاطةٍ ، قليلَ الاكتراث ، حضر
غير طائع ، وتكلم / غير متروّع^(٣) ، وعاد هذا الشيخ في مجلس

[٢٠ب]

(١) الحدث : الفائط .

(٢) الحُكْل : ما لا يسمح له صوت . يقال : تكلم كلام الحُكْل : أي
كلاماً لا يفهم .

(٣) متروّع : غير فزع .

آخر فقال له : أتقول إن الله جسم ؟ قال نعم . قال : فإذا كان جسماً جاز أن يكون فوقه شيء ، أو عن يمينه شيء ، أو عن يساره شيء . قال : نعم قال : فما تُنكر أن يكون معبودك الآن في هذا الصندوق ! فجمد الخراساني جمدة ، ثم اشتعل فقال : أليس عندك أن الله متكلمٌ بكلام يفعله في الأحوال المختلفة ؟ فقال : بلى . قال : فما تُنكر أن يكون هذا الحمار ينعظ فيحلّ الله كلامه في جردانه فيقول : أنا ربكم الأعلى ، فسمع ذاك منه فأنزل ابن عباد وقال : خذوا في غير هذا .

والسُخْفُ والجُرْأَةُ وسوء الأدب وإطلاق اللسان بما لا يجوز ديناً ومروءة غالبية على أصحاب الكلام والتقى والرهبة والورع ، بعيدة من هذه الطبقة .

وحكى يوماً في نوادره الفاترة ما يدل على قلة دين القوم، وسوء استبصارهم ، وشدة استهانتهم بما يقولون محققين ومبطلين ، وأن الدَّيْدَنَ هو الهذيان والرقاعة والتعصب والايهام، وليس لوجه الله في ذلك شيء لا فيما يجدون به، ولا فيما يهولون فيه، لا حشمة ولا تقوى ، ولا مراقبة ولا بقيا^(١)، قد جعلوا الله عرضة للخصومات بالوساوس ، ودينه منديلاً لكل يد .

[بين ملحد وموحّد]

سأل ملحد موحّداً فقال : ما الدليل على أن للعالم صانعاً ؟ فقال : الدليل على ذلك شعيرة أمك لأنها كلما تنقها بالدُّبُق نبتت ! فلو لم يكن هناك مُنْبِتٌ لما نَبَتَتْ . فقال الملحد : هذا ينقلب عليك لأنه يقال لك : الدليل على أن العالم ليس له صانع نواة أمك إذا قطعت مرة لم تنبت بعد ذلك .

(١) البقيا كبقية ، وبقية الله : طاعة الله .

[نوادر عن التشبيه]

وحكى يوماً آخر فقال : اجتمع رجلان ، أحدهما يقول بقول هشام ، والآخر يقول بقول الجواليقي فقال صاحب الجواليقي لصاحب هشام : صف لي ربك الذي تعبده ، فوصفه فقال في وصفه : هو جسم ، ولكن لا يد له ، ولا جارحة ، ولا آلة . فقال له الجواليقي : أيسرُك أن يكون لك بهذه الصفة ابن ؟ قال : لا ، قال : أمّا تستحي أن تصف ربك بصفة لا ترضاها لولدك ! ثم قال صاحب هشام : قد سمعت قولنا فصف لي أنت ربك فوصف فيما وصف أنه جعد قَطَط (١) ، في أتمّ تمام ، وأحسن حُسن ، وأحلى صورة ، وأعدل هيئة ، وأجمل إشارة ، فقال له صاحب هشام : أفيسرُك أن تكون لك جارية بهذه الصفة تطأها ؟ قال : نعم . قال : أمّا تستحي من عبادة من تحبّ مباضعته ، وذلك أن من أحبّ مباضعة مثله فقد أوقع عليه الشهوة ، تعالى الله عن هذه السخافات والجهالات ، وإن قوماً يلجئون بهذا وأشباهه لفي بُعدٍ من الهدى والنهى .

وسمعه يسبّ أصحاب الهندسة ويقول : جاءني بعض هؤلاء الحمقى ، ورغبني في الهندسة فابتدأ فقال : إن خمسة في خمسة وخمسة وعشرون ضرورة ، والآن أنا مجتهد حتى أعلمه بالاستدلالات ، وهذا هو الخسار والدمار ، ولو كان له سهم يسير من العقل ما باح على نفسه بهذا القول ، ولو سمع من غيره لوجب إنكاره ، ولو حقق قول القائل : من جهل شيئاً عاداه ، أترأى سمع كلام ابن ثوابه (٢) في مثل هذا ، وكيف نسب فيه إلى الرقاعة ، وكيف رحمه أهل الحكمة ،

(١) شعر قَطَط : قصير جعد .

(٢) هو أحمد بن محمد بن ثوابه ، من كبار منشيء القرن الرابع ، وكان كاتب ديوان الرسائل لمع الدولة توفي سنة ٣٤٩ ، انظر ترجمته في معجم الادباء - لياقوت .

وكيف هزيء به قومٌ وجدوا طريقاً إلى ذلك ، وأنا أحكي لك في هذا المكان ذلك الكلام وإن تنفست الرسالة لتعلم أن من شاء حمق نفسه ، وأن الله إذا شاء خذل عبده ، وأشمت به أعاديه .

حدثنا أبو بكر الصيمري قال : حدثنا ابن سمكة قال : حدثنا ابن محارب قال : سمعت أحمد بن الطيب يقول : إن صديقاً لابن ثوبة الكاتب أبي العباس يُكنى أبا عبيدة قال له ذات يوم : إنك رجل بحمد الله ومنه ، ذو أدب وفصاحة وبراعة وبلاغة فلو أكملت فضائلك بأن تضيف إليها معرفة البرهان القياسي ، وعلم الأشكال الدالة على حقائق الأشياء ، وقرأت كتاب إقليدس وتدبرته ، فقال له ابن ثوبة : وما إقليدس ؟ قال له : رجلٌ من علماء الروم يسمى بهذا الاسم وضع كتاباً فيه أشكال كثيرة مختلفة تدل على حقائق الأشياء المعلومة والمغيبية ، يشحذ الذهن ، ويدقق الفهم ، ويلطّف المعرفة ، ويصنّف الحاسة ، ويُثبت الروية ومنه انتج الخط ، وعرفت مقادير حروف المعجم . فقال له أبو العباس ابن ثوبة وكيف ذلك ؟ قال : لا تعلم كيف هو حتى تشاهد الأشكال ، وتُعين البرهان ، قال له : فافعل ما بدالك فأتاه برجل يقال له قويري مشهر فقدم ولم يعد إليه بعد ذلك .

[الهندسة في رسالة الى ابن ثوبة]

قال أحمد بن الطيب : فاستطرفت ذلك وعجبت منه وسألت المخبر عن انصراف قويري أي شيء كان سببه ؟ فأجاني بأن لا أعلم فكتب الى ابن ثوبة رقعة نسختها : بسم الله الرحمن الرحيم . اتصل بي جعلني الله فداك أن رجلاً من إخوانك أشار عليك تكميل فضائلك وتقويتها بمعرفة شيء من القياس البرهاني وطمأنينتك إليه ، وأنتك أصغيت إلى قوله وأذنت له ، وأنه أحضر رجلاً

كان غايةً في سوء الأدب ، معدناً من معادن الكفر ، وإماماً من أئمة الشرك ،
لاستفزازك / واستغوائك ، فخذعك على عقلك الرصين ، ويُنازلك في
ثقافة فهمك المتين ، فأبى الله العزيز الا جميلَ عوائده الحسنة قبلك ، ومنه
السوابق لديك ، وفضله الدائم عندك بأن أتى على قواعد برهانه من ذروته ،
وحطَّ عوالي أركانه من أقصى معاقد أسسه ، فأحببتُ استعلام ذلك على كنهه
من جهتك ليكون شكري لك على ما كان منك حسب لومي لصاحبك على ما كان
منه ، ولأتلاف الفارط في ذلك بيد تواسيه إن شاء الله .

[١٢٣]

[جواب ابن ثوابه]

قال : فأجابني ابن ثوابه برقعة نسختها : بسم الله الرحمن الرحيم . وصلت
رقعتك أعزك الله ، وفهمتُ فحواها ، وتدبرتُ مضمونها ، والخبر كما اتصل
بك ، والامر كما بلغك ، وقد خلصته ويئنته حتى كأنك معنا وشاهدنا ، فأول
ما أقول : الحمد لله ولي النعم والمتوحد بالقسم ، اليه يُردُّ علم الساعة ، واليه
المصير ، وإياه أسأل إيزاع الشكر على ذلك ، وعلى ما منحنا من ودك ، وإتمامه
بيننا بمنته ، ونما أحببتُ إعلامك وتعريفك بما تأدَّى إليك أن أبا عبيدة عليه
لعنة الله تترى بلحسه ودسه ودحسه اغتالي ليكلّم ديني من حيث لا أعلم ،
وينقلني عما أعتقد وأراه وأضمره من الإيمان بالله عز وجل ورسوله ﷺ
فوطد لي الزندقة بتزيينه الهندسة ، وأنه يأتيني برجل يفيدني علماً شريفاً يكمل
به فضائي فيما زعم . فقلت : عسى أن أفيده براعة في صناعة ، أو كهلاً في
مروءة ، أو نسكاً في دين ، أو فخاراً عند الاكفاء ، فأجبتُه بأن هلمَّ به
فأتاني بشيخ ديراني ، شاخص النظر ، منتشر عصب البصر ، طويل ، مشدّب ،
مخزوم الوسط ، متزمل في دسكه ، فاستعدتُ بالرحمن إذ نزغني الشيطان ،

و مجلسي قد غصّ بالاشراف من كل الأطراف ، كلهم يرمقه ، ويتشوف إلى
 رفعي مجلسه وادنائيه ، وتقريبه ، ويعظمونه ويحيونه ، والله محيط بالكافرين ،
 فأخذ مجلسه ، ولوى أشداقه ، وفتح أوساقه (١) ، فتبيّنت في مشاهدته النفاق ،
 وفي الفاظه الشقاق فقلت له : بلغني ان عندك معرفة بالهندسة وعلماء وأصلاً إلى
 فضل يفيد الناظر فيه حكمة وتقدماً في كل صناعة ، فهلهم أفدنا شيئاً منها ، عسى
 أن يكون عوناً لنا على دين او دنيا ، وزيناً في مروءة ، أو مفاخرة لدى الاكفاء ،
 ومفيداً نسكاً وزهداً فذلك هو الفوز العظيم فَمَنْ زَحَرَ حَ عَنْ النار وأدخل
 الجنة فقد فاز ، وما ذلك على الله بعزيز . قال : فأحضرتني دواةً وقرطاساً
 فأحضرتها فأخذ القلم فنكت به 'نكته' نقط منها نقطةً تخيلها بصري ، ولحظها
 طرفي كأصغر من حبة الذر ، فزمرم عليها بوسواسه ، وتلا عليها من محكم
 أسفار أباطيله ، ثم أعلن عليها جاهراً بإفكه ، وأقبل عليّ فقال : أيها الرجل :
 إن هذه النقطة شيء ما لا 'جزء' له . فقلت : أضللتني وربّ الكعبة ، وما
 الذي لا جزء له ؟ فقال : كالبيسط ، فأذهلني وحيرني ، وكاد يأتي على عقلي
 وحلمي لولا أن هداني ربي ، لانه أتاني بلغة ما سمعتها والله من عربي ولا عجمي ،
 وقد أحطت علماً بلغات العرب ، وقمت بها واستثرتها جاهداً ، واختبرتها عامداً ،
 وصرت فيها إلى ما لا أحسب أحداً يتقدمني إلى المعرفة به ، ولا يسبقني إلى
 دقيقه وجليله . فقلت له : وما الشيء البسيط ؟ فقال : كالله تعالى ،
 وكالنفس ، فقلت له : إنك من الملحدّين ، أتضرب لله أمثالاً ، والله تعالى
 يقول : « فلا تضربوا لله الأمثال ، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون » (٢) ،
 لعن الله 'مرشداً' أرشدني اليك ، وداللاً دلّني عليك ، فما ساقك إليّ

(١) أوساق مفردھا وسق: وهو حمل البعير .

(٢) سورة النحل .

إلا قضاء سوء ولا كَسَمَكَ (١) فحوي إلا الحين ، أعوذ بالله من الحين ، وأبرأ إليه منكم وممّا تلحدون والله وليّ المؤمنين ، إني بريء مما تشركون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فلما سمع مقالتي ، كَرِهَ استعاذتي فاستخفّه الغضب ، فأقبل عليّ مستبسلاً فقال : إني أرى فصاحة لسانك سبباً لعُجْمَةِ فَهْمِكَ ، وتذرّعك بقولك آفة من آفات عقلك ، فلولا من حضر والله المجلس ، واصفاؤهم إليه مستصوين أباطيله ، مستحسنين أكاذيبه ، وما رأيت من استهوائه إياهم بخُذْعِهِ ، وما تبَيَّنْتُ من تَوَازُرِهِمْ ، لأمرتُ بسلّ لسانه اللعك الألكن ، وأمرتُ بإخراجه إلى حرّ نار الله وسَقَرِهِ وغضبه ولعنته ، فنظرتُ إلى أمارات الغضب في وجوه الحاضرين فقلت : ما غضبُكم لنصراني يُشركُ بالله ويتحدّاه من دونه الأنداد ، ويُعلن بالاحاد ، ولولا مكانكم لنَهَكْتُهُ (٢) عقوبةً . فقال لي رجلٌ منهم : إنه إنسان حكيم ، فغاضني قوله فقلت : لعنَ الله حكمة مشوبة بكُفْرٍ ! فقال لي آخر : إنَّ عندي مسلماً يتقدم أهل هذا العلم ، فزجرتُ مع ذكره الاسلام خيراً فقلت : إئتني به ، فأتاني برجل قصير ، دَحْدَاح (٣) ، مجذور ، آدم (٤) ، أخنس العينين (٥) ، أجلح (٦) ، أفطس ، مسيء النظر ، قبيح

(١) كسعه : تبعه وكسعه بكذا ؛ إذا جعله تابعاً له .

(٢) نهكه : بالغ في عقوبته .

(٣) الدحداح : القصير .

(٤) آدم : أسمر .

(٥) خنس : تأخر أنفه عن الوجه مع ارتفاع في الأرنية فهو أخنس . وأخنسه

عنه : حبسه وأخره .

(٦) الأجلح : من انحسر شعره عن جانبي رأسه .

الزبي ، فسلمت فرددت عليه السلام ، ورفعت مجلسه وأكرمته وقلت له :
 ما اسمك ؟ فقال : أعرف بكنية قد غلبت علي ، فقلت : أبو من ؟
 فقال : أبو يحيى ، فتفاءلت بملك الموت عليه السلام وقلت : اللهم إني أعوذ
 بك من الهندسة فأكفي اللهم شرّها ، فانه لا يصرفُ السوءَ إلا أنت ،
 وقرأت الحمد والمعوذتين ، وقل هو الله أحد ثلاثاً ، وقلت له : إن
 صديقاً لي جاءني بنصراني يتخذ الأنداد ، ويدّعي أن لله الأولاد لينغويني
 ويستفزّني ، ولولا رحمة ربي لكنت من المحضرين ، فصرفته أقبح صرف ،
 ثم ذكرت لي فرجوت بذكر إسلامك خيراً ، فسلم أفدنا شيئاً من هندستك ،
 وأقبسنا / من طرائف حكمتك ما يكون لنا سبباً إلى رحمة الله ، ووسيلة
 إلى غفرانه ، فإنها أربح تجارة ، وأعود^(١) بضاعة. فقال : أحضرنى دواة
 وقرطاساً ! فقلت : أتدعو بالدواة والقرطاس وقد بليت فيهما ببلية كلّمها
 لا يندمل عن سؤيداء قلبي ، قال : وكيف كان ذلك ؟ قلت له : إن
 النصراني نقط لي نقطه كأصغر من سيم الخياط وقال لي : إنها معقولة كربك
 الأعلى ، فوالله ما عدا فرعون في إفكه وكفره ، فقال لي : فاني أعفيك لعن الله
 قويري ، وما كان يصنع بالنقطة ؟ وهل بلغت أنت أن تعرف النقطة ؟ فقلت :
 استجهلني ورب الكعبة ، وأنا قد أخذت بأزمة الكتابة ، ونهضت بأعبائها ،
 واستقلت بثقلها ، يقول لي : لا تعرف فحوى النقطة ، فنازعني نفسي في
 معاجلته بغليظ العقوبة ، ثم استعطفني الحليم إلى الأخذ بالفضل ، ودعا بعلامه
 وقال : اثني بالتخت ! فوالله ما رأيت مخلوقاً بأسرع احضاراً له من ذلك الغلام .
 فأتاه فتخيلت به هيئة منكورة ، ولم أدر ما هو وجعلت أصوب الفكر فيه
 تارة ، وأصعد أخرى ، وأحيل الرأي ملياً ، وأطرق طويلاً لأعلم أي

(١) أعود : أنفع .

شيء هو، أصندوق هو، ماذا؟ ليس بصندوق . أتخت هو، ماذا؟ ليس بتخت، فتخيلته كتابوت لحدٍ فقلت : لحد الملحد يلحد به النائين (١) عن الحق . ثم أخرج من كُتْمِه ميلاً عظيماً فظننته متطيباً ، وانه لمن سرار المتطيبين . فقلت له : إن أمرك لعجب كله، ولم أرَ في أميال المتطيبين كميلك ، أتفقاً به الأعين ؟ فقال : لست متطيباً ، ولكني أخطّ به الهندسة على هذا التخت ، فقلت له : إنك وإن كنت مبايناً للنصراني في دينه ، إنك لمؤازره في كفره ، أتخطّ على تخت بميلك لتعدل بي عن وضح الفجر إلى غسق الليل ، وتميل بي إلى الكذب باللوا المحفوظ وكاتبه الكرام، أإياي تستهوي أم حسبتني ممن يُهْتَرُ (٢) لمسايدكم ؟ فقال : لست أذكر لك لوحاً محفوظاً ولا مضيقاً ، ولا كاتباً كريماً ولا لثيماً ، ولكني أخطّ به الهندسة وأقيم عليها البرهان بالقياس والفلسفة . قلت : أخطّ ! وأخذ يخط وقلبي مروّعٌ يحجب (٣) وجيباً، فقال لي غير مستعظم : إن هذا الخط طولٌ بلا عرض ، فذكرتُ صراط ربي المستقيم وقلت له : قاتلك الله ! أتدري ما تقول؟ تعالى صراط ربي عن تخطيطك وتشبيهك وتبديلك وتحريفك وتضليلك ، إنه لصراط مستقيم ، وإنه لأحدٌ من السيف الباتر ، والحسام القاطع ، وأدق من الشعر ، وأطول ممّا تمسحون ، وأبعد ممّا تذرعون ، ومداه بعيد ، وهواه شديد ، أتطمع أن ترجزخني عن صراط ربي ؟ أم حسبتني غمراً غيباً لا أعلم ما في باطن ألفاظك ، ومكنون معانيك ، والله ما خططت الخط ، وأخبرت أنه طولٌ بلا عرض إلا ضلالة (٤) بالصراط المستقيم لتزلّ قدمي عنه، وأن ترديني في نار جهنم . أعوذُ بالله ، وأبرأ إليه من الهندسة ، ومما تدلّ عليه ، وترشدُ إليه ، وإني بريء من المهندسين ، ومما يعلنون ويُسْرُون ، ومما به يعملون،

(١) في الأصل : « وِالنَّائِينَ » .

(٢) أهتر مجهولاً : أولع بالقول في الشيء .

(٣) وجب : القلب رجف وخفق .

(٤) في الأصل : « حيلة » .

ولبئس ما سوَّلتُ لك نفسك أن تكون من خَزَنَتِها بل من وَقُودِها ، وإن
لك فيها لأنكلاً^(١) وسلاسل وأغلالاً وطعاماً ذا غُصَّةٍ وعذاباً أليماً ،
قُم إلى لعنة الله وغضبه . فأخذ يتكلم فقلتُ : سدّوا فاه مخافة أن يندُرَ
منه مثلُ ما بدر من المضللّ الأول ، وأمرتُ بسجبه فسُحب إلى أليم عذاب
الله ونار « وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ^(٢) » « عليها ملائكةٌ غِلَظُ شِدَادِهِ
لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ^(٣) » . ثم
أخذتُ قرطاساً وكتبتُ بيدي يميناً آليتُ فيها بكل عهدٍ مؤكَّدٍ ،
وعقدٍ مرّددٍ ، وعين ليست لها كَفَّارَةٌ أن لا أنظر في الهندسة أبداً ،
ولا أطلبها ، ولا أتعلّمها من أحدٍ سرّاً ولا جَهْراً ، ولا على وجهٍ من
الوجوه ، ولا سببٍ من الأسباب ، وأكدتُ بمثل ذلك على عقبي وعلى
أعقاب أعقابهم أن لا ينظروا فيها ، ولا يتعلّموها ما قامت السموات والأرض إلى
أن تقوم الساعة لميقاتٍ يوم معلوم .

فهذا بيانُ ما سألتُ أعزَّك الله مما دُفِعتُ إليه ، وامتُحِنتُ به ،
وليُعَلِّمَ ما كان مني ، ولولا وَعْكَهُ أنا في عقابيلها لحضرتك مشافهاً ،
وأخذتُ بخطي المتمني من الأنس بك ، والاستراحة إليك ، فمهَّد على ذلك
عُنْدي ، فانك غير مبين لفكري والسلام .

رسالة أبي العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن ثوابة إلى أبي العباس أحمد بن
الطيب ، هذه فيها مُعْتَبَرٌ واسعٌ ، وإشراف على عقلٍ مدخول ، وهي شقيقة

(١) مفرداً نكل : وهو القيد الشديد من أي شيء كان .

(٢) سورة البقرة .

(٣) سورة التحريم .

قوله ابن عباد في الحكاية التي جرت قبل هذه . وليس ينبغي أن تغتر
بالإنسان إذا كان فصيح العبارة ، كثير التشويق ، مديد النفس ، قادراً على
السجع ، / سهل الارتجال ، فقدياً تلف هذا كله والعقل ناقص ، وقد يُفقد
هذا كله والعقل راجح . [٢٢ب]

[الكلام المكسر]

وقلت لأبي سعيد السيرافي ، شيخ الدنيا : قال أبو زيد : يقال : إنه
لكثير فضيض الكلام ، أيُراد بهذا مدح المذكور أم الزرارة عليه ؟ فقال
لي : هو إلى الزرارة أقرب ، لأن الفض كثير ومنه فضضتُ ختم الكتاب ،
ومنه ضربه فصار فضاضاً ، والصحيح خيرٌ من المكسور ، وكأنه يراد بهذا
أنه يرمي بالكلام مكسراً غير صحيح .

وإنما أتيت بهذا لأنني سألتُ مرة أبا السَّلم عن ابن عباد فقال : إنه
لكثير فضيض الكلام . ثم مرَّ بي لأبي زيد ، وكان ابنُ عباد يقول
كثيراً : ما مدحني شاعر فأوجز وأملح [بأجود] من أبيات وافتني من شاعر
ينسب لسجستان فانها تدل على قدرة صاحبها ، وغزارة قائلها وحسن
تصرفه فيها وهي :

يا مَنْ أعادَ رميمَ الملك منشورا

وضمَّ بالرأي أمراً كان منشورا

أنتَ الوزيرُ وإن لم تُؤتَ منشورا

والأمرُ بعدك إن لم يؤتمنْ شُورى

وقال ابن نباتة ، والخالغ ، وابن الجلبات : ليس في هذه الأبيات

ماوجب له هذا الاعجاب كله ، ولكن الرجل ظريفُ المرأى والمخبِرُ ،
عجيبُ المنشَر والمنظر ، مدارُهُ على الهوى كيف ما منحه له جَنَحُ اليه ،
وَأَيْنَ ما برح به طرح عليه .

[صورة هزلية]

وكان ابن عباد إذا تكلم في مسألة ، ثم رأى من خصمه فتوراً نفَسَ
لحيته بأصابع يده ، وعبثَ بها ، وقتل رأسه ، ولوَى عُنُقَه ، وشَنَجَ أنْفَه ،
وعوَجَ شِدْقَه ، وقال منشداً :

إذا المشكلاتُ تصدَّينَ لي
كشفتُ حقائقها بالنَّظَرِ
وإن برزت في محلِّ الصَّوَا
ب عُميَاءٍ لا تجتليها الفِكرُ
مقنعة تخفي بالشكوكُ
وضعتُ عليها حُسامَ النَّظَرِ
لساناً كشقشقة الأراجيحِ
ي أو كالحسام اليماني الذكر
ولستُ بذِي وَقْفَةٍ في الرجا
ل أسائلُ هذا وذا ما الخبر
ولكنني مدرهُ الأصغرَيْنِ
أقيسُ بما قد مضى ما غَبَرِ

[عَجَبُ الصَّاحِبِ]

وكان لا يبعثه على هذا النمط إلا الذهاب بنفسه والتيه الذي يحول بينه وبين عقله ، والعَجَبُ أنه كان يعيب غيره بجزء من هذا الباب لا يتجزأ ويقول : انظروا إلى تيهه وصَلَفه ومدحه لنفسه واستبداده برأيه ، وعلى هذا حتى إذا صار إلى نفسه وحديثه وخواص أمره جَهِلٌ وذهل وخرج في مَسْكِ^(١) من لم يسمع بشيء من ذلك ، ولم يفطن له ، ولم يأبه لقبحه ، ولم يأنف من شنيعه ، وهذا من الأسرار في الأخلاق ، ولهذا طال كلامُ الأولين في الأخلاق ، وجاءت الشريعة واللغة واضعةً كلاً في موضعها ، وناعتهً لختارها ومرذولها ، وباعثةً على حسنها وجمالها ، وداعيةً إلى رفض قبحها ومُنْكَرُها . والكلامُ في هذا طويلٌ الذيل مَيَّاسٌ ، وما أحسنَ ما قال الشاعر :

لا تلمِ المرءَ على فعله
وأنتَ منسوبٌ إلى مثله
من ذمٍّ شيئاً وأتى مثله
فإنما يُزري على عقله
والبيت السائر :

لا كُتِبَ عن خُلُقٍ وتأتى مثله
عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمٌ
فهذا هذا .

(١) المسك : الجلد .

[خلق القرآن]

حدثني العُماني قال : قال قومٌ من أهل اصفهان لابن عباد : لو كان القرآن مخلوقاً لجاز أن يموت ، ولو مات القرآن في آخر شعبان بماذا كنهه نصلي التراويح في رمضان ؟ فقال : لو مات القرآن كان رمضان أيضاً يموت ، ونقول : لا حياة بعدك ، ولا نصلي التراويح ونستريح !

[تفسير آية]

وسأله الدامغاني يوماً عن قوله عز وجل : « ولقد هممت به وهمٌّ بها لولا أن رأى برهان ربه ^(١) » أتقول أن يوسف همَّ بالمعصية ؟ فقال : الكلام معطوف بعضه على بعض بالتقديم والتأخير ، فكأنه قال : لولا ما رأى من برهان ربه ، لقد كان يهيمُّ بها ولكنه لم يهيمَّ ، وهذا كقول القائل : إني غرقت لولا أن خلّصني فلان ، فحدثت بهذه الجملة ابن المراغي ببغداد فقال : لو سكت عن هذا كان أحسن به ، هذا تقدير لآعب بكتاب الله لا يحل نظم الكلام على تحريفه ، لأن ذلك جرأة . أما سمعت الله يقول : « لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ^(٢) » وإنما المراد به على سجيّة الكلام ، ولقد هممت به همّها اللائذ ^(٣) وهمٌّ بها همٌّ البشير الذي لا براءَ له من همّه إلا بتوفيق الله ، والبرهان كان ذلك التوفيق ، وما في الهمم ، الله أكرم من أن يؤأخذَ به ، وإنما ذكر

(١) سورة يوسف .

(٢) سورة الحجرات .

(٣) في اصل اللائق ، واللائذ : العالق ..

ذلك لنعلم أن النبي صلى الله عليه [وسلم] في نبوته غير مكثف بها دون أن
يكنفه الله بعصمته ، ويتغمده برحمته .

[تفسير آيات]

وسئل ابن عباد يوماً عن قوله عز وجل : « يُرْسَلُ عَلَيْهَا
شَوَاطِلٌ مِنْ نَارٍ وَنَحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُنَّ
تُكذَّبَانِ »^(١) فقيل : كيف يجوز أن يعد هذا في الآلاء والنعم وهو
إحراق بالنار ، ولا ألم بعده ، ولا عذاب فوقه ، فقال : أقول ما قال
شيخنا أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري رحمه الله ، فانه قال : إن الله
جعل جهنم سوطاً ساق به عباده إلى الجنة ، واللفظ عن الحسن على
ما عطينا بجمع كلامه عن الرواة أن الله خلق جهنم ليحوش بها الخلق إلى
طاعته ، فقال أصحابنا : فزعه إلى الحكاية عن الحسن حاكم بأنه
مفلس ، وقد قال العلماء في ذلك ، وإنما قول الحسن ترقيق وكلام يدخل في
الوعظ ، ولو حقق لقلق . وسأله الدامغاني يوماً عن قوله تعالى : « وَلَمَّا
سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ »^(٢) أي موضع لهذا السكوت ، والسكوت
ضد الكلام ، كما أن السكون ضد الحركة ؟ فما أحلى ولا أمر^(٣) ، وتغافل ، إما
كبيراً ، وإما جهلاً .

وسمعت ابن بابويه يقول في هذا : هو مما حرّف لأنه نزل : ولما
سكن عن موسى الغضب بالنون ، / فقلت له : وما دَرَكُ^(٤) المحرّف في هذا؟

[٢٣]

(١) سورة الرحمن .

(٢) سورة الاعراف .

(٣) ما أحلى ولا أمر : أي ماتكم بمر ولا حلو ولا فعل مرأ ولا حلوأ .

(٤) الدرك : التبعة .

فقال : هو ما قلت لك ، وقد صحَّ عندنا ذلك عن الصادق فأمسكت عنه
والجواب أبين من ذلك .

[حدّ الظلم]

وقال يوماً الخضير : أيها الصاحب ! ما أقولُ لخصمي إذا قال لي :
حدّ الظلم وضعُ الشيء في غير موضعه ؟ قال : قل له : يجب على هذا إذا أخذ
الرجل عمامته المكوّرة فوضعها على ركبته أن يكون ظالماً . قال أبو سليمان :
أخطأ ، لأن العمامة قد توضع على الركبة لغرض صحيح ، وحاجة بادية ، في وقت
مقتضٍ لذلك ، وزمانٍ يليق به ذلك ، ويكون حسناً عادلاً ، ويكون
ذلك مكانها ، والرأس أيضاً جعل مكانها لغرض معروف ، والأغراض
تختلف وتأتلف .

[الرزق والمرزوق]

وقيل له يوماً : ما أنكرت أن يكون الرزق ما يأكله المرزوق دون
غيره ؟ فقال : على هذا لو رزقك الله خفياً لكنت تأكله ؟ حكيتُ هذا
لأبي سليمان فصرّف القول في الرزق وفي أقسامه ، وعلله وأسبابه
وغرائبهِ ، وقد أحترته لمكان آخر ، فان هذا الكتاب يضيق عنه ، ويخرج
عن الأمر المتحرّى به .

[صفة المتكبر]

وقال له أبو عاصم البصري يوماً ! أليس المتكبر هو الذي يتعظم زائداً على
ما يستحقّه ويَحْسُنُ به ، ومن أجل ذلك ذمّوه بهذا الاسم إذا أطلقوه ؟ فقال :
بلَى قال : فما معنى وصف الله نفسه بالتكبر ، ونحن إنما نَفَيِّنَا عنه التكبر

لَقُبِّحَ عِنْدَنَا ، وَعِنْدَ الْمَعْرُوفِ بِهِ بَيْنَنَا ، فَلَوْ سَاغَ أَنْ يُنْتَعَتَ بِالتَّكْبَرِ سَاغَ أَنْ يُنْتَعَتَ بِالتَّكْذُوبِ ، فَاشْتَطَّ وَانْتَفَخَ وَتَرَبَّدَ ^(١) وَجْهُهُ ، وَدَرَّ وَرِيدُهُ ، وَكَادَ يَزِيدُ ثُمَّ تَدْفُقُ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ لَيْسَ مِنْ مَسْأَلَةِ أَبِي عَاصِمٍ فِي شَيْءٍ حَفِظْتُ مِنْهَا قَوْلَهُ :

[معرفة لغة العرب وأقوالهم]

أَحَدُهُمْ لَا يَعْرِفُ اللُّغَةَ عَلَى طَرَائِقِهَا وَدَقَائِقِهَا وَحَقَائِقِهَا مِنْ نَاحِيَةِ مَجَازِهَا وَسَعَتِهَا ، وَلَا مِنْ جِهَةِ سَلَامَتِهَا وَصَحَّتِهَا ، وَلَا يَفَرِّقُ بَيْنَ مَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ وَبَيْنَ مَا لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ ، وَيَقْصِدُ إِلَى الْمَسَائِلِ الْمُشْكَلَةِ ، وَالْمَعَانِي الْمُعْضِلَةِ ، وَالْأَبْوَابِ الْغَامِضَةِ ، وَالْأَلْفَافِ الْمُتَعَارِضَةِ فَيَسْأَلُ عَنْهَا ، وَيُعْجِبُ بِهَا . لَيْسَتْكَ عَرَفْتَ هَذَا بَعْدَ أَنْ تَعْرِفَ مَعْنَى قَوْلِ الْعَرَبِ : صَابَتْ بِقُرٍّ ^(٢) ، وَمَا الْمُرَادُ بِقَوْلِهِمْ : عَوْدُ تَعْلَمُ الْفَنَجَ ، وَمَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ : لِكُلِّ حَامَةِ جَوْزَةٍ ثُمَّ تَوْدِي ، وَمَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ وَمَتَى تُوْفِيَ الْمَبْرَمَانِ ^(٣) ؟ وَمَا الْبَدِيعُ ؟ وَمَا الْبَدِيعُ الْبَدِيعُ الْمَخْدَعُ ؟ وَمَنْ صَاحِبُ الْبَيْتِ السَّائِرِ :

وَبِي مِثْلُ الَّذِي بِكَ غَيْرَ أُنِيَّ

أَلَامُ عَلَى الْبَكَاءِ وَتُعْذَرِينَا

وَلَوْ صَدَقَ الْأَعْرَابِيُّ فِي قَوْلِهِ : كُنْ كَالضَّبِّ الْأَعْوَرِ يَعْرِفُ قَدْرَهُ ، وَلَا يَفَارِقُ جَحْرَهُ . وَأَصَابَ عَمْرٌ فِي قَوْلِهِ : لَا تَحْمِلُوا النَّفْسَ عَلَى الْمَهْجُورِ

(١) ترَبَّدَ : تَلَوْنَ بَلَوْنَ أَقْرَبَ إِلَى الْغُبَرَةِ وَتَرَبَّدَ تَغْيِيرٌ وَتَعْيِيسٌ .

(٢) أي صارت الشدة في قرارها : يضرب للشدة إذا نزلت (اللسان) .

(٣) لقب أبي بكر الأزمي محمد بن علي بن اسماعيل العسكري المعروف بمبرمات من علماء العربية من أهل بغداد ، من كتبه : شرح شواهد سيبويه ، والنحو المجموع على العلل والعيون والتلقين توفي سنة ٣٤٥ هـ .

فتتركوا المفروض ، ولا تتجنبوا المأذون لكم فيه ، فتركبوا المنهي عنه .
يحضرنا قوم لهم ذفر^(١) كصنن الثيوس أعياء على المسك والغالية ،
يسألون عما لا يعنيه ، ولا يليق بقَدِّهم^(٢) ، ولو سألت واحداً منهم عن
كنه أعشى همدان ، أو عن دُعَيْمِص الرجل^(٣) ، وما اسم النموذج^(٤) في
كلام العرب وكيف يجمع العجان^(٥) ، وكيف يصرف الهجان^(٦) ، وما
الأقذ^(٧) والمريش^(٨) وما الخباء^(٩) والعريش^(١٠) ، وما المشوق والحريش ،
وما المشوف والحريش ، وما الرثية والفريش ، وما الكصيصة^(١١) والقصيصة^(١٢)
والخرمصيصة والهلبيسية ؟ وما الفرق بين ما أخانا فنكرمك وبين ما أنت أخانا
فنهنيك ، الأول بالنصب والثاني بالرفع . ومن الذي يقول :

-
- (١) التن ورائحة الإبط المتن .
(٢) طرائقهم .
(٣) دعيمص الرمل : عبد أسود داهية خريت « القاموس » .
(٤) النموذج « بفتح النون » مثال الشيء « القاموس » .
(٥) العجان : الاست وتحت الذقن والقضيب المدود ما بين السبيلين من الرجل والمرأة ،
والعنق بلغة أهل اليمن . والجمع عجن وأعجنة .
(٦) هجن ككرم هجنة وهجانة وهجونة : كان هجيناً .
(٧) الأقذ : سهم لا ريش عليه والمستوي البري . ويقال ماله أقذ ولا مريش أي
لا شيء له ولا مال .
(٨) المريش من السهام : ما ألصق عليه ريش ليحمله في الهواء كما يحمل الطائر .
(٩) الخباء : ما يعمل من وبر أو صوف أو شعر للسكن .
(١٠) البيت الذي يستظل به . شبه الخيمة .
(١١) الكصيصة : الجماعة .
(١٢) القصيصة : الطائفة المجتمعة في المكان .

فأرميها بجلمود وترميني بجلمود
فأرميها وترميني وكل هالك مودي

[عمرو بن عبيد]

ولكن صدق عمرو بن عبّيد شيخنا وشيخ الاسلام ، وشيخ العدل والتوحيد حين قال : لن يكون العبد مستكماً لاسم الولاية حتى يسمع الكلمة العوّاء فيجعلها دبراً أدنه ، هذا مع قوله : تقويم الجاهل بما يُنكر أيسر من تعريفه ما يحجل ، ولولا أن عذري في تقويمك وتأديبك وتهذيبك وتربيتك يغمض على كثير ممن يسمع هذا الحديث لسلّختُ شواتك (١) ، وكسرتُ على رأسك دواتك ، وألزمتك دُكانك وأداتك ، وأطعمتك بؤلك وخراءك ، اذهب فأنت طليق الجهل والقلّة ، وعتيق الخيبة والذلة .

[أقوال للصاحب]

وكان إذا انتهى كلامه مع خصم يقول : النظر شعاري ، والجدل دثاري ، والحق مناري ، والبيان مداري ، والله جاري .
وقال يوماً للحسين المتكلم : إليّ يقول هذا ؟ والجدل ردائي ، والنظر حذائي ، والتعلم وطائي ، والبلاغة غطائي ، والذهب والفضة عطائي !
وقال يوماً آخر لأبي صادق الطبري : أنت يا أبا صادق خفيف الرأس ، شديد الإفلاس ، إذا نصرت التجار هذيت بالوسواس ، وصدعت رؤوس الناس بالتمويه والإلباس .

(١) الشواة : جلدة الرأس .

وسمعه يوماً يقول لابن شاذان : يا أبا الحسن توقّ الرسن ، وانظر إلى
السن ، فما أخوفني منك تسن ، بالقبح لا بالحسن !

فقال له : أيها الصاحب ، كرم طبعك أمان لي من بواتق سيجعك !
وقال يوماً لابن حمزة : الجدّل من قبلي ، والنظر من خولي ، هل
هضبة توفى على جبلي ! فاحفظ نفسك وأعرف خصمك ، وراجع فهمك ،
وجرب بختك^(١) . وكانت له نبسات^(٢) كبيرة ، لكنها كانت تدفن ولا
تذاع ، رهبة ورغبة .

[تفسير لغوي]

قال يوماً : أطلع عليه ، / ولا يجوز اليه ، والمعنى يقتضي عليه لا غير ،
فقال له الضير النحوي : فما تصنع بقوله عز وجل : « لعلّي أطلع إلى
إله موسى^(٣) » فبرد .

ومن هذا الضرب قال يوماً : جنّ عليه الليل [أجنّه] كمنّه الليل
لا يجوز غير هذا . فقال له أبو عمران الحسني : هذا لعمري في الفصيح ،
وإياه ذكر ثعلب واختاره ، ولكن أين نحن من المرّار الفقعسي وهو [أفصح]
من عالم صاحب الفصيح فانه قال :

آليت لا أخفي إذا الليل جنّني

سنا النار عن ساري ولا متورّ

(١) البخت : الخط « فارسية معربة » .

(٢) نبسات : مفرد لها نبسة : وهي مصدر نبس أي تكلم وأكثر ما يستعمل في النفي .

(٣) سورة القصص .

فقال : يا أبا عمران أنت جاهل بالعلم وذلك شوّه الله وجهك ، ووكل
المقّت والادبار بك ، وأنشد يوماً لشاعر :
وإذا قلت لها جودي لنا
خرجت بالصمت من لا ونعم

قلت : أصحابنا كذا يُنشدون ، ويقال فيه تصحيف ، فقال : إسألح
على أصحابك ولو كان سأل عن وجه التصحيف لكان أشبه بالفضل ، واخلق
بأخلاق (١) وقيل له يوماً : ما القُرْحان (٢) ؟ قال : الذي لم يخرج به
الجُدْرِي ، قيل : ولم قيل ذلك ؟ قال : ليسخن الله به عين السائل ،
ويسخّم (٣) وجهه ، ويسحل (٤) عينه [و] يثقل دينه ، ويدق ظهره ، ويسلّط
عليه من يسدّ دبره .

[نوادر للصاحب]

واستؤذن يوماً للورّاق الطرسوسي فقال : الطرّ (٥) في لحيته ، والسوس
في حنطته ، ما أصنع بطالعه ؟ وتكلم يوماً الخطيب في قول الرجل : لا مال له قليل
ولا كثير ، ولا مال له قليلاً ولا كثيراً فلم يفهم عنه . وقيل له : ما الفرق
بين با و تا و ثا في مواضعها الخصوصية فتحيّر ، وكان السائل ابن المراغي .
وقيل له : لمّ جاز أن زيداً منطلق وعمرو ، ولم يجز ليت زيداً منطلق وعمرو ،
والحرفان متضارعان في إيجاب النصب ؟ فلم يكن عنده جواب .

(١) في الأصل كلمة مطموسة .

(٢) القرْحان والقرحي : من لم يشهد الجرب ، والقرْحان من الناس : الذي
مسه القرح .

(٣) سخّم وجهه سوده من السخام وهو سواد القدر .

(٤) سحلت العين : بكت .

(٥) طر الشارب أو النبات : طلع .

[مسائل نحوية وفقهية]

ولقد سهرت معه ليلة في معرفة الفرق بين زيد أفضل اخوته ، وزيد أفضل الاخوة ، وجواز أحدهما وبطلان الآخر ، فكان كالحمار بلادة ، وقلت : للجيلوهي إنك تنال من عرض هذا الرجل حداً فقال : قال النبي صلى الله عليه [وسلم] لي الواجد يحل عرضه وظهره ، كما قال : مطل الغني ظلم ، قلت له : إنما ورد هذا في الواجب كالدين والتمن وما أشبههما . فقال : الأمل دين ، والكرم مطلوب ، وما رأس الله أحداً إلا وفرض عليه الإفضال والإحسان .

[الحث على الكرم]

وقيل لعقيل بن علفة : لم تهجو قومك ؟ فقال : إن الشاة إذا وردت الماء فلم يُصفّر لها لم تشرب ، أي إذا لم يحرّضوا على المكارم لم يفعلوها . قال : وأنا أستحسن قول الفضل بن يحيى قال : ما حثني أحد على الكرم كرجل أنشدني بيتين وهما :

عُد لي بعادتك التي عودتني
روحي فداؤك يا أبا العباس
إن الدخائر إن أردت ذخيرةً
مننٌ تقلدُها رقاب الناس

[المدح والهجاء]

قال : وأعجب من ذلك قول جرير فيما رواه الصولي إذا مدحتم فاختصروا ، وإذا هجوتهم فأطيلوا فإن الناس لا يملّون الشر .

[تساؤل ينيء عن جهل]

ورأيتُه يوماً وقد خُزي وانقطع ظهره فانه قال : قولهم : إنها لا بل أم شاء
معناه بل شاء ، فقال له الحسنكي : فما تصنع بقوله عز وجل « أم اتَّخَذَ
مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ »^(١) أترأه أراد به بل اتخذ مما يخلق بناتٍ ، وهذا
كفر ، فما دار لسانه بشيء على حديثه وكثرة هذيانه .

[هجاء الصاحب]

وحدثني العباسي وقد جرى ذكر ابن عبّاد :
لقد أتانا حديث ما نكذبه
عن الرسول رويناه بإسنادٍ
أن يُطلب الخيرُ ممن وجهه حسنٌ
فكيف نطلبه عند ابن عبّادٍ
مشوه الخلق لا دين ولا حسبٌ
كالقرد ما عنده خيرٌ لمُرتادٍ
فقلت : لمن الشعر؟ فانه واقع جداً فقال : هو لادريس بن أبي حفصة .
قلت له : ما عني غير صاحبنا .

[خبث اللسان وطيب القلب]

وقال له يوماً ابن ثابت : روى البخاري في التاريخ أن سعداً مولى

أبي بكر روى أن رجلاً شكى إلى النبي صلى الله عليه [وسلم] صفوان بن^(١) المعطل وقال : إنه هجاني ، فقال : دعوه إنه خبيث اللسان ، طيب القلب . فما تأويل خبيث اللسان وطيب القلب ؟ فقال البخاري : حشوي فشري ليس عليه معول ، ولا لقوله متأول .

وسئل يوماً عن قول الله عز وجل : « فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ » ويمحُ الله الباطل^(٢) » كيف نظمهُ وقامه في المعنى واللفظ ، فصاح على السائل وقال : أتسأل عن النظم وأنت لا تعرف الرقم^(٣) ولا العقم^(٤) ، ولا الصدم ولا الرّدم ؟

[مسائل]

وأوصل إليه الوليدي مسائل من جماعة من أهل نيسابور كان فيها : ما معنى « إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ^(٥) » ؟ قد علمنا أن من كذب فهو كاذب . وكان فيها : ما معنى قوله : « لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِلَّا هَيْبَنَ^(٦) » ؟ وقد علمنا أن إلهين لا يكونان .

(١) في الأصل : بزيادة ابن .

(٢) سورة الشورى .

(٣) الرقم : ضرب مخطط من الوشي أو البرود .

(٤) العقم : ضرب من الوشي .

(٥) سورة النحل .

(٦) سورة النحل .

إلا اثنين ، ولا قناعة لنا بقول من قال : هذا توكيد ، فان المطالبة فوق التوكيد ، وأضعف المتكلمين في القرآن من زعم أن شيئاً منه زائد ، وأن كذا وكذا لغو ، وأن هذا على وجه التوكيد ، ونحن وإن كنا نعلم أن التوكيد مذهب العرب وكذلك الزيادة والحذف والاضمار ، فالحكمة المطلوبة غير ذلك .

وعرض عليّ الوليدي المسائل وكان فيها ما معنى قول الله عز وجل : « لَا تَجْعَلُنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » ؟ وما وجه قول القائل : لا تجعل ما لا يجعل ، أو جائز أن يقال للانسان : لا تنظر برجلك ولا تمش بعينك ؟ قيل : لا ، لأن هذا لا يخاف . قيل : وكذلك ، لا يجعل الله أحداً مع القوم الظالمين لأن هذا لا يخاف . وما معنى قوله : « مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ » . وقوله : « ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى » . وقوله : « وَأَلْقَيْتَ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّْي » وعن قوله عز وجل : « وَتِلْكَ الْآيَاتُ الَّتِي نُنَادِي بِهَا بَيْنَ النَّاسِ » . وما معنى قوله : « لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ » ؟ خبرنا عن الآيات أكانت في أفعالهم أو في أبدانهم ؟ وما معنى : « وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ

(١) سورة الأعراف ..

(٢) سورة الحجر .

(٣) سورة طه .

(٤) سورة طه .

(٥) سورة آل عمران ..

(٦) سورة يوسف ..

[٢٤أ] يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ^(١) ؟ وخبرنا عن قوله : « وَمَا مِنْ / دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا^(٢) . وعن قوله : « فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ^(٣) » . وما معنى : « وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ؟ ولذلك خلقهم^(٤) » ، الاختلاف أم للرحمة ؟ فان قيل : للرحمة ، قيل : فالاختلافون هم الذين خلقهم للرحمة ، فما معنى : « وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ^(٥) » ؟ فقد أخرج مَنْ رَحِمَهُ مِنَ الْاِخْتِلَافِ وَلِلرَّحْمَةِ خَلْقُهُمْ ، فإذا كان كلهم للرحمة خلّقوا فكلّهم غير مختلفين ، لأنّه نفى عنهم الاختلاف وهم الجميع ، فأين المراد بالآية ؟

وقال : « إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي^(٦) » وقال : « فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ^(٧) » أفليس قد أخبر أنه لم يشأ أن يجمعهم على الهدى إذ أمرهم ؟ وما معنى قوله كذلك : « لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ^(٨) »

(١) سورة المائدة .

(٢) سورة يونس .

(٣) سورة طه .

(٤) سورة هود .

(٥) سورة هود .

(٦) سورة يوسف .

(٧) سورة فصلت .

(٨) سورة يوسف .

فإن كان عمّ بهذا الكفار والمؤمنين فما فضيلة يوسف ؟ وإن كان خصّ يوسف فهو قدح في النحلة .

وقال : « ولا تقولنّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غداً إلا أن يشاء الله ^(١) » فما شاء الله فعله ، فإن قيل : فكل ما شاء الله كان ؟ فهذا قولنا ، وإن كان يشاء فلا يكون فما وجه إيجاب الأمر بأن « لا تقولنّ لشيءٍ إني فاعلٌ » ؟ إذ العباد يفعلون وإن لم يشأ الله .

وما تأويل قوله : « أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ^(٢) » وقال : « واتبعوا أهواءهم ^(٣) » فبدأ بالطبع ثم شنّى بالاتباع، وهذا يدفع تأويلكم في قوله : « فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم ^(٤) » .
وما تأويل قوله : « والذين اهتدوا زادهم هدىً وآتاهم تقواهم ^(٥) » وقال : « هذا بيان للناس وهدىً وموعظةٌ للمتقين ^(٦) » فهو بيان للكفار ، وهدىً وموعظةٌ للمتقين دون الكافرين ، فلم تعمّون ما خصّ الله ، وتخصّون ما عمّ الله ؟

وما تأويل قوله : « وننزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين

(١) سورة الكهف .

(٢) سورة النحل .

(٣) سورة محمد .

(٤) سورة الممتحنة .

(٥) سورة محمد .

(٦) سورة آل عمران .

ولا يزيدُ الظالمينَ إلا خَسَاراً^(١) . وما تأويلُ قوله : « وَمَنْ يوقْ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(٢) » ؟ وما تأويلُ قوله : « لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ^(٣) » ؟ فخصَّ بهدایتِهِ أَهْلَ التَّقْوَى ، فان قيل : هو هدىً للكافر أيضاً ، فكيف وقد ختم القصة فقال : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ^(٤) » . كيف يكون القرآن هدىً لمن كان سواء عليه أأنذر أم لم ينذر ؟ ويقال : قال الله تعالى : « خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً^(٥) » فهل ذاك فرض الله يَحْتَمِلُهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ؟ فان قالوا : لا ، فقد كلّفوا أن يبصروا الهدى وقد ختم على قلوبهم ، وأزالوا الفرض عمن ختم الله على قلبه ، وعذروه بكفره وجعلوه بمنزلة الصبي والمجنون ، وإن أمر ، أن يقال : لو شاء الله لم يُعَصِّ لَأَنَّ اللَّهَ ذَمَّ الَّذِينَ قَالُوا : « لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا^(٦) » الآية ؟ . قيل : فما تصنعون بقوله : « وَآتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ^(٧) » ولو شاء الله ما اقتتلوا ولقتلهم معصية ، ولو شاء الله ما عصوا بأن يمنعهم ، إذ خلّس بينهم وبين معصيته .
وما معنى قوله : « وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ^(٨) » ؟ قال الوايدي : وترددتْ شهوراً ليجيب عنه فما فعل .

(١) سورة الإسراء .

(٢) سورة الحشر .

(٣) سورة البقرة .

(٤) سورة البقرة .

(٥) سورة آل عمران .

(٦) سورة الأنعام .

(٧) سورة البقرة .

(٨) سورة البقرة .

وكان في المسائل (١) أيضاً : كيف يُنفي العلم عن الله وقد أثبتته لنفسه في مواضع ، والنص لا يحذف ولا يُتأول فإن الله تعالى أنزله بعلمه وقال : « فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بَعْلَمَ (٢) » وقال : « وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمِ (٣) » وقال : « وَلَقَدْ اخْتَرْنَا عَلَى عِلْمِ (٤) » وقال : « وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ » . « وَوَسَّعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا » ومن أعرض عن التنزيل فقد خلع رِبْقَةَ الدين .

[مسائل لغوية ونحوية وشعرية]

وكان إذا رأى كاتباً يقول له : أحكمت الفصح هات ! قدت العين ماذا ؟ وهات : لَحِمَ الرجل وشَحِمَ . وما في بابه .
وإذا رأى صاحبَ لغةٍ قال : ما معنى قول الشاعر :
وأقدَرَ مشرفِ الصَّهواتِ ساطِ
كَمِيتٍ لَا أَحَقُّ وَلَا شَمِيتٍ (٦)
وإذا رأى نحويّاً يقول : على ماذا تَنْصِبُ « نذيراً للبشر » ، فإذا أَكْثَرَ من هذا وشبهه أنشد :

أرى الناسَ أخلاطاً جميعاً وإنهم
على ذاك شتّى والهوى متفرّقٌ

(١) أي المسائل التي طرحها جماعة من أهل نيسابور ، أنظر : ص ١٧٧ مسائل .

(٢) سورة الأعراف .

(٣) سورة الجاثية .

(٤) سورة الدخان .

(٥) سورة طه .

(٦) كتاب الخيل - لأبي عبيدة - ص ١٢٥ - ١٢٦ ، واللسان « شأت » الشثيت من

الخيل : العثور ، الأحق : الذي يضع رجله في موضع يده ، الساطي : الرافع دنبه في عدوه أو الراكب رأسه في السير .

ترى المرءَ إن جالسته ذا صناعةٍ
وسائر ما فيه على ذاك أخرق^(١)
وتلقى أصيل الرأي ليس لسانه
بمخرج ما في قلبه حين ينطق

ورأيته مرة يسأل الحسنكي : ما الطاية والثاية والعاية والآية والراية ؟
وما الناقة القاصية^(٢) والغاضية^(٣) والعاطية^(٤) ؟ وكان سريع الرد على
الانسان ، شديد التعجرف ، وكان ذلك ربما انقلب عليه .

وقال يوماً لبعض العلماء في كلام سمعته منه : أصفيتك كذا ، وكذا لا يجوز ،
أما قرأت القرآن « [أ] فأصفاكم ربُّكم بالبنين^(٥) » ، إنما يجب أن يقول :
أصفيتك بكذا وكذا . فقال العالم : هذا صحيح فصيح ، وغيره جائز حسن ،
أما قرأت في الحماسة قول الشاعر في النسيب :

لئن كنت أوطأتني عشوة^(٥)

لقد كنت أصفيتك الودَّ حيناً

فقال بعجرفته : الشعر موضع ضرورة . وكذب ليس هذا
من ذاك .

(١) الهرمة أو المنفردة عن القطيع .

(٢) ناقة غاضية : تأكل الغضى .

(٣) الناقة العاطية : المتطاول برأسها إلى الشجر لتتناول منه .

(٤) سورة الاسراء .

(٥) أوطأه العشوة وعشوة : أركبه على غير هدى .

حدثني الثقة قال : قال يوماً المسيبي في حديثه : وكان يَخْفَرُ من ذاك ويستحيي فقال له : سخنت عينك لا يقال للرجل يَخْفَرُ ، الخَفَرُ للنساء . فقال المسيبي : أيها الصاحب ! التؤدة خير من العجلة ، أين نحن من قول الشمردل في أرجوزته ، رواها أبو حاتم :

لا يسبق النائل منه المنكر

ففي شتاء يستحي ويخفر

فقال له : أخذنا في الحماقة ، وقال مرة : ضره وأضر به ، وكما لا يجوز أضره كذا لا يجوز ضره به ، فقال له رجل / من خراسان : فما تقول في قوله عز وجل : « وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ »^(١) فقال الرجل : إحصأ هذا من ذاك ؟ وأخجل الرجل في صوابه ، ولم يخجل هو من خطئه لسقوطه وجهه ومكابرته وحسده .

[٢٤ب]

وقال يوماً : النكث للعهد ، والخلف للوعد ، ولا يجوز نكث الوعد ، وكذا لا يجوز أخلفت العهد . وكان بيت القرآن والرواية حاضراً أبو الحسن بن شاذان فقال : هذا مرفوض بقوله تعالى : « قل أتتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهداً »^(٢) فبرّد ، وكان بارداً لا رحم الله صداه ، ولا بلّ ثراه .

[الاقتراف والاعتراف]

وقال في بعض الليالي : الاقتراف لا يكون إلا في القبيح ، أما سمعت الكلام الذي هو كالمثل ، الاعتراف يمحو الاقتراف ، فقال له مقرر : قد حضر : التنزيل يأبى هذا الحكم ، وينطق بغيره ، قال : وما ذاك ؟ قال :

(١) سورة البقرة .

(٢) سورة البقرة .

قال الله تعالى : « وَمَنْ يَقْشَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا (١) »
فخزي وقام .

[الصاحب وأبو الفرج الصوفي]

ورأيتُه يَناظرُ أبا الفرج البغدادي الصوفي ، وكان في أذنه وقْر (٢)
في وساوس الصوفية وخطراتهم ، فقال له : يا أبا الفرج إذا كانت
البيئُونة مشعوراً بها في عَرِصةِ الحق حيث لا عبارةَ للخلق ، ولا أمانَ
للجل (٣) والدق ، بطنت وسائلُ المعرفة بحقائق المراد ، واشتبهت أعلام
الحال في تثبيت الاشارة ، وبقيت العبارة على إلف الالف وعادة المتألف .
فأجابه أبو الفرج : لا ثباتَ لمناسب البيئُونة في نهايات الاتحاد لزوال شرائط
رسوم الخلق عند تصافي الأرواح بحقائق الحق ، قال ابن عباد : ما أنكر
تلاشي المناسب في نهايات الاتحاد إذا سَطعت أنوار الحقيقة بالاتقاد ، وإنما جررت
الكلام إلى غاية تزلق فيه (٤) الأفهام ، وتسيخ فيه الأوهام ، ولا يُشرف عليه
إلا من خصه الحق بخصائص التَّمام ، ورفع معارفه عن معارف
'جملة العوام' ، ولولا الحال التي امتحنني الحق بها ، وسحبني على
غرائبها وعجائبها في عرض صواقها وكواذبها ممّا هو مردودُ إليه ، ومتوكلُ
فيه عليه لشققتُ معك جلبابَ صدرٍ قد حُشي ودائع ، وفتحتُ لك
أبواب خزائن قد جُمعت فيها بدائع ، ولكني بما تراني أذبذبُ عليه

(١) سورة الشورى .

(٢) وقرت الأذن : ثقلت أو ذهب سمعها .

(٣) جل الشيء : معظمه .

(٤) كذا في الأصل .

مأخوذ ، وبما تسمعي أدنين' حوله مجذوذ^(١) ، وإلى الله المشتكى فهو
الغاية والمنتهى .

ثم قال يا أبا الفرج: هل تعرف من أصحابك من يقول:

بليت بما لو يُبتلى أحد به

لأصبح كالعين النقيش يطيش^(٢)

بعشق وإعراض وشوق وغربة

ومحك^(٣) الذي أهوى فكيف أعيش؟

وأعجب من ذا أني متصوف

ولكن صوف العاشقين حشيش

[أبو السلم والوزيران]

وقلت لأبي السلم نجيبة بن علي : قد لقيت ابن العميد وها أنت تشاهد
ابن عبّاد ، فصِفْهُمَا لي ، فانك رجل بدوي ، وتنظر إلى كل شيء
بفطرتك ، وتنطق عن كل شيء بسابق فطنتك . فقال : أما ابن العميد
- يعني أبا الفضل - فكان بحرّه لا يُنْزَف ، وبرّه لا يُنْسَف ، وغُبّاره
لا يُشَقّ ، ونسيمه لا يُنْشَق ، وجهه لا يُفْرَك ، وأديمه لا يُعْرَك ،
على بخلٍ كان به أحوال نهّارَه ليلاً ، وألصق به ثبوراً وويلاً . وأما
هذا يعني ابن عبّاد فليس في استحسانه لإحسانه فضل ولا استحسانه
لإحسان غيره ، قد غرق في بحر نفسه ، فليس يرفع طرفه إلى أحد
من بني جنسه ، وهذا الذي يدل على غاية نقصه .

(١) جذ في سيره : أسرع .

(٢) العين : الصوف أو ما كان منه مصبوغاً .

(٣) محك الرجل : شار ونازع في الكلام وتماذى في اللجاجة عند المساومة .

[رأي الجيلوهي في الصاحب]

وقلت للجيلوهي يوماً : كيف ترى ابن عبّاد ؟ فقال : كما
قال الشاعر :

كبرقٍ لاحَ يُعجِبُ من رآه
ولا يَسقي الحوائث من لَمَاقٍ (١)
ونظر اليه يوماً وقد طلَعَ في موكبه فتمثل بقول الشاعر:
وأنتم كغيثِ السُّوءِ من يَرَا بَرَقه
يَشمُه ومن يَحُلُلُ به فهو جادبه

[شعر الصاحب]

ومن شعر ابن عبّاد وهو يتملح به عند نفسه قوله في رجلٍ
تزوجت أمه :

عذلتُ لتزويجه أُمَّه
فقال فعلتُ حلالاً يجوزُ
فقلت حلال كما قد زعمتُ
ولكن سمّحتُ بصدعِ العجوزِ
وقال أيضاً :

زوجت أُمَّكَ يا أخي
فكسوتني ثوبَ القلقِ
والحر لا يُهدي الحُرَم
إلى الرجال على طَبَقِ

(١) رواية اللسان «ولا يشقي» ، واللماق : اليسير من الطعام والشراب .

[كلام الصاحب في الزهد]

وقلت لأبي الفرج الصوفي البغدادي : أنت شيخٌ صوفي ، ولك ذكرٌ جميل ، لم يتعاطى هذا الرجل - أعني ابن عباد - الكلام في الزهد والدقائق والاضمار والوساوس وتصفية الأعمال ، هذا علم يذاكر به أصحاب الحرق، وأرباب الحرق، فقال: هذا رجلٌ رقيقٌ رفيع ، وله جاهٌ ومالٌ ، وهو مُطاع ، ولست أُصِلُ إلى ما في يديه إلا بالرفاعة ، وأنا ثقیل الظهر بالعیال ، محتاج إلى القوت ، فأحمقُ ^(١) له ساعة حتى أنال منه هذا الحطام، والذي قد تهالك عليه الخاص والعام، وقد قال الأول :

فحامقته حتى يقال سجيّة

ولو كان ذا عقلٍ لكنت أعاقله

[ابن العميد في نظر الصاحب]

وسمعتُه يقول وقد جرى حديث ابن العميد أبي الفضل فقال : لم يكن له مع فضله الشائع ، وأدبه البارِع علمُ الدين ، ولا كان عنده شيء من الشريعة ، وكان لا يعرف القرآنَ وأحكامه وغريبه وإعراجه واختلاف العلماء فيه بضروب التأويل وغرائب التفسير ، والرئيس إذا عُرِي من هذا السربال فهو ممقوتٌ عند الله تعالى ، ممقولي ^(٢) عند الناس.

(١) أحمقه : وجده أحمق والمقصود هنا تحامق أي تكلف الحماقة .

(٢) قليه : أبغضه .

وكان إذا سمع كلاماً في الدين ثَقُلَ عليه ، وَخَسَّ (١) عنه ، وقطع على الخائض فيه .

[كلام الصاحب في العلم والحكمة]

وكان إذا احتفل في العلم والحكمة ، وما يدل على الخصوصية قال : لِمَ صارت الأشياء المتعادية في حياتها تتعادي بعد مماتها أيضاً وتتنافر كمعي الذئب، وجلد الشاة، وكيس (٢) السنور، وعظم الفأرة ؟ وَلِمَ الصبي إذا وُلِدَ أزرق فأرضعته حبشية عاد أشهل ، فإن دامت عليه عادَ أ كحل ولم يتفلفل شعره كما اسودَّت حدقته ؟ وَلِمَ ينسب الضب إلى العقوق ، والمهرة إلى البرّ وهما يتشابهان في أكل أولادهما ؟

قال: ويقول في دقيق علمه وغامض حكمته: قيل لسنّورة : لِمَ تأكلين جراكِ على فرط حبك لها ؟ قالت : يخيل إلينا أن أ كبادنا أولى بأن تكون فيها من الأماكن التي تحويها .

قال : ومن جملة ذلك أيضاً لِمَ تموت الشُكْلَمَة (٣) من الضربة الأولى، وتعيش بالضربة الثانية ؟ وَلِمَ صار الفرس لا طِحَالَه ؟ والبعير لا مرارة له ؟ والظليم لا مخّ لعظمه ؟ وَلِمَ ليس في السباع أطيب أفواهاً من الكلاب ، ولا في الوحش أطيب أفواهاً من الطّباء ؟ وكيف صار الأسد أشدّ الحيوان بَجَرًا (٤) ، وكذلك الصّقر ؟ / ولم صار الكلب أسبح من

[٢٥]

(١) خَسَّ : تأخر وتجنّى.

(٢) الكيس : المشيمة وهي محل الولد في البطن .

(٣) الشُكْلَمَة من الإبل: لون الأشكل منها ، والأشكل ما فيه حمرة وياض مختلطان.

وقيل ما فيه يياض يضرب إلى الحمرة والكدرة .

(٤) البجر : رائحة الفم الكريهة .

سائر السباع ؟ ولم صار حيتان البحر لا أسنة لها ولا أدمغة ؟ ولم صار صَفَن^(١) البعير لا بيضة فيه ؟ ولم صارت السمكة لا رئة لها ؟ ولم صار في فؤاد الثور عظم ؟ ولم صارت البراغيث تجتمع على السوط متى دهن بشحم قنفذ أو مسح بمصران ابن عرس ؟ ولم صار الزنبور يموت في الزيت ويعيش في الخل ؟ كما تموت الخنفساء في الورد وتعيش في الروث ؟ ولم صار الضب يأكل الجراد ويسالم العقارب وهي أشبه بها من الماء بالماء ؟ في حماقات كثيرة ، الجهل بها أحمد من العلم بها .

[تشنيع الصاحب على ابن العميد]

هذا من تشنيعه على أبي الفضل ، وكان مع ذلك ربما قال : كان واحد الدنيا ! وهذا كما ترى وهو يدخل في باب المناقضة . والأمر الذي تشدد فيه - أعني ابن عبّاد - وبلغ الحدّ الأبعد منه ، وزاد على جميع الناس فيه باب المخاطبات ، وأنه كان يطالب أصناف الناس بما ليس في الطاقة ، ولم تجر به عادة ، وكان يقول: هذا الذي به أجدر طعم ولا يتي ، ولولا هذه اللذة والشهوة ما باليت أن أنقلب في مرقعة خلقي ، وثوب رثٍ بالٍ أجوب بلاد الله ، وألقى عباد الله ، وآكل رزق الله . ولقد خُذع في هذا عن أموال خطيرة اختلست فتغافل عنها إما عن جهل وجنون وإما عن غيرهما . وأفسد البيان والبلاغة على الناس بهذا السبب لأنه كان يسوم كل من كتب إليه أن يكني عن نفسه بالعبودية ، وعنه بالمولوية ثم يعرض في هاتين الكنيتين وكتابة الحديث والأمر والشأن .

(١) الصفن : وعاء الخصية .

ومن الحديث عنه أوله أو فيه ، فرجما تشاجرت كتابات ، وتداعت معانيها على الكاتب فلا تخلص إلى تحقيق مراد ، واستبانة وجه ، وهذا الذي أقوله يعرفه من دفع اليه ، ودُهي به .

[تعليل الالقاب]

قال ابن ثابت : قلت له : كيف كان الخليفة يرضى بأن يقال له : أعزّه الله ، وكذلك ولي العهد والوزير ومن قاد الجيش ، وأغنى في الهبوة (١) ، ومن أمر على شطر الدنيا ؟ وكان ابن الزيات يقال له : يا أبا جعفر ، وابن أبي دؤاد يقال له : يا أبا عبد الله . فقال : كان الناس في ذلك الوقت ضعاف العقول ، صغار الهمم ولم يكن لهم مرائر مغارة ، ولا نفوس فيها غزارة ، هكذا قال . وهذا حفظك الله كلام جاهل لا خبرة له بشيء من أمور الدنيا والدين ، وهو مع ذلك دليل على النذالة والسقوط .

[تعليل المخاطبات]

وجرى يوماً حديث المخاطبات عند القاضي أبي حامد المروزي (٢) والترتيب فيها ، وامتناع الناس من التصارف الجاري بين أهلها فقال : سبب هذا كله إحساس الناس بنقصهم القائم بهم ، الراكد عليهم ، الثابت فيهم ، وطلب دفع ذلك بالترتيب ، ونفيه بالخطاب وليس الطريق إلى ذلك هذا ، بل الطريق إليه الأخذ بأخلاق من سلف من الحياء والكرم والدين والمروءة، وانظر

(١) الهبوة : شبه الغبار يرتفع في الجو .

(٢) أبو حامد أحمد بن بشر المروزي القاضي من كبار علماء عصره وكان أستاذاً للتوحيد ، وكان هذا يقول : « كان أبو حامد بجرأ يتدفق حفظاً للسير ، وقياماً بالأخبار ، واستنباطاً للمعاني ، وثباتاً على الجدل وصبراً في الخصام » وقد بلغ إعجابه باستاذه إلى أن قال : « إنه أنبل من رأيته في عمري » ، توفي

الى السلف الصالح كيف كانوا ، هل خاطبوا رسول الله صلى الله عليه [وسلم]
إلا بيارسول الله ؟ وبعد فهل يُخاطب ربنا إلا بالتاء وإلا بالكاف ؟ وهل
سمعتَ عبداً لله قد أخلص دينه له قال : إن رأى ربنا فعل بعبده كذا
وكذا ، وهل الخير كله إلا فيما خص الله به نبيه وأُمته وأشاع فيهم
حكمته وبركته .

[الصداقة والمصارفة]

ثم قال أبو حامد : وينبغي أن لا يكون بينك وبين أصدقائك صرف^(١)
لأن الصداقة فوق ذلك ، بل المصارفة فيها يُقذِّرها ويُفسدها ، ويحيل
نضارتها ، ويبدِّل خضارتها ، وقد تستحيل الصداقة بالمصارفة عداوة ،
لأن التجني والاستزادة يعتورانها ، والاعتداد والاحتجاج يحققانها ،
فأما النظراء والأكفاء فيكفي معهم أن يكون الجواب كالابتداء ، والآخر
كالأول ، وكان أبو محمد النباقي يقول في هذا الباب كلاماً طيباً ، وأنا
أحكيه لأنه موضعه ، وإن تنفست الرسالة فالغرض الفائدة ، وإن
كان سبب إنشائها الغيظ الذي فاض الصدرُ به ، ومرح اللسان بوصفه .
وقد قال ابن الرومي :

وما الحقد إلا قوام الشكر في الفتى
وبعض السجايا ينتسبن إلى بعض
فحيث ترى حقداً على ذي إساءةٍ
فثم ترى شكراً على حسن العرض
إذا الأرض أدَّت ربع ما أنت زارعُ
من البذر فهي فاهيك من أرض
فهذا هذا ،

(١) صرفه : رده ودفعه .

[الحماقة والرعاة والرعونة والجنون]

قال : جميع ما يتقلب الناس فيه من هذه الأمور الفاسدة والأحوال الرديئة يرجع إلى أصول أربعة وهي : الحماقة والرعاة والرعونة والجنون .
فأما الحماقة فما عليه الكتاب من المخاطبات المختلفة التي ليس فيها حقيقة ، ولا ترجع إلى صحة ، لا من جهة الديانة ، ولا من جهة رسم الأولين السادة ، وإنما هو شيء يؤدي إلى القال والقيـل ، وإلى العداوة والمغالبة ، ويبعث على الوحشة الشديدة بالاستسعار^(١) الردي ، والوسواس المردى ، لأن الترتيب إن كان بينك وبين من هو دونك فهو على الدلالة على محلك ، وإن كان إلى نظيرك فهو على غاية المماثلة بينه وبينك ، وإن كان إلى من فوقك فهو على توفية ما يستحقه منك . قيل له : ها هنا قسم آخر والداهية كلها منه ، قال : وما هو ؟ قيل الذي يدعي أنه نظير لك وهو دونك ، والذي هو فوقك وتدعي أنه في حدك ، وها هنا يشتد النزاع والقراع ، ويتحطم القنا ، ويتطير الشرر ، ويمجد الشيطان مدخلاً منه وتسويلاً به . فقال هذا من فقد التعاطف في الأصل ، وإلا فالحال مفضضة في التحقيق إلى الكلام الأول .
ثم قال :

وأما الرعاة فانتفـاش القضاء والشهود ، ألا تراهم كيف يوسعون أكمهم ، ويعرضون جيوبهم ، ويرخون أطواقهم ، وينظرون إلى الأرض نعظماً على من يكلمهم ، وتبرؤاً ممن يخالفهم ، ألا ترى إلى دنياهم

(١) من السعـر : الجنون .

٢٢٥] وقرامصتهم (١) / وقلانسهم وعمائمهم وتحنبلهم وتفتلهم ، فهم كما قال الشاعر :

وَأَنْتَ بِاللَّيْلِ ذُبُّ لَا حَرِيمَ لَهُ

وبالنهار على سَمْتِ ابن سيرين (٢)

وإذا تكلم خفض صوته ، وقطع حروفه ، وسبَّح في خلال ذلك وقال : عافاك الله اسمع ، ويا هذا أصلحك الله ، ويا عبد الله الصالح قل خيراً ولا [] (٣) قلبك من الله ، ويا فلان اتَّقِ ربك الذي اليه معادك ، أما عليك حَفْظَةُ من قبل الله ؟ أما للاسلام عندك حُرْمَةٌ ؟ أما تؤمن بالله ؟ أما تؤمن بيوم الحساب ؟ قال : وأما الرُّعُونَةُ فما عليه الشُّطَار من هؤلاء الشباب الجلد الذين يرفعون الحجر ، ويدعُونَ الفتوة ، ويكثرُونَ ذكرها ، ويحلفون بها ويسمونهم الجوامرديَّة ، ترى أحدهم يضيِّق الأكام ، ويخُلُّ الأزرار ، ويَفْتِلُ السِّبَال (٤) ، ويمشي مُتَحَامِلاً ويتكلم مُتَصَاوِلاً . قال :

وأما الجنون فما نجد عليه هؤلاء الذين يتنازعون بينهم قولهم : أبو بكر خيرٌ من عليٍّ ، وعليٌّ خيرٌ من أبي بكر ، وإذا حلفوا قالوا : وقدر عليٌّ ، وحقُّ الصديق ، ويقولون : بغدادٌ أطيبُ من البصرة ، وباديةُ البصرة أجفُّ من بادية الكوفة ، والرازي خير من البارقي (٥) ، والسنوماني أحلى من الكرخي (٦) ، وسامراء فوق إرم ذات العماد ، وفلان فصلي ،

(١) كذا في الأصل .

(٢) محمد بن سيرين البصري التابعي المشهور بالتقى والورع (٥٣٣-١١٠هـ) .

(٣) يعتقد أن في الأصل قصاً .

(٤) جمع سبلة : وهي ما على الشارب من شعر ، وهي أيضاً مقدم اللحية .

(٥) و (٦) أنواع من العنب .

وفلان فرعوشي ، وترى لهم في هذا الطريق اهتماماً ، واتفاقاً ، وقوة ، ومغالبة ، ومشغبة ، ومحاكمة ، وملاطمة . وهكذا إذا جرى حديث الشاعر . والشاعر كالعوني ، والناشيء ، والنافع ، والقاص كالبرهاري ، والقنبري ، وقد صدق هذا الشيخ فقد سمعنا من هذا ما لا يطمع في إحصائه .

[الصاحب واحتقار الناس]

وقال لي الزعفراني الشاعر : كيف يكون هذا الرجل — يعني ابن عبّاد — دياناً ، ومتألهماً ، وهو يتنزلُ العلوية والأشراف ، ويهينهم وهم يعدّون بين يديه فلا يُنكر ذلك منهم .

ولقد قال يوماً — وهو يريد الركوب — لبعض حجّابه : نظّف الطريق من هذه الخنافس والجعلان^(١) والحرايب والغربان . فقلتُ لبعض من كان إلى جانبي : مَنْ يَعْنِي ؟ قال : يَعْنِي هؤلاء الواردين من الحجاز لسواد ألوانهم ، وتقلقل شعورهم ، ودمامة وجوههم ، وانحطاط قدودهم ، وقلة دماثتهم ، واختلاف حركاتهم وشمائلهم . قال : أفهذا من التشيع والولاء وما يجب لهذا البيت . ثم يدّعي أنه زيدي ، فاذا قرض قصيدة غلا وزاد على العوني والناشيء^(٢) .

[بداعة لسان الصاحب]

وأما أنا فما رأيت أحداً من خَلْقِ الله في حدّته وسفّه لسانه . خرج يوماً من دار مؤيّد الدولة من باب غامض هرباً من قوم كانوا يرقّبونه

(١) مفردها جعل : ضرب من الخنافس .

(٢) شاعران مغموران زمن التوحيد .

على الباب المشهور من السحر الأعلى ، وهو وحده بين يديه ركابي ، فعرفته عجوز فقامت في وجهه ، ودعت له ، ومدت يدها بقصة معها . فقال : ما تريدن يا بظراء ، يا بخراء ، يا عفلاء ، يا فقهاء^(١) ! على هذا إلى أن تباعد ، فبقيت العجوز مبهوطة وقالت : مسكين هذا الرجل قد جُنَّ ، فقلت لبعض أصحابه : ما هذا النذل والفحش والخفة والطيش ؟ فقال : هذا دأبه إذا جاع ! فقلت : أجاج الله كبده وسلبه نعمته .

وحدثني العتّابي : قال : الرجل لا دين له ، سمعته يقول في الخلوة ، وقد جرى حديث المذهب ، كيف أنزل عن هذا المذهب — يعني الاعتزال — وقد نصرته وشهرت به نفسي ، وعاديت الصغير والكبير عليه ، وانقضى عمري فيه . قلت للعتّابي : ومن أين وقع في هذا الاحاد ؟ فقال : لم يزل مترجماً ، قليل الطمأنينة ، سييء اليقين ، ولكن أهلكه مقعده^(٢) الذي يقال له النصيبي أبو إسحاق ، وصدق هذا الشيخ .

[أبو إسحاق النصيبي]

كان أبو إسحاق شاكراً في النبوءات ، وكان يصادق بها من صافاه ووثق به ، وهو الذي قال بنكده وخبثه : لو ظفّر يومَ الجمل طلحة والزبير وعائشة بعلي بن أبي طالب دار الخلاف بينهما ، وكان لا يُعوّل^(٣) أحدهما في الاستظهار على صاحبه إلا بأن يتزوج عائشة ثم يكافح صاحبه بها وبشيعتها الذين فتشوا بعراً جملها ، وتشافوا به ، وتحاثوا عليه ، وكنا نحن نكوّر عمامتنا ، ونربع

(١) بظراء : طويلة البظر . بخراء : كريمة رائحة الفم . عفلاء : من الغفل وهو شيء يخرج من قبل النساء . فقهاء : مؤث أثقم وهو من تقدمت ثنياه العليا فلا تقع على السفلى .
(٢) خادمه .
(٣) عول على فلان وبه : استعان واتكل واعتمد عليه .

طيا لسنّا ، ونُسرح لحانا ، ونكتحل ، ونحتفل ثم نجلس في المساجد والجوامع ونحتج لذلك التزويج وتتناول كلّ قول ، ونخرج كل خبر ، ونبلغ كل غاية بكل حيلة (١) .

[الصاحب والتاجر المصري]

وحديث التاجر المصري من الطرائف : قدم شيخ له هيئة ، ومعه ثياب مصر فدعا به ، واشترى منه ، وتقدم باكرامه ، ورفع الحجاب عنه وقال له : أهل مصر أي شيء يغلب عليهم من فنون العلم ؟ ورسائل من يشعّفون (٢) ؟ فقال التاجر : لهم حرص على كلّ علم ، ونصيب من كلّ أدب ، وأما الرسائل فانهم لا يؤثرون على ما لابن عبّاد كان الكاتب أبي جعفر (٣) شيئاً ، وكان نجاح الخادم قائماً ، فأومأ إلى المصري بأن قل : رسائلك هي العزبة (٤) والمطلوبة ، وهي المشتهة والمستعملة ، وكان إيماءه باليد والاصبع والحاجب والشفة ، وهذا كله لا يفصح عن حرف ، فلم يكن يفهم التاجر لشقائه معنى الإشارة ، وانقبض عنه ابن عبّاد ، ولم يحاوره وقام ذاك على حالة قد ناله فيها فتور لا يدري ما سببه . فلما كان بعد أيام حضر أيضاً وأعاد القول على الوجه ، فأعاد المصري الجواب المتقدم ونجاح الخادم على رسمه قائم يشير بمثل ما أشار إليه في المجلس الأول وهذا لا يفطن ، وفي أهل مصر سلامة صدر شبيهة بغاوة طبع ، فالتفت

(١) كتب على الهامش : قاتل الله المتكلم في حق أم المؤمنين رضي الله عنها وعن أبيها .

(٢) شعفه ، وشعف به شعفاً : غشى قلبه حبه .

(٣) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد بن مودود من كتاب الدولة الطولونية ، توفي سنة ٢٧٠ هـ ، راجع : الوافي بالوفيات : ٣/ ٣١٥ ، النثر الفني لزي مبارك . Laprose Arabe P:241

(٤) العزبة : من الإبل والشاة التي تعزب عن أهلها في المرعى أي تبعد .

ابن عباد إلى الخادم وقال : إذا كان صاحبك سخين العين ، قطع الظهر ، ابن
بظراء ، إيش يمكنك أن تعمل ! وطرد المصري .

أفهل هذا إلا رقاعة تحتها جنون صرف ، وسرطان / في الدماغ ، وعلّة
في العقل ، وفساد في المزاج !

[٢٦]

[الصاحب واليهودي]

واسمع ما هو أعجب من هذا . ناظر بالريّ اليهودي راس الجالوت في إعجاز
القرآن ، فراجع اليهودي فيه طويلاً وثابته قليلاً ، وتنكّد عليه حتى احتدّ
وكاد يتنقّد ، فلما علم أنه قد سَجَرَ (١) تنوره ، واسعط (٢) أنفه ، احتال
طلباً لمصاداته ، ورفقاً به في مخاتلته، فقال : أيها الصاحب ولمّ تنقّد وتشتطّ ،
ولمّ تلتهب وتختلط ؟ كيف يكون القرآن عندي آية ودلالة على النبوة، ومعجزة
عن جهة نظمه وتأليفه وإن كان النظم والتأليف بديعين غريبين ، وكان البلغاء
فيما تدّعي عنه عاجزين ، وله مدعنين ، وها أنا أصدق عن نفسي وأقول عندي:
إن رسائلك وكلامك وفقرك ، وما تؤلفه وتبادّه به نظماً ونثراً هو فوق
ذلك ، أو مثل ذلك ، أو قريب منه ، وعلى كل حال فليس يظهر لي أنه دونه،
وأن ذلك يستعلي عليه بوجه من وجوه الكلام ، أو بمرتبة من مراتب البلاغة.
فلما سمع ابن عباد هذا فترّ وخمد وسكن عن حرّكته وانخَمَصَ (٣) ورمّه به
وقال : ولا هكذا أيضاً يا شيخ ، فكلامنا حسن وبلغ ، وقد أخذ من

(١) سجر التنور : ملاء وقوداً وأحماه والمعنى أخذ في الاستعداد للجدل .

(٢) سعطه وسعطه وأسعطه : الدواء أدخله في أنفه .

(٣) خَمَصَ الجرح وانخَمَصَ : سكن ورمه .

الجرأة حظاً وافراً ، ومن البيان نصيباً ظاهراً ، ولكن القرآن له البرية التي لا تجهل ، والشرف الذي لا يُحتمل ، وأين ما خلقه الله تعالى على أتم حُسن وبهاء مما يخلقه العبيد بتطلب وتكلف^(١) ، هذا كله يقوله وقد خبا حميته ، وتراجع مزاجه ، وصارت نارُه رماداً مع إعجابٍ شديدٍ قد شاع في أعطافه ، وفرحٍ غالبٍ قد دبَّ في أسارير وجهه ، لأنه رأى كلامه شبهةً على اليهودي ، وعلى عالمهم وحبيرهم^(٢) مع سعة حيلهم ، وشدة جدالهم ، وطول نظرهم ، وثباتهم لخصومهم ، فكيف لا يكون شبهة على النصارى وهم أليَنُ من اليهود عريكةً ، وأطفأ ثائرة ، وأقلهم مرء ، وأكثرهم تسليماً ، وإنه إن جاز هذا على اليهود والنصارى وهم دَهماء الناس ، فما ظنك بالمجوس ونصبيهم من الجدل أقل ، وهم عن النظر أعجز ، وعادتهم في الحاجة أفسد ، وهكذا الصابئون .

أنظر - أكرمك الله - إلى هذا الرجل العظيم الطاق ، الفسيح الرواق ، الذي لا يرضي أحداً ، كم ينخدع ، وكم يذوب مرة للشاذباشي ، ومرة لليهودي ، ومرة للتاجر المصري ، ومرة للخراساني ، ومرة للبغداذي ، فهل هذا إلا البَوْقُ^(٣) ، والركاكة ، وضعف التحيزة^(٤) ، وسوء التحيُّل ، وقرب الغور ، وقلة العقل .

(١) على هامش المخطوط : نعوذ بالله من هذا الاعتقاد الفاسد .

(٢) الخبر : رئيس الكهنة عند اليهود .

(٣) باق الشيء : فسد .

(٤) الطبيعة .

[سعادة الصاحب ونحسه]

قال أبو سليمان المنطقي وعنده يومئذ أبو زكريا الصيمري وقد قرأت عليه هذه الأحاديث : هذا رجل قد سَعِدَ في الدنيا سعادةً عجيبةً مذ ولد إلى الغاية، وهي سَقِيهِ عُمَرَهُ وَآخِرَ أَمْرِهِ ، لم يُشَاكَّ بشوكة ، ولم ينكب بنكبة ، ولم يسمع من أحدٍ كَلَمَةً عوراء ، ولم يُدْفَع في حالة إلى أَيْدِهِ (١) ، وقد بلغ في حياته ما شاء . فقال أبو زكريا : النحس الذي لحقه في عقله حتى صار لذلك رقيقاً ، أهوج ، سييء الأدب ، حديداً ، كثير الكذب ، شديد التلوُّن، عسير المأْتى ، ممقوت العجب ، عظيم الكبر ، طويل الخصومة ، دائم المراء ، وقَّاعة في أهل الفضل ، حاسداً لذوي الأدب ، مغتاضاً على ذوي المروءات ، متأنناً بالقليل ، معظماً للتافه النَّزْر وذوي الدين ، مقروفاً بالأُبن (٢) ، هو أعظم من جميع ما أعطيه من المال الكثير ، والمرتبة العالية ، ومن الخيل المسومة (٣) ، ومن الدور والقصور وما فيها من العين الحور ، والخزائن والذخائر ، والفضة والذهب والجواهر ، والخدم والعبيد ، لأن العقل إذا صحَّ فهو المنيحة التي لا يُوازِيها شيء ، وإذا اختلَّ فهو البلوى التي لا يتلافها شيء ، ولو كان مع هذا العقل عارياً من جميع ما عددناه لَعَلَّاهُ بعضُ العامة بكيئسه ولطفه ، ولَبَرَزَ عليه بعضُ أصحاب

(١) أيد كفرح : غضب وتوحش .

(٢) الأبن : العيب والحقد . ومقروفاً : متهماً .

(٣) الخيل المسومة : المرعية ، المرسله مطلقه .

الخلق (١) بمروءته وظرفه ، ولكن الغنى رب غفور ، ولهذا أحسن
الذي يقول (٢) :

ذَرِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِي
رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ
وَأَبْعَدُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمُ
وَإِنْ أَمْسَى لَهُ كَرَمٌ وَخَيْرٌ (٣)
وَيُقْصِيهِ النَّدَى وَتَزْدْرِيه
حَلِيلَتُهُ وَيَشْهَرُهُ الصَّغِيرُ
وَتَلْقَى ذَا الْغِنَى وَلَهُ جَلالُ
يَكَادُ فَوَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلٌ ذَنْبُهُ وَالْمَذْنَبُ جَمٌّ
وَلَكِنَّ الْغِنَى رَبُّ غَفُورٌ (٤)
ولهُ مع الغنى أمرٌ ، ونهى ، وقوة ، وسلطانٌ ، وجدٌ (٥) ، ودولةٌ ،
فكلُّ عَيْبِهِ مُسْتَوْرٌ ، وكلُّ فَضْلِهِ مُنْشَوْرٌ .

[الانسان والأجرام السماوية]

قال له أبو سليمان : صدقت ، وهذا لأن الانسان لا يكون في هذا

(١) ثوب خلقان : بال .

(٢) الأبيات لعروة بن الورد راجع : الديوان ١٩٨

(٣) رواية الديوان : يباعده .

(٤) رواية الديوان : عيبه .

(٥) حظ .

العالم مالكا للتمام ، جامعا لأدوات الكمال ، وسببه أنه نتيجة الكواكب
الغالية ، والأجرام الشريفة من المواد المختلفة ، والعناصر الصافية والكدرية ،
فتمت نالته سعادة المشتري وصل إليه نخس من زحل ، وكذلك الزهرة
والمرّيخ ، والعلماء المتقدمون يقولون : المشتري والزهرة سعاد
الفلك ، والزهرة مخصوصة بالسعادة العاجلة ، والمشتري مخصوص
بالسعادة الآجلة .

قال : وهذا وإن كان في الجملة كما قالوا فلا تلبس الدنيا بالآخرة مما
يستفاد من المشتري كثير من حظوظ الدنيا ، ويُستفاد من الزهرة كثير من
حظوظ الآخرة ، ومن أسرار الزهرة أنها ربما هيأت الوحي ، ومن أسرار
المشتري أنه ربما هيأ اللهو . ومر له في هذا الفن كلام كثير مفيد نداء
عني ، ولم يصحب ذهني إلا ما تسمع .

[سوء طالع ابن العميد]

قال : ولهذا كان نخس ابن العميد في بدنه ، لأنه فقد الصحة في وسط
عمره ، وحين الحال حوئل ، والمال مؤئل ، والعلم نزر ، والفهم
ناقص ، والبلاغة خلت ، والكتابة شمطاء ، فلما أخذت أحواله تنسق ،
وأَسباب فضله تستوسق ضرب في بدنه بالعلل الشديدة والأمراض المختلفة ،
وسلب لذة الطعام والمشرب ، وبقيت حسرة النعمة في نفسه إلى أن عطب ، وقلّة
حظّه منها هو الذي كان يبعثه على قلّة الانعام منها . قال ولهذا تجد
آخر جيد العقل ، صحيح البدن ، محمود البيان ، ولكنك تجد مع
ذلك شديد الفقر ، سيئ الحال ، مرحوم الجملة ، وعلى هذه

الجديلة^(١) كل من اعتبرت حاله ، وعرفت ما سلبه ممّا وُهب له ، وما أعطيه ممّا حرّمه ، وهذا ليكون العبدُ أبداً في منزلةٍ من النقص ، وحالٍ من العجز يكون بهما ضارعاً إلى خالقه ، طالباً لفائته من مالكة ، وليكون بين العبد المعجون من الطين ، وبين الله مدبّر الخلق فرّق . وذهب في هذا الفصل كلّ مذهب ، وشفى كلّ غليل ، وأبكى كلّ عين ، وكان ذا قوةٍ عجيبة في هذه الطريقة ، وذا اطلاع على أسرار الخافية .

[التوحّدي والصاحب]

فأما حديثي معه ، فاني حين وصلتُ قال لي : أبو من ؟ قلت : أبو حيّان ؛ قال : بلغني أنك تتأدّب ؛ قلت : تأدّب أهل الزمان ، قال : فقل لي أبو حيّان ينصرف أو لا ؟ قلت : إن قبله مولانا لا ينصرف ، فلما سمع هذا تنمّر ، وكأنه لم يُعجبه وأقبل على واحدٍ إلى جانبه فقال له بالفارسية سَفْهاً على ما فسّر لي ، ثم قال لي : الزم دارنا ، وانسخ لنا هذا الكتاب فقلت : أنا سامعٌ مطيع ، ثم قلت لبعض الناس في الدار مسترسلاً : إنما توجهتُ من العراق إلى هذا الباب ، وزاحمتُ منتجعي هذا الربيع لأتخلصَ من حرفة الشؤم ، فإن الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة ، فنُسيَ إليه هذا أو بعضه أو على غير وجهه فزاده تنكراً ، وكان الرجل خفيفَ الدماغ ، لا يعرف الحلم إلا بالاسم ، والسؤدد لا يكون ولا يكمل

(١) الجديلة : الشاكلة .

ولا يتم إلا بعد أن ينسى جميع ما يسمع ، ويتأول ما يكره ، وتوخذ (١)
بالأسد فالأسد .

وقال أبو سعيد السيرافي : الحليم مشارك لمعنى الحليم ، فصاحب الحليم
هو الذي يُعرض عمماً يرى ويسمع كالحالم ، واللفظ إذا واخى اللفظ كان
معناه قريباً من معناه ، وهكذا الخلق والخلق ، والعدل والعدل ، وييست
الرجل ويئست المرأة .

وقال لي يوماً آخر - أعني ابن عبّاد - : يا أبا حيّان من كُنّاك أبا
حيّان ؟ قلت : أجلّ الناس في زمانه ، وأكبرهم في وقته ، قال : من
هو ويلك ؟ قلت : أنت ! قال : ومتى كان ذلك ؟ قلت : حين قلت لي
يا أبا حيّان ، فأضرب عن الحديث وأخذ في غيره على كراهةٍ
ظهرت عليه .

[بعض من سمي أبا حيّان]

وقال لي يوماً آخر وهو قائم في صحن داره والجماعة قيام منهم الزعفراني ،
وكان شيخاً كبير الفضل ، جيّد الشعر ، ممتع الحديث ، والتميمي المعروف
بسطل ، وكان من مصر ، والأقطع ، وصالح الورّاق ، وابن ثابت
وغيرهم من الكتّاب والندماء : يا أبا حيّان هل تعرف فيمن تقدّم من
يكنى بهذه الكنية ؟ قلت : نعم من أقرب ذلك أبو حيّان الدارمي . حدثنا
أبو بكر القاضي محمد بن محمد الدقاق قال : حدثنا ابن الأنباري قال : حدثنا

(١) وخذ وخذاً : اتسعت خطواته .

ابنُ ناصح قال : دخل أبو الهذيل العلاّف على الواثق ، فقال له الواثق : لمن
تعرف هذا الشعر :

سَبَّأَكَ مِنْ هَاشِمٍ سَلِيلُ
لَيْسَ إِلَى وَصْلِهِ سَبِيلُ
مَنْ يَتَعَاطَى الصِّفَاتِ فِيهِ
فَالْقَوْلُ فِي وَصْفِهِ فَضُولُ
لِلْحُسْنِ فِي وَجْهِهِ هِلَالُ
لَأَعْيُنِ الْخَلْقِ مَا يَزُولُ
وُطْرَةٌ لَا يَزَالُ فِيهَا
لنُورِ بَدْرِ الدُّجَى مَقِيلُ
مَا اخْتَالَ فِي صَحْنِ قَصْرِ أَوْسِ
إِلَّا تَسْجِي لَهُ قَتِيلُ
فَإِنْ يَقِفُ فَالْعِيُونَ نَصْبُ
وَإِنْ تَوَلَّى فَهِنَّ حَوْلُ

فقال أبو الهذيل : يا أمير المؤمنين هذا الرجل من أهل البصرة
يُعرف بأبي حيّان الدارمي ، وكان يقول بإمامة المفضول وله من كلمة
يقول فيها :

أَفْضَلُهُ وَاللَّهُ قَدَّمَهُ عَلَى
صَحَابَتِهِ بَعْدَ النَّبِيِّ الْمَكْرَمِ
بِلا بَغْضَةٍ وَاللَّهُ مِنِّي لَغَيْرِهِ
وَلَكِنَّهُ أَوْلَاهُمْ بِالتَّقْدِمِ

وجماعة من أصحابنا قالوا : أنشدنا أبو قلامه عبد الملك بن محمد الرقاشي
لأبي حيَّان البصري :

يا صاحبي دَعَا الملام وأقصرِ
تَرَكُ الهوى يا صاحبي خَسَّارَه
كم لمتُ قلبي كي يُفِيق فقال لي :
لَجْتُ يمينُ ما لها كَفَّارَه
ألاَّ أفيقَ ولا أفتَرَّ لحظة
إن أنت لم تَعشَقْ فأنت حجاره
الحبُّ أولُ ما يكون بنظرة
وكذا الحريق بداؤه بشراره
يا من أحبَّ ولا أسمى باسمها
إياك أعني واسمعي يا جاره

فلما رويت الأسناد ، وأنشدت الشعر ، وريقني بليل ، ولساني طلق ،
ووجهي مهتلل ، وقد تكلفت ذلك وأنا في بقية من غرر الشباب . وبعض
رِيعانه ، فملأت الدار صياحاً بالرواية والقافية ، فحين انتهيتُ انكرتُ طَرَفَه ،
وعلمت سوءَ موقع ما رويت عنده . قال : ومن تعرف أيضاً ؟ قلت : سمعت
الجعابي الحافظ يقول : أبو حيَّان رجل صدق ، وهو يروي عن التابعين ،
قال : ومن تعرف أيضاً ؟ قلت : روي الصولي فيما حدثنا عنه المربزباني أن
معاوية لما حُضِرَ أنشد يزيد عند رأسه متمثلاً :

لو أن حيَّاناً نجماً لفات أبو
حيَّان لا عاجِزٌ ولا وِكلُ

الحول القلب الأريب وهل

تدفع صرف المنية الحيل

قال الصولي : هذا من المعمرين المعقلين ، وانتهى الحديث من غير هشاشة
منه عليه ، ولا هزّة ، ولا أريحية بل على اكفهرار الوجه ، ونُبُو
الطرف ، وقلة التقبل .

[مفارقة التوحيد للصاحب]

وجرت أشياء أخر ، وكان عقبها أنني فارقت بابه سنة سبعين وثلاثمائة
راجعاً إلى مدينة السلام ، بغير زادٍ ولا راحلة ، ولم يعطني في مدة ثلاث سنين
درهماً واحداً ، ولا ما قيمته درهم واحد ، فاحمل هذا على ما أردت ، ولما
نالي منه هذا الحرمان الذي قصدني به ، وأحفظني عليه ، وجعلني من جميع
غاشية ورده فرداً ، أخذت أملاً في ذلك بصدق القول عنه في سوء الثناء
عليه ، والباديء أظلم ، وللأمور أسباب ، وللأسباب أسرار ، والغيب لا يُطَّلَع
عليه ، ولا قارعُ لبابه .

[الصاحب والتفسير]

وسألت العماري عنه فقال : الرجل ذو خلة ، ولقد سأله ليلة شيخ من أهل
خراسان في الموسم عن قوله عز وجل : « وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا
وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ^(١) » ما مرتبة الصلاح المذكور في الثاني من
النبوة الثابتة في الدنيا؟ وأضرب عن المسألة ودافع بصدرها ولم يجر كلمة فيها.

وسأله هذا الشيخ ليلة أخرى عن قوله عز وجل : « وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ^(١) » وعن الفرق بين هذا الاقتصاص وبين قوله : « وَوَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً » فما أعاد ولا أبداً .

[الصاحب وأعلام عصره]

ولمّا عاد من همدان قيل له : كيف رأيت أبا الوفاء ؟ قال : سراباً بقيعة ، قيل : فكيف وجدتَ / عبد العزيز بن يوسف ؟ قال : نكداً وخديعة . قيل فكيف وجدتَ المجوسي : قال : تمثالاً في كنيسة أو بيعة . قيل : فابن سعدان ؟ قال : ضخم الدسيعة^(٢) له من نفسه جري^(٣) وشيعة . فهذا حديثه في دينه ورأيه وعلمه وعقله ومروءته وصناعته ومذهبه ، وقد طال وكثر ، ولعلّ التقصّي لو وقع لازداد طولاً فإنه تنفّست أيامه ، وترددت أحاديثه .

[٢٧]

سألت ابن الجلبات الشاعر عنه فقال : ما أدري ما أقول في رجل من قرنه إلى قدمه عيبٌ وخزيٌ ونذالة ورقاعة ، على أن الطبع النكد أملك له ، والعادة القبيحة أغلب عليه ، والاقلاع عن المنشأ المعان بالطباع صعبٌ وعسير ، ولعله ممتنع .

وسألت الحاتمي عنه فقال : رأيت رجلاً مدخولاً في جميع الفضائل ، مردوداً على كل التأويلات ، لتيهه ، وإعجابه ، وحسده ، ولوثته ، وقلة مصافاته ،

(١) سورة الأعراف .

(٢) الدسيعة : العطية الجزيلة والحفنة الكبيرة ، والقوة .

(٣) الجري : الضامن والجمع أجرياء ويقال : هو جري له أي ضامن .

ونبو رعايته ، وفساد دخلته ، ووقاحة وجهه ، وشدة تعبيره ، وفشوره ،
أبنته (١) وقبح سيرته في مذهبه ، ونصرتة لما لا يعتقد بقلبه . وسألت
البديهي عنه فقال : خُذ حديثه بما تسمع مني وقس عليه : رأيت يوماً على
بابه شيخاً من أهل الكتابة والأدب ذكر أنه ورد من مصر ، وأنه أقام بها
زمناً ، وأن أصله من بلاد العجم ، فلما خرج إليه رفع قصة قد كتب على
رأسها عبّاد بن أحمد فأخذ ونظر ثم قال : من سمّاك عبّاداً باسم الأمين رضي
الله عنه ؟ ومن يقول إن هذا اسمك الذي اختير لك عند الولادة ؟ وما هذا
التقرب بالتكذب وما بينكم وبين أسماء السادة الذين بانوا بها كالسماء بكوا كبها ،
والأفلاك بعجائبها ، أما كان لك بغير هذا الاسم الذي ادّعيته درك (١) ، ولا
كان لك دون التكثر به سبب ، ما أحوجك إلى ثقاف (١) يوجع يافوخك ،
ونتاف يقلع شاموخك .

وسألت الصابي أبا إسحاق عنه فقال : إن صدقتُ في وصفه ساء قوماً، وإن
كذبتُ في وصفه ساءني ، ولأن أنفرد بالمسأة أحب إليّ . وبعد فتحن
معه كما قال الشاعر :

وتعتبُ أحياناً عليه ولو مضى

لكننا على الباقي من الناس أعتبنا

وقلت للضبعي ؟ كيف ترى هذا الرجل وقد خبرته ؟ قال: أمّا جدّة

(١) الأبنة : العيب والحقد والعداوة ..

(٢) الدرك : إدراك الحاجة واللاحق ..

(٣) ثقاف : آلة من خشب تسوى بها الرماح ..

فيريني أنه واحد الدنيا ، وأما جِدُّه فينطق بأنه أنذل من في هذا الوري ، وبعد :
نِعْمَةُ اللَّهِ لَا تَعَابُ وَلَكِنْ

ربما استقبحت على أقوام

وقلت للمأموني : أصدقني عن هذا الرجل فقد عرفت ليلته ونهاره ،
والليل أصدق عن خبايا الانسان من النهار ، فقال : في الجملة الرجل بلا
دين لفسقه في العمل ، وارتيابه في العلم .

وسألت أبا صادق الطبري عنه فقال : سأل عن البخت والله ما له سميت
يتوجه اليه منه ، ولا باب يُعتمد منه عليه ، بينا هو لك ، إذ صار لعدوك ،
حاله أحوال ، وشأنه شؤون ، وكل ذلك جارٍ على الجنون !

وقلت لابن المراغي : كيف تراه ؟ قال : والله ما يشفي الغليل منه
هجو ولا ملام ، ولا ما هو معروف به بين الخاص والعام ، إلا أن يسقط
من ذروته فيرى في حال سقطته متردداً بين خبطته وورطته .

وقلت للشيخ العالم : أما أنت من بين الناس فقد حظيت عنده ، ونلت منه .
فقال : لو عرفت ما يتقيد على فؤادي من الغيظ عليه لرحمتني في بلائي بأكثر
مما تحسدني عليه في ظاهر أمري . قلت وما تنكر منه ؟ قال : لست أنكر منه
شيئاً واحداً ، وإنما أنكره كله !

وقلت لأبي جعفر الوراق : ما أراك تخرج من حضرة هذا الرجل إلا
وأنت ساهم الوجه ، مغيط النفس ، كأنك لست تخرج من عند من كل أحد
يتمنى أن يصل اليه ، وأن ينطق بين يديه وأن يصنع به حاله ، فقال : والله
لولا التخرج لوصفته بكلام فيه برد حرارة صدري ، ولكن التخرج مانع من
ذلك ، هذا والخوف أيضاً عامل ، وآخر ما أقول : إنه ساقط من عين الله عز
وجل ، والويل له من الله يوم التجازي والقصاص .

وقلت لأبي الفضل المَرْوِي : كيف ترى هذا الرجل ؟ قال: أراه والله عقوبة من الله نازلةً بأهل الفضل والتكبرُّم ، وليتنا علمنا بأيِّ ذنبٍ عُوقبنا به فكنا ننتهي عنه ولا نُصِرُّ عليه ، فما عندي أن الله يبتلي عبداً من عباده بخدمته والتعلق به إلاَّ بعد أن ينزع عنه العصمة ، ويؤكل به النعمة ، ويحرِّم عليه الرحمة .

وقلت للزَّعفراني الشاعر : بالله صف لي هذا الرجل ، فقال : لو أمكنني الوصف بالنظم كان أعجب إليَّ ، فاني رجل شاعر ، ولكن الخوف من ذلك حائل .

وقلت للتميمي : أما أصحابك فقد عرفت عقائد قلوبهم في هذا الرجل ، فأين أنت منه ؟ فقال : أجدى اعتقادي فيه أنه خنزير قد أعطي قوة أسد ، فهو يفترس يَمَنَةً وشامة ، وكنتُ أرى فيما مضى أن الشر مكسوب بالقصد حتى شاهدت هذا فتحولت عن الرأي الأول وقلت : بل الشر في بعض الناس لاحقٌ بالطبع .

وقلت لأبي سعيد الأبهري : يبيِّن لي أمر هذا الرجل في نفسي أن أعمل كتاباً في أخلاقه ؛ فقال لي : لقد حاولت عسيراً ، أتستطيع أن تصف إبليس بجميع ما هو فيه ؟ قلت : لا والله إنما أعوذ بالله منه فقط . قال : فعُذَّ بالله من هذا ، قبل أن تعوذ بالله من إبليس ، فان إبليس وإن كان شريراً فهو عاقل ، وهذا يزيد عليه لأنه شرير وهو أحمق .

وقلت لأبي طاهر الأنماطي : كل أحدٍ له على هذا الرجل كلام ، وفي نفسه مَوْجدة سواك ، فانك واصلٌ إليه إذا أردت ، ونائلٌ من ماله وجاهه

إذا أُحِبَّت ، فما قولك فيه ؟ فقال : صبري على رقاعته قد نَعَّصَ علي جميع ما أنا عليه معه ، على أنَّ رقاعته موشَّحةً بجنون ، وجنونه صادرٌ عن قدره ، فالرهبة منه قد كدَّرت عين الرغبة فيه ، والغیظ عليه قد منع من الاستمتاع به .

وسألت ابن زُرْعَةَ الفقيه فقلت : ما أحوجني إلى فُتْيَاكَ في هذا الرجل؟! فقال : قد والله جبتُ الآفاق ، ولقيت أصناف الناس في الشرق والغرب فما رأيت رجلاً في جنونه أعقلَ منه ، ولا في عقله أجنَّ منه ، وإنه لأعجوبة ، عدوُّه هالكٌ لسلطانانه ، ووليُّه خائفٌ من كثرة ألوانه ، لا عهدٌ له ولا وفاء ، ولا صدقٌ ولا لطف ، كلُّه هزل ، وجميعه جهل .

وقلت لابن فارس صاحب اللغة : بِمَ تحكم على هذا الانسان ؟ فقال بأنه لله عدوٌّ ، وللأحرار مُهينٌ ، ولأهل الفضل حاسدٌ ، وللعامَّة محبٌ ، وللخاصة مُبغضٌ . فأما عداوته لله فلقلَّة دينه ، وأما إهانته للأحرار فهي شهيرة كهذا النهار ، وأما حسده لأهل الفضل فجرب ذلك بكلمة تُبديها ، وأما حبه للعامَّة فبمناظرته لهم وإقباله عليهم ، وأما بغضه للخاصة فلاذلاله لهم ، وإقصائه إياهم .

[أبو الفضل بن العميد]

فأما ابن العميد أبو الفضل فإنه كان ثأياً ^(١) آخر ، وطامة أخرى ، وكان فَضْلُهُ من جنس ليس لابن عبَّاد فيه نصيب ، ونقصه من ضَرْبٍ لم يكن

(١) الثأى : الفساد .

له فيه ضريب (١) ، كان يظهر علماً تحته سَفَهٌ ، ويدَّعي علماً هو به جاهل ، ويرى أنه شجاع وهو أجبنُ من المنزوفِ ضرطاً (٢) ، وكان يدَّعي المنطق وهو لا يفهم بشيء منه ، ولم يقرأ حرفاً على أحد ، ويتشبع بالهندسة وهو منها بعيد ، ولم يكن معه من صناعة الكتابة الأصلُ وهو الحساب ، وكان أجهلَ الناس بالدخل والخرج ، ولقد بقي ما بقي في أيامه فما قعد يوماً في الديوان ناظراً في عمل ، أو فاصلاً لحكم ، أو مخلصاً لمشكل ، وكان قد وضع في نفس صاحبه بالحيل الدقيقة والأسباب الخفية أنه واحد الدنيا ، وأن ملوك الأرض يحسدونه عليه ، وأنه لسانُ الزمان ، وخطيبُ الدهر ، وأن قلمه فوق السيف ، وتديره فوق الجيش ، ونظره في الدولة والمملكة وأحوال الأولياء وذوي النصيحة كالوحي والنبوة ، وكان معوّله في الأعمال على أبي علي البيع ، وكان مع هذا سييء السيرة ، قليل الرحمة ، شديد القسوة ، وارم الأنف ، عظيم التيه ، شديد الحسد لمن نطق ببيان ، أو أفصح بالعربية ، وسيئين بعض هذا بما أذكره لك بشاهد عدل ، وراوٍ ثقة .

[ابن العميد وأبو طالب الجراحى]

ورد أبو طالب الجراحى الكاتب بالري من العراق ، ولم يكن في عصره أنطق منه لساناً وقلماً ، وهو من بيت علي بن عيسى الوزير فعرض

(١) ضريب : مثل .

(٢) المنزوف : من نَزَفَ دمه . وفي المثل : أجبن من المنزوف ضرطاً ، والمنزوف ضرطاً دابة بالبادية إذا صيغ بها لم تزل تضرب حتى تموت وفيه أقوال عديدة .

نفسه عليه . فلمّا رأى بسطته ولسانه وخطّه وطلاقة ولطافته وليوته وصناعته حسده واعتاظ منه ، وضاعت الدنيا به وعمل على أن يسمّه ، ففطن أبو طالب ، وكان فطناً ، فطوى الأرض ، ووقع إلى أذربيجان ، وصار إلى ملك الديلم المرزبان بن محمد ، فعرف قدره ، وبسط يده ، وأعلى كعبه ، ونوّه باسمه ، واستطال على ملوك النواحي بمكانه ، ثم انظر إلى ما جرّ أبو طالب عليه لحسّته ولؤمه ونقصه وسقوطه ، وهكذا يفعل من انصرف من باب عزيز ذليلاً ، ومن فناء موسرٍ مذموماً ، وقد كان يمكنه اصطناعه وتقديمه وإكرامه واستخدامه بأسهل غرامة ، وأيسر مؤونة وأهون مرزية ، ولكنه حسده وأبعده ، وليته مع ذلك زوّده بما يُوجب شكرًا ، ويكون بلاغاً ، ويبقى حديثاً مأثورًا ، وذكرًا جميلاً .

ولقد كتب إليه أبو طالب بعد هذا الحديث كتاباً قرأتُ فصلًا منه يقول فيه : حدثني بأيّ شيء تحتج إذا طولبت بشرائط الرئاسة التي انتحلّتها ، وأكرهت الناس على تسميتك بها ، أتدري ما الرئاسة ؟ الرئاسة أن يكون بابُ الرئيس مفتوحاً ، ومجلسه مغشياً ، وخيرُه مُدرَكًا ، وإحسانه فائضاً ، ووجهه مبسوطاً ، وكنفُه مزُوراً ، وخادمه مُؤدّباً ، وحاجبه كريماً ، وبوّابه رفيقاً ، ودرهمه مبذولاً ، وخبزه مأكولاً ، وجاهه معرضاً ، وتذكرته مسوّدة بالصلات والجوائز وعلامات قضاء الحوائج ، وأنت فبابُك مقفل ، ومجلسُك خالٍ ، وخيرُك مقنوط منه ، وإحسانُك منصرفٌ عنه ، ووجهُك عابسٌ ، وبنانُك يابسٌ ، وكنفُك خرج ، وخادمُك مذموم ، وحاجبُك هرّار ، وبوّابُك كلب ، ودرهمُك في العيوق ، ورغيفُك في منقطع التراب ، وجاهُك موفور عليك ، وتذكرتك محشوة بالقبض

على فلان ، وباستئصال فلان ، وبني فلان ، وبسُم فلان ، وبالذس على فلان ،
وبحط مرتبة فلان .

هل عندك أيها الرجل المدعي للعقل ، المفتخر بالمال ، والمتعاطي
للحكمة إلا الحسد والندالة ، وإلا الجهالة والضلالة؟ ، تزعم أنك من شيعة
أفلاطون وسقراط وأرسطوطاليس . أو كان هؤلاء يضعون الدرهم على
الدرهم ، والدينار على الدينار ، أو أشاروا في كتبهم بالجمع والمنع ،
ومطالبة الضعيف والأرملة بالعسف والظلم ، فيا مسكين ! استحي فانك
لا مع الشريعة ولا مع الفلسفة وقد خسرت الدنيا والآخرة ، هذا عقلك
الذي يخاطب الناس برفعك التراب على رأسك ، والسُخام^(١) في وجهك ،
أمن كرمك وحزمك أن يفد عليك مثلي رجل من آل الجراح ، بيت
الوزارة والسؤدد ، ينبري لمعروفك ، ويخطب الخدمة بين يديك ، والقيام
بأمرك ونهيك ، بحظ ميسور ، ونائل منزور ، فتحسده وتبعده وتحمله
وتهمله وتواطىء على سمه وقتله ، يا ويلك ! فمتى كنت أنت وآباؤك
يستحقون خدمة رجل من آل الجراح ، كأن بيتك يقمهم مأسألنا عنه ،
ولا وقفنا عليه ، أليس أبوك كان قواداً ، وأبوه كان نخبالاً ، ها أنا
قد انقلبت عنك خائباً ، أفضعت وبرت وكسدت ؟ لا والله ، بل
قيض الله لي ملكاً من ملوك الدنيا حتى اشتمل عليّ ، ونظر بعين الكفاية
إليّ ، وأهّلني لمحل زائد على محلك ، ورتبني في حال هي أشرف من
رتبتك ، والله أكرم من أن يضيع مثلي أو يحوجني إلى مثلك ، فبؤ

(١) السخام : سواد القدر .

الآن بخساستك ، والصق بالدَّقْعَاء (١) ندماً على فعلك ، وثق بأن لساني
وقلمي لا يزالان يريان عرضك ، ويخطبان بدمك ، ويلهجان بهتك سترك ،
ويبعثان الناس على معرفة خزيك وسقوطك . أتظن يا جاهل أنه إذا ركب
قدامك حاجب ، وسار معك راكب ، وقال / الناس : أيها الرئيس
إنك قد ملكت الكمال ، واستحققت خدمة الرجال من غير إسعافٍ ،
ولا إفضالٍ ، هيهات ! المجد أخشنُ مَسّاً من ذاك ، وسأشقى النظم
والنثر في أكناف الأرض بما ينكشف به للصغير والكبير نقصك ، وتزول
الشبهة عن القلوب في أمرك إن شاء الله . هذا أفادنيه جريح ، وكان شاعراً من
أذريجان، فهذا هذا ..

[٢٨]

[صبر ابن العميد على ابن ثابت]

قلت للخليلي : لم كان يصبر أبو الفضل على ابن ثابت الكاتب
الهمداني وهو [ابه (٢)] ونكالت ، لا خط ، ولا معرفة ، ولا أدب ،
ولا صناعة ، فقال : لأنه علم أن غيره لا يصبر على ذلك الرزق الموتيح^٣ ،
والجدوى القليلة ومن أجل ذلك قال مسكويه :

يقولون إن ابن العميد محمداً

يؤول إلى رأي وثيق المناب

فقلت : دعوه قد عرفت مكانه

بطلعة منصور وخط ابن ثابت

(١) الدقعاء : التراب والأرض لا نبات فيها .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) وتيح يتح عطاءه : قلله .

ومنصور هذا خادم رأيتُه ، كان من أقبح الناس وجهاً ، كثير الهذر ، سيئ الأدب ، وكان من قَم من الأحرار ، ولما ذمَّه صاحبه ووليَّ نعمته بسبب هذا الخادم للشهرة الفاضحة ، والتهتك الشائع قال أبو الفضل بحكمته: ما أصنع؟ والله ما وجدتُ في هذه المدة لأيري غلافاً مثله ، ولا بدَّ لي منه ، فليسلَّم من شاء ، والهوى لا يحلو إلا مع العذل .

انظر بالله ربك إلى هذا الحكيم بزعمه ، واسمع قوله وهو يزعم مع هذا أن أرسطاطاليس لو رآه لرجع عن آراء كثيرة يبيانه ، ولغير كثير من كتبه بمشورته ، وكان يقول بقحته ، وقلة اكترائه وتهاونه بمن حوله : أما الموسيقى فانه يموت بموتي ، ويُفقد بفقدتي ، هذا وهو لم يقرأ حرفاً منه على أحد من خلق الله ، وما أوحى إليه به ، ولا يجوز أن يفتح مُغلقة جزافاً عليه أو على غيره ، وإنما كان يستجيز هذا القول في الموسيقى خاصة لأنه لم يبق منذ دهرٍ مَنْ يدلّ من هذه الصناعة على حرف بتحقيق ، أو يأتي فيها بوصف تام لذهابه ودروسه^(١) ، والعلم كلُّه أبقاك الله قد دخله الضيم ، وغلب عليه الذهاب لقلة الراغبين ، وفقد الطالبين ، وإعراض الناس عنه أجمعين ، والموسيقى من بين أجزاء الفلسفة فقِدَ جملةً ، لأنه لا يوجد علمه إلا بعمل ، ولا يكمل عمله إلا بعلم ، والعلم والعمل في صناعة واحدة قلَّما يجتمعان على التناسب الصحيح .

وكان يعمل كتاباً سمّاه الخلق والخلق فمات سنة ستين وهو في المسوِّدة ، وقد رأيت ورقاتٍ منه ، ونقلتُ إلى البصائر حروفاً كانت فيه أفادنيها أبو طاهر الوراق ، ولم يكن الكتاب بذاك ولكن جعص الرؤساء خبيص^(٢) ،

(١) درس الرسم دروساً : أي عفا .

(٢) الخلواء المخصوصة المعروفة بالخبيص .

وَصَنَانُ الْأَغْنِيَاءِ نَدٌّ^(١) ، وَخَنَفَسَاءُ أَصْحَابِ الدَّوْلَةِ رَامُسْنَةٌ .

[حَدِيثُ الْغَوِيرِيِّ عَنِ الصَّاحِبِ]

وَقُلْتُ لِلْغَوِيرِيِّ : حَدَّثَنِي عَنْ ابْنِ عَبَّادٍ فَإِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ ،
وَخَافِيَهُ وَبَادِيَهُ ، وَعَنْ ابْنِ الْعَمِيدِ فَقَدْ اخْتَبَطْتَ^(٢) وَرَقَهُ ، وَانْتَجَعْتَ صَوْبَهُ^(٣) ؟
فَقَالَ : فِي ابْنِ عَبَّادٍ قِحَةٌ مَأْبُونٌ ، وَلَوْثَةٌ مَأْفُونٌ ، وَهُوَ ابْنُ وَقْتِهِ مَعَكَ ،
وَنَتِيجَةُ سَاعَتِهِ لَكَ ، لَا يَعْرِفُكَ إِلَّا عِنْدَ امْتِلَاءِ الْعَيْنِ بِكَ ، وَلَا يُعْطِيكَ إِلَّا
إِذَا أَخَذَ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْكَ ، يَشْتَرِي عِرْضَكَ وَلَا يُؤَلِيكَ حَقَّكَ ، وَيَبْلُغُ بِلِسَانِهِ
مَا لَا يُسَمِّحُ لَكَ بِعَشْرِهِ مِنْ فَعْلِهِ ، ثُمَّ الْوَيْلُ لَكَ إِنْ أَصَبْتَ فِي كَلَامِكَ ، وَالْوَيْلُ
لَكَ إِنْ أَخْطَأْتَ ، عَلَى أَنْ الْخَطَأَ يَعْطِفُهُ عَلَيْكَ بِالرَّحْمَةِ ، وَالصَّوَابَ يَحْمِلُهُ فِي
مَعَامَلَتِكَ عَلَى الْحَسَدِ وَالْإِنْتِقَامِ ، يَرِيدُ مِنْكَ إِلَّا تَذَكَّرَ فَاضْلًا عَنْهُ ، وَإِنْ
ذَكَرْتَهُ فَضَلَّتْهُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ ذَكَرْتَ الشَّعْرَ فَقُلْ : أَيْنَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْكَ ،
وَإِنْ ذَكَرْتَ النَّحْوَ فَقُلْ : وَصَلْتُ إِلَى مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ سَيَبُويهِ ، وَإِنْ ذَكَرَ الْبَيَانَ
فَقُلْ : فَيْكَ أَعْرَاقُ مَتَوَاشِجَةٍ مِنْ قَسِ بْنِ سَاعِدَةَ . وَلَعَلَّهُ كَانَ فِي قَسِ عِرْقٍ مِنْ
آبَائِكَ الْفُرسِ ، وَإِنْ ذَكَرَ الْكَلَامَ فَقُلْ : لَوْ رَأَى النِّظَامُ لِلزَّمَنِ بِابِكَ ، وَحَمْدُ
غَاشِيَتِكَ ، وَإِنْ ذَكَرَ الْفَقْهَ فَقُلْ : أَيْنَ أَبُو حَنِيفَةَ عَنْ هَذَا التَّحْقِيقِ وَالتَّدْقِيقِ ،
وَإِنْ صَاحِبَاهُ مُحَمَّدٌ وَأَبُو يُوسُفَ عَنْ هَذَا التَّطْبِيقِ وَالتَّعْمِيقِ ، فَأَمَّا الْجَاحِظُ فَمَا
وَزَنُهُ عِنْدَ مِثْقَالِكَ ، وَأَيْنَ شَرَارُهُ مِنْ نَارِكَ ، وَهَلْ يُسْبَحُ فِي بَحْرِكَ ، وَهَلْ

(١) النَّدُّ : عَوْدُ يَتَبَخَّرُ بِهِ وَقِيلَ الْغَبِيرُ .

(٢) اخْتَبَطَ الشَّجَرَةَ : شَدَّهَا ثُمَّ نَفَضَ وَرَقَهَا .

(٣) الصَّوْبُ : الْغَمَامُ وَالسَّحَابُ وَالْعَطَاءُ عَلَى التَّشْبِيهِ .

يتناول إلى سمائك ، لو رآك لرشاك ، ولو شاهدك لم ينتسب إلا إليك . وأما
ابراهيم بن العباس الصولي فأحسن ما نختار له أن يكون من المختلفين إليك ، ومن
الحاذين على مثالك ، والآخذين عنك ، وأما الدواوين فالكلواذي يسلمها لك ،
ويتبرأ من الأعمال بسببك ، ويطرح الرسوم القديمة معك ، ويأخذ فيما تبتدعه
وتضعه لأنه إن نازعك افتضح على يدك ، والعاقل لا يلقي بيده إلى التهلكة ،
ولو وثق أنك تقبل مَصانِعته لصانعك ، ولو علم أنك تبقي عليه لخدمك ، وأما
الخط فابن مقللة ، وابن أبي خالد ، والبربري ومن تقدم وتأخر أعطوك الضمة
فيه ، وأظهروا لك الانقياد له .

[طباع الوزيرين]

قال : ومن مناقبه في مثالبه أنه يقنع منك في مدحك بالنفاق ، وفي
ثنائك عليه بالرياء ، وفي نصرة سيرته بالحيلة ، ويرضى في هذا كله بعفوك دون
جهدك ، وبما يخفّ دون ما يثقل ، وليس كذلك ابن العميد فإنه لا يحب أن
تمدحه إلا بأكرم الخصال ، وأشرف الفعال ، وأن يكون قولك عن عقد ،
ووصفك عن يقين ، وإخبارك عن تعجب ، وتعجبك عن استبصار ،
واستبصارك عن مُعَاينة ، وفيه مع ذلك كيد مخنث مجفوء ، ومسفة ضرة رعناء
ونجمة كنة سليطة .

[ابن العميد والشاعر]

وحدثنا القاضي ابن عبد الرحيم ، وكان خصيصاً به وقهرمان داره ، ومشرفاً
على غوامض / أمره . قال قصده شاعر في بعض الأيام ، ووصل إليه ، [٢٨ب]
وأنشده ، وأصغى إليه ، وانصرف بأملٍ وتردد على ذلك فلم يرَ ما يجب وتعلق

بي ، فقلت له صاحبه رويين أغلب الناس عليه ، وأوجههم عنده ، فلو لذت
به رجوت لك ، فلزمه وسأله الكلام في أمره ، فوعده بذلك قال رويين :
فقلت له - يعني ابن العميد - : هذا الشاعر البائس قد سمعت منه شعره ، وأسمت
أمله ، وهو على ذلك يغدو ويروح ، ويشكو وينوح ، فلو أمرت له بشيء
كان أقطع لشغبه ، وأجلب لشكره ، وأدعى إلى السلامة من عتبه ، وهؤلاء
برؤد الآفاق ، وإهم اللحاح ، والطلب ، والتذرع باللسان ، والتوصل إلى
كل حال بكل حيلة . فقال : وما يريد ؟ إن شاء أجبتُه عن قصيدته في رويها
بعدد أبياته وعروضه وأعيان معانيه وأزيد ، وإذا رددت شعراً بشعر ، فليس
عليّ بعد ذلك لوم ، ولا أنا مقصّر ولا ظالم . قال : فقلت له : هذا سمج
شنيع ، والناس لا يقارئون عليه ، ولا يرضون به ولو ذهبت أرواحهم ،
وتلفت أنفسهم ، فقال : يا هذا ! هوّن عليك ، وأقلل من حديثك ، فقد
ضيّعنا في هذا مالا ، وأنا بعد في لذع الحسرة على ذلك لأن الشباب له عُرَام ،
ولم يكن لي في تلك الحال تجربة ولا يقظة ولا معرفة بحق المال ، والقيام
بحفظه إذا حمل ، والشغل بجمعه إذا انتقل ، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور .
المال عافاك الله عديل الروح ، وكمال الحياة ، وقوام الظهر وسرور
القلب ، وزينة العيش ، ومجنّ الحوادث ، وحَبْلُ اللذات ، ومُتعة الانسان
ومادة البقاء ، ومن لا مال له لا عقل له ، ومن لا عقل له فلا حياة له ،
ومن لا حياة له فلا لذة له ، ومن لا لذة له فهو في قبيل المعدم . قال رويين :
فعلت أنه بعد هذه الخطبة لا يسمح بدرهم واحد ، فوصلت الرجل من مالي

بشيء ، واعتذرت اليه ، وبلغني أن ذلك الشاعر مرّق عرضه ،
وهتك ستره .

[حادث محزن]

ولقد شاهدت في مجلسه شاعراً من الكرخ يعرف بممّويه (١) ، وكان
جيد اللسان يقول له : أيها الرئيس ! قد لزمت فناءك لزوم الظل ، وذلت لك
ذلّ النعل ، وخدمت أُملي فيك خدمة ناصحٍ لنفسي فيما التمسْتُ من الصلة
والجائزة ، ولك فيما أوفدتُ عليك من الثناء والمدحة ، وما بي والله ألم الحرمان ،
ولكن شماتة قوم صدقوني فاتهمتهم ، ونصحوني فأغششتهم ، بأيّ وجه ألقاهم ،
وبأية حجة أدافعهم وهل حصلتُ من مديح بعد مديح ، ومن نظم بعد نثر ،
ومن رواحٍ بعد بكور ، ومن غسيل أطهار ، وإخلاق سربال إلا على ندمٍ مؤلم (٢)
ويأسٍ مسّقم ، ومن تأفف لازم وضجر دائم ، فان كان للنجاح علامة فما هي ؟
وأيّ هي ؟ قد والله طالت غيبتني عن أهلي ، وعن السائلين عن حالي في هذه
المعاملة التي عاقبتُها الخيبة بعد المأطل ، والحرمان بعد الإطعام ، والتحصير
بعد الوعد ، وقد بسط الله كفك ، وجعل الخير والجود والكرم جارية في
أسرارها ، ونابعة من جوانبها ، ففِضْ أيها الرئيس ! فإنما أنت بحر ،
واسكب فإنما أنت سحاب ، واطلع فإنما أنت شمس ، واتّقد فإنما أنت
نجم ، وُمرْ فإنما أنت مطاع ، وهبْ فإنما أنت واجد ، واهتز فإنما أنت

(١) في وفيات الأعيان ٨/٢ هـ ان بطل الحادثة هو أبو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي ،
وفي مكان آخر هو ابن مودة .

(٢) في هامش الأصل : مؤسف .

ماجد ، وصِلْ فانك جواد ، والله ما يقعد بك خورٌ في الطباع ، ولا
نغلٌ في العِرق ، ولا قدح في الأصل ، المخ قصيد ، والجبل حصيدٌ ،
والزند وارٍ ، والفروة خضراء ، والعود مورق ، والمال جمٌ ، والأمر
أجم ، والسلك دقيق والنسيج صفيق ، والطراز أنيق ، وما هو إلا أن
تقول حتى يُسمع ، وما هو إلا أن تأمر حتى يُمتثل ، لأن أمرك على الفور ،
وحكمك ماضٍ بالعدل والجور ، فما الذي يثني عزمك عن الكرم ، ويفلّ
حدك في الجود ، ويقصّر باعك عن المجد ، ويسدّ أذنك عن أحاديث
غد ، إن الذين تكره لهم ما هُجوا به كانوا مثلك ، وإن الذين تحسدهم على
ما مُدحوا به كانوا من طينتك ، فزاحم بمنكبك أضخمهم سنّاماً ، وزد
على من كان أكبرهم كاهلاً ، وأعلام يفاعاً ، وأسطعهم شعاعاً ،
وأزهرهم (١) ناراً ، وأكثرهم زواراً . فلما بهره هذا الكلام الشهي ،
في ذلك المجلس البهيّ شدة (٢) وعلية (٣) ولم يدرِ ما يقول ، وأطرق
هنيهة ثم قال : هذا وقتٌ يضيق عن الإطالة منك في الاستزادة ، وعن
الإطالة مني في المَعذرة ، فاذا تواهبنا في الحال ما دفعنا اليه ، استأنفنا في الثاني
ما نتحامد عليه .

فقال الشاعر : أيها الرئيس هذه نفاثة صدر قد جوي (٤) منذ
سنة ، وفضلة لسان قد فديم منذ زمان ، وقد تقدم العمل ، والجزاء

(١) زهرت النار : سطعت .

(٢) شدة : دهش وشغل وحير .

(٣) عله : تحير ودهش .

(٤) جوي : أصابته حرقه وشدة وجد من عشق أو حزن .

موقوف ، والرجاء عليك ، والأمل غادر ، والحال بعرض سوء ، والشامت
قد شمّر للتأنيب ، ولا صبر لمقيل على 'مدل' إلا على وجهٍ يحتمل ، فإن
رأيت قدّمت المتأخر ، وقرّبت الشاسع ، وجعلت إجزال العطية في
تعجيلها ، وإكرام طالها في تسهيلها ، فلا مانع إن لم يكن ذلك من شدة
جد ، أو تقاعس جد . فقال : يا هذا قد كررت العتب ، واجتررت
الملام ، وما استوجب هذا من أحدٍ من خلق الله ، ولقد نافرت العميد
بدون هذا حتى ثار من ذلك عجاج قائم ، وانتهينا منه إلى قرى عاتم (١) ،
ولست ولي نعمتي فأحتمل لك ، ولا صنيعتي فأغضي عليك ، وإن بعض
ما قررته في أذني (٢) لمّا ينقض مرّة الحليم (٣) ، ويبدد شمل الصبر ،
ولست ممن يطيش لأدنى صائح ، ويتطير لأول بارح ، والله ما دعوتك
إليّ ، ولا أغريتك بي ، ولا سألتك تقريظي ، ولا اتعبتك في قصدي ،
وإن الظلم منك ، وكذاك العتب منك ، وأنا على كل حال مالىء ،
فلا تجمع بين الظلم والتظلم ، والجناية والتجنّي ، وخذ نفسك بالنزاهة
والعفاف ، فانها لا يقفانك هذا الموقف ، ولا يعرضانك على هذا المجلس ،
ورزق الله مُنتاب وغادٍ ، واطلب الغنى منك فانه عندك أكثر منه عند من
تظلمه وهو لم يظلم ، وتعاقبه وهو لم يجرم .

[١٢٩]

(١) في وفيات الأعيان : دفعنا إلى قرا عاتم ، ولجأ قائم . وقرى عاتم ومعتم :
بطيء ممس . قال الشاعر :

فلما رأينا أنه عاتم القرى

نجيل ذكرنا ليلة الهضم كردما
« اللسان »

(٢) في وفيات الأعيان : مسامعي .

(٣) في وفيات الأعيان : مرة الحليم .

فقال الرجل : ما كررتُ العتب حتى أكلت النوى المُحرق في انتظار صلتك ، ولا اجتدرتُ الملام حتى خاتني صبري في توقّع جائزتك ، والغني إذا مطلق ظم^(١) ، والواجد إذا لوى أثم ، والجواد إذا منع أيتم ، ولعمري ما دعوتني إليك ، ولا أغريتني بك بكتابٍ خصصتي وزبنتي^(٢) فيه ، ولا سألتني تقرّظك ، ولا أتعبتني في قصدك برسولٍ أرسلته إليّ ، ولكن لما جلست في صدر هذا الايوان بأبّهتك ، وعظمتك ، وكبريائك ، وجبروتك وقلت : لا يخاطبني أحدٌ إلا بالرئاسة ، ولا ينازعي أحد في حقوق السياسة^(٣) ، فاني كاتب ركن الدولة ، وزعيم الأولياء بالحضرة ، والقيّم بمصالح المملكة ، فقد أهبت الناس إلى بابك ، وأغريتهم بخدمتك ، وأطمعتهم في مالك ، وكأنك قد خاطبتهم بلسان الحال ، وإن لم تكن خاطبتهم بلسان المقال ، فأنا ذلك السامع برئاستك ، والشاهد بفضلك ، والراغب في خدمتك ، والراجي لخيرك ، سمعتُ فأجبت ، وحضرتُ فمدحت ، ووقفت فأنثيت ، وأصغيتُ فسمعت ، وأدّيت فاستحسننت ، ولم يبق بعد هذا كله إلا أن يكون عطاؤك حرماناً ، ووعدك لياناً ، ولا جودك انتحالاً ، ولا فتوتك اقتتالاً ، ولا مأوك سراباً ، ولا جودك ضباباً ، ولا خدمتك مندمة ، ولا الحاصل من معاملتك مظلمة ، وإن الرجل الحر متى علم أن صاحبه لئيم الطباع ، خسيس الخلق ، مرقع المنصب ، ملبوس المحتد ، وأن الله تعالى لم يجعله من معادن الرزق ، ولا من أبواب النجاح ، فانه لا يطمع فيه ، ولا يتواضع له ، ولا يعدّه فيمن يُعدّ ، ولا يشغل لسانه

(١) في وفيات الأعيان : لئيم .

(٢) زين : دفع .

(٣) في وفيات الأعيان : خلق في أحكام السياسة .

بمدحه ، ولا يعقُّ أمله بقصده ، ولا يضيّع قوله في وصفه ، بل يرى أن
اقتحام الجمر ، وسفّ التراب ، ونزع الروح ، أهون من ذاك وأعز ،
ولعن الله الأدب إذا كان بائعاً مُذِيلاً^(١) ، ومشتريه مُهيناً لقدره ، ومما كسأ فيه .
وتقوض المجلس وقام^(٢) الناس ، وانصرف الشاعر ، فحدثني شمسويه أنه
طلبه بعد ذلك ليصله فرجع إليه أنه ذهب بين سمع الأرض وبصرها .

[مفاضلة بين الوزيرين]

وسألت الجرجاني عن ابن عبّاد وابن العميد فقال : ما يبينان بكرم كبير ،
وفعال مشهور ! ولا فائدة في نشر لؤمهما ، وخساسة طباعهما . بلغ من
فلسفة هذا أنه أمر بقطع لسان رجل شتم بلد قم غضباً لبلده ، وتيهاً بوطنه ،
وشدّ آخر في داره إلى شجرة وما زال يُضرب إلى أن مات وطرحه في
جَوْبَةٍ^(٣) حتى أكلته الكلاب . فقال صاحبه : انظروا إلى هذا الذي قلنا
إنه أعقل الناس . حدثني بهذا الهَرَوِي ثم قال : وكان ابن عبّاد كما قال
أصحابنا : هو لَيِّن شجب^(٤) ليس عنده إلا القال والقيّل ، والكبر والتخيّل ،
يحبُّ العامة ، ويرفع نفسه عنها ، ويحسد الخاصة ويجعل نفسه منها ، ويستطيل
بالعلم وهو قريب القعر منه ، ويدّعي الردّ على الأوائل وهو لا يعرف حرفاً
من نخطهم ، ويتحلّى بالعدل والتوحيد قولاً ، ويتحلّى بالجور فعلاً ، ويتشبع
بالأدب وهو سيء الأدب ، يتهكم بلسانه مستطيلاً ، ويقتحم الجرائم مستهيناً ،

(١) مذيلاً : مهيناً .

(٢) في وفيات الأعيان : ماج .

(٣) الجوبة : الحفرة .

(٤) كذا في الأصل .

الواقع عليه الخضم لجرده للناس ، وأظهره للصغار والكبار ، ولكنه في خفارة
جده ، وحسن دولته ، على إن الجهابذة قد نقدوه وبهرجوه وتركوا
التعامل به ، وإنما هو وميض برق ، وهبوب ريح ، وخفق راية ، فإذا قرئت
الأمور قرارها ، وعطفت الفروع على أصولها ألقىته مطرّحاً مع نظائره ،
خامل الذكر ، وضعيع القدر ، قصير الشبّه ، مهتوك الستر .

[أدب ابن العميد]

قال : وجملّة الأمر أن ابن العميد كان حسن الكتابة ، غزير الإنشاء ، جيد
الحفظ ، ولم يكن له في كتابته حساب ولا تحصيل لوجوه الأموال ، ولا
معرفة بالدواوين ولكنه كان يفضل الكيس يتأتى له ويتلطف .
قال : وله شعر صالح في الغزل والمعاتبة ، ولأنه مشهور لا طائل في
روايته ومن ذلك قوله :-

قلبي دلم به ندوب
يكاد مما به يندوب
قد كنت أخفي الوشاة جهدي
فتمّ مني به الوجيب
فهل سمعتم بمسهم
عليه من قلبه رقيب
يعمد ما ساءني ضراراً
ما هكذا تفعل القلوب
يعتادني للصبا غرير
كأنه شادن ريب

جـرى مع الدهر في عنانٍ
فهو لأحكامه نسيبُ
فكل محبوبه بعيدُ
وكلُّ مكروهه قريبُ
وكيف يُرجى بقاءُ صبٍّ
ناكده الدهر والحبيبُ

[أبو الفتح ابن العميد والعامري]

وكان ابنه أبو الفتح أشعر منه وأحسن خطاً ، واستفاد بدخول بغداد
أشياء فأتت والده ، وكان لذلك يغمز على البغداديين ويتعنتهم ، وكان نَزَرَ
العطاء ، شديد المنع ، لا يقبل صنفاً من الناس وإنما غرم شيئاً يسيراً على
العامري ، لأن العامري خدعه وضلَّه ، وصَبَّغَهُ (١) ودخل من باب غامض عليه
وقال : لقد قصدتك من خراسان لأقرأ عليك علم الحيل ، وجرَّ الثقل ،
ومرا كز الأثقال وهو في أواخر علم الهندسة ، بهذه الدعوى وبخلابته أيضاً
ويعصر عينيه عند / سماع كلامه وكان يقول له : ضاع عمري ، ولم أوفق [٢٩ب]
لرشي في أول أمري ، ولو وُفِّقْتُ لوقعتُ إلى كنز علمك ، وروضة بيانك
قبل هذه السنين ، ولما رآه أبو الفتح (٢) على هذا قال : لست في قراءتك جرَّ
الثقل عليَّ بأحوج مني في قراءة الالهيات عليك ، فانك في هذا الفن بحرٌ
لا يُتَغَلَّعُ إلى قعره ، وجبل لا يُتَوَقَّلُ إلى مصادره ، وكان هذا
تساخراً منها ، وتكاذباً بينها لأنها كانا لا يعرفان من هذين العلمين لا قليلاً ولا
كثيراً ، وما ينقضي عجيبي من تكاذب العقلاء ، ومن تجاذب الجهَّال ، وخيبَ
هذا الانسان خيباً فائت ، والاحاطة به مُتَعَة .

(١) أي كذب ولون الحديث.

(٢) في الأصل : أبو الفضل ، ولعله سهو من الناسخ .

[ابن العميد وأعلام عصره وحاشيته]

وأما الهروي فانه ارتبطه بأمر ركن الدولة ، وكان يُعده من ماله ، لأنه حميد في طبه الذي كان يتكرر به بعد هندسته التي كان فيها أبدع ، وبها أعرف . وأما مسكويه فانه اتخذ خازناً لكتبه ، وأراد أيضاً أن يقدر ابنه به . ولم يكن من الصنائع المقصودة ، والمهمات اللازمة ، وكان أيضاً ما يقيم عليه شيئاً زوراً لا يقنع به إلا من لا نفس له ولا همّة ، وكان يحتمل ذلك لبعض العزاة بطلته ، والتظاهر بجاهه . وأما ما تكلفه لأبي جعفر الخازن فانه كان لأسباب طويلة منها : أن ركن الدولة أعظمه ، فلزمه أن يقتدي به ، ومنها أنه طمع في اقتباس علمه ، ومنها أن العيون كانت تنظر إليه في أمره ، والناس يحسبون ما يأتيه في بابه ، لأنه وقع إلى الري مع صاحبه الصّاعاني أبي علي حين طلب الأمان ، والحديث معروف . فأما ابن فارس فانه استخدمه ليعلّم ولده .

وأما ابن أبي الثياب البغدادي^(١) فانه قرّب به ليسترق منه المنطق ، فلما علم بذلك أبو محمد نفيس^(٢) بما معه وتكاسل ، وقيل له : كيف تفاضيت ؟ فقال : كان سيئاً الابتعاث في هذه الفنون ، وكان شديد التشبّع بها ، يحب أن يختلس الحكمة ، ويمتن أربابها بفضل المقدرة ، وأنشدني في هذه القصة :

إلى الله أشكو ريب دهرٍ كأنا
يرى كل ما يجري بمكروها فرضاً

(١) من شعراء اليتيمة : ١٢٦/٤

(٢) نفس بالشيء : ضن به .

يؤمل مني أن أذلّ لموسى
لئيم ونفس الحرّ بالذلّ لا ترضى

قلتُ : لمن الشعر ؟ قال : أنشدني ابن البغل لنفسه .

وأراغه أبو الفضل على المنادمة فأنف ، وما زال يترصد وقتاً ينفلت فيه
حتى كان من أمر ابن العميد ما كان من خروجه إلى أرّجان ، فطوى
فجّاج الأرض ، وجاب البلاد إلى بخارى وولي بها البريد إلى
أن قضى .

وأما أبو طاهر الورّاق فانه رتبّه في النسخ ، وكان قوي الخط ، كثير
الصبر على النّقل ، ولم يكن من الصنائع ، ولا من حملة النعمة ، ولا ممن
يطالب بالحمد ويبحث على الشكر .

وأما ابن بَنَدَار^(١) ، فانه كان فداً غليظاً ، غليظ الكلام ، جافياً ،
جاسياً ، مقبياً ، وكان وزّر باذريجان لجستان ، فأحبّ أن يرى من
نفسه أنه على مائدته من وزّر ، فأين الصنائع والمُدّاح وأين المتّجمون
والزائرُونَ وأين من مرّ به محتاجاً إلى زادٍ ونفقة ، فطلبه وقرّبه ،
وأعطاه ووصله ، وأضافه وأكرمه ، وتصفح مامعه ، واقتبس
مما عنده .

[افساد الصاحب للعطاء]

سقى الله ابن عبّاد فانه وقف نفسه على الغرباء ، وطلبهم بأكثر مما
تعرّضوا له ، وسأل عنهم بأكثر مما رجوه فيه ، ولولا أنه كان يفسد هذه
الأفعال بالرقاعة والتخيل والعجب والتطاؤل وذكر الطعام والمائدة ،
وما يعطي ويهب لكان قليله أكثر من كثير ذاك ، وصغيره أكبر

(١) هو أحمد بن بَنَدَار من شعراء اليتيمة : ٤١٨/٣

من كبيره ، ولكن لكَ حَسَنٌ مَقْبَحٌ ، ولكلَّ عَزِيزٌ مَذَلٌّ ،
ولكلَّ جَدِيدٌ مُبْتَلٍ .

[بخل ابن العميد]

وحدثني ابن عبد الرحيم القاضي قال : قال يوماً لصاحب طعامه : حدثني
عن هذا الخبز المكسّر على الطبق والمُلوّث^(١)، وما تتجافى عنه الأيدي ،
وما يُصيبه اللحم والمرق والثريد ما تصنعون به ، وابتدأ هذا القول
وهو في جوف خركاه وظنّ أن لا إذن هناك ، فقال له الرجل في جوابه
بعد أن تكرر قوله ، وقد حال عن مزاجه لغيظه من سؤاله : ندّسه في
حِرٍّ امرأة من يسأل عنه ! قال : وهذا بالفارسية قاله وهذا تفسيره ،
قال : فانكسر وانخذل ، وعلم أنه قد باء بخِزْيٍ ، وغاص على سواده ، وان
الخطأ منه في المسألة أفحش من الخطأ عليه في الجواب فقال له : أنت مجنون !
اخرج لا بارك الله فيك ، وهذا كما تسمع ، والموت بهذا الرئيس على
الخشب صلباً أحسن من هذا الحديث ، وكان الرجل من فرط كيسه لا يقع
إلا مكبوباً ، ولا يذكر إلا مسبوباً ، ولقد بلغ من لؤمه وشؤمه أنه
قتل من أكل عنده ، وذلك أن أبا المحاوش ورد الريّ ، وكان بدوياً أو
من هذه المزالف^(٢) ، متبادياً ، وشهّر بشدة الضرس ، وكثرة الأكل ،
وتكرّر حديثه عنده ، وما وُصف به من طيب كلامه ، وحسن وصفه للقدر
والطبيخ والألوان ، فدعا به ، وتقدّم باحضار شيء كثير من الخبز
والحلواء فاكتمسحه كله ، وطلب الزيادة ، وكشّر أبو الفضل في وجهه ،

(١) الملوّث : الممرغ بالاهالة أي الدهن أو الشحم المذاب .

(٢) مفردها مزلفة وهي كل قرية تكون بين البر والريف .

وأظهر استملاحه على تفقُّه فؤاده ، ونار صدره ، ثم وهب له دُرِيَّهَاتٍ وخُرَيْقاتٍ وشملة وقال له : أَكْثَرُ عِنْدَنَا ، واقترح مافي نفسك على صاحبنا المطبخي ، فكان المسكين يحضّر في الفِرط^(١) فيطلب شيئاً ، ويأكل وينصرف ، فطال ذلك على أبي الفضل ، واغتاض منه ، وغلب طباعه ، فقال لصاحب مطبخه : اجمع هذا الذي يقال له : لالِكات^(٢) التي قد اخلقت وتقطعت ، وقطعها صفاراً كالبنادق وقدّمها إليه في عَجَّةٍ وافرة بيض كبير ، وسمّن وافر حتى ينظرَ إلى أكله ، وهل يفطن ، وإنما كان كيداً ، ففعل وأحضر وأقبل أبو المحاوش عليها ، وتدرّع في أكلها ، وأعظم اللقمة ، ودارك الرفع والوضع ، ووجدها / وطية ناعمة ، فلما أفلح عنها وانصرف وشرب الماء ، وجاء وقت التَلَطُّ^(٣) ، اتّقد بطنه فخرج فيه نفسه ، فهذا لما تکرّم بالإطعام ، وحثّ على الأكل ، ورغّب في الرغيف ، وهذا الفعل يجمع إلى النّدالة قلّة الدين ، وإلى اللؤم سخف العقل ، فالويل له ثم الويل له .

[٣٠]

وكان إذا رأى ابن بندار يقول : جاءكم أسد الغريف على الرغيف ، والريُّ جادة الدنيا ، ومنهجُ المشرق والمغرب ، والجوالين في الآفاق ، فكان يُكثر أهل الانتجاع من كل صقع ، فلم يكن لأحدٍ منهم عنده مقيلٌ ساعة ، ولا مبيتٌ ليلة ، ولا زادٌ مرحلة ، ولا كهشاشة ، ولا بشاشة .

وقد اجتاز به أبو اسحق الفارسي ، وكان من غلمان أبي سعيد السيرافي .

(١) الفِرط : الحين تقول : آتيتك بعد فرط أي بعد حين .

(٢) اللك اللحم ، لك اللحم : فصله عن عظامه ، واللك الصلب المكتر لحمًا .

(٣) التلط : السلق .

وكان فهماً بالكتاب وقرض الشعر ، وصنّف وأملّى ، وشرح ، وتكلم في
العروض ، والقوافي ، والمعنى ، وناقض المتنبي ، وحفظ الطمّ والرّم ،
فازوده درهماً ، ولا افتقده برغيف بعد أن أذن له حتى حضره وسمع
كلامه ، وعرف فضله ، واستبان سعته .

[أبو الفضل ابن العميد وأبوه]

قال الخليلي : وكيف يُرجى خيرُهُ ، أو يؤمّل رشدُهُ ، أو يُساق
طمعٌ إليه ، أو يوفر ثناءٌ عليه ، أو يشام له برّق ، أو يُقطع دونهُ
خرق ، وقد عَقَّ أباه ، وسعى به في أول أيامه حتى تبرأ منه ذلك الشيخ
وهرب إلى خراسان ، واستُكُتِبَ هناك ، ولُقب بالعميد ، وكتب إلى
قاضي أصفهان كتاباً برىء منه فيه ، وأنا أروي قصته في هذا المكان ليكون
أذهب في العجب ، وكان عقوقه من وجه غريب ، جاء إلى ذخيرات في
مواقع ووضع يده عليها ، وعرف صاحبها مكانها ، وخطّ خطوه عليها ،
وزوى ذلك كلّهُ عن شيخه وعن جميع من كان له فيه نصيب ، إمّا بحق
الارث ، أو بحق الهبة حتى قامت قيامةُ ذلك الشيخ ، فدعا عليه ، وفضحه
عند الناس ، وبرىء منه ، وقدح في ولادته ، والرسالة :

[رسالته إلى قاضي أصفهان بالتبرؤ من ولده]

بسم الله الرحمن الرحيم : القاضي أطال الله بقاءه وأدام نعماءه ، أحلّ
محلّ مَنْ مواهبُ الله فيه ، وعوائده عنده في الدين والدنيا ، والعصمة
والخير ، والفضيلة وحسن التّأتي في كل فصيلة ، وجميل اللفظ في جميع
الحكومة ، ولي في الشكوى إليه ، ومباشته ، وذمّ الزمان عنده ،

والاستعداد عليه لديه استراحة وتخفيف للثقل ، وتفرج من حرج الصدر ،
وأنا المتمسك به تمسكي كان بالوالد والعم ، وأثق بأن نصيبي من شفقتك تام ، ومن
مشاركته وافر ، والله لا يعدمنيه ، ويحفظني بمواصلته النعم عنده
إليه بقدرته .

والكلوم أدام الله عز القاضي ضروب ، والنُدوب فنون ، وأعسرهما
برءاً ، وأصعبها داءً ، وأعزها دواءً ، ما جرحته يدُ القريب ، وجلبته
أفعالُ الأهل ، فان ذلك يصل إلى حبة القلب ، وصميم الفؤاد ، وتصير
قذىً في إنسان العين ، وشجىً معترضاً في الخلق ، وتتراكم على الأيام ،
وتتكاثف على الدهر ، فيكون نكء القرع بالقرع أوجع ، ومتى نفس
الممنوء^(١) ، وشكى المملوء غيظاً وحنقاً اجتمع إليه من عشيرته وأسرته
شيخ ضعيف ، أو طفل صغير ، أو امرأة باكية ، أو عورة بادية ، أو ذو
قراصة فاستغفر هذا ، واستصفح ، وسأل ، وتشفع .

ثم رُويت أخبار في قطيعة الرحم ، وعُدَّت آثار في صلة القربى ، فضاق
النفس ، واشتدَّ الحنق ، وتجرع هذا المظلوم الغيظ ، وصبرَ وأنف ،
واحتمل واحتسب ، وعفا وغفر ، والشر عتيد ، والبلاء يزيد ، والطبع
أغلب ، والعادة لا تنزع ، والجاهل لا يقلع ، فهل دواء هذا إذا اتصل ،
وطال ، وامتدَّ ، وتتابع ، وزاد ، وتضاعف ، إلا الصريمة والاعراض ،
والقطيعة والانتقاص ، فدواء ما لا تشتهي النفس تعجيلُ الفراق ، وأنا جعلني
الله فداء القاضي ذلك المألن المغتاض الذي قد عيل صبره ، وضاع حلمه ،
وضاقت نفسه ، وقرح قلبه ، ونضجت كبده . وقلَّتْ حيلته ، وعظمت

(١) الممنوء : صاحب الأمانة .

بليته ، وهذا الجاهل ابني ، وما هو بابني من انتهى بي إلى هذه الشكوى ،
وقصدني بهذه البلوى ، وعقتني وخالفني ، وبغى عليّ ، وباغضني ، وارتاب
معي ما لا يحل ، بعد أن ربيته صغيراً ، وأعزته كبيراً ، وأوليته جميلاً ،
وأبليته جسيماً ، وصنّته شديداً ، وحطّته دهرأ طويلاً ، وخضت دونه
الأهوال ، وقاسيت في حمايته الأغوال ، أجمه وأتعب ، وأقلده وأتعطل ،
وأعزه وأذلّ ، وأغترب ليقم ، وأنعمه وأشقى ، وأتحمّل عنه ليرضى ،
فما يعرف لي حقاً ، ولا يتأتى ، ولا يرعى ذماماً ، ولا يهدي ، ويتيهأ متعرضاً
مستخفاً بي ، ولو أمنت ملال القاضي أدام الله أيامه لعددت مقابحه ،
وذكرت مساوئه ، ووصفت ما يرتكبه من عظام هي به متصلة ، وإليّ
منسوبة ، وأنا أفزع من يسيرها ، وأجزع من قليلها ، ولا أحب أن
أراها وأعانيها في جارٍ أو قريب ، وقد زجرت ووعظت ، وقلت وأرسلت ،
وكأبت وشافيت ، وعايّنت وخاطبت ، وسددت وهولت ، ورغبت
وأوجعت ، وضربت الأمثال ، وذكرت السير ، وخوفت وحذرت ،
فما انتفعت ، وجرائمه تكثر ، وجرائره تغلظ ، ولا فضل فيّ ، ولا احتمال
معي ، ولا بقيّة للاغضاء عندي ، وغرضي في هذه المخاطبة ، ومغزاي من
هذه الشكوى والمباينة ، أن يشهد القاضي أنني بريء منه ، قاطع له ، عادل
عنه ، غير راضٍ بقوله ، ولا فعله ، نازع ما ألبسته من بُنوة ، مطّرح
له دُنْيا وديناً ، ليس مني ولا إليّ ، قد تبرأت منه ، وصرمتُه ، ووكلته
إلى اختياره ، ورفعت عنه يدي ، وأسلمته إلى الله ليأخذه بحقي ، ويقبل
به دعائي ، ولا يحفظ عليه ما لم يحفظه عليّ . اللهم ! اسمع واشهد ، وكن
حسيب الظالم ، واحكم بيني وبينه يا خير حاكم !

وهذه شهادة لي عند القاضي يحفظها ، كما يحفظ اليه من حقوق

عمله ، فاني مطالبه بها يوم يقوم الأشهاد ، / وكفى بالله العليّ شهيداً . [٣٠ ب]
وهذه أبقاك الله رسالة تدل على قرحة دامية ، وعين باكية هامية ،
ونفس قد ولّحت عما حلّ بها ، وإن غلاماً يُحَوِّجُ أباه إلى مثل هذه
البراءة والشكوى منه والتألم ، لغلام سوء ، والله أكرم من أن يجبره في
الدنيا ، وأن يسعده في الآخرة ، وكل هذا دليل على أنه عارٍ من الديانة ،
سليب المروءة ، وقد رضي بظاهر حاله وإن لم تدم له ، ولهى عن عاقبة أمره
وإن لم يَنْجُ منه .

وحدثني أبو الغادي الصوفي قال : كنت عند العميد ببخارى وقد جرى ذكر
ابنه أبي الفضل فقال : كنت أشك في ولادته قبل هذا ، والآن فقد تحقق
عندي ما كان يريني منه ، فإن الاناء رشّاحٌ بما فيه .

[جواب القاضي على الرسالة]

ثم أفادنا حمزة المصنّف جواب القاضي للعميد وذاك أنه كتب : بسم الله
الرحمن الرحيم . وصل كتابُ العميد أعزَّ الله جلالته ، ووفر عليه كرامته ،
وأدام له نعمته وحياطته ، وأنس وصوله ، وأوحش محصوله ، ويعزُّ عليّ أن
أقرأ كتابه بعد عهدٍ دارس ، ودهر متقادم مُنبئاً عن قرائح صدره ، وجرائح
فؤاده ، وقد والله زاد عجيبي من هذا الحديث كله ، وشركته في جميعه ،
وسألت الله اللطيف فيمئةَ هذا الغلام إلى حظه ، ونظراً إلى قلب قد أضرم فيه
نار العقوق ، وأفرج عن لوازم الحقوق ، فانه إذا وفق لذاك كان فيه صلاحُ
معاشه الذي هو عاجلته وسلامته معاده الذي هو آجلته ، هذا مع الذكر الجميل
الذي ينشر له ، وبركة دعاء شيخه إذا عادت عليه ، وقد كتبت إلى الفتى أكرمه
الله بما ان هُدي لرشده ، ووفق لحظه ، غبط واغبط ، وإن كثر منه

اللجاج والمحك خُبط واختبط ، والله يفتح بصره ، ويأخذ بيده فيعلم ما في
البراءة من البنوة ، والتعري من الأبوة من الهُجنة الشنيعة ، والفضيحة
الفضيلة ، ولم أقنع بالكتاب ، وبما نصرفت فيه من لواذع العتاب ، حتى كتبت
إلى أبي الخريش وسألته إحضاره ومناظرته ، واستخراج ما عنده مع التهجين
الشديد ، وشوب ذلك بالوعد والوعيد . وغالب ظني أن تلك القسوة تحول
رقة ، وتلك الفظاظة تعود ليناً ، ولو كنت في مقرّه ، أو كان في صُفحي
لكان لي في هذه القصة جد وانكماش يحمدي عليها العميد ، ولكني منه بعيد ،
وان ، وعائد بالله ، تقاعس وعَظي عنه ، ونبا نصحي دونه بعد التلطف
والاجتهاد ، فالأسى والأسف أعزُّ من أن يُرسلا وراءه ، أو يُقاما إزاءه ،
والولد قد يموت بارّاً ، ويفوت عاقاً ، فليطب قلب العميد عنه فائتاً ، كما تساو
النفس عن العزيز مائتاً ، ولعل العتب يُسْفِرُ عنه بما يسر منه ، فللزمان في
تقلبه غرائب ، وللدهر في تصرفه عجائب ، وأنا أسأل الله أن لا يخليني من
العميد عمدة ، ولا يريني فيه ومنه سوءاً وغمّة ، ورأيه في مواصلي بكتبه
المحملة برّه ، وتفضله بمثابتي وتصريفي على تكاليفه متوقع مشكور ، وأنا عليه
حامد شكور .

[الأصل والفرع]

ثم قال الخليلي : وجده مع هذا ساقط يلقب « بكلمة » وهو كناية عن
شيء قبيح على زعمه ، كان نَحْلاً في سوق الخياطين أو حَمَّالاً أو منقياً ،
وكان يحرس السوق أيضاً بالليل ، والعرق لا ينام ، ولا بدّ للأصل من أماره
في الفرع ، كما لا بدّ في الفرع من إشارة إلى الأصل ، والأصل والفرع
متشابهان ، إلا أن هذا الخافي ينطق عنه ذلك البادي ، وذلك البادي يشهد له

هذا الخافي ، ولهذا قالت العرب : لكل إناء رشح ، ولكل سقاء نضح ،
ولكل شجرة سوس ، ولكل دوحة عيص (١) ، وكنت إذا نظرت إلى أبي
الفضل تجده غضبان من غير مغضب ، سبج الأنف ، متخازر (٢) الطرف ، كالح
الوجه ، كأنما وجهه بالخل منضوح (٣) ، كأنه يعافك أن تنظر إليه ، أو
يتقرّر منك إذا كلمك ، يتجمد عليك قبل أن تلاطفه ، ويردك قبل أن تسأله ،
ويؤيسك قبل أن ترجوه ، ويحرمك قبل أن تمتري (٤) معروفة ، ويسفك
دمك إن أكلت خبزه ، والويل لمن أعرب عنده واستمرّ في كلامه ، أوتخيّر
لفظة له ، أو نشر أدبه ، وكان يقول لمن يراه بارع اللفظ ، خفيف الروح ،
لذيذ الحديث ، خفيف اللسان : يا قس بن ساعدة ! هات حديثك . يأسحبان
وائل ! مر في هزارك ، يا سعيد بن حميد ! لا تحفل بنظارتك . كل هذا بهزء
وسخرية وتهافت ، وكشر عن ناب أقالح (٥) ، ومضغ للكلام ، ولي الشفة
والشدق ، كأنه ثلج جامد ، أو شيء تارز (٦) ، ولهذا قال ابن أبي الثياب :

أبا الفضل لا في الخرا أنت ولا الأنس

وطبعك طبع الموت يورد في اليبس

فهذا هذا !

(١) العيص : الشجر الكثير الملتف أو منبت خيار الشجر وهو أيضاً الأصل . يقال : هو
من عيص كريم أي من أصل كريم .

(٢) تخازر : أي ضيق جفنه ومنه متخازر .

(٣) عبارة للجاحظ في البخل .

(٤) امتري : استدر واستخرج .

(٥) القالح : صفرة تعلو الأسنان .

(٦) التارز : كل قوي صلب ، وهو أيضاً اليابس لا روح فيه ، والميت

لأنه يابس .

[الشيخ الطبري]

وحضرت مجلسه ذات عشية في شهر رمضان مع الفقهاء والزعم ابن شاذان وهو على القضاء ، فلما كادت الشمس تَجِبُ (١) وهي حية يعد ، وقف حاجب له حيال الجماعة وأشار بالقيام والانصراف فقطعوا مَتْنِ مسألة كانوا فيها ، وتركوها ببراء ، وتبادروا إلى الخروج من الباب ، وقعد عنهم شيخ طبري في كساء عليه ، خلق ، فقال له الحاجب : قم يا شيخ والحق بأصحابك ، ما تأخرك عنهم ، ولماذا أنت لازم مكانك من بعدهم ؟ فقال الطبري : هذا فضل من الكلام ، أنا رجل غريب ، قدمت اليوم من بلدي ، ومحلي من العلم قد بان في هذا المشهد ، العظيم الشرف ، الكبير الفائدة ، وهذا هو المساء وأنا صائم ، وإن خرجت أعجز عن مصلحتي في هذه العشية ، والغريب أعمى ، ولست أعدم ها هنا إن شاء الله ما يسكني إلى غد ، ثم أغدو لشأني وما لا بد منه لغريب مثلي في بلد الغربة . فقال له الحاجب : أنت طبري وليس في قلنسوتك حشو ولا قطن ، والكلام معك يصدع ، وأقبل بغضب ، وجذب يده بعنف حتى أخرجه من المجلس بعد أن شتمه / وخبت القول له ، ووكل به من ألقاه وراء الباب ، مدفوعاً في ظهره ، مدقوقاً في قفاه ، مشتوماً في وجهه ، وكل ذلك بعين الرئيس الخسيس وسمعه ، لأنه كان بهيمته في صدر مجلسه على حشية قد استلقى وهو يسمع ويرى فما قال في ذلك كلمة سوداء ولا بيضاء ، فلو شاهدت الطبري البائس على الباب ، وقد احتوشه (٢) المارة يقولون له : يا شيخ !

[٣١]

(١) وجبت الشمس : غابت .

(٢) احتوش القوم الرجل وعليه : أهدقوا به وجعلوه وسطهم .

ما جنايتك ؟ ما الذي دهاك ؟ قال : يا قوم ذنبي أني طمعت في عشائهم ، ورغبت في المبيت عندهم ، وأن أكون ضيفاً نازلاً بهم . فقال له رجل منهم : أنت مجنون ، لقد تخلصت بدعاء والدتك الصالحة ، وسأمت سلامة عجيبة ، أتطمع في طعام الاستاذ الرئيس ؟ وابليس لا يحدث نفسه بهذا ، والشياطين لا يقدرّون على ذلك .

[أبو الفتح وابنه]

ولقد أراد أن يطير ابنه من رأس الجوسق ، لأنه طلب زيادة رغيف في وظيفته ، وصبّ على هامة أبي الفضل في تلك العشيّة من نوادر العامة وسخافات الحشويّة ومن ضروب الكذب والصدق ما لا يحصل . وللرازيين^(١) جرأة على الكلام ، وتحرك في النوادر ، ومن ذا الذي ردّ أفواه الغوغاء الأوباش ولو افتدى من هذا كلّهم برغيفين ، وفلذة لحم لكان الربح معه ، ولكن الشقيّ بكل حبلٍ يخنق . قال الخليلي مرة : لا تنظر إلى نقاء الثوب ، وحمرة الوجه ، وفراهة الموكب ، وإلى الصفف^(٢) والحشد ، والخيل المسوّمة العتاق ، ولكن انظر إلى عرض الرجل كيف هو ، وإلى الشكر له كيف هو ، وإلى درهمه من أين وجهه ، وإلى أين توجهه ، واجهد أن تسلّ من تحت مصلتي الرئيس أو مخدته ، أو دواته تذكرته وانظر فيها ، فإن كان قد كتب بخطه يتفقد فلان بكذا ، أو يسأل عن فلان لينظر في مصلحته ، ويحمل إلى فلان شيء من الحنطة وشيء من الثياب ، وشيء من الذهب والفضة ، ويوفد فلان على فلان ليصيب خيراً ، ويولي جيلاً ، ويقلّد

(١) الرازيون : مفردها رازي نسبة إلى الري .

(٢) الصفف : ما يلبس تحت الدروع .

فلان لينجبر قليلاً ، ويُعفى عن فلان وإن كان عظيم الجرم ، ويُستصلح
أمر فلان وإن كان قد تنبذ^(١) طريق ذلك ، وتكلم الأمير في باب فلان
حتى يجدد الرضا عنه ، فإن كانت التذكرة مشتملة على هذه وأشباهها
فاعلم أن الله قد استخلف صاحبها على عباده ، وجعله مناراً للمحتاجين في
بلاده ، وإن كان على غير ذلك فاغسل يدك منه بالأشنان البارقى ، ولا
تحجبه بأملك ولا تقدسه بشنائك ، ولا تعصر ربك بحسن ظنك فيه ،
وعده في الموتى ، وما أجود ما قال القائل :

من ضمنَّ بمعروفٍ

عددناه من الموتى

فكانت راحةً منه

ومن سوف ومن حتى

[عود إلى بخل ابن العميد]

فهل يكون أبقاك الله فعل ابن العميد بالشيخ الطبري إلا فعل من خذاه
الله وأسلمه من يديه ، ولم يؤهله لخيرٍ يجزي به ، ويكون هو سبباً
لتمامه ، وهل هو إلا فعل من في أصله خبث ، وفي منشئه دخل ، وفي
طباعه خسة ولؤم ، مع قحة الوجه ، ونذالة النفس ، وقلة الاكتراث ،
والطغيان الذي هو باب الكفر الذي هو خسران العاجلة والآجلة ،
وقد كان يمكن أن يدبر ذلك الشيخ البائس بأقرب شيءٍ وأسهله ، ولعله
كان عند الله أبرّ منه وأزكى ، وكان يتقي أن يثنى عنه مثل هذا الحديث الذي

(١) أنبذ وانتبذ ونبذ : جلس ناحية ، ومنه الانتباز : التنحي .

مسموعه يغىظ ، فكيف مشهوده ، وان طينة تكون مبلولة بهذا الماء ،
موضوعة في هذا الهواء ، مذكورة بهذه الأفعال والأسماء ، أعتقد أن للكلب
والقرد والخنزير مزية عليه ، هذا وهو صاحب المال المجموع ، والدخر
الكبير ، والضياع الفاشية ، والصائب الواسع ، مع الاقتطاع والاحتجاز ،
والسرقة والنهب ، كان رزقه في السنة ألف ألف درهم يردها في الخراج .
وكان ارتفاعه يزلّ عن الحساب ويفوت التحصيل وفيه قال ابن
عبدان الاصفهاني :

الاستاذون في الدنيا كثير
وما فيهم سوى نذلٍ خسيس
وكلّهم أراهم عن قريب
فدى الأستاذ سيدنا الرئيس
وسيدنا الرئيس فداء كلب
فما هو بالرئيس ولا النفس

[ابن العميد والفلسفة اليونانية]

والعجب من بخل هذا الرجل ونذالته مع تفلسفه وتكثره بذكر أفلاطون
وسقراط وأرسطوطاليس ومحبتهم مع علمه بأن القوم قد تكلموا في الأخلاق
وحودها ، وأوضحوا خفاياها ، وميزوا رذائلها ، وبينوا فضلها ،
وحشّوا على التخلّص بها ، وساقوا ذلك كلّهُ على الزهد في الدنيا ، والقناعة
باليسير من حطامها ، وبذل الفضول منها للمحتاجين اليها ، والمتتبعين
بسببها ، والاقتصار على ما تماسك به الرّمق من جميع زخارفها ، وتحصيل

مثالب م (١٦)

السعادة العظمى برفض الشهوات القليلة والكثيرة فيها ، والإحسان إلى الناس
مؤغير الناس بغير امتنان ولا اعتداد ، ولا طلب جزاء ولا استحاد ، كأنه لم
يسمع بما قال عبد الملك بن مروان أو سمع ، ولكن حمق عبد الملك عليه (١) ، ولم يعلم
أن الصواب فيما قال ، والحزم مع ما اختار .

[السمة الطيبة]

حكى العتي قال : قال عبد الملك بن مروان لأمية بن عبد الله بن خالد بن
أسيد : مالك ولجرتان حيث يقول فيك :
إذا هتف العصفور طار فؤاده

وليث حديد الناب عند الترائد
قال : يا أمير المؤمنين وجب عليه حد فأقمته ، قال : فهاهنا درأته
بالشبهات ؟ قال : كان الحد أبين ، وكان رغمه أهون . قال عبد الملك :
يا بني أمية أحسابكم أنسابكم لا تعرضوها للجهال ، فإن كلامهم باق ما بقي
الدهر ، والله ما يسرني أني هجيت بمثل هذا البيت ، وأن لي ما طلعت
[٣١ب] عليه / الشمس :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم
وجاراتكم غرثي يبتن خمائصا (٢)
ثم قال : وما على من مدح بهذين البيتين ألا يمدح بغيرهما
وهما زهير :

(١) العبارة غير واضحة ويبدو أن في الاصل قصاً .

(٢) البيت للأعشى ..

هنالك إن يُسْتَجْبَلُوا المال يُخْبَلُوا
وأن يُسألوا يُعْطُوا وإن يَيْسَرُوا يُغْلُوا^(١)
على 'مكثريهم' حق من 'يعتريهم'
وعند المقلتين الساحة' والبذل^(٢)

قال الأندلسي : استفدنا من رواية هذا الشيخ أن هذا الخليفة
روى تستجبلوا المال تجبلوا ، فانه كان عندنا يستخولوا يخولوا ،
ولكل وجه .

ولكن الأنس بهذه الرواية أكبر ، وصديق عبد الملك في مناقبته^(٣)
لحرثان ، ودل على الكرم المنافس عليه ، ونهى عن متابعة الهوى ، وقلة
المبالاة ، وسوء النظر في العاقبة ، وأن بعض الفتيان إذا قال : والله لأعرضن
لجناية أضرب عليها ألف سوط فيصح عند الفتيان صبري لأعذر عند
الناس ممن يتعرض لحرمان 'مختبط' ٤ المعروف ، ومنع لمنتجع خير ، وإساءة

(١) الاستجبال : أن يستعير الرجل من الرجل إبلاً فيشرب ألبانها وينتفع بأوبارها .
يسسروا : من اليسر .
يغلوا : يأخذون سمان الجزر ولا ينحرون إلا غالية .
والمعنى : أنهم إذا قامروا باليسر يأخذون سمان الجزر فيقامرون عليها ولا ينحرون
إلا الغالية منها .

(الديوان طبعة دار الكتب ١٩٤٤ ص ١١٢) .

(٢) المقل : القليل المال ضد المكثر . المعنى أن مياسيرهم يقومون بحق فقرائهم كما أن
فقراءهم يسمحون ويبنلون بمقدار جهدهم وطاقتهم . (ديوان زهير ص ١١٤)

(٣) المناقلة في الكلام أن تحدثه ويحدثك .

(٤) المختبط : السائل المعروف من غير آصرة . خطبه زيد بنجر : أعطاه .

قري طارق ، وتكليح وجه في وجه سائل ، وما أسهل قول
الانسان : دَعِ الشاعر فليقل ما شاء ، ودع الزائر فليفر فرّيه كيف
أحب ، ولكنه إذا زلّ القول ، وطار الحديث ، وتمت النادرة ، فأين
المتدارك ، وأين المعتذر ، وابن المتلافي ، هيهات ! والعرب تسمي رجلين
مُخْلِداً^(١) ، أحدهما من تأخر شبيهه فيقول : هذا مخلد ، والآخر هو
الذي يُمدح بعد موته .

[حب الشئ]

ومن لم يرغب في الثناء فقد رغب عن ملة ابراهيم خليل الرحمن ، لأن الله
تعالى أخبر أنه سأله ذلك ، وما سأله إلا بعد أن أذن له ، وما أذن له إلا بعد أن
علم أنه الخلق الأسنى ، والاختيار الأعلى ، والطريقة المثلى فقال : « واجْعَلْ
لي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ^(٢) » وقال : « وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ »
ثم وضع الله من أقدار قومٍ وأبقى ذمّهم في الغابرين فقال : « فَجَعَلْنَا^(٣)
أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ^(٣) » فرأى ذلك نهايةً في تهجينهم ،
والغضب من أخطارهم وأن يتحدث عنهم بما يبعث على الاعتبار بمن أساء لنفسه
النظر والاختيار . قال الشاعر :

ثمن المعروف شكر
ويد الاحسان ذخّر

(١) خلد : دام وبقى وأبطأ عنه الشيب .

(٢) سورة الشعراء .

(٣) سورة سبأ .

وثناء الحيّ للاموا
تِ في الأحياء عُمرُ

[هجاء الصاحب]

وقال أبو هفّان في ابن عباد :
لله دركٌ قد أكملت أربعةً
ماهنّ في أحدٍ من سائر البشر
العرض ممتهنٌ والنفسُ ساقطةٌ
والوجهُ من سفنٍ^(١) والعينُ من حَجَرٍ

وأنشد بعضهم في ابن عبّاد وذم سبّعه وعقله وخطّه وقال :
متلقّبٌ كافي الكفاة وإنما
هو في الحقيقة كافرُ الكفار
السجعُ سجعٌ مهوَسٌ والخطُّ خطٌ
طُ منقُرسٌ ، والعقلُ عقلُ حمارٍ

وقلت للثقيف المتكلم : أرى ابن عباد كثير الخلوة بهؤلاء العفاريت الذين
تجاوزوا حدّ الغلوميّة ، أترى ذلك لفحشاءٍ وتهمة ؟ فقال : أما سمعت
قول الشاعر :

كم حربة في القوم صارت جَعْبَةً
فاستر عليه فالحديث يطولُ

(١) السفن : جلد أخشن وحجر ينحت به .

وإذا الفتى حامى على ذي حيلةٍ

جَبّاً له فوراءه عاقولُ (١)

وكان قليل التحاشي من القاذورات ، وهو الذي ألصق به الريبة ،
وسوء فيه الغيبة ، وصار الانسان إذا ذكر مساوئه لا يخاف مأثماً ، لا يرتقب
لائماً ، على أن مساوئه تفوت الحصر ، وتندّ عن التحصيل .

[غضب الصاحب]

قال ابن عباد لندمائه : ما أوّل قول الشاعر :

وإنّ غداً للناظرين قريب

فقال الخوارزمي : أوله :

ألم ترَ أن اليوم أسرعُ ذاهب

وقال ابن الاعرابي : تمامها لنصيح بن منظور الفقعسي وهو :

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقلّ

خلوتُ ولكن قلّ : عليّ رقيبُ

فلا تحسبنّ اللهَ يغفلُ ساعة

ولا أن ما يخفى عليه يغيبُ

فأحسنِ وأجملِ ما استطعتِ فإنما

بقرضك تُجزى والقروض ضروبُ

(١) العاقول : ما التبس من الأمر والأرض لا يهتدى بها .

فلا تك مغروراً تعلق بالمنى
وقل إنما أذعى غداً فأجيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب
وأن غداً للناظرين قريب
وأن المنايا تحت كل ثنية
لهنّ سهام ما تزال تُصيب
ذهبنّ باخوان الصفاء فأصبحت
لهنّ علينا نوبة مستنوب

فأقبل عليه بوجه كالح أربد وقال : أعرفك ندلاً ، جاهلاً ، مأبوناً ،
باطلاً ، إنما ترينا من نفسك أنك تحفظ ، ويحسن التراب في فيك يا كلب ،
ومتى نبت ، ومن أبوك ، وعمن أخذت ، وإلى من اختلفت ؟ بلى
اختلفت عليك أمور ، وأنفقت في دبرك أيور ، أنت بمخازيها مشهور ،
قوّادك بعد ما مات ، وجذرك بعد ما نسي ، مثلك يجترى في مجلسنا أو
يقابل بوجهه وجهنا ، والله لولا رعايتنا التي جرت بها عادتنا لعرفتنا وعرفت
نفسك بنا ، وعلى هذا وما كاد يسكت . وكان جنونه غريباً في أنواع الجنون .

[الجنون والحق والسيادة]

لأن الجنون إذا زاحمه العقل ، والعقل إذا طلاه الحق لم يكمل الانسان ،
وأنت إذا قسمت هذا إلى العاقل وإلى الأحمق ، وإلى العاقل الذي يعتريه الحق ،
وإلى الأحمق الذي يعتريه العقل ، فهذا كما ترى ، ومن تحلّى بالسيادة ، وسام
الناس الانقياد له بالطاعة يحتاج إلى خصال كثيرة يكون مطبوعاً عليها سوى

خصال أخر يكون مشغولاً بها وبأكتسابها من أصحابها بالمجالسة والسمع والقراءة والتقبل . وما أحسن ما قال عدي بن حاتم في صفة السيد حين سئل : من السيد ؟ فقال : السيد هو الأخرق في ماله ، الذليل في عزه ، المطرَحُ لحقه ، المعنيُّ بأمر جماعته . وهذا جماع الكرم ، ونظام المجد .

[العقل والبخل والحمق]

وكان ذو الكفائتين يقول : خرج بن عباد من عندنا في الري متوجهاً إلى أصفهان / ومزلة ورامين فجاوزها إلى قرية عامرة على ماء ملح لا شيء إلا ليكتبَ إلينا : كتابي من النويهار يوم السبت نصف النهار : يا قوم هل هذا إلا الرقاعة ، واعلم حاطك الله أن الكمال عزيز ، فإن ما ربحه أبو الفضل بالعقل خسر به بالبخل ، وكلما زاد ابن عباد بالسخاء نقص بالحمق ، على أن العقل لا يكون تاماً ، وهناك خسارة . والسخاء لا يكون محموداً ، وهناك حماقة ، والبخل في الجملة غالبٌ على المتفلسفين ، كما أن الحماقة غالبٌ في الجملة على المنشئين .

[١٣٢]

[غلبة البخل على المتفلسفين]

وسمعت علي بن المنجم يقول وكان محدثاً ، حلوا الحديث ، وقد سئل : لم غلبَ البخل على كل متفلسف فقال : وجدنا الغالب على الناظرين في حقائق الأمور ، والباحثين عن أسرار الدهور ، وهم الموسومون بطلب الحكمة التي هي الفلسفة ، التمسكُ بكل عَرَضٍ يملكونه حتى أنهم لا يُفرجون عن شيء إلا بمشقة شديدة ، ولا يجدون ألم الشح والبخل ، ولا يأنفون من

عارها ، وطلبنا العلة في ذلك مع ما يقتضيه مذهبهم من الزهد والبذل والإيثار والتكرم فوجدناها في آثار النجوم والنظر في دلالتها ، وذلك أن الذي يدل على علم الحقائق والغوص فيها واستيفاء الفكر فيها زحل مع عطارد بالاشتراك ، وزحل توجب مع شهادته الأولى الحصر والحسد والضيق والبخل ، لأن البخل يكون من جهة الخوف من الفقر ، وزحل توجب عجز النفس وخضوعاً عند الحاجات ، وإشفاقاً على الفئات لعسر آثار زحل ، وكثرة تغيير أحوال عطارد ، قال : وهذه الدلالة موافقة لما في الطبيعيات ، وذلك أن البرد واليبس من آثار زحل يوحيان عوارض السوداء ، وأخلاق النفس تابعة بالنظر الأول لمزاج البدن ، فلذلك يستحيل إليه ، وكذلك حال عطارد في خصوصيته باليبس ، ولأن الحرارة معدومة في زحل وعطارد ، والسخاء من جنس الشجاعة المشاكلة لقوة الحرارة ، والبخل من جنس الجبن المشاكل لقوة اليبس الذي يوجب العجز وضيق الصدر ، والخوف في الحاجات . قال : ولأن الزهرة لها من الأمور الإلهية ، والدلالة على الوحي وطهارة الأخلاق ، مع ما توجه من الشهوة ، والنعمة ، والبذل ، والقوة الانفعالية بسبب الرطوبة الغالبة عليها ، فهي إذا أعطت أعطت الحقائق بغير تكلف بل على سبيل الوحي ، وتميل النفس إلى طهارة الأخلاق ، والتهاون بالمال للمباينة الواقعة بين الأمور الإلهية والأمور الطبيعية التي بها يطلب المال ويتمسك به ، فالذي يشرك في تديره بين العلوم والخلق الزهرة ويكون صاحبها مصادقاً للحقائق عفواً ، مُبَغِضاً للمال طبعاً ، والذي يغلب على تديره في العلم والخلق زحل وعطارد يتكلف العلم ويحب المال ويكون مغلوباً بالبخل .

وكان جريج المقل إذا جرى حديث أبي الفضل قال :

صبورٌ على سوء الثناء وقاح .

وأنشد فيه :

ولا يستوي عند كشف الأمو

رِ باذلٌ معروفيه والبخيلُ

ولا تعجب من اطلاق مثل هذا في ذوي الرئاسة فانه مسبوق اليه في
القديم والحديث .

هذا محمد بن الجراح عمّ علي بن عيسى الوزير ساق في كتابه في أخبار الوزراء
فقال : كان آل برمك أندى من السحاب ، وآل وهب أخس من الكلاب ،
وأنشد جريج المقل في أبي الفضل :

لنا فيلسوفٌ عالمٌ بالطبائع

يخبّرنا من طبّه بالبدائع

رأى البخلَ حذقاً فهو يحمي ويحتمي

فلسّت ترى في داره غيرَ جائع

ويزعمُ أن الفقرَ في الجود والندى

وأنّ ليس حظّ في اكتساب الصنائع

ستمُ بعد الموت أنك نادمٌ

وأنّ الذي خلّفتَ ليس بنافع

لقد آمنَ الدنيا ولم يخشَ صرفها

ولم يدرِ أن المرء رهنُ الفجائع

وقال : كان يدّعي له العقل ، وهو لا يرجع إلى دين ، وكلّ من فسد
دينه فسد عقله ، قد أعجبته فلسفته التي لا يحظى منها بطائل ، ولا يبين بين

أهلها بحقيقة ، أمن العقل أن ينشد كل شعراً للحد ، ويردد كل لفظ
غث ، ومعنى ثقيل .

أنشد يوماً قول النضر بن الحرث :
يخبرنا ابنُ كبشة أن سنحيا
وكيف حياةُ أصداءٍ وهام
أقتلني إذا ما كنتُ حيّاً
وتحييني إذا رمت عظامي
وأنشد لآخر :

أصبحت جمّ بلابل الصدر
وأيت منطويّاً على غمر
إن بحتُ طلّ دمي وإن أسكتُ
[عنكم] يضيقُ بذاكمُ صدري
وقال هذا لصالح بن عبد القدوس ، العاقل المجيد : أما سمعت له
قوله الآخر :

باح لساني بمضمّر السّتر
وذاك أني أقولُ بالدهر
وليسَ بعد الماتِ منقلبُ
ولمّا الموتُ يئُضّةُ العُقر^(١)
وهذه أمورٌ قبيحة من سفلة الناس ، فكيف من عليّتهم ، وإذا
سكت الناس عنهم في حياتهم خوفاً منهم نطقوا بعد موتهم تقرباً إلى الله

(١) يئضة العقر : أول يئضة للدجاج والعقر أيضاً الذي لا ولد له .

تعالى بالصدق عنهم ، فلا يهيدنك (١) ما تسمع فان الله تعالى لا يقيض
المحسن إلا المحسن ، كما لا يلجىء المسيء إلا إلى المسيء .

[ابن العميد وجريح المقل]

ورأيت العسجدي يقول لجريح المقل : كيف وجدتَ هذا الرجل
- يعني أبا الفضل - فقال : يابس العود ، ذميم المعبود ، سيئ الظن
بالمعبود ، ومثله لا يمتجد ولا يسود ، فقال له : أفلا ترى هذه الأبهة ،
والصيت ، والغاشية ، والموكب ؟ فقال : هذا وإن كان من الدولة فهي
غير السؤدد ، والسلطان غير الكرم ، والجدة غير المجد ، أين الزوار
والمنتجعون ، وأين الآملون الشاكرون ، وأين المثنون الحامدون ، وأين
الواصفون الصادقون ، وأين المنصرفون الراضون ، / وأين دار الضيافة
والخدم الراتبون المرتبون للخدمة ؟ هيهات لا يجيء بالقطقة والزققة ،
أما تسمع الشعر :

أبا جعفرٍ ليس فضلُ الفقى
إذا راحَ في فرطٍ إعجابه
ولا في فراهة برذونه
ولا في نظافة أثوابه
ولكنه في الفعال الجميـ
ل والحسب الأشرف النَّابه

(١) هاده يهده هيداً وهاداً : أفزعه وكربه .

[ابن العميد والبحري]

وكان أبو الفضل يُطري البحري ، ويمجّب من غزله وتشبيهه ،
ويستسهل في الجملة طريقته ، وَرَجُلٌ حَاضِرٌ يَخَالِفُهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ
أبو الفضل :

البحريُّ رومٌ غاليةٌ شعره
مَنْ لَا يُقِيمُ لِنَفْسِهِ مِصْرَاعًا
أَنْتَى رومٌ مثاله ولو ابتغى
تقويمَ قافيةٍ له ما استطاعًا
جذب العلاء بِضَبْعِهِ (١) فَأَحْلَاهُ
بين المجرّة والسّمك رباعًا
قال : فيخزي الرجل وسكت .

[موعظة أبي الفضل الكيمائي لابن العميد]

وحدّثني أبو الفضل الكيمائي (٢) قال : قلتُ لأبي الفضل بعد أن سمّ الحاجب
النيسابوري ، وبعد أن خطب على حمد ، ودسّ إلى ابن هِنْدُو وغيرهم من أهل
الكتابة والمروءة والنعمة : لو كفت ، فقد أسرفت ، فقال : يا أبا
الطيب أنا مُضْطَرٌّ ، فقلت : أيُّ اضطرار ها هنا ، والله إن مخادعتنا
لأنفسنا في نفعا وضررنا لأعجب من مُكابرة غيرنا لنا في خيرنا وشررنا ،

(١) الضبع : وسط العضد ، العضد كلها .

(٢) راجع معجم الأدباء ٢١١/١٤

وهذا والله رَيْنُ^(١) القلب ، وصدأ العقل ، وفساد الاختيار ، وكدرُ النفس ، وسوء العادة ، وعدم التوفيق ، فقال : يا أبا الطيّب أنت تتكلم بالظاهر ، وأنا أحترق في الباطن . فقلت : إن كان عُذرُك في هذه السيرة المخالفة لأهل الديانة ، وأصحاب الحكمة قد بلغ بك هذا الوضوح والجلاء ، فانك معذورٌ عندنا ، ولعلك أيضاً مأجورٌ عند الله مَالِكِ الجزاء ، وإن كنتَ تعلم في حقيقته غيرَ ما تراجعني عليه القول ، وتناقضني فيه الحِجَاج فانك من الخاسرين الذين قد باؤوا بغضبٍ من الله على مذاهب الناس أجمعين ، فبَكَى ، فقلت : البكاءُ لا ينفع إن كان الاقلاعُ ممكناً ، والندمُ لا يُجدي متى كان الإصرار قائماً . هذا كله بسبب ابنك أبي الفتح ، والله إن أيام ابنك لا تطول ، وإن عيشه لا يصفو ، وإن حاله لا يستقيم ، وله أعداء لا يتخلص منهم ، وقد دلَّ مولده على ذلك ، وانك لا تدفع عنه قضاء الله ، وهو لا يغني عنك من الله شيئاً ، فعليك بخَوْيصة^(٢) نفسك . وهذا موضوعٌ يروى عنه بعض ما هو فائدة من الأدب والحكمة ، وإن كان استيعاب ذلك شاقاً ، فإن الرجل كان كثير المحفوظ ، جيّد الاقتضاب .

[اللغة والكناية]

حدثني ابن فارس : جرى بين يديه أسماء الفرَج وكثرتها ، فقال بعض الحاضرين : ماذا أرادت العرب بتكثيرها مع 'قبجها' ؟ فقال : لما رأوا الشيء قبيحاً جعلوا يكتنون عنه ، وكانت الكناية عند 'فشوها' تصير إلى حدّ الاسم

(١) الرين : الدنس .

(٢) في الأصل خويصية : وخويصة الانسان : ما يختص بخدمته .

الأول ، فينتقلون إلى كناية أخرى ، فإذا اتسعت أيضاً رأوا فيها من القبيح
مثل ما كنّوا عنه من أجله ، وعلى هذا فكثر الكنايات ، وليس
غرضهم تكثيرها .

[تفسير بيتين]

وحدثني الهروي قال : سألت يوماً ابنه أبا القاسم - وكان أخاً لذي الكفائين
مات قبله - عن قول الشاعر :

فما لكم طلس الثياب كأنكم

ذئاب الغصا والذئب بالليل أطلس

فقال ولده : هو ظاهر إلا أن يكون تحته معنى . فقلت مازحاً له : أهو
ظاهر لك ، أو ظاهر عنك ، أي غائب ، ومعنى ظاهر عنك أي بجانبك لك ،
بارز عنك ، ومنه قول الهذلي :

وعيرها الواشون أني أحبها

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وفسر البيت فقال : يقول مالكم مجاهرين لي بالعداوة ، ولا تجاملوني
في حال ، فالذئب أصلح منكم ، لأنه بالليل أطلس أي مجاهر بالليل فقط ،
ومداج بالنهار ، فهو مجاهر في وقت ، ومداج في وقت ، وأنتم
مُصرون على العداوة .

[فقر لابن المعتز]

وكان يحفظ فقراً كثيرة لابن المعتز ورواها في مجلسه في الوقت بعد
الوقت ، وكان يوم من حضر أنه من اقتضابه منها قوله : إن في الحكيم

أَنَّ المتواضع من طلاب العلم والحكم أكبرُهم حظاً ، كما أن المكان المتطامن^(١) من أكثر البقاع ماء . وأنس الأمن يذهب بوحشة الوحدة ، ووحدة الخوف تذهب بأنس الجماعة ، ومنع الحافظ خير من عطاء المضيع . وإذا طيرت فقع قريباً . والرجال يفيدون المال ، والمال يفيد الرجال . إذا أبصرت العين الشهوة عمي القلب عن الاختيار . من رأى الموت بعين أمله رآه بعيداً ، ومن رآه بعين عقله رآه قريباً . العقل صفاء النفس ، والجهل كدرها . لا تلبس^(٢) السلطان في وقت اضطراب الأمور عليه ، فإن البحر لا يكاد راكبه يسلم في حال سكونه ، فكيف مع اختلاف رياحه ، واضطراب أمواجه . وإن الله تعالى أضاف إلى كل مخلوق ضده ليدل على أن الوحدة له وحده . كرم الله لا ينقض حكمته ولذلك لم تقع الإجابة لكل دعوة . للطالب المنجح لذة الإدراك ، وللطالب المحروم لذة اليأس . ومن صحب السلطان فليصبر على قسوته كصبر الغواص على ملوحة ماء البحر . والعالم يعرف الجاهل لأنه كان مرة جاهلاً ، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن مرة عالماً . ومن جعل الحمد خاتماً للنعمة جعله الله مفتاحاً للمزيد . لو تميزت الأشياء لكان الكذب مع الجبن ، والصدق مع الشجاعة ، والراحة مع اليأس ، والتعب مع الطمع ، والحرمان مع الحرص ، والذل مع الدين ، ومال الميت يُعزّي ورثته عنه . كيف تريد من صديقك خلقاً واحداً وهو ذو أربع طبائع . ترقع خرق الدنيا وتتسع ، وتتسعها^(٣) وتتصدع ، وتجمع منها ما لا يجتمع .

[٣٣٣]

وكان مليئاً بهذا النمط ، ويفرغ في قلبه ، ولكن لم يكن له منه

(١) تطامن : انخفض .

(٢) تلبس : خالط .

(٣) الشعب الجمع والتفرق ، من الاضداد .

إلا لَعْقَةً (١) اللسان ، وَصَدَى الصوت ، وتَقْطِيع اللفظ . فأما التَخَلِّي (٢) والعمل فكان منهما على بُعْدٍ ، والعقلُ متى لم يُشمر كرمًا فهو وَبَالٌ ، والحكمة متى لم تُورث عملاً فهو خَبَالٌ (٣) ، والكرم ما قاله الأعرابي حين سُئِلَ عنه فإنه قال : أما الكرم في اللقاء فالبَشَاشَةُ ، وأما في العِشْرَةِ فلهشاشة ، وأما في الأخلاق فالسَّماحة ، وأما في الأفعال فالنَّصَاحَة ، وأما في الغنى فالشاركة ، وأما في الفقر فالمواساة .

[الوزيران بين الحب والبغض]

قلت لأبي السلم نحية بن علي : أإبنُ عبَّاد أحبُّ إليك أم ابنُ العميد ؟ قال : ما فيهما حبيبٌ ، على أني برقاعة هذا أشدُّ انتفاعاً مني بعقلِ ذاك ، هذا يغضب إذا ترفعت عن عطائه ، وقبضت يدك عن قبول برِّه ، ومشيت ناكباً عن بابه وقصده ، وذاك كان يحقد إذا رجوته وتعرضت له ، ويغضب إذا أثبتت عليه ، وطمعت فيه ، وهذا يكذب متاجناً ، وذاك لا يصدق مع الدمثة ، وَيَقْنِطُ (٤) ، وهذا يفعل الخير وإن قاله ، وأفشاه ، وبجح (٥) به ، وسحب ذيله عليه ، وذاك كان لا يُقلع عن الشر ، وإن قرع في وجهه باللائمة ، وكُشِطَ عرضه بالمذمة ، وَهَمُّ هذا في الأخذ والإعطاء .

(١) لعق : لحس وتناول بلسانه أو إصبعه عسلًا أو نحوه .

(٢) التخلي : التفرغ للشيء .

(٣) الخبال : الفساد والتقصان والهلاك .

(٤) القنط : المنع .

(٥) يجح به : فرح .

والإبعاد والإدناء ، وكان دأبُ ذاك الجمع والمنع والتفلسف ليقع اليأس منه ،
ويتلذذ بالخيبة عليه ، وهذا يقول ويفعل بعض ما يقول متجلّداً ، وكان ذاك
لا يُهم ولا ينوي ، ولا يظن ولا يحلم ، فضلاً عن القول المطمع ، والعمل
النافع ، وعيب هذا أنه يذوب حتى لا يحصل لك منه شيء ، وكان عيبُ ذاك
أنه يجمد حتى لا ينتفع منه بشيء .

[الصاحب في نظر الناس]

وقلت لأبي السلم يوماً وقد خرج من دار ابن عبّاد : كيف ترى الناس ؟ فقال :
رأيت الداخل ساقطاً ، والخارج ساخطاً . وأخذه من قول شبيب فانه خرج من
دار المهلبى وقال : تركت الداخل راجياً ، والخارج راضياً .

[كلام أبي السلم]

وكان أبو السلم من فصحاء الناس سمعته يقول : الكسير يعثم^(١) ، والحسير
يؤثم . وقال أيضاً : ما أحسن منقادَ هذا الطائر بالدال . وقال للبديعى لما
رأى تعسفه في العربية : يا هذا ، الكلام لا يواتيك قسراً ، ولا يطيعك كارهاً
تكلم على سجيّة النفس ، وعفو الطباع ، واطرح البقية جانباً ، وجانب
التكلف ، واتبع المعنى يتبعك اللفظ ، والحظ العقل فانه نورٌ ، والزم الجادة
فهي مسلكك ، ولا تذلل فتجزى ، ولا تعزّن فتقضى ، وتحكم وأنت
مُبِق ، وخذ كأنك مُعْطٍ ، وكسر لهاتك بتصاريف الكلام مشقياً
لا متشدقاً تبلغ إرادتك ، وتملك عادتك .

(١) عثم العظم المكسور : انجبر على غير استواء .

[أبو السلم يهجو ويمدح]

قلت له : كيف كان حديث ابن العميد ؟ قال :
ألذُّ من السلوى إذا ما تشورها

وحديث ابن عبّاد أنن من الصُّنَّان ، وأثقل من الصِّدام ، وأبغض
من القَضَض (١) في الطعام ، وأوحش من أضغاث الأحلام ، يتشاجى كأنه
صبيٌّ مترعر ، يظن أن الأرض لم تُقِلَّ غيره وأن السماء لم تُظِلَّ سواه ، أما
سمعتهُ يشتم في هذه الأيام إنساناً فقال : لعن الله هذا الأهوج الأعوج ،
الأفليج الأفحج الخفلج ، الذي إذا قام لجلج ، وإذا مشى تفحّج ، وإن تكلم
تلجلج ، وإن تنغمّم تمجمج ، وإن مشى ترجرج ، وإن عدا تفجفج !

قال : فهل سمعت بكلام أنبا عن القلب وأسمج من هذا ، نعوذ بالله من
العجمة المخلوطة بالتعريب ، ومن العربية المخلوطة بالتعجيم ، ولو أن هذا النقص
لم يدل إلا على اللفظ الذي معدنه اللسان ، لكان العذر أقرب ، ولكنه كاشف
لعوْرة العقل ، هاتك لستر المعرفة ، ومن استدرجه الله إلى هذه الحال فقد
خذله وإن ظن أنه منصور ، وأفقره وإن حسب أنه مثر .

[غضب الصاحب]

وسمعه يقول لكاتب بين يديه وقد كتب : من اسماعيل بن عبّاد ، وكانت
العين من اسماعيل قد تطلّست ، ولم يكن لها بياض المشقين (٢) بتعجرف (٣) الكاتب
والقلم . فقال ! يا هذا عيني هكذا ينبغي أن تكتب ؟ بالله أنت أعمى ! أما
ترى عيني ! أنظر إليها حسناً ، أهي مطموسة ؟ أهي مخلوسة ؟ أهي مملوسة ؟

(١) القَضَض : صغار الحصى .

(٢) مشق الخط : مده ، وقيل أسرع فيه .

(٣) تعجرف : من العجرفة أي قلة المبالاة بالعمل .

أهي مَطْلُوسَة ؟ أهى مَمْرُوسَة ؟ أهى مَمْسُوحَة ؟ أهى مَمَزُوحَة ؟ أهى
مَسْطُوحَة ، وما كاد يسكت ، وهل هذا إلا رقاعةٌ وجهل وكلام رقاء
المعلمين والمختئين .

[أشياء لا حقيقة لها]

وقال يوماً : ها هنا أشياء لا حقيقة لها منها : إمام الرافضة ، والاستطاعة
مع الفعل ، والبذل للبخر والهيولى ، فقال الحسين المتكلم : والحال لأبي
هاشم فقال : مما يوضح عندي معنى الحال أن مثلك لا يفهمه ، وكان هذا
الكلام بسبب تنكُّر له شديد . فقلت : أنشدني الأندلسي أبو محمد لبعض شعراء
المغرب بيتاً ذكر فيه أشياء زعم أنه لا حقيقة لها فقال : وما ذاك
البيت فأنشدته :

الجودُ والغولُ والعنقاءُ ثلاثةٌ

أسماءُ أشياء لم تخلق ولم تكن

نصب ثلاثةٌ على الحال ، وقال : الرفع غالب .

[شعر الصاحب ونثره]

قال : وفي المغاربة من له هذا النمط ، قلت : قد سألته عن هذا فقال
لي : في المغرب من يُقدِّم نثره على نثر إبراهيم ابن العباس الصولي ، ويقدم
نظمه على نظم أبي تمام .

[محفوظات الصاحب]

[٣٣٣] فقال : فهل روى لك غير هذا / ؟ قلت : نعم أنشدني لشاعر لهم يُعرف
بأبي بكر محمد بن فرُّح في طُفيلي يعرف بابن الامام :

أفديك من متوجّد غضبان
حتى يلوح له ضباب دخان
يقتاده شم القطار بأنفه (١)
مثل اقتياد النجم للحيران
وعلى الدخان بشت طولة مرياً
بيدي كمين مطامح الاخوان
وبجانة الملمين جاسوس له
ينبئه أين تناكح الزوجان
صَبَّ إلى الطوفان مرتاح إلى الجـ
جولان مضطّفين على الخلان
فترى الاماميين حول ركابه
كالخيل صايعة ليوم رهان (٢)
لو يسمعون بأكلة أو شربة
بعمان أصبح جمعهم بعمان
زار الفقى القرشي لا لتعبد
منه ولا شوق إلى لقيان
حتى إذا وُضع الخوان تساقطوا
نهماً عليه تساقط الذبان

(١) القطار : الدخان من المطبوع ورائحة اللحم والشواء .

(٢) صاع يصيع صيعاً : الغنم فرقها . وتصيع الماء : اضطرب وماج .

ورأيتَه من بينهم متخمطاً
 في لقمه كتخمط السكران (١)
 لم ينصرف إلاّ وفي أكامه
 حملاً وفي أعفاجه حملان (٢)
 وأخو ثقيف فر منه قاصداً
 جياناً لو أغنت قرى جيان (٣)
 لو حلّ في نجران لم يبعد على
 عزّمات بيته مدى نجران
 كالموت يسعى في التخلّص جاهداً
 منه وتلقاه بكل مكان

فمجب من الأبيات وقال : ماذا قال لك في تفسير شتّ طولة ؟ فقلت :
 زعم أنها بليدة . قال فما جيان . قلت : زعم أنه مكان يعرف هكذا . قال :
 أكتب الأبيات وارفعها إليّ ينجاح — وكان خازن كتبه — ثم قال : ما أنشدك
 شيئاً في الغزل ؟ قلت : بلى أنشدني لأبي عمرو الأندلسي :

مهلاً فما دين الهوى كفر ولا
 اعتدّ عذلك لي من التنزيل
 من حاكم بيني وبين عذولي
 الشّجّو شجوي والعويل عويلي

(١) خط الحمر : تغير ريمه . وتخمط : تكبر وغضب وهو المقصود .

(٢) جمع عفج وهو ما ينتقل اليه الطعام بعد المعدة .

(٣) جيان : كورة من أعمال اشبيلية .

فبأيّ جارحة أصونُ معذبي
سلمتُ من التعذيبِ والتّكيلِ
إن قلتُ في عيني فثمّ مدامعي
أو قلتُ في كبدي فثمّ غليلي
وأنشدني لهذا الشاعر بعينه أيضاً :

وأحورَ إن كلّته فهوَ شاعرُ
بيانا وإن لاحظته فهو ساحرُ
على خده للياسمينِ غلائلُ
عليها من الوردِ النّضيرِ ظهائرُ (١)
حسامُ بعينه ونطعُ بخده
وصبغ دم العشاق في النّطعِ ظاهرُ (٢)
ولابن رشيق أيضاً (٣) :

ولم أدخلِ الحمامَ ساعةَ يَينهم
طلابَ نعيمٍ قد رضيتُ بيؤسي
ولكن لتجري دمعِي مستهلةً
فأبكي ولا يدري بذاك جليسي
فقال : كنت أحب أن أرى أبا محمد هذا ، ولو انتجعنا لبلغنا له .

(١) ظهائرُ : مفردا ظهير وهو حد انتصاف النهار .

(٢) النطع : بساط من جلد يفرش تحت المحكوم عليه بقطع الرأس .

(٣) الحسن بن رشيق القيرواني النقاد الأندلسي المشهور (٣٩٠ — ٤٦٣) له مؤلفات .

كثيرة أهمها : العمدة في صناعة الشعر وقده .

مُرَادَه ، وَأَعَدْتُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ سَبْعِينَ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَ حَدِيثَهُ فَكَيْفَ أَوْثَرُ أَنْ أَبْتَلِيَ بَرَقَاتِهِ .

[الصاحب وحسين المتكلم]

وله مع حسين المتكلم جواب آخر . تناظرا في مسألة فلما حمي الوطيس ، والتحتم الحرب قال لحسين المتكلم : هذا كلام مَنْ لا يعرف الكلام . فقال : أيها الصاحب رفقاً فاني أعرف بحسين المتكلم ، ولا يجوز أن أشتهر بشيء لا أكون رأساً فيه . فقال : وما في هذا ؟ إبراهيم المسلم طبيب المارستان يُعرف بالمسلم ، وهو بعيدٌ مما يعرف به ، قريبٌ مما يُقَرَفُ به .

[تعصب الصاحب للسيرافي]

وجرى ليلة حديث أبي سعيد السيرافي ، وكان ابن عبّاد يتعصب له ، ويقدّمه على أهل زمانه ، ويزعم أنه حضر مجلسه ، وأبان عن نفسه فيه ، وصادف من أبي سعيد طَوْدَ حلم ، وبجرَ علم . فقال أبو موسى المَعْلَم — شيخ يعرف بالحسنكي — : إلا أنه لم يعمل في شرح كتاب سيويهِ شيئاً ، فنظر إليه ابن عبّاد متممراً ولم يقل حرفاً ، فعجبنا من ذلك ، ثم لمّا توصلت ببعض أصحابه حتى سأله عن حلمه عن أبي موسى مع ذبّه عن أبي سعيد فسأله فقال : والله لقد ملكني الغيظ على ذلك الجاهل حتى عَزَبَ (١) عني رأْيِي ، ولم أجد في الحال شيئاً يَشْفِي غُلَّتِي منه ، فصار ذلك سبباً لسكوّتي عنه فشابهت الحال الحلمَ وما كان ذاك حلماً ، ولكن طلباً لنوع

(١) عَزَبَ : بعد وغاب ونجى .

عن الاستخفاف لا تُثق به ، فوالله ما يدري ذاك الكلب ، ولا أحد ممّن خرج من قريته ورقةً من ذلك الكتاب ، وهل سبق أحد إلى مثله من أول الكتاب إلى آخره ، مع كثرة فنونه ، وخوافي أسرارِهِ؟

وكان أبو موسى هذا من طبرستان ، فعُدّ هذا التعصب من مناقب ابن عبّاد ، وحجب أبو موسى بعد .

[تعلل الصاحب بالحجّاب]

وكان ابن عبّاد يتطلب العلل للحجّاب ، ويتعلق بالريح ، وكان له تلذذ به ، وقد حكيت ذلك آنفاً . وما سمعت في تلافي المحجوب كلاماً ألطف من كلامٍ حدثني به الخوارزمي عن السّلامي صاحب تاريخ خراسان . قال السّلامي : عاتبت أبا الفضل الملعني وزير عبد الملك بن نوح بأبياتٍ على حجّابٍ نالني منه فقال لي : لك عندنا بما استعبت العُتبي ، وعلى ما استعديت العدوى ، أما نهارُنا فمقسومٌ بين / حوائج الناس ، وإنما نفزع بالليل للاستئناس بوجوه الأولياء والخوِاص ، فاحضُر النهار مباسطاً ومخالطاً ، وبالليل مؤانساً ومجالساً .

[٣٤]

وكان ابنُ عبّاد ضدّ هذا ، لأنّه كان يُشتكى إليه فيقول : الشكوى إليّ من الحجّاب إغراءٌ ، والصبرُ عليه يعطِفني إلى بعض ما يُلتمس مني .

[الصاحب والامامية]

وسمعه يقول : لله عندي أيادٍ مُتضاعفة ، ونِعمٌ مُتكاثفة ، ومن أجلها أنّه لم يغمسني في مذاهب الامامية ، ومع هذا كان إذا عمل قصيدة في

أهل البيت غلا وتجاوز وغضَّ من الصدر الأول ، وادعى على الشيخين
البُهتان ، وعرض وصرَّح ، وهذا من فعلاته الذميمة وجهالاته المشهورة .

[شعر في الحجاب]

وأنشد ثعلبُ في الحجاب أياتاً وقال : ما سمعت بمثلاً ، هكذا سمعناه فيما
قرىء على ابن مقسم العطار النحوي :

ظننتُ به إحدى ثلاثٍ وربما
نزعتُ بظنِّ واقعٍ بصوابه
فقلت : به مسٌّ من العيِّ حاضرٌ
وفي أذنه للناس إظهارٌ ما به
فإن لم يكن عيُّ اللسان فعارضٌ
من البخل يحمي ما له عن طلابه
وإن لم يكن هذا وذاك فرتبةٌ
يُصِرُّ عليها عند إغلاقِ بابه
وحدثني المرزباني قال : لقد أجاد البصير في قوله :
رُبَّ فتىٍّ تحمّد أخلاقه
وتسكنُ الأحرار في ذمّته
قد كثر الحاجبُ أعداءه
وسلّط الذمُّ على نعمته

[استطراد]

ومن طريف ما حدثنا به ابن عبّاد في الوقت الذي تلاقى فيه العساكر بقصر
الخص قال: كنت في مقيلي فأتاني آت قال:

اسقي قهوة بفرط اختياري
خرج الملك عن يدي 'بختيار'

[أبو الفتح بن العميد وشعره]

وأما أبو الفتح ذو الكفائتين فانه كان شاباً ، ذكياً ، متحرراً ، حسن الشعر ،
مليح الكتابة ، كثير المحاسن ، ولم يظهر منه كل ما كان في قوته لقصر أيامه ،
واشتعال دولته ، وطفوئها بسرعة . ومن شعره :

إني متى أهزُ قناتي تنتشر
أوصالها أنبوبة أنبوا
أدعو بعاليها العلى فتجيني
وأقي بحد سنانها المرهوبا

ومن شعره :

نهضت تشنى في الكواعب
كالبدر هادته الكواكب
فتبرجت سدق الدجى
وتبلجت ظلم الغياهب
لله أنت وهن إذ
يحبطن من كرم صواحب
متلذذات كالآ
لىء ضمها عقد الترائب
إني أعيدك أن ترد
دي مقلي بئى كواذب

وتسودّي وجه الرجا
ء وتغلقي فتح المذاهب
أوما ترين مدامعي
سحاً سحائبها سواكب
جادت ديارك أين كا
نت مثلها دُرر السحائب
موصولة الأكناف حي
ث الودق صائبة المَسارب
محولة الأرماق فص
هـاء العرى وطف الهياذب
وعدتك داهية اليا
لي والحوادث والنواب
لا زلن منك بحيث أن
ت من الشوائب والمعائب
إني إذا أعزى إلي
ك من الأقارب أو أقارب
لا تقطعي جبل القرب
ب وتكفري حق المناسب
فتفارقي خلق الكري
م وتضربي مثلاً لضارب
إن الأقارب كالعقا
رب بل أضرب من العقارب
لا تبخلي إن الكري
مة من مواهبها مناهب

كفسي السيوف عن الحتو
ف وإن أطاعتها المضارب
لا ترغي عن ماجد
سمح الخلائق والضرائب
يُعزى لآباء غطا
رفعة وأمات نجائب
إني من النفر الكرا
م السادة الشمّ الذوائب
يقظ إذا كرى اللئى
م عن العلى ككرى الأرانب
أسد إذا وئت القرو
م عن الوغى ونى الثعالب
عف أطل ظميئي
حتى أرى صفو المشارب
وأذل نفسي في الكري
هة أو أرى كرم المناسب
وإذا تسي عصاية
عممتها شرّ العصائب
كم من عدو كاشح
يرنو إلي بطرف عاتب
يُبدي لنا وجه المشا
جر دونه صدر المحارب

متقلّصُ الاحشاء من
حسدِ دُوَيْنِ الصدر راتب
لو شئتُ أحرقتُ أهله
من نهضتي نارُ الجباب
سامته ليد الحوا
دثِ والأمور إلى عواقب
إن لم تكن فوق الأكف-
ف يدي فكانت للمغالب
أو لم تكن فوق الذرى
قدمي فأعيتها المذاهب

وله كلام كثير ، نظم ونثر في وصف الصديق (١) ما يوفي على كل منظوم ،
ولو أبقتّه الأيام لظهر منه فضلٌ كبير .

[تفقده لأعلام زمانه]

ودخل بغداد فتكلف واحتفل وعقد مجالس مختلفة للفقهاء يوماً ،
والأدباء يوماً ، وللمتكلمين يوماً وللمتفلسين يوماً ، وفرّق أموالاً خطيرة ،
وتفقد أبا سعيد السيرافي ، وعلي بن / عيسى الرمّاني وغيرها وعرض عليها المسير [٤٣٥]
معه إلى الريّ ، ووعدهم ومناهم ، وأظهر المباحاة بهم ، وكذلك خاطب أبا
الحسن الأنصاري وابن كعب ، وأبا سليمان السجستاني المنطقي ، وابن البقال
الشاعر ، وابن الأعرج النمري وغيرهم .

(١) في الأصل مطبوسة .

[مجالس ابن العميد]

ودخل شهر رمضان فاحتشد وبالع ، ووصل ووهب وجرت في هذه المجالس غرائب العلم ، وبدائع الحكمة ، وخاصة ما جرى للمتفلسفين مع أبي الحسين العامري ، ولولا طول الرسالة لرسمت ذلك كله في هذا المكان . فمن طريف ما جرى ، وفي سماعه فائدة واعتبار ، ما أحكيه لك ها هنا . انعقد المجلس في جمادى الآخرة سنة أربع وستين وثلثية ، وغص بأهله ، فرأيت العامري وقد انتدب فسأل أبا سعيد السيرا في فقال : ما طبيعة الباء من « بسم الله الرحمن الرحيم » ؟ فعجب الناس من هذه المطالبة ، ونزل بأبي سعيد ما كاد يُشدهُ به ، فأنطقه الله بالسحر الحلال ، وذاك أنه قال : ما أحسن ما أدبنا به بعض الموفقين من المتقدمين فانه قال :

وَإِذَا خَطَبْتَ عَلَى الرِّجَالِ فَلَا تَكُنْ

خَطِيلَ الْكَلَامِ تَقُولُهُ مُخْتَالًا

وَاعْلَمْ بِأَنَّ مِنَ السَّكُوتِ لِبَابَةً^(١)

وَمِنَ التَّكَلُّفِ مَا يَكُونُ مُحَالًا

والله يا شيخ ، لعيثك أكبر من فرارك^(٢) ، ولمرآك أوفى من دخلتك ، ولنشورك أبين من مطويك ، فما هذا الذي طوَّعت له نفسك ، وسدَّدَ عليه رأيك ، إني أظن أن السلامة بالسكوت تعافك ، والغنيمة بالقول ترغب

(١) البابية من اللب وهو العقل .

(٢) الفرار : مصدر فر . وفر الدابة كشف عن أسنانها لينظر ماسنها ، ومنها المثل المشهور « إن الجواد عينه فرارة » يضرب لمن يدل ظاهره على باطنه ومنظره يغني عن أن تفر أسنانه .

عنك ، والله المستعان ، فقال ابن العميد وقد أعجب بما قال أبو سعيد :

فَقِيَ كَانَ يَعْلَمُو مَفْرُقَ الْحَقِّ قَوْلُهُ

إِذَا الْخُطْبَاءُ الصَّيْدَ عَضَّكَ قِيلَهَا (١)

جَهِيرُهُ وَمَمْتَدُّ الْعِنَانِ مَنَاقِلُهُ

بَصِيرُهُ بَعُورَاتِ الْكَلَامِ خَيْرُهَا

وقال :

وَالْقَائِلُ الْقَوْلَ الرَّفِيعَ الَّذِي

يُزْرَعُ مِنْهُ الْبَلَدُ الْمَاحِلُ (٢)

ثم التفت إلى العامري وأنشد :

وَأِنْ لِسَانًا لَمْ تُعْنِهِ لُبَابَةٌ

كَحَاطِبٍ لَيْلٍ يَجْمَعُ الرِّذْلَ حَاطِبُهُ

وَذِي خَطَلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ

مَصِيبٌ فَمَا يَلْهَمُ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ

وَفِي الصَّمْتِ سِتْرٌ لِلْغِيِّ وَإِنَّمَا

صَحِيفَةٌ لَبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ

وَفِي الصَّمْتِ سِتْرٌ وَهُوَ أَبْيَى بَذِي الْحِجَا

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلنُّطْقِ وَجْهٌ وَمَذْهَبٌ

(١) الصيد : مفردا أصيد وهو الرجل الذي يرفع رأسه كبراً .

(٢) أمرع المكان والوادي : أكلأ وأخصب بكثرة الكلاء .

هاقوا حديثاً آخر فقد يُسنا من هذا ، ثم أقبل علي ابن فارس معلّمه فقال :-
يُسنا من كلام أصحابك في الفُرْضة والشط (١) ، فلما خرجنا قلت لأبي سعيد
السيرافي : أيها الشيخ رأيت ما كان من هذا الرجل ، الخطير عندنا ، الكبير في
أنفسنا، فقال : ما دُهِيتُ قط بمثل ما دُهِيتُ به اليوم ، ولقد جرت بيني وبين
أبي بشر متى (٢) صاحب شرح كتب المنطق سنة عشرين وثلثمائة في مجلس
أبي الفتح جعفر بن الفرات مُلحة (٣) كانت هذه أشوس وأشرس منها . ولولا
هربي من الإطالة ، وثقل النسخ ، وادخالي حديثاً في حديث لحكيت المناظرة
التي أوحى إليها هذا الشيخ الذي كان إمامَ زمانه ، وعالمَ عصره ، لأنه
حدثني بها بزَوْبَرِها (٤) وكانت في الفرق بين النحو والمنطق وَرِثَم (٥)
أحدهما على الآخر ، وإحصاء الفوائد لكل واحد منها .

[رأي ابن العميد في الصابي]

وحضرت المجلس يوماً آخرَ مع أبي سعيد ، وقد غصَّ بأعلام الدنيا ،
وبنود الآفاق فجرى حديث أبي إسحاق الصابي . فقال ذو الكفائتين : ذاك

(١) الفُرْضة : من البئر ثلثة يستقى منها ، ومن البحر محط السفن .

الشط : الشاطئ

(٢) متى بن يونس القنائي نسبة إلى دير قني بالعراق عالم نصراني بالمنطق نزل بغداد بعد
٣٢٠ هـ وتوفي سنة ٣٢٨ هـ « تاريخ الحكماء للقفطي ٣٢٣ والفهرست ٣٦٨ » .

(٣) راجع المناظرة في الامتاع والمؤانسة ١٠٨/١ - ١٢٨

(٤) أخذه بزوربه وزأبره : بأجمعه .

(٥) ريم : فضل .

رجل له في كل طراز نسج ، وفي كل فضاء رهج^(١) ، وفي كل فلاة
ركب ، ومن كل غمامة سكب ، الكتابة تدعيه بأكثر مما يدعيها ،
والبلاغة تتحلى به بأكثر مما يتحلى هو بها ، وما أحلى قوله :

حمراء مصفرة الأحشاء باعثة

طيباً تخال به في البيت عطّاراً

كأن في وسطها تيراً يخلصه

قَيْن^(٢) يضرم في أوراقه النّارا

وقوله :

ما زلت في سُكْرِي المّع كَفّاً^(٣)

وذراعها بالقرص والآثار

حتى تركت أديمها وكأغما

غرز البنفسج منه في الجُمَارِ^(٤)

[رأي الصابي في ابن العميد]

وبلغ المجلس أبا إسحاق فحضر وشكر ، وطوى ونشر ، وأورد
وأصدر ، وكان كاتب زمانه ، لساناً ، وقلماً ، وشمائل ، وكان له مع
ذلك يد طويلة في العلم الرياضي . وسمعت أبا إسحاق يقول : هو ابن أبيه ،
لله دَرُّه ، ثم أخذ في تعظيم أبيه وقل : وكان من أُماني الكبيرة لقاءه ،

(١) الرهج « كقلب » والرهج « بالتحريك » الغبار أو ما أثر منه .

(٢) القين : الصانع والحداد .

(٣) لمع : لونه ألواناً شتى .

(٤) الجمار : شحم النخلة وقلبيها وهو أبيض . وفي ياقوت : غرس البنفسج .

وإني لكثير الاعجاب بكلامه ، لأني أجد فيه من العقل أكثر مما أجد فيه من اللفظ ، وإني لأظن أن عقل كل أحد كان ممزوجاً ، وكان عقله قراحاً .

[نموذج من رسائل ابن العميد]

قال : ولقد قرأت له فصلاً من كتاب له إلى أبي عبد الله المكّي العلوي نديم عضد الدولة يستحق أن يكتب بالذهب وهو : لأن ترجى من بعيد مرّات خير من أن تُقضى من قريب مرة ، وليكن كلامك جواباً يُتحرز فيه ، ولا تعجبني بياني كلمة محمودة ، فيلج بك الاطناب توقعاً لمثلها ، فرجما عثرت بما يهدم ما بنته الأولى ثم لا تعلم^(١) من تمثل صاحبك بقولهم : رب رمية من غير رام ، وبضاعتك في النثر قليلة ، مزجة^(٢) ، وبالعقل يزّم^(٣) اللسان ، ويلزم السداد ، فلا يستفزّنك طربه الكريم^(٤) على ما يُفسيك عقلك ، والشفاعة لا تعترض لها فانها مخلّقة للجهاء ، وإن اضطررت إليها فلا تهجم عليها حتى تعرف وقتها ، وتحصّل وزنها ، / ويتقدمك من يتكلم فيها ، فإن وجدت النفس بالاجابة سمحة ، وإلى الاسعاف هشة ، فأظهر ما في نفسك غير محقق ، ولا موهم أن في الرد عليك ما يوحشك ، وفي المنع [ما] يقبضك ، وليكن انطلاق وجهك إذا دُفعت عن حاجتك أكثر منه عند نجاحها على يدك ، ليخف كلامك ، ولا يثقل على مستمعه منك .

[١٣٥]

(١) في الأصل تعتلم ولعلها تعلم كما أثبتنا .

(٢) مزجة : قليلة وقيل ردية .

(٣) يزّم : أي يشد .

(٤) كذا في الأصل والعبارة غير مستقيمة .

أنا أقول ما أقول غير واعظٍ ، ولا مرشد ، فقد كمل الله خصالك ، وحسن خلالك ، إذ فضلك في كل حالك ، ولكني أنبه تنبيه المشارك ، وأعلم أن للذكرى موقعاً ونفعاً .

قلت له : قد استحسنت له حسناً ، وله أبلغ منه . فقال : كذاك هو . قلت : فانه مع هذا قد أخطأ في العربية في موضع ، فدلته عليه . فقال : لله أبوك ، ولم أذكر الموضع أيديك الله بالقلم لتكون أنت قارئه ، أعني أنك تقرأ حرفاً حرفاً حتى تصيبه ، فليس الخطأ المستدرك بالتبعية ، كالمعشور عليه بالمعجوم .

[كلام لابن العميد يرويه الصاحب]

وكان ابن عباد يروي لأبي الفضل كلاماً في رقعةٍ إليه حين استكتبه ليومه وهو :
بسم الله الرحمن الرحيم : مولاي وإن كان سيدياً بهرتنا نفاسته ، وابن صاحبٍ تقدمت علينا رياسته ، فانه يعدني سنداً ووالداً ، كما أعدته ولداً وواحداً ، ومن حق هذا أن يعضد رأيي رأيته حتى يزدادا إحكاماً وانتظاماً ، ويتظاهرا قوة وإبراماً .

وحضرت اليوم المجلس المعمور فكان من مولانا كلامٌ كثير ، وخطاب طويل فقلت : إنه لم يزد على الآباء والاستعفاء ، بعد التقصي والاستيفاء ، فأومأ إلى إجبار كالمسألة ، وإكراه كالطليبة ، وأقول بعد أن أقدم مقدمة : إن مولاي وإن كان يستغني عن جزاء الأحمق بتصوئته ، وطلقه ، وعزوف نفسه عن التكثر بالمال ، وتحصيله ، فان الأمر مفتقر إلى كفالاته ، ومحتاج إلى كفايته ، وما أقول ما أقوله وغرضي إنشاء كتاب ، أو عقد حساب ، أو تفريق مال وجمع ، أو تقديم عطاء ومنع ، لأن ذلك وإن

كان مقصوداً ، وفي آلات الوزارة معدوداً ، فان في كتابه من يفي به ويستوفيه ، ويوفي عليه بأيسر مساعيه ، لكن مولانا يريد لولي عهده ، ومن يرجوه ليومه وغده ، ولا بد وإن كان السنيخ (١) قوياً ، والمحتد كرمياً ، والفضل عمياً ، والمجد صمياً ، ومركب العقل سليماً ، تهذيب من هو ممن يعرف ما السياسة ، وكيف الرياسة ، يدير العامة والخاصة ، ومن أين يجلب الأصالة والاصابة ، وكيف تعقد المنهابة ، وكيف ترتب المراتب ، وتعالج الخطب ، وكيف ترد الخطوب إذا ضاقت المذاهب ، وتعضى الشهوة لتحرس الحشمة ، وتهجر اللذة لتحصن الإمرة (٢) ، ولا غنى عن من يقوم في وجه صاحبه فيراذه إذا بدر منه الرأي المتقلب ، وراجع إذا جمع به اللجاج المرتكب ، ويعارضه إذا ألح عليه الغضب الملهب ، فما السبب في أن هلكت ممالك حجة ، وفسدت بلدان عدة إلا بأن خفضت أقدار الوزارة ، وانقبضت أطراف الإمارة ، وليس يفسد بقية ما في الأرض ومن عليها على ما أرى إلا إذا استعين بالأذنان على هذا الأمر ، فلا يخلن مولاي بفضل معرفته على ولي نعمته ، ممن هو بالدولة حري بما فضله وفضل الأمين من قبله ، وإن كان مسموعاً كلامي ، وموثوقاً به لاهتامي ، فلا يقعن انقباض عني ، ولا إعراض عما تبين بحضوري ، ومولاي محكم بعد الاجابة إلى العمل فيما يشترطه ، وغير مراجع فيما يقترحه ، وهذا حظي منه ، وهو عن ولي النعمة حجة لا تثبت معها حجة ، وسنصل المكاتبة بالمشافهة ، إما بالحضور لديه ، أو بتجشمه إلى هذا

(١) السنيخ الاصل.

(٢) الامرة : الولاية .

العليل الذي قد ألحَّ النَّقْرُسُ^(١) عليه والسلام .

وكان ابن عبّاد يحفظ هذه النسخة ويرويها ويفتخر بها .

وقال لي أصحابنا بالريّ منهم أبو غالب الكاتب الأعرج : إن هذه المخاطبة من كلام ابن عبّاد عن ابن العميد إلى نفسه تشيعاً بها ، ونفاقاً بذكرها .

[أبو الفرج الكاتب وابن العميد]

وحدثني ابن خارجة قال : [وكان] حمد بن محمد أبو الفرج الكاتب مكيّناً عند ركن الدولة . وكان أبو الفضل لا يوفّيـه حقّه ، ولا يحسب له تلك المكانة ، فعاتبه حمد مراراً مصرّحاً وكنياً ، ثم كتب اليه رقعةً طواها على أبيات وهي :

مالك موفور فما بالـه

أَكْسَبَكَ التَّيَّةَ على المَعْدِمِ

وَلَمْ إِذَا جِئْتَ نَهَضْنَا وَإِنْ

جِئْنَا تَطَاوَلَتْ وَلَمْ تَتَمِّمْ

وإن خَرَجْنَا لم تَقُلْ مثل ما

تَقُولُ : قَدِمَ طَرَفَةٌ قَدِمَ

إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ فَمَنْ ذَا الَّذِي

مِثْلُ الَّذِي تَعْلَمُ لَمْ يَعْلَمْ

(١) النقرس : داء المفاصل أو الروماتيزم .

أو كنتَ في العلم من دولةٍ
 فلست من دونك في المنسم (١)
 وقد وُلينا وعزّينا كما
 أنت فلم نصغر ولم تعظم
 تكافأت أحوالنا كلها
 فصل على الانصاف أو فاحرم

قلت لابن خازجة : أترى الأبيات لحمد ؟ قال : نعم . قلت : أفغاد
 له إلى محبوبه ؟ قال : كان حروناً، إذا أبي لا تأتي له، وإذا جمع لا حيلة فيه.
 « أكسبك » في البيت الأول مردود ، غير أن ابن الأعرابي أجازه .

تصفح أيديك الله هذه الفقر ، واعرف تعبي بها ، وافادتي / منها ، واشتفائي [٣٥ب]
 بذكرها والسلام .

[رسالة ابن أبي السباب إلى ابن العميد]

فأما أبو محمد بن أبي السباب (٢) وهو عبد الرزاق بن الحسين البغدادي فإنه
 كان ذا فضل واسع ، وشعرٍ بارع ، وعلم بكل شيء كالمنطق وغريب اللغة ،
 وله رسالة من خراسان لما استقرت به الدار ببخارى كتبها إلى أبي الفضل ، ولا
 بأس بسردها هاهنا لتعلم أن الحرَّ إذا ذاق الهوانَ ممن يستحق الكرامة عليه .

(١) رواية ابن خلكان ٩/٢ هـ

ولست في الغارب من دولة

ونحن من دونك في المنسم

(٢) راجع : وفيات الاعيان ٩/٢ هـ

شوقٌ جَبِينَهُ مُسْتَفِئاً ، وَأَدْرَكَ طَائِلَتَهُ مَكَافِحاً وَمُنِيئاً . كتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . أيها الرجل الذي اختار لنفسه الوصف بالرياسة ،
فطالب الصِّغارَ والكِبَارَ في المِكاتِبَةِ والمِخَاطِبَةِ ، ما يَسْرُثُنِي حَسَنُ ما أَنْتَ فِيهِ ،
بِقَبِيحِ ما أَنْتَ عَلَيْهِ ، ولا يَعْجِبُنِي ظَاهِرُهُ ما تَدَّعِيهِ بِيَاطُنِ ما تَنْقُضُهُ ، بِهِ أُلْزِمُ
فِنَاءَكَ هَذِهِ السَّنِينَ عَلَى مِقَاسَةِ كِبَرِكَ ، وَتَجْعَدُ بَنَانَكَ ، وَقِلَّةِ النَّائِلِ مِنْكَ ، مَعَ
تَسْيِيرِ فَنُونِ الْقَرِيضِ فِيكَ ، وَنَثَرِ أَصْنَافِ الْبَدِيعِ عَلَيْكَ ، وَمَعَ التَّضَاوُلِ لَكَ ،
وِإِرَاقَةِ مَاءِ الْوَجْهِ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَالصَّبْرِ عَلَى مَلِكٍ وَصَلَفِكَ وَتَلَوْنِ أَخْلَاقِكَ ،
وَمَعَ فَتْحِي عَلَيْكَ أَبْوَابَ الْمَنْطِقِ ، وَهَدَايِي إِيَّاكَ إِلَى ضُرُوبِ مَا اقْتَبَسْتَهُ مِنْ
مَنْ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ ، ثُمَّ يَكُونُ آخِرُ أَمْرِكَ فِي نَظَرِكَ لِي ، وَإِحْسَانِكَ
إِلَيَّ أَنْ تَقْرَنِي بِغُلَامٍ غَرِيٍّ جَاهِلٍ ، وَنَكْدٍ عَارِمٍ ، يَزِيدُ عَلَيْكَ فِي الْبَخْلِ ،
وَيَنْقُصُ عَنْكَ فِي الْحِلْمِ ، وَتُكَلِّفُنِي الصَّبْرَ مَعَهُ ، وَالرِّضَا بِالْخُسْفِ مِنْهُ ، وَمَنْ
ذَا الَّذِي عِلْمُ أَنْ رَزَقَ اللَّهُ مَيْدَانَهُ مُرْتَادٍ وَغَادٍ ، وَالْمَرْءُ فِيهِ بَيْنَ سَائِقٍ وَحَادٍ ،
غَمَسَ نَفْسَهُ فِي حِيَاضِ الذِّلِّ ، وَفَارَقَ حَسْنَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ
كُلِّ شَيْءٍ ، وَاللَّهُ مَا اتَّخَذَتْ لَيْلٍ جَمَلًا هَارِبًا مِنْ صُقْعِكَ ، زَاهِدًا فِي ضَرِّكَ
وَنَفْعِكَ إِلَّا لِقَوْلِكَ فِي إِنْشَائِكَ لِأَصْحَابِكَ : إِنْ أَبَا السَّبَابِ لَزِقُ بِنَا لَزُوقَ
اللَّحْمِ بِالْعَظْمِ ، وَجَارٍ مَعَنَا جَرِي الدَّمِ فِي اللَّحْمِ ، وَلَوْ طَرَدْنَاهُ مَا بَرَحَ ، وَلَوْ
فَازَ بَغَيْرِنَا مَا فَرَحَ ، وَأَيْنَ يَجِدُ جَنَابًا أَمْرَعًا مِنْ جَنَابِنَا ، وَفِنَاءَ أَخْصَبٍ مِنْ
فِنَائِنَا ، أَعْرَضَ أَنْهُ يَتَلَوَّى عَلَيْنَا ، وَيَنْحَنِي لَدَيْنَا ، ذَاكَ كُلُّهُ رِيحٌ ، وَهُوَ مُثَبَّتٌ
فِي اللَّوْحِ ، إِنْ تَوَجَّهَ إِلَى خِرَاسَانَ فَمَا بِهَا مِنْ يَنْقَعٍ ظِلْمَاتُهُ ، وَإِنْ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ
فَبِهَا الَّتِي عَرَفَهَا وَعَرَفْتَهُ ، وَإِنْ تَطَاوَلَ إِلَى الشَّامِ وَمَصَرَ فَمَا بِهَا مِنْ يَجْتَلِي غُرَّتَهُ ،
أَوْ يَقْتَبِسُ حِكْمَتَهُ ، أَوْ يَصْبِرُ عَلَى جَشَعِهِ الْفَاضِحِ ، وَسُؤَالِهِ الْمُلْحِ . فَهَا أَنَا قَدْ
شَخَّصْتُ إِلَى الْمَشْرِقِ ، وَحَظَيْتُ عِنْدَ مُلْكِهِ ، وَوَلَيْتُ الْبَرِيدَ لَهُ ، وَغَلَبْتُ عَلَى

جلسه بالمؤاتسة ، وحوالي الغاشية والصفف^(١)، بعد ما كنت أعانيه عندك من الشظف والجعف^(٢) ، وما كان كلامك ذاك في^٣ إلا إغراء لي بطلب السعادة العاجلة ، ونيلها في سهولة مع التخلص من الغيظ الذي كنت أجرجه عندك صباح مساء ، والكذب الذي كنت أنمقه فيك في الجد والهزل ، والخساسة التي كنت أسترها عليك في الصحو والشكر ، والتلوّن الذي كنت احتمله منك في الغضب والرضا . هذا والمنالة منك دون ما يمسك الرّمق ، والمبذول عليها فوق ما يجب لك بالحق، ولولا أني - مع ما اوردته^(٣) من العتب عليك - أرجع الى حفاظ لا تعرف منه الا الاسم ، لكان لي في جلدك حزّ ونهش^٤ وعلى عرضك جمر^٤ ووقص^(٤) ، وما الذي يرجي منك أكثر مما كان ، وولادتك مشهورة ، ومنشؤك ظاهر ، ومبادي حالك في ارتفاعك محصلة ، والألسنة بحقائقها دائرة ، والأسماع الى عجائبها صاغية ، والقلوب من فضائنها متعجبة ، ولك في براءة والدك منك كاف ، وفي حديث والدتك مما هو غير خاف ، ومما يدل على طليي البقيا أني اقتصرت في مكاتبتك على لفظ منشور ولو نظمت ذلك لكان تفهّمك منه يجرعك مضض الندم على تقصيرك معي ومع نظرائي فيما تقدم . فاذا كر هذه اليد لي عندك في عرض ما تقرأه من هذه الرقعة اليك ، وقد شفيت بها فؤاداً كان يتلظى أسفاً على خدمة ضاعت عندك ، وحرمة بارت لديك ، ولعلي قد أطرتك على كثير ممن يلزم فناءك طامعاً في خيرك ، أو يشقى بمعرفتك ظاناً لدرك المطلوب منك ، ثم ينقلب عنك بقلب أو قد من قلبي عليك ، ولسان أذرب من لساني في عرضك :

(١) الصفف : يقال : هو من لفيقنا وظيفنا ، أي ممن نلقه بنا ونضفه إلينا .

(٢) الجعف : القوت الذي لا فضل فيه .

(٣) في الاصل اردملته .

(٤) حمز : لذع . وقص : كسر .

عليك سلامٌ لا تواصل بعده

فلا القلبُ محزونٌ ولا الدمعُ سافحٌ

والله لا حاق الشر الا بأهله ، ولا لصق العارُ إلا بكاسبه ، ولا قيل في الخسيس النذل الا دون ما يستحق ، ذق عقق فقد فاتك من سبق .
أفادني هذه الرسالة أبو جعفر الخطيب النيسابوري وقال لي : أما أوصلت الكتاب الى أبي الفضل مختوماً بعد ما نسخته قال : وعدت اليه أطلبه بالجواب . فقال لي : قد كتبت الجواب قبلك ، وكان ذلك تحاجزاً منه لأنه كان قد انشوى بها حين قرأها .

[قصيدة ابن أبي السباب في ابن العميد]

ولقد أنشدني ابن أبي السباب قصيدة في أبي الفضل / وأنا أرويهما هنا لتعلم [٣٦]
أنه كان مظلوماً فيها وفي أخواتها ، أو لتقف على طريقته الحلوة ، ومعانيه السهلة ، ولفظه الخلوب وقال لنا : كانت جائزتي عليها بعد نظائر تقدمتها . جائزة لا أستجيز ذكرها لأنها إن كانت تضع من صاحبها إنها تضع مني أيضاً ، القصيدة :

بَرَحُ اشْتِياكِ وادِّكارِ
ولهيبُ أنفاسِ حِرارِ
ومدامِ عِبرائِها
ترفضُ عن نومِ مُطارِ
لله قلبي ما يجنُ
نُ من المموم وما يُواري^(١)

(١) أجن : أخفي وستر .

لقد انقضى سُكر الشِّبَا	بِ وما انقضى وصب الخُّمار ^(١)
وكبرت عن وصلِ الصِّفا	رِ وما سلوت عن الصِّغارِ
سُقياً لتغليسي إلى	باب الرُّصافة وابتكاري ^(٢)
أيامَ أخطر في الصِّبا	نشوانَ مسحوبَ الإزار
حجَّي إلى حجر الصِّرا	ة وفي حدائقها اعتماري ^(٣)
ومواطن اللذاتِ أو	طاني ودار الروم داري
كم رضت فيها من نفارِ	محرم حلق النَّفَّارِ
ورعيت من قطرِ بِلِ	روض الشَّقائِق والبَّهارِ
وزففتها مسكِة	في رِبْطَتي خَزِّ وقارِ ^(٤)
يُعطي النديمَ بزالها	ما شئت من نورٍ ونارِ ^(٥)
كيف اعتدال معذلِ	صَحْبَ الغواة بلا عذارِ
يستنُّ في طرق الصِّبا	ويعيث في سبل الخسارِ
فيصيد غزلان الكِناس	ويدري بَقَرِ الصِّوارِ
من كل عطشان الوشاح	مِمِّلِ شرق السِّوارِ

(١) الوصب : المرض والوجع الدائم وقد يطلق على التعب والفتور في البدن . الخُّمار : صداع الخمر وأذاها وبقية السكر .

(٢) التغليس : السير في آخر الليل ، والغلس ظلمة آخر الليل .

(٣) الاعتمار : من العمرة وهي الحج الاصغر .

(٤) رِبْطَة : ملاءة ليست ذات لفقين أي قطعتين متضامتين كلها نسج واحد وقطعة واحدة وهي أيضاً كل ثوب لين رقيق . الخز : الحرير . القار : شيء أسود تظلي به السفن والإبل وقيل هو الزفت .

(٥) البزال : موضع ثقب الإناء ، والبزال (بالكسر) حديدة يفتح بها الدن .

بيضٌ غريراتٌ طبعٌ
 وعقائلٌ تضيفو وحا
 هيفٌ يصلن من الروا
 وتعلقي من طاعة الا
 لقد اجتلبت منى النفو
 ولحظت ما فتر اللوا حظ
 يوم استقلوا والدمو
 لهني على صبح الجبا
 وتواضع الخد الاسي
 خذ في هزارك يا غلا
 حسبي بالحن قمر
 لم يبق لي عيش يلذ
 وإذا استهل ابن العمي
 خرق صفت أخلاقه
 فكأنما رفدت موا
 وكان نشر حديثه
 وكأننا ممّا تفر
 متبّت يغني بح

ن من الدلال على غرار
 ف شعورهن على المدار
 دف بالزنانير القصار
 ستاذ بالجبل المغار
 س من ايضاض واحمرار
 من فتور واحورار
 ع تجود روض الجلنار
 ه يشي به ليل الطرار
 ل لعطفة الصدغ المدار
 م فقد غنيت عن الهزار
 ت بهن تغريد القهاري (١)
 ذ سوى معاقرة العقار (٢)
 د تضاءلت ديم القطار (٣)
 صفوا السبيك من النضار (٤)
 هبه بأمواج البحار
 نشر الخزامى والعرار
 رق راحتاه في نثار
 مود الأناة عن البدار

-
- (١) قره : غلبه في القهار .
 (٢) معاقرة : ملازمة . العقار : الحمر وسميت بذلك لمعاقرتها أي لملازمتها الدن .
 (٣) القطار : السحاب العظيم القطر .
 (٤) النضار : الذهب .

كَلِفٌ بِطِيِّ السَّرِّ تَحْ
يَأْوِي إِلَى حِلْمٍ يُعَا
وَمَرْحَبٍ يَلْقَى الْحَوَا
يَرْبَا بِهِ عِزُّ الْفَخَا
وَتَصُونُ مَسْمَعَهُ الْمَهَا
وَيَقُولُ أَيْسَرُ سَعِيهِ
كَمْ يَسْتَرْ الْبَاغِي عُلَا
هِيَهَاتَ لَا يَخْفَى عَلَى
قُلُوبِ الْمُخَيَّبِ وَشَمَكِيرِ
خَرَّبَتْ دُورَ مُحَمَّدٍ
وَقَرَّيْتَهَا نَارًا فَخَصَصُ
جَلَسَ الْجِيَادَ إِلَى قَرَا
زَجَّ النَّسُورِ مِنَ الصِّفَا
تَرْدَى كَفْزَلَانِ الْفَلَا
كَكُوَا سِرِّ الْعُقْبَانِ طَرِ
لَمَّا طَلَعْنَ عَلِمَتْ أَدْ
وَفَلَّتْ مِنْ ذَاتِ الْيَمِينِ
بِالْخَيْلِ صَانَ صُدُورَهَا
وَمَغَاوِرُ يَغْرِهْمُ

سَبْ صَدْرَهُ لَيْلِ السِّرَارِ (١)
ذُ بِهِ وَرَأْيٍ مُسْتَشَارِ
دَثِّ بَاحْتِمَالٍ وَاصْطِبَارِ
رِ عَنْ التَّعَرُّضِ لِلْفَخَارِ
بَةِ عَنْ مِمَارَةِ الْمَهَارِ
جَهْدَ الْمُنَافَسِ وَالْمُبَارِ
هُ وَمَاهِنٌ مِنْ اسْتِتَارِ
لِحَظِّ الْعَيُونِ سَنَا النَّهَارِ
هَدَمَتْ مَجْدَ بَنِي زِيَارِ
فَأَبَى جَوَارِكَ لِلدِّيَارِ
صَ صَمِيمُ قَلْبِكَ بِالْأَوَارِ
رِكَ فَاحْتَبَيْتَ مِنَ الْقَرَارِ
شُعْتَ الْمَسُوكِ مِنَ الْخَبَارِ
ةً بِمَثَلِ جَنَّاتِ الْقِفَارِ
نَ إِلَيْكَ بِالْأَسَدِ الضَّوَارِ
نَكَ مِنْ جُمُوعِكَ فِي اغْتِرَارِ
نَ لَشِدَّةِ ذَاتِ الْيَسَارِ
فِي « الْبَقَّتَيْنِ » مِنَ الصَّدَارِ
مَنْ لَا يَمَلُّ مِنَ الْغَوَارِ

لَيْثٌ يَمُورُ فَيَسْتَيْبِ
 فَكَأَنَّمَا هَبَوَاتُهَا
 فِي وَقْعَةٍ قَسَمَتْ كُفُهَا
 وَفَرَّتْ فَيَمَنْ لَا يُعِدُّ
 مَتَسْرِبَلًا مِنْ لَوْمٍ فِعْ
 هَذَا النِّكَايَةُ لَا النِّكََا
 إِنْ الْكِبَارَ مِنَ الْأُمُو
 وَإِلَى أَبِي الْفَضْلِ أَتْبَعُ
 وَلَقَدْ تَخَيَّرْتُ الرِّجَا
 حَتَّى سَكَنْتُ ظِلَالَهُ
 يَغْدُو عَلَى 'حَرْ' الْبَلَا
 فَتَزِيلُهُ فَتَكَاتُهُ
 فَتَرَاهُ فِي الْعَسْرِ الْمَضْرُ
 مَتَهْلِلًا لِلزَّائِرِ
 لِيْ اغْتَنِمْتُ يَوْمَهُ
 يَا مَنْ لَهُ طَيْبُ الْأَرُو
 يَا مَنْ لَهُ نَوْرُ الْبَدُو
 يَا مَنْ بِهِ مَرَضُ الْحَيَا

رُ قَسَاطِلَ النَّقْعِ الْمُنَارِ (١)
 خَرَقٌ مِنَ الْعَيُوقِ هَارٍ (٢)
 تَكَ لِلْمَنِيَّةِ وَالْإِسَارِ
 دُ لِمَثَلِهَا غَيْرِ الْفَرَايِ
 لِمَكَ حُلَّتِي خَزِي وَعَارِ
 يَةُ فِي الْبَنِيَّةِ وَالْجِدَارِ
 رِ تَنَالُ بِالْهَمِّ الْكِبَارِ
 تُ هَوَاجِسَ الْهَمِّ السَّوَارِ
 لَ فَمَا دَفَعْتُ عَنْ الْخِيَارِ
 بَعْدَ ابْتِلَاءٍ وَاخْتِبَارِ
 دِ غَدَاوٍ مَطْلُوبٍ بَشَارِ
 وَتَذِيْقُهُ طَعْمَ الصَّغَارِ
 رِ يَجُودُ جُودَ أُولِي الْيَسَارِ
 نَ مَرَحَّبًا بِالْمُسْتَزَارِ
 فَوَفَيْتُ أَسْبَابَ الْعِشَارِ
 مِ وَمَنْ لَهُ طَيْبُ النِّجَارِ
 رِ وَمَنْ لَهُ شَرَفُ الدَّرَارِ
 عِ وَمَنْ بِهِ حَصْرُ الْوَقَارِ

(١) القسطل : الغبار الساطع وفي فقه الثعالبي هو خاص بغبار الحرب.

(٢) خرق : ثقب . الهبوات : مفردتها هبوة وهي الغبرة . العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة .

يا مَنْ لَدَيْهِ حَيَا الْعَفَا
أَنْتَ الَّذِي وَهَبَ الْجَرَا
أَنْتَ الَّذِي ضَمِنَ الْوَفَا
أَنْتَ الَّذِي حَازَ الْخَطَا
فَحَوَيْتَ مَضْمَارَ الْعَلَا
يَفْدِيكَ مِنْ ظَنِّ الْمَكَا
فَعْدَاهُ عَنْ طَلْقِ الْجَيَا
خَذَهَا ثَمَارَ عِلَاكَ لَا
عِذْرَاءَ يَخْجِلُ حُسْنُهَا
قِ وَمَنْ لَدَيْهِ حَمَى الزَّمَارِ
تُرَّ عَنْ عُلُوِّ وَاقْتِدَارِ
عَ لَجَارِهِ كَرَمُ الْجَوَارِ
رَ مِضَاؤُهُ يَوْمَ الْخِطَارِ
وَجَرِيَتْ فِيهِ بَلَا مُجَارِ
رَمَ فِي اقْتِصَادِ وَاقْتِصَارِ
دِ سَقُوطُهُ دُونَ الْعِثَارِ
عَمَرَيْتَ عِلَاكَ مِنَ الثَّارِ
مَا فِيَّ مِنْ خَلْعِ الْعِذَارِ

أ/ وحديثي جريح المقلد الشاعر قال : لما قال أبو محمد :
[٣٦٦] تغدوا على حر البلا د غدو مطلوب بشار
قلت : ما أ كذبك لحاك الله ! فقال : الذي نقل هذا في نفسه
أ كذب مني .

[رأي جريح المقل في ابن العميد]

وقال لي جريح المقل : قد جبت الآفاق ، وسبرت أصناف الخلق في
الأخلاق فما رأيت أحسن من هذا الرجل ، يعنى أبا الفضل !

[حديث أبي غالب الأصهباني]

وحديثي أبو غالب الكاتب الأصهباني قال : كان أبو الفضل يحاجي بكلام
له مَنْ رآه وهو : سألت عمّن شَفَّنِي وَجَدِي بِهِ ، وَشَغَفَنِي حُبِّي لَهُ

وزعمت أني لو شيت لذهلت عقله ، ولو أردت لاغتصبت منه ، زعماً لعمراً
أبيك ليس بمزعم كيف أسلو عنه وأنا أراه ، أو أنساه وهو لي تجاه . هيهات
هو أغلب عليّ ، وأقرب إليّ من أن يرخي له عذارى ، أو يخليني واختياري ،
بعد اختلاطي بملكه ، وانخراطي في سلكه . وبعد أن ناط حبه بقلبي نائط ،
وساطه^(١) بدمي سائط ، فهو جارٍ مني مجرى الروح في الأعضاء ، ومتنسم معي
روح الهواء ، إن ذهبته عنه رجعت إليه ، وإن هربت منه وقفت عليه ،
ما أحب السلو عنه مع هناته ، وما أوتر الخلو منه على علاقته . هذا على أنه
إن أقبل لم يهتني إقباله ، وإن أعرض لم يطرقني خياله ، يبعد عليّ مناله ،
ويقرب من غيري نواله ، ويرد عيني خاسئة ، ويثني يدي خالية ، وقد
بسط مسافات النفس المتقاربة ، وصدق مراحم الظنون الكاذبة ، وصله
يُنذر بضده ، وقربه يؤذن ببعده ، يدنو عدل ما يئرح ، ويأمو
مثل ما يجرح ، فحاله أحوال ، وخلته خلال ، وحربه سجال ، الحسن
من عوائده ، والجمال من منائجه ، والبهاء من فضوله ورفاته ، والسناء من
نعوته وسماته ، اسمه طابق لمعناه ، وفجواه وفق لنجواه ، تتشابه حالاه ،
ويتضارع قطراه ، من حيث تلقاه يستنير ، ومن حيث تغشاه يستطير ، كالبدر
بين سعوده قد وسطها وحفت به ، يقدمه النسران ، ويتلوه نطق الجوزاء ،
هكذا ، ولو قلت أن الواسطة الغميصاء^(٢) لها هادي وتابع ، إن فرقتهما اتفقا ، وإن
ألفتهما تفرقا ، يقبل بشوك السيال^(٣) ، ويدبر سفى البهمى^(٤) ، ويعترض بسود
قصار سواسية كأسنان الحمار ، لصدقت . فأين لي ما قلت له ، فهو تعريض
كالتصريح ، وتمريض كالتصحيح والسلام .

(١) ساط الشيء سوطاً : خلطه .

(٢) الغميصاء : إحدى الشرعيين من منازل القمر .

(٣) السيال : مفردا سيالة وهي نبات له شوك أبيض طويل .

(٤) البهمى : ضرب من النبات ، وسفى البهمى : شوكة .

[كتاب ابن العميد لأبي دلف الخزرجي]

وحدثني أبو غالب الكاتب قال : كتب أبو الفضل إلى أبي دلف الخزرجي في أوائل علمته التي نهكته وخالقه يُعابه ويُعابه فقال : الآن علمت أيها الشيخ أنك لي مكاييد ، وإلى جميع ما أنهاك عنه مخالف ، وعلى ديدنك المعروف ثابت ، وبفضلة لسانك مسحور ، وبشائع حلمي عنك مغرور ، ولست تقتك بذلك لاتخونك ، وتطوئي عليك لا يتناول بك ، واغترارك بغيري لا يزلك ، ولستك إذ قد ضللت سواء السبيل في حظك شاورتي فكنت لا أنجل عليك بالهداية ، يا هذا ! شكوت اليك أوائل هذه العلة التي قد تحوَّبتني (١) ونهكتني ، وكان التلاقي سهلاً ، وباب العافية مفتوحاً ، فعدت بالقيام عليها ، وبذل النصيحة في تدبرها ، وكنت لشكري لك على ذلك حائزاً ، وبمقتحك مني فائزاً ، فتقاعست عني بلا عذر ، ووقفني بين وصل وهجر ، فلم أدر كيف أخاطبك ، وعلى ماذا أعاتبك ، لأنني يئست من نجوع العتاب فيك ومن إحاكة الخطاب في قلبك ، لأنك مشهور بقحة ، ومذكور بسلاطة ، ومعتاد للبهت ، وجار على الكذب ، وأول ذلك أنك تدعي بئنة محمد بن زكريا من ناحية ابنته ، وقد شاهدت محمداً وما خلف بنتاً ، ولا ولدت بنت لم يكن له ابناً ، ولو كانت له بنت وولدت ابناً لم يكن أنت ذاك للغوائل المجموعة فيك ، والعيوب المتناثرة عليك ، ولم تكن العلة التي رجعت اليك في تدبيرها .

(١) تحوب : توجع وتحزن .

صرعاً ولا صِدَاماً^(١) ، ولا جُنُوناً ، ولا جذاماً ، ولا صمماً، ولا بكماً ،
ولا فالجاً ، ولا لِسْقَوَةً^(٢) ، ولا سكتة ، ولا زمانة^(٣) ، ولا شللاً ،
ولا أَدْرَةً^(٤) ، ولا علة لا يقوم ببرئها إلا المسيح الذي هو كلمة الله التي ألقاها
إلى مريم بنت عمران التي أحصنت فرجها ، ولم تحتج في مداواتي إلى الرقي
والغزائم ، ولا إلى النفق في الأرض ، أو إلى الطيران في السكك^(٥) ، ولا
إلى يد ييضاء كيد موسى بن عمران ، ولا إلى عصي موسى ، ولا إلى قميص
يوسف ، ولا إلى عرش بلقيس ، ولا إلى لوح من سفينة نوح ، ولا إلى
فلذة من كبش إبراهيم الذي فدى الله به ابنه اسماعيل كما قال تعالى :
« وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ »^(٦) ولا إلى الصدفة التي كانت فيها الدرة اليتيمة ،
ولا إلى شطبية^(٧) من سنام ناقة صالح ، ولا إلى زُبْرَةٍ من^(٨) زُبْرِ الحديد
الذي جعل ردماً^(٩) ليأجوج ومأجوج، ولا إلى عُسٍّ^(١٠) من لبن بقرة بني إسرائيل
التي ذبحوها « وَمَا كَادُوا يَفْقَهُونَ »^(١١) ولا إلى أدمغة الطير الأبايل / التي
رمت بحجارة من سجيل ، ولا تربة من « إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ التي لم يُخْلَقْ

[٣٧]

-
- (١) الصدام : داء في رؤوس الدواب .
(٢) اللقوة : داء يصيب الوجه يعوج منه الشدق إلى أحد جانبي العنق .
(٣) الزمانة : العاهة وعدم بعض الاعضاء وتعطيل القوى .
(٤) الأدرّة : تفخة في الخصى .
(٥) السكك : الهواء في أعالي الجو .
(٦) سورة الصافات .
(٧) الشطبية : القطعة من سنام البعير والجمع شطائب .
(٨) الزبرة : القطعة الضخمة من الحديد والجمع زبر بفتح الباء وضمها .
(٩) الردم : السدين يأجوج ومأجوج .
(١٠) العس : الفدح أو الإناء الكبير .
(١١) سورة البقرة .

مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (١) ، ، وَلَا إِلَى قِطْعَةٍ مِنَ السَّحَابِ الْمَسْحُورِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ،
وَلَا إِلَى لَمْعَةٍ مِنَ الْبَرْقِ الَّذِي يَخْطِفُ الْأَبْصَارَ ، وَلَا إِلَى مِثْقَالٍ مِنْ صَوْتِ الرِّعْدِ
الَّذِي يَسْبِّحُ بِحَمْدِهِ تَعَالَى ، وَلَا إِلَى ذَرَّةٍ مِنَ الشَّمْسِ الَّتِي جَعَلَتْ ضِيَاءً لِلْعَالَمِينَ ،
وَلَا إِلَى فَيْضَةٍ مِنَ الْقَمَرِ الَّذِي جَعَلَ نُورًا لِأَهْلِ الْخَافِقِينَ ، وَلَا إِلَى صَبْغٍ مِنَ
الْأَصْبَاغِ الَّذِي يَظْهَرُ فِي قَوْسٍ قَزَحٍ غَبَ الْأَنْدَاءِ الْمُتَّصِلَةِ ، وَلَا إِلَى مِثْقَالٍ مِنَ
التُّرَابِ الَّذِي « يَحْسَبُهُ الظُّلُمَانُ مَاءً » (٢) . وَلَا إِلَى شَيْءٍ مِنْ شَحْمِ الذَّنْبِ
الَّذِي لَمْ يَأْكُلْ يُوسُفَ ، وَلَا إِلَى نَابِ الْكَلْبِ الَّذِي كَانَ « بَاسِطاً ذِرَاعَيْهِ
بِالْوَصِيدِ » (٣) ، الَّذِي لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ لَوَلَّيْتَ مِنْهُ فِرَارًا ، وَلَمْ تَلِكْ مِنْهُ
رُتْبَةً ، وَلَا إِلَى الْكَبْرِيتِ الْأَحْمَرِ ، وَلَا إِلَى الْمَوْمِيَانِي الْأَبْيَضِ الَّذِي لَا يُوْجَدُ ،
وَلَا إِلَى حِيلَةِ بَلْنِيَّاسَ ، وَلَا إِلَى قَطْرَاتٍ مِنْ مَاءِ الْحَيَوَانِ تُعْجِنُ بِهِ هَذِهِ الْأَدْوِيَّةُ ،
وَلَا إِلَى مُنْخَلٍ يُنْخَلُ مِنْ شَعْرِ ذَنْبِ حِمَارٍ عَزِيزٍ الَّذِي أَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ
فَتَنَخَّلُ بِهِ الْعَقَاقِيرُ ، وَلَا إِلَى مَرَارَةِ الْعَنْقَاءِ الْمَغْرُوبِ الَّتِي لَمْ تَرَ قَطْ ، وَلَا إِلَى مَخِ
الْبَعُوضِ ، وَلَا إِلَى بَيْضِ الْأَنْوَقِ .

وَلَمْ يَحْتَجْ فِي تَدْبِيرِ عِلَّتِي ، وَجَمِيعِ أَدْوِيَّتِي إِلَى نَهَارٍ لَا لَيْلَ بَعْدَهُ وَلَا إِلَى
لَيْلٍ لَا نَهَارَ بَعْدَهُ ، وَلَا إِلَى نَهَارٍ مُوَلَّجٍ فِي لَيْلٍ ، وَلَا إِلَى لَيْلٍ مُوَلَّجٍ فِي نَهَارٍ ،
وَلَا إِلَى زَمَانٍ يَخْرُجُ مِنْ أَنْ يَكُونَ رَبِيعًا ، أَوْ صَيْفًا ، أَوْ شِتَاءً ، أَوْ خَرِيفًا ،
وَلَوْ ظَنَنْتُ أَنْ هَذِهِ كُلُّهَا أَوْ بَعْضُهَا تُلْزِمُكَ أَوْ تَدْخُلُ فِي تَكْلِفِكَ لَأَثَرَتِ الْمَوْتُ عَلَى
الْعَافِيَةِ ، فَإِنْ فِي الْمَوْتِ خَلَاصًا مِنْكَ ، وَمَفَارِقَةً لِمِثْلِكَ ، وَاللَّهُ مَا أَنْدَبُ إِلَّا
حَسَنَ ظَنِّي بِكَ ، وَمَبَاهَاتِي أَهْلَ مَجْلِسِي بِفَضْلِكَ ، وَقَوْلِي : أَبُو دُلْفٍ ! وَمَا

(١) سورة الفجر .

(٢) سورة النور .

(٣) سورة الكهف .

والوصيد : العتبة وفناء الدار والكهف . والوصيدة بيت كالخطيرة يتخذ من الحجارة في الجبال .

أدراك ما أبو دُلف ، لا تنظروا إلى هزله فان وراء ذلك جيداً ، وإن أردتم حقيقة ما أقول فافزعوا إليه في حوائجكم فانكم تجدونه في قضائها قبل إنهاؤها ، وهو المرء الذي قد جمع الله له بين النظر والمخبر ، وبين الدعوى والبيّنة ، وبين القول والحجة ، وبين الضمان والوفاء ، وبين الصداقة والشفقة ، فما زلت أقول هذا وشبهه ، وأصحابي يشيرون قولي بمثله في الظاهر ، ويخالفوني بعلمهم في الباطن حتى كان الفلج (٢) لهم ساعة هذه ، لأنني احتجت إلى علمك فخيبت عهدي ، وأقبلت عليك فأعرضت عني ، ووهبت لك كلي فبخلت بيمضك عليّ :

فيأربّ مظنون به الخير يخلف

ولقد استفدت بمعرفتك تجنب مثلك ، ويقال : لم يهلك من مالك ما وعظك ، ومن أطلعك على خبيثة من خيره وشره فقد أراحك من طويل الفكر فيه ، وكفأك خطر التجربة له والسلام .

قلت لأبي دُلف : ما أجبتك عن هذا الكلام ؟ قال : عملت في المسودة شيئاً لم أجسر على إظهاره ، وخفت صولته ونكايته ، وشره وغائلته ، ومما قد حدث في رؤساء زمانك ، إنهم يحقدون على الأتباع ، ولا يعرفون حقهم في الخدمة والطاعة .

[وصف بغداد]

وكنا يوماً عند ذي الكفائتين بمدينة السلام ، فجرى حديث بغداد ، فقال ذو الكفائتين : لما رجع ابن عبّاد من بغداد قال له الاستاذ الرئيس — نصر الله وجهه — كيف رأيت بغداد ؟ قال : رأيت بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد !.

(١) الفلج : الظفر .

[نكتة]

وحكى أيضاً في هذا اليوم عن أبيه قال : لما انصرف أهل خراسان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة أمام الغزاة من الري بعد الحادثة التي جرت ، ودفع الله حدثها وأعاد من صارمها (١) أخذ الرئيس يني حول دار ركن الدولة حائطاً عظيماً ، فقال له علي بن القاسم العارض : هذا كما يقال : الشدة بعد الضَّرط ، فقال : هذا أيضاً جيد لئلا تنفلت أخرى .

[الفرق بين المتشابهين]

ورأيت أبا الفتح ذا الكفایتین يسأل أبا الحسن العامري (٢) : لِمَ طلبتِ النفس الفرق بين المتشابهين ؟ فقال العامري : لأنها في جوهرها وما هو لائق بها تأبى الكثرة وَتَتَنَفَّرُ منها وهي تحنُّ إلى الوحدة بسوسها (٣) ، وتنزع نحوها وتقبل كل ما أعانها على ذلك ويدلّل الطريق لها ، والفرق يوضح سبيل الوحدة ، وكلما كان الاشتباه أشدَّ كان الفرق ألطف ، وكلما كان الفرق ألطف كانت أشدَّ بحثاً عنه ، وألتهج بطلبه ، لأن ظفرها به يكون أعزَّ ، ونيلها مطلوبها يكون أجلى .

[الكلام بين الجد والهزل]

وقال أبو الفتح يوماً آخر لابن فارس المعلم : لِمَ قال الجاحظ : فإن الكلام

(١) في الأصل « وأعاد بصارمها » .

(٢) أبو الحسن محمد بن يوسف العامري أحد فلاسفة الاسلام ذكره التوحيدي في المقابسات فقال : « كان من أعلام عصره » وكان العامري معنياً بكتب الأوائل وكتب أرسطو وله عليها شروح وتعليقات ، يقال بأنه نشأ في خراسان وقصد بغداد وأقام بها ثم اتصل بابن العميد فأكرمه وقرأ معه عدة كتب توفي سنة ٣٨١ هـ .

(٣) السوس : الطبيعة والأصل .

قد يكون في لفظ الجد ، ومعناه الهزل ، كما يكون في لفظ الهزل ومعناه الجد؟. فلم يقل شيئاً ! فقال أبو الفتح : قد صدق أبو عثمان ، هذه خاصة مذاهب العرب ، ولكن لم أعرض هذا في اختيارها ؟ وأدنى ما فيه أنه يدل على وضع الشيء في غير موضعه ، فلم يحجر أحداً شيئاً . فقال : هو أن إفراز / الجد من الهزل ، وتمييز الهزل من الجد حتى لا يؤتى بهذا في هذا ، ولا بهذا في هذا النوع من الخطر على المتكلم البليغ ، والقائل البيّن . ولو جرى على ذلك كان الاقتدار يُبطل الجد الملزوم ، والسعة تضيق الغاية المبلوغة . ولما كان البيان لا يكون بياناً ، والبلاغة لا تصير بلاغة إلا بأن يكون المتكلم آخذاً في كل واد ، قادحاً بكل زناد ، مستظهِراً بكل عتاد وجب أن يدخل الهزل في الجد إمتاعاً واستمتاعاً ، ويدخل الجد امتداداً واتساعاً . قال ابن فارس : وأي خصوصية يكون في هذا ، ونحن بالفارسية نرى هذا المذهب ، ولعل سائر اللغات على ذلك ؟ فقال : القول كما قلت ، ولكن أين مزية بيان العرب على جميع ما لأصناف العجم ؟ ثم قال : إن الغرض الأول في الكلام الإفادة ، وجل الأمم على هذا ، والثاني تحسين الإفادة ، ثم التحسين تارة يكون بمعاني التوكيد ، وتارة بمعاني الحذف ، وتارة يكون بوزن اللفظ ، وبتعديل الوزن ، وبتسهيل المطالع وتبديل المقاطع ، وهذه الأنواع وغيرها مما يطول إحصاؤه وحصره ، وهو للعرب خاصة ولباقي الأمم عامة ، ثم قال : وقد اشتمل القرآن على هذا كله ، وعلى ضروب أخر لم تكن في عادة القوم فاشية ولا كثيرة ، ولكن كالشيء البديع ، ألا ترى أنك لا تجد شوافع هذه المعاني التي في الكتاب غريبة في منشور كلامهم ولا في منظومه ، وأنت تعلم أنهم كانوا لا يسكتون .

[ولوع العرب بالكلام]

وكان ولوعهم بالكلام أشد من ولوعهم بكل شيء ، وكل ولوع كان لهم

بعد الكلام فانما كان بالكلام ، فهل تجد معنى قوله تعالى في الإبانة عن التوحيد:
 « مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ^(١) » ، « وما كان معه مِنْ إلهٍ إِذَا لَذَهَبَ
 كُلُّ إلهٍ بِمَا خَلَقَ ^(٢) » « وَلَعَلِّي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ^(٣) » في شيء من
 كلام؟. وكذلك أيضاً لا تجد ما يشبه قوله عز وجل « قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ
 آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ^(٤) » وكذلك
 أيضاً لا تجد ما يقارب قوله : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ
 لَفَسَدَتَا ^(٥) » وكذلك لا تجد ما يداني قوله : « وَمَا نُنْزِلُهِ إِلَّا بِقَدَرٍ
 مَعْلُومٍ ^(٦) » أو قوله : « وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ^(٧) » ثم تدبر
 قوله : « ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقْعًا ^(٨) » وقال : « إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ
 صَبًّا ^(٩) » وقال : « فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ^(١٠) » وقال : « إِنَّ فِي
 خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي
 فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ^(١١) » وقال : « وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا

-
- (١) سورة المؤمنون .
 (٢) » الأحزاب .
 (٣) » المؤمنون .
 (٤) » الإسراء .
 (٥) » الأنبياء .
 (٦) » الحجر .
 (٧) » المؤمنون .
 (٨) » عبس .
 (٩) » »
 (١٠) » الرعد .
 (١١) » البقرة .

يَبْثُ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١) » وقال : « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٢) » وقال : « الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٣) » وقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلِّغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِّنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ، وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَاهَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٤) » وقال : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ (٥) » وقال : « إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) » ثم قال : وهذا سببك بديع ، وأسلوب معجز ، ولو كانت العرب نَعِمَتْ بهذه المعاني بعبارات دون

(١) سورة الجاثية ..

(٢) » يس ..

(٣) » ..

(٤) » الحج ..

(٥) » فصلت ..

(٦) » ..

عباراتها ، أو حلت بهذه العبارات بمعان دون معانيها لكننا نقف ونترجع ، ونرتاب ونضطرب فأما وشيء لا يصاب لهم لا على وجه التشبيه ، ولا على التحقيق فماذا يبقى ؟ ثم هَبْ أنهم كانوا مصروفين عنها في الأول وهم لا يابهون لها هلاً تصرّفوا فيها في الثاني وقد تحدّوا بها ! إن هذا لواضح .

[نبوغ ابن العميد]

وكان مع شبابه ، وكثرة اشغاله مليئاً بهذا الفن ، ولُقِّنَ أكثره من معلمه ابن فارس، فإنه كان قد ذلّل هذا وأشباهه ، وكان ينتصب للناس في جامع الريّ ويفسّر القرآن ، ويتكلم على وجوهه ونظائره وتأويلاته ، وزاد هو أيضاً - أعني أبا الفتح - بقوته كشافاً لغامضها، وإبانة لما خفي منها ، وكان على كلِّ حالٍ أمثل طريقةً من والده أبي الفضل الذي سَمِعَ يُنشد هازئاً :

ومدّع يدعى بالسيف حجة

ما حجة السيف إلا حجة البطل

وينشد :

لعن الله ذا العصا فلقد كا

نت لقفل الناموس كالمفتاح

/ وهذا كله دليل على سوء الضمير ، وخبث العقيدة ، وشدة المجاهرة. [٣٨]

[النفس والذاكرة]

قال أبو الفتح يوماً لأبي سليمان : قال أبو عثمان في رسالته في التريخ والتدوير إلى ابن عبد الوهاب : لم صرنا نتذكر الشيء المهم فلا نقدر عليه حتى ندعه

يأساً منه أجمع ما نكون نفساً ، وأحسن ما يكون تدبراً^(١) ، ثم يعارضنا ويخطر على بالنا في حال شغل^(٢) أو حال نوم وأسهى^(٣) ما نكون عنه ، وأقل ما نكون احتفالاً به ، وأنا أحب أن أسمع من الشيخ فيه قولاً .

فقال أبو سليمان : ليست النفس على قدر إرادة الإنسان منها ، بل الإنسان على قدر مراد النفس منه ، لأن النفس هي مالكة ومدبّرة ومقومة ومتممته ومحركته ، فلو كان الإنسان إذا أراد إذكارها ذكرها ، وإذا أراد إنساءها أنساها ، كانت النفس تحت ملكة الإنسان وجارية على إرادته ، ومتصرفه بتصرفه ، وإرادته إنما هي منها ، ويقوم هو بها ، وكاله من جهتها ، وتامه من معوتها ، فلهذه الحال قد يتذكر الشيء فلا يجد من النفس إجابة له في ذكر ذلك الشيء ، وقد يسهو عن ذلك الشيء فيلقى عليه أغفل ما يكون عنه ، لأنه موجود عندها عتيد^(٤) قبلها . وإنما يكون هذا منها في الفينة بعد الفينة . ولو لم يتذكر الإنسان شيئاً جملةً لكانت نفسه الناطقة مغمورة ، ولو تذكر كلما شاء لكان قد صفا كل الصفاء . فلما وقف من هاتين المنزلتين يذكر مرة فذكر وسها مرة فحضر .

وطال كلامه في حديث النفس ، واتسع في فنون منه ، فلما انتهى قال له أبو الفتح : عين الله عليك أيها الشيخ أنت كما قال الأحوص^(٥) :

(١) في الترييع والتدوير طبعة شارل بلات C. Pellat ص ٧٩ : تذكرأ .

(٢) » » » » » ص ٧٩ : سهر .

(٣) » » » » » ص ٧٩ : أغنى .

(٤) عتيد : أي مهياً .

(٥) عبد الله بن محمد بن عبد الله الأحوص الأنصاري شاعر أموي هجاء وكان معاصراً

لجرير والفرزدق توفي سنة ١٠٥ هـ . راجع أخباره في الأغاني ٢٦٨-٣٢٤/٤

إني إذا خفي الرجالُ وجدثني
كالشمس لا تخفى بكل مكان^(١)
إني على ما قد علمت محسّده
أنمي على البغضاء والشنآن
ما تعتريني من خطوب ملة
الآن تشرفني وترفع شاني^(٢)
فإذا تزول تزول عن متخبط^(٣)
تخشى بواذرهُ لدى الأقران^(٤)
فله درك ودر زمان أنت من أهله .

[السجستاني وابن العميد]

فقال أبو سليمان : سعادة ذي الكفایتین هي التي تغشني عنده ، وهيات وصفي
على لسانه ، وزودني فخراً بخدمته ، وأبقت ذكري منوهاً بذكره ، ولقد
كنت غصبيض الطرف حتى رأيته ، كليل اللسان حتى وصفته ، منحوس الحظ
حتى عرفته ، خامل الذكر حتى خدمته ، وإن فسح الله في المدة فسأستقبل
خلق العيش جديداً ، وألحق مفقود المني موجوداً .

(١) رواية الأغاني : خفي اللثام رأيتني .

(٢) رواية الحماسة تعظم شاني .

(٣) متخبط : متكبر .

(٤) رواية الأغاني : وتزول حين تزول ، على الأقران .

[بجمل أبي الفتح ابن العميد]

وحدثني الخليلي قال : أول ما عبتُ على هذا الفتى أنه بعد موت أبيه أبي
الفضل أمر بأن ينقل المطبخ إلى دار النساء فقال الناس : الحمد لله صار
الطعام حراً ، والخبز عورة ، والقِدْرُ والغَضارُ ^(١) حُرْمَةٌ ، والله ما أراد
بهذا إلا أن يُصان الخبزُ كما تصان ذوات الخُمُرِ وصواحب المقانع ، وأن هذه
لغَيِّرةٌ وضعت في غير موضعها ثم أنشد لدِعبِل ^(٢) قوله ^(٣) :
قد كان يُحزني إذ قال مجتهداً
إي والرغيفِ فهذا البرُّ من قسمه

(١) الغضار : الصفحة المصنوعة من الطين اللازب الحر .

(٢) هو أبو علي دعبِل بن علي بن رزبن الخزاعي الشاعر المشهور ، عرف بهجائه المقذع
ولسانه السليط ، ولد في الكوفة سنة ١٤٨ هـ وتوفي سنة ٢٤٦ بالطيب بين واسط والأهواز
قال عنه ابن خلكان « كان بذيء اللسان مولعاً بالهجو والخط من أقدار الناس وطال عمره
فكان يقول : لي خمسون سنة أحمل خشبي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد ! »
ابن خلكان : ١٧٨/١

(٣) وردت هذه الأبيات في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ١٨٥/١ منسوبة لأبي
تمام وهذا نصها :

صدق أليته إن قال مجتهداً
لا والرغيف فذاك البر من قسمه
وإن هممت به فافتك بخبزته
فان موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبني لو أن غيرته
على جرادقة كانت على حرمه
أليته : قسمه .

وإن همت به فافتك بخبرته
فإن موقعا من لحمه ودمه
ما كان أحسنه لو أن غيرته
على جرادقة كانت على حرمة

قال الخليلي : كنت واقفاً في صحن داره خلف شجرة كبيرة والزمان
قيظ ، والهجرة^(١) محتدمة ، وهو أيضاً واقف تجاه تلك الشجرة ليلحقي
طرفه . فقال لخدم بين يديه : قد جعت ، أصلحوا الطعام ، وصيحوا بهؤلاء
الأكلة الطعام ! قال : فنزرت في نفسي أنفةً سدت ما بيني وبين السماء ،
فرجعت القهقري ألقط قدمي حتى صرت إلى الباب وفت إلى المنزل ، وطلبت
فاحتجت ، ثم طلبت فاحتجت وقلت : سقطت من عالي السطح وانكسرت
ساقِي وبقيت على هذه التعلّة حتى فرّج الله بالقبض عليه .

قال : هذا عرق كان ينبض فيه من أبيه ، فإن أباه كان عالياً في هذا
الخلق ، وكان يكابد من سرّ هذا الداء على نفسه أمراً عسيراً .
ولقد حضر ابن بNDAR يوماً وكان يأكل معه فنظر إلى غضارة^(٢) قد
ملئت ثريداً وأنشد :

ثريدٌ كأنَّ السَّمَنَ في حَجَرَاتِهِ

نجوم الثَّريَّا أو عيون الضِّياوِنِ^(٣)

فقال : أف ! لعن الله قائله . فقال ابن بNDAR : قائله حسان بن ثابت ،

(١) الهجرة : وقت الظهر وشدة الحر .

(٢) الغضارة : القصعة الكبيرة والجمع غضاثر « وهي فارسية » .

(٣) الضياون : مفردهما ضيون وهو السنور الذكر .

والنبي عليه السلام لا يرضى بلعن من يقول له حاضاً على جواب المشركين : قل
ومعك روح القدس . فسكت خزيان .

وكان ينجم من قلبه في الوقت بعد الوقت بغض العرب والأكلّة . أنشد
يوماً بيتاً وقال : أحبُّ أن أعلم ما يريد الأعرابي بقوله :

ترى ودك السديف على لحام

كلون الزاذ لبده الصقيع^(١)

[ابن بندار وأبو الفضل]

قال : وما انتصف منه أحد كأيي العباس بن 'بندار فانه جرى ليلة

[٣٨ب] حديث العرب والقبائل والأنساب فقال أبو الفضل أسد^(٢) / عرق وشيخ،

وخارك^(٣) ونشيج^(٤)، وطراز نسيج . فقال ابن بندار :

إذا أسديّ جاع يوماً ببلدة

وكان سميناً كلبه فهو آكله

فتغافل أبو الفضل كأنه لم يسمع ، وكان حليماً ، حمولاً ،

لثيماً ، ذلولاً !

(١) الزاذ : نوع من التمر والودك : الدسم من اللحم والشحم وما يتجلب من ذلك .

السديف : شحم السنام .

(٢) أسد : أي قبيلة أسد .

(٣) خرك كعلم : لج .

(٤) نشج : غص بالكاء .

[أبو الفضل والطبيب]

وقال : أحدثك من حلمه بأعجب من هذا ، كنا بأذريجان لما
افتتحناها لابراهيم بن المرزبان وقررناها في يده ، اتفق أننا ظفرنا هناك بطبيب
نصراني بغدادي ، حسن الحِذْق ، بارِع الصناعة ، مشهود له بصواب
الرأي ، وجودة التدبير ، فأدناه أبو الفضل ، ورضي هديّه ، وحمد قوله
ورأيه ، وكان يخصه بالبرّ والتّحفة . فكان من أمره أن أبا الفضل
شرب غداً تئذٍ قدحاً من شراب الرُّمّان وبقي في أسفل القدح قليلاً ومدّ
يده إلى الطبيب يناوله تكريماً له ويقول له : اشرب هذه البقية ! فقال له
الطبيب : نهى نبيّكم عن سؤر الكلب^(١) وأمسك عن القدح فاصفر وجهه
أبي الفضل ولم ينطق بكلمة ، ولا أساء إليه ، ولا اعتذر ذاك
من فرطته .

[اعتذار]

ولتدافع الحديث ما أخرج من ذكر هذا إلى شأن ذاك ، ولهذا اضطرب
عليّ نسخ الرسالة على مذهب المصنفين ، ولكن عذري يبيّن ، لأنني نقلت
ما نقلت في وقتٍ صعبٍ ، وحالٍ عوزاء .

[الصاحب والشراب]

سأل العتّابي شيخاً من أهل أصفهان ، وكان صحب ابن عبّاد في أيام

(١) السؤر : البقية .

الحداثة عن ترك ابن عبّاد الشراب فقال : والله ! ما ترك ما ترك الله ، ولكن تركه لأنه كان إذا سكر افتضح ودعا إلى الفجور .
ولما فشا هذا ، وفتحت القالة ، هجره وأظهر ذلك لتقوى الله أو لوجه الله تعالى .

[حرج الصدر والنفس]

ورأيت ابن عبّاد يوماً يقول لابن أبي هشام : لا تقل حرجت نفسي ، إنما الحرج للصدر . قال الله تعالى « فلا يكن في صدرك حرجٌ منه »^(١) فقال له : فأين أنت عن قول الله تعالى : « ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت »^(٢) فغرق جبينه خجلاً ، وكان ذاك سبب إعراضه عن هذا الشيخ وانقلابه عنه بالحرمان .

[شيطان صغير]

وقال لي العتّابي : كان هذا - يعني ابن عبّاد - يقال له في المكتب « ديوجه » وتفسيره شيطان صغير !

[الطلاقة والانطلاق]

وقال لي ابن الرازي : كلمته في شيء يوماً ، وقلت في عرض الكلام : وكان ذاك لانطلاق لسانه ، فقال له : إحصاً ، الانطلاق في الشيء ، والطلاقة

(١) سورة الأعراف .

(٢) سورة النساء .

في اللسان . قال : فقلت له : فما تصنع بقول الأول . وهو يزيد بن الصَّعِقِ مخاطب .
النابعة الذياني :

وأَيُّ الناسُ أعذرُ من شَامٍ

له صُرَدَانِ منطلقا اللسان (١)

قال : فخَمَدَ وحقد . هكذا قال بفتح القاف وكان فصيحاً .

[حقد الصاحب على التوحيد]

وقال يوماً في المجلس وهو يحدث عن رجل أعطاه شيئاً فقلكأ
في قبوله :

لا بدَّ من شيءٍ يُعِينُ على الدهرِ

ثم قال : قد سألتُ جماعة عن صدر هذا البيت فما كان عندها ذاك . فقلت :
أنا أحفظُ ذاك ، فنظر بغضب وقال : فما هو ؟ قلت : قد نسيتُه ، قال :
ما أسرعَ ذكركَ من نسيانك ! قلتُ : ذكرته والحال سليمة ، فلما حالت
عن سلامتها نسيتُ ، قال : وما حيولتها ؟ قلت : نظر الصاحب بغضب .
فوجب في حسن الأدب أن لا يقالَ ما يثيرُ الغضب . فقال : ومن تكون حتى
نغضبَ عليك ! دَع هذا وهات ، قلت : قال الشاعر :

أَلَامُ على أَخَذِ القليلِ وإنما

أَصَادِفُ أَقْوَاماً أَقَلُّ من الذرِّ

فإن أنا لم آخذ قليلاً حرمتُه

ولا بدَّ من شيءٍ يُعِينُ على الدهرِ

فسكت !

(١) الصردان : عرقان أخضران يستبطنان اللسان . اللسان (صرد) .

[الصاحب ومسكويه]

وكان ابن عبّاد وَرَدَ الرِّيَّ سنة ثمان وخمسين مع مؤيد الدولة ، وحضر مجلس ابن العميد أبي الفضل وجرى بينه وبين مسكويه كلامٌ ، ووقع تجاذبٌ . فقال مسكويه : فدعني حتى أتكلم ، ليس هذا نَصْفَةً ، إذا أردت أن لا أتكلم فدعني على فمي مخدّة ! فقال له : أنا لا أدع على فمك مخدّة ، ولكن أدع فمك على المخدّة . وطارت النادرة ، ولصقت ، وشاعت ، وبقيت .

[الصاحب وأبي عبد الله الحصري]

فأما حديث ابن عبّاد مع أبي عبد الله الحصري فمن الطرائف . كان هذا الحصري من أسقط الناس وأنذلهم . فلما ورد ابن عبّاد الرِّيَّ تقرب إليه ، وعرض نفسه عليه ، وسأل أن يلقنه المذهب ، فحقره ابن عبّاد ، وكان لا يهش له ، فجعل الحصري يقف في الأسواق ، والشوارع العظام ، والمربعات الكبار ، وينادي بصوت جهير ويقول : أدعوا الله للصاحب الخليل اسماعيل ، الذي ليس له في الدنيا عديل . ثم يقول بالفارسية : فانه قد بسط العدل ، وأحيا العلم ، وبث المكارم ، وآوى الغرباء ، لا يشرب الخمر ، ولا يعفج الغلمان ، ولا يخلو بالمردان ، ولا يتقحّب بالنساء ، ولا يأخذ الرُّشا ، ولا يقبل المصانعات ، نهأه في الملك ، وليلته في دراسة العلم ، وأشبهه هذا الكلام الشنيع ، وكان المنظر عجباً ، والمسمع أعجب .

وكان أهل الرِّيَّ يقفون ، ويسمعون ، ويضحكون ، ويسخرون ، والبلد يغلب على أهله النوارد والعيارة^١ ، فلما توالى ذلك منه نفي إلى ابن عبّاد ، وشنع

(١) العيار : الرجل الذي يتردد ويكثر التطواف مخلياً نفسه وهوها لا يزجرها .

به على الحصري ، واستؤذن منه لينهى عنه ويُزجر ، فقال : لا تفعلوا فإن باله ينكسر ، ونشاطه يذهب ، دعوه على شدة المذهب ، وحدّته على أهل الكذب .

[دعاة الصاحب]

[١٣٩] / وكان له آخر يلقيه المذهب بالفارسية ، ويقال له : اجلس في الأسواق عند الباقلاني ، وعند الصيدلاني ، وعند المراق^(١) ، وعند المهرّاس ، واطرح له حسن العدل والتوحيد ، وادعه إلى المذهب ، ولك مشاهرة تدر عليك ، وبرّ في كل وقت يصل اليك ، ولك الجاه العريض في الوصول إليّ ، والخلوة معي ، وكان يقال لهذا الرجل الفقاعي .

ورأيت آخر يقال له أبو علي الإسكاف ، وكان أشفّ من الفقاعي على هذا ، وكان يقال لهؤلاء دعاة الصاحب ، وخاصة الصاحب .

[تبشير الصاحب]

واجتهد بالحسين المتكلم الكلّابي أن ينتقل إلى مذهبه ، فتلفظ حسين وقال : أيها الصاحب ! دعني حتى أكون مشحداً لك ، فما بقي غيري ، وإن دخلت في المذهب لم يبق بين يديك من تنثو^(٢) عليه قبّحه ، وتُبدي للناس عوّاره . فضحك من كلامه وقال : قد أعفيناك يا أبا عبد الله ، وبعدُ فما نبخلُ عليك بنار جهنّم ، أصلَ بها كيف شئت . قال لنا حسين بعد ذلك : يا قوم ! أتراني أصلي بنار جهنّم ، وعقيدتي وسيرتي معروفتان ، ويتبوّأ هو الجنة

(١) المراق : بائع المرق .

(٢) ثنا الحديث : حدث به وأشاعه .

مع قتل الأنفس المحرّمة ، وركوب المحظورات العظيمة ، إنَّ ظنّه بنفسه
لعجّب والله ! لو كان من المرجّئة لكان مخوفاً عليه ، فكيف وهو يدّعي
الوعيد ، ويخوّف بالتخليد ، لحا الله الوقاح .

[صدر بيت]

وقال يوماً : ما صدرُ قول الشاعر :
والشربُ العذبُ كثيرُ الزّحامِ
فسكت الجماعة . فقال : قد والله فشا النقصُ ، وذهب الحفظُ ، ومات
الأدب . فقال ابن الرازي : صدره :
يزدحمُ الناسُ على بابه
فأقبل عليه بغيظٍ ، وقال : ما عرفتك إلا متعجرفاً ، جاهلاً ، أما كان
لك بالجماعة أسوة .

[إعجاب أبي الفضل بالغزل]

وسمّته يقول : كان أبو الفضل مطبوعاً على معرفة الشعر ، وكان لا يخفى
عليه جيّدُه من رديّه ، وكان يعجب بقول الشاعر :
وجاءت إلى بابٍ من السجف بيننا
محافٍ وقد قامت عليه الولائدُ
لتسمع شعري وهو يقرع قلبها
بوحى تؤديه إليها القصائدُ
إذا سمعت معنىً لطيفاً تنفّستُ
له نفساً تنقذُ منه القلبُ

ثمَّ قال : هذا والله القول . وأنا أعجب بقول الآخر حين يقول :

ما زلتُ أهواك سؤلَ قلبي
ما دمتُ بين الأنام حيًّا
وكيف يسألو هواكِ قلبُ
سقيته من هواك ربيًّا
أولى لك الله ثم أولى
أما خشيت العقاب فيًّا
جئت إلينا بغير وعدٍ
يا حبيب من زارنا بديًّا
حتى إذا ما ملكت قلبي
وازددت حسنًا نعم وزريًّا
نفرتِ نفرتِ الطباء عنا
فصار من دونك الشريًّا

[التجربة والاعتبار]

وسنوسع هذه الرسالة بعد هذا التطويل ببعض ما يكون حجةً أو عذرًا ، وإن اعترض حديث سقناه على غيره ، وعرضناه على حلوه ومُرّه . ولولا أن الفائدة - أبقاك الله - في سماع هذه الأشياء ، ومعرفة هذه الأحوال أضعاف الفائدة في الاضراب عنها لكان السكوت ممكنًا ، والإمسك مستطاعًا ، والسلم واقعًا ، والاعفاء سهلاً ، ولكن الخيرة لا تقع ، واليقظة لا تحدث ، والتجربة لا تستحكم ، والطبع لا يرتاض حتى تتصفح الأمور ، وتتعبق الدهور وتأخذ

نصيبك من الاعتبار ، وتبعث همتك على محمود الاختيار . والشاعر يقول :

وَمَنْ يَطْلُ عَيْشُهُ لَا تَلْقَهُ غَمْرًا

وفي الحوادث والأيام تحريث (١)

وقال آخر :

أخو خمسين مجتمعٌ أشدِّي

ونجذني مداورةُ الشؤون (٢)

وقال الآخر :

ألم ترَ ما لا قيمت والدهرُ أعصر

ومن يتملَّ العيش يرأا ويسمع

[عواقب الطعن بالوزيرين]

وقال لي بعض أصحابنا حين وقف على جرأمة^٣ هذا الكلام: قد كَشَفْتُ طائفتين كبيرتين وحملتها على عداوتك والارصاد لك يعني المتكلمين والمتفلسفين ، فان هذه لا تصبر لك على ثلبك ابن عباد ، وهذه لا تسكت عنك في ذمك من ابن العميد ، فقلت له : متى كان الخَصْمُ منصفاً ، وكان مدِلاً بالحق متوقفاً فان القول معه سهل ، والجدال يخفُّ ، والحديث يفيد ، وهل أنا إلا كمن قال لرسول الله ﷺ في حديث : يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ما عرفت ، وغضبت فقلت أقبح ما عرفت ، فلم ينكر ذلك رسول الله ﷺ . وأنا أروي لك القصة لتكون القائدة أظهر ، والحجة أنور .

(١) دروس وعظات .

(٢) من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحي ، نجذني : حنكني . منجذ : محنك . مداورة معالجة ، الأصمعيات ص ٦ .

(٣) الجرأمة : ما بقي من الزرع بعد الحصد ، ولعله يريد : ما وقف عليه من بقايا الكلام.

[بين الغضب والرضى]

قال عمرو بن الأهتم للزبرقان حين نازله النبي عليه السلام : ما علمك فيه ؟ قال : أعلم أنه قد نَجِمَتْ له مروءة ، وأنه مُطَاع في قومه ، وأنه مانع لما وراء ظهره ، فقال الزبرقان : أما والله لقد ترك ما هو أفضل من هذا ، فقال عمرو : أما إذ قال ما قال فهو ما علمتُ أحق الأب ، لئيم الخال ، زَمِرَ (١) المروءة ، حديث الغنى ، ولقد صدقت في الأولى ، وما كذبت في الأخرى ، وضحك رسول الله ﷺ فقال عمرو : يا رسول الله لقد غضبت فقلت أقبح ما عرفت ، ورضيت فقلت أحسن ما عرفت . فقال النبي ﷺ : إنَّ من البيان لسِحْرًا ، فهذا هذا على ما رواه ابن الأعرابي ، ومن أظلم ممن طلب من الساخط ما لا يوجد إلا عند الراضي ، وطلب من الراضي ما لا يُصاب إلا عند الساخط ، ومن كان كذلك فقد ردَّ الأمور على أعقابها ، وأتى المطالب من غرِّ أبوابها ، ولكل واحد من الراضي والساخط شاكلة يعمل عليها / ، وشيمة يَظْهَرُ بها .

[٣٣٩ب]

[موقف التوحيد من المتكلمين والمتفلسفين]

على أُنَى ما بهرَجَتْ (٢) مذهب المتكلمين ، ولا زَيَّفَتْ مقالة المتفلسفين ، وإنما قلت في أولئك أنهم ادَّعوا العدل ، وعملوا بالجور ، وأمروا بالمعروف وركبوا المنكر ، ودعوا الناس إلى الله بالقول ، ونفروا عنه بالفعل ، ولم

(١) الزمر : القليل المروءة .

(٢) بهرجه : أظهر ما فيه من رداة ..

يرجعوا فيما نصره وذنبوا عنه إلى ورع ظاهر ، وتخرج معروف ، ويقين
لا خلاج (١) فيه كما كان عليه سلفهم وأعلامهم واصل (٢) ، وعمرو (٣) ،
والحسن (٤) ومن جرى مجراهم ، وهذا ما لا احتاج إلى الاعتذار منه ، فإني قد
سمعت الديانين منهم يقولون هذا فيهم ، ويرونه من الداء الذي قد أعرضل عليهم ،
ثم اني ما رأيت أحداً سكت عن أحد من سفهائهم تغافلاً عنه ، أو حصراً (٥) ،
إلا ورأيت يقول ويطلب في ابن عبّاد غير خاش ولا متحاشٍ ، لعظم الآفة
به على المذهب ، وتفاقم الأمر بمكانه على أهله . وما قولي هذا فيهم إلا
كقولك يوم اجتماعنا في مقبرة معروف الكرّخي لبعض الشيعة : لو كنت ذائباً
بحب آل الرسول ، معتقداً بشرف العترة (٦) ، راجعاً إلى صحة السريرة
والعقيدة لظهر ذلك في عفتك وورعك وصلاتك وصيامك وحجّك وجهادك
وعبادتك واجتهادك وصدقك ومواساتك مع إحياء الليل وإطماء النهار ، واقتداء
بالذين ، إياهم تحبّ ، وعنهم تذبّ ، ولم تكن تقنع من جميع محاسن المذهب
بسبّ السلف ، وتضليل الأمة ، وثلب الصالحين ، وتكفير السابقين ،
وتدنيس الطاهرين ، فقولك لهذا الرجل الشيعي هو قولي للمتكلم إذا كان دعيّاً ،
ولم يكن في مذهبه برّاً تقيّاً . وأما ابن العميد فمن هذا الذي يتفلسف على

(١) خالج قلبه أمر : نازعه منه فكر . والخلاج : الشك .

(٢) واصل بن عطاء من رؤساء المعتزلة « ٨٠-١٨١ هـ » .

(٣) عمرو بن عبيد البصري شيخ المعتزلة « ٨٠-١٤٤ هـ » .

(٤) الحسن البصري إمام أهل البصرة ورأس علمائها الفقهاء « ٢١-١١٠ هـ » .

(٥) الحصر : العي في النطق .

(٦) العترة : ولد الرجل وذريته أو عشيرته ممن مضى .

بصيرة ومعرفة ، وهو يرضى سيرته ، ويحمد هديّه ، ويراه قدوةً ،
ويعدّه سعيداً ، كأن الفلسفة إنما تكون بالدعوى باللسان من غير عمل ومعاناة
ورياضة وقمع الشهوة إذا غلبت ، وردع النفس إذا طغت ، واستصلاح الأمور
بالعدل المؤثر فيها ، وطلب السعادة والفوز في العاقبة على ما رسمه علماؤها ، وحققه
حكماؤها ، هيات ! ظنّ لا تسافر فيه العين ، وقول لا يصبر على لفّح^(١)
الكير^(٢) ، فليت شعري بعد هذا ، من الخضم الذي يركب البهت ، ويدفع
العيان ، ويسحر العقول ، ويطرح الأذهان ويقول : ليس القول بالعدل
والتوحيد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر إلا ما هو عليه ابن عبّاد ،
ولا الفلسفة إلا ما كان يختاره ابن العميد ، هذا ما لا يقوله أحد ممن له عقل
ونهي ، ولا يجترئ عليه من له حجر^(٣) وحجى خاصة إن كان ممن يذبّ مروءته
بالحق ، ويصون كلمته عن الكذب ، ويفار على عقله من تعنيف معنف ،
ويأنف لنفسه من لومة لائم .

[بين التزكية والتجريح]

سمعت القاضي أبا حامد المروروذي يقول ، وكان سيد الفقهاء في وقته ، وإمام
أصحابه في عصره ، وعجيب الفضل في جميع أموره : لو أن رجلين طاهرين زكّيا
رجلاً عند الحاكم ثم سأله الحاكم آخرين مرضيين عن ذلك المزكي بعينه فجرت حاله لكان الحاكم
لا يقف ، ولا يتحير ، ولا يعنى ، ولا يحصر ولكنه يقدم الجرح على
التزكية ، ويعمل بها دونها ويصير إليها تاركاً لها . قال : فإن قلت : ما الحكمة
في هذا ؟ قيل لك : إن اللذين زكّيا قالوا بالظاهر ، وربما يكثر مثله ، ويغلب

(١) لفحت النار فلاناً : أصابت وجهه وأحرقته .

(٢) الكير : زق ينفخ فيه الحداد .

(٣) الحجر : العقل لحجره صاحبه عما لا ينبغي .

شبيهه ، وربما يتكلف نظيره بالرياء والسُّمعة والنفاق والخديعة والختل والحيلة ،
فلو لم يكن هذا لأمضية التزكية على ظاهرها ، وعملت بها وسكنت إليها . فأما
إذا استظهرت فسألت آخرين مرضيين عن المزكي فجزّاه فكأنما علما من باطن
أمره ، وخافي حاله ، وكنهه عيبه ومطوي شأنه ما توارى عن عرفان من
زكّاه ، وخفي على بحث من عدّله ، وكان هذا عندي بالقبول أولى ، والعمل
به أخرى .

هذا ما قاله هذا الرجل العالم وهلك سنة ثلاث وستين وثلاثمائة .

[مواضع الهجاء والثناء]

وابنُ عبّاد حفظك الله ليس بصغير القَدْر ، وابن العميد لم يكن خامل
الذكر ، وما فيها إلا من هو غُرّة زمانه ، وتاريخ دهره ، لنباهته ،
وصيته ، وطول أيامه ، وامتداد دولته ، وموادة مُمراده ، وطاعة الناس له
وتوجه الأطماع إليه ، فكيف يَجْزِفُ (١) الحديث عنهما مُجْزِف ، ويلزق
الكذب بهما مُلْزِق ، أو يدّعي الباطلَ عليهما مُدّّع ، هذا ما لا يطمع فيه
حَصِيفٌ ، ولا يعمل عليه عاقل ، ولكن حديث الدين ، والكرم ، والعقل ،
والمجد ، والسيرة ، والهدى ، والجود ، والبذل ، ليس من حديث الجَدِّ
والفَتْح ، والخيال ، والإنفاق ، والدولة ، والسناء ، والمرتبة في شيء .
اللهم إلا أن يكون الفصلُ كُلُّهُ عند هذا المخالف في كتاب يُنشأ ومعنى
يُقْتَضَب ، وقصيدة تُنشد ، ورسالة تُجَبَّر ، ومسألة تُتداول بالعي

(١) جزف الشيء : باعه واشتراه بغير وزن ولا كيل وعلى التخمين .

والبيان ، ودعوى تتناقل بالشبهة ، وغريبة تشقق تشقيقاً ، وكلمة تزوّق تزويقاً ، وباطل يُنصر لحاجة تدعو اليه ، وحق يُرفض لأمر يحمل عليه ، وخصم مُفحم بما غثّ وسمين ، وشبهة تركّب بما ظهر وبطن ، أو يكون الفصل عنده ، والتمام لديه / في الأمر والنهي ، والعزل والولاية ، والقبض والمصادرة ، والكيد والغيلة ، والاستخراج والحيلة ، والغاشية والحاشية والخدم ، والدور والقصور ، والمراكب والمواكب ، فيكون كل ما يدّعيه الخصم مقبولاً ، وكل ما يأباه مردولاً . فأما أن يكون الفصل باجماع الأولين والآخرين ، والماضين ، والغابرين في الدينونة ، والتأله والعفاف ، والتحرّج والتكرم ، والطهارة والتّقزز ، والنزاهة ، والركة والرحمة ، والجود والعطية ، والحلم والعفو ، والإبقاء والإغضاء ، والوفاء والإرضاء ، والتغافل والتسمّح^(١) ، والبرّ والتعهد ، والبشر والطلاقة ، والدمائة والشجاعة ، وطلب الذكر الجميل من كل أحد ، إما للساعة وإما للأبد ، فينبغي على هذا أن لا يكون لكلام الخصم سامع ، ولا لدعواه مُصدّق ، ولا لحكمه مُحير .

[الصاحب كما يراه أبو الوفاء المهندس]

قلت لأبي الوفاء المهندس ، وكان قد رجع من عند ابن عبّاد لقيه بمرجان مؤدياً اليه رسالة من بغداد ، لقيته بالمرج في ليلة سُميَاء بالمطر ، والبرد ، والثلج ، والسيل العرم ، كيف شاهدت ابن عبّاد فانك صيرفي الناس

(١) سمح : ساهل ولان .

في الناس ؟ فقال : يقال لمثله عندنا بنيسابور "طبل" هَرثمي ، ويقال لمثله عند إخواننا ببغداد : مَدَحُ نفسه يقرئك السلام ، وهو مع هذا عند أصحابه رقيق طيب ، وعند الكتاب أحق غليظ ، وعند سفلة المعتزلة واحد الدنيا ، وعند الفلاسفة طائر ظريف ، وعند الصالحين ظلوم قاسٍ ، وعند الله فاسقٌ عاص ، وعند أهل بلده أفك أثيم ، وعند الجمهور شيطان رجيم .

[أبو السلم الشاعر والوزيران]

وقلت لأبي السلم نحية بن علي الشاعر القحطاني : أين ابن عبّاد من ابن العميد فقد زُرَّتْها منتجعاً ، وَرُزَّتْها (١) جميعاً ، فقال : كان ابنُ العميد أعقلَ ، وكان يدّعي الكرم ، وابنُ عبّاد أكرم وهو يدّعي العقل ، وهما في دعوتيهما كاذبان ، وعلى سجيتيهما جاريان . أنشدت يوماً على باب دار ذاك قول الشاعر :

إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ (٢)
جمالٌ ولا مالٌ تمَنَّى انتقَالَها
وما ذاك من بغضٍ لها غير أنه
يؤمِّلُ أخرى وهو يَرَجُو زَوَالَها

(١) راز يروز روزاً : الحجر وزنه ليعرف ثقله . وراز الرجل جرب ما عنده وخبره .

(٢) في ياقوت ٢٢٧/٦ : في ظل دولة .

فرُفِعَ إليه إنشادي فأخذني وأوعدني وقال: انجُ بنفسك فاني إن رأيتك بعد
هذا أولُغْتُ^(١) الكلابَ دَمَك !

و كنت قاعداً على باب هذا منذ أيام فأنشدت البيتين على سهوٍ فرُفِعَ إليه
الحديث فدعاني ووهب لي دُرِيَهَات وخُرِيقات وقال : لا تتمنَّ انتقال
دولتنا بعد هذا .

وأبو السلم هذا من أغزر الناس في الشعر ، يحفظ الطَّمَّ ، والرَّمَّ^(٢) ، وكان
طيبَ الإنشاد ، رخمِ النعمة ، أنشدني لابن حسان :

إنَّ الحديدَينِ في طولِ اختلافِهما

لا يفسُدان ولكن يفسدُ الناسُ

لا تطمعا طمعاً يُدني إلى طبعٍ

إن المطامعَ فقرٌ والغنى اليأسُ

للناس مالٌ ولي مالانِ مالَهُما

إذا تحارس أهل المالُ حُرَّاسُ

مالي الرضا بالذي أصبحتُ أملكه

وما لي اليأسُ مما يملكُ الناسُ

(١) ولغ يلغ : الكلب الإناء وفي الإناء : شرب ما فيه بأطراف لسانه أو أدخل
فيه لسانه وحركه .

(٢) الطم : الشيء الكثير والبحر .

الرم : الثرى .

[كلمات غريبة]

وقال لي الخليلي : الرجل مجنون - يعني ابن عبّاد - وفي طباع المعلمين .
وهو يقول للتميمي الشاعر : كيف تقول الشعر ، وإن قلته كيف تحيده ،
وإن أجدت كيف تغزُرُ فيه ، وإن غزرتَ فكيف تروم غاية وأنت
لا تعرف ما الزهلق^(١) ، وما الهبلع^(٢) ، وما العثلط^(٣) ، وما
الجلعلع^(٤) ، وما القهقَب^(٥) ، وما الطرطب^(٦) ، وما القهبلِس^(٧) ،
وما الخيسفوج^(٨) ، وما الخزعة^(٩) ، وما القذعملة^(١٠) ، وما العرومط^(١١)

-
- (١) الزهلق : الأملس والسريع الخفيف من الناس .
(٢) الهبلع كعملس : الأكل ، العظيم اللقم ، الواسع الخنجور .
(٣) العثلط : اللبن الخاثر .
(٤) الجلعلع ، كسفرجل : من الأبل الحديد النفس والقنفذ والخنفساء .
(٥) القهقَب ، كجعفر : الضخم المسن ، والطويل الرغيب ، والباذنجان .
(٦) الطرطب ، كقنفذ : الثدي الضخم المسترخي ، والواحد طرطبي .
(٧) القهبلِس ، كجحمرش : الزب أو العظيم الغليظ والقملة . والصغيرة ، والمرأة الضخمة ،
والأبيض تعلوه كدرة .

- (٨) الخيسفوج : حب القطن ، والخشب البالي .
(٩) الخزعة ، الخزعل كشمردل : الأحاديث المستظرفة والباطل والخزعة العجب .
(١٠) القذعملة : المرأة القصيرة الخسيسة .
(١١) العرومط : لم نعثر على معناها في المظان التي بين أيدينا .

بوما الشَّـرْوَـمَط (١) ، وما الدودري (٢) ، وما المكرري (٣) ، وما
العَفْشَلِيل (٤) ، وما القَفْشَلِيل (٥) ، وما الجَلْعَبَى (٦) ، وما القِرْشَب (٧) ،
وما الصَقْعَل (٨) ، وما الجِرْدَحِل (٩) ، وما الدرديس (١٠) ، وما الطرطيس (١١) ،
وما العلطميس (١٢) ، وما الخَزْعَبِيل (٣) ، وما الخنعبيل (١٤) ، وما
العباريد (١٥) ، وما العبايد (١٦) ، وما العبايد (١٧) ، وما النَقَّاب (١٨) ،

-
- (١) الشرومط : الجمل الطويل « اللسان » .
(٢) الدودري : الذي يذهب ويحيى في غير حاجة .
(٣) المكرري : لم نعثر على معناها .
(٤) العفشليل : الرجل الجافي الثقيل ، والعجوز المسترخية اللحم ، والكساء الكثير الوبر .
(٥) القفشليل : المغرفة .
(٦) الجلعبى ، والجلعاء : الجاني الشرير .
(٧) القرشب ، كأردب : المسن ، والسيء الحال ، والأكول ، والضحيم الطويل .
(٨) الصقعل : التمر اليابس ينقع في اللبن الحليب .
(٩) الجردحل : الوادي ، والضحيم من الإبل .
(١٠) الدرديس : الداهية ، والشيخ ، والعجوز الفانية .
(١١) الطرطيس : الماء الكثير ، والعجوز المسترخية ، والناقاة الخوارة عند الحلب .
(١٢) العلطميس : الأملس البراق .
(١٣) الخزعبيل : الباطل .
(١٤) الخنعبيل : لعلها من الخنعب وهو الطويل من الشعر أو من الخنعبة وهي الهنة المتدلية وسط الشفة العليا .
(١٥) العباريد : العبارد من الجوارى البيضاء الناعمة .
(١٦) و (١٧) العبايد ، العبايد : بلا واحد من لفظهما : الفرق من الناس ، والخييل الذاهبون في كل وجه ، والأكارم ، والطرق البعيدة .
(١٨) النقاب : النافذ الأمور .

وما الجِرْفاس (١)، وما اللُّؤوس (٢)، وما النَّقِيل (٣)، وما الطَّرِبَال (٤)،
وما معنى انه لطريف ولا تباعه ، وما الفرق بين العَدَم (٥) والرَّذَم (٦) ،
والجذَم (٧) والخِذَم (٨) ، والخِضَم (٩) والقَضَم (١٠) ، والنَّضِج (١١) والرَّضِخ (١٢) ،
والقَصَم (١٣) والفَصَم (١٤) ، والفَصَع (١٥) والقَصَع (١٦) ، وما العُنَيْقَس (١٧)

-
- (١) الجرفاس ، والجرفاس : الرجل الضخم الشديد ، والجمل العظيم ، والأسد المصور .
(٢) اللؤوس ، واللواس والألوس : الذواقة للطعام من لاس : ذاق .
(٣) النقييل : الغريب .
(٤) الطربال : علم يبنى وكل بناء عال وكل قطعة من جبل أو حائط .
(٥) العدم : اللوم .
(٦) الرذم : الفصل .
(٧) الجذم : القطع .
(٨) الخدم : القطع وضرب الصقر بمخلبه .
(٩) الخضم : القطع ، وأكل الطعام ، وأكل الشيء الرطب .
(١٠) القضم : الأكل بأطراف الفم ومنه المثل « يبلغ الخضم بالقضم » .
(١١) النضج : رش الماء .
(١٢) الرضخ : خبر تسمعه ولا تستيقنه ، والعطاء ليس بالكثير .
(١٣) القضم : الكسر مع بينونة .
(١٤) القضم : الكسر من غير بينونة .
(١٥) الفصع : العصر بالأصبعين ، والدلك ، والعطاء ، والعطاء ، وحسر العمامة .
(١٦) القصع : ابتلاع جرع الماء ، ولزوم البيت ، وقتل القملة .
(١٧) العنيقس : تصغير العنقس وهو الداهي الخيث .

والفَلَيْقَسَ (١) ، وما الوكواك (٢) والزَّوْنُك (٣) ، وما الخيتعور (٤) ،
وما الشيتعور (٥) ، واليستعور (٦) ، وما الحِرْ ذَوْن (٧) ، وما الحَلَزُون (٨) ،
وما القصدر (٩) ، وما الجُمُعَلِيل (١٠) .

قال الشاعر :

جاءت بخفٍّ وحنينٍ ورحلٍ جاءت تمشى وهي قدام الإبل
مشيَ الجُمُعَلِيلَةِ بالحرف النقل (١١)

قال : ورأيت بعض الجهالٍ باللغة يصحّف في هذا ويقول :

بخفٍّ وحنينٍ ورَخَل (١٢)

قال الخليلي : من عني بهذا ؟ قال : ابن فارس معلم ابن العميد أبي الفتح .

(١) الفليقس : تصغير الفلقس ، وهو البخيل الرديء .

(٢) الوكواك : المتدحرج في مشيه ، والفار من الحرب .

(٣) الزونك : الرافع نفسه فوق قدرها .

(٤) الخيتعور : السيئة الخلق والسراب ، وقال الأزهري : الناقة الهرمة ، وكل ما يضمحل ، والذئب .

(٥) الشيتعور : الشعر وقيل الشيتغور .

(٦) اليستعور : موضع ويقال شجر (السان) .

(٧) الحردون : ذكر الضب أو دويبة أخرى .

(٨) الحلزون : دويبة .

(٩) القصدر : لم تقف على معناها .

(١٠) الجُمُعَلِيل : الضبع أو الناقة .

(١١) وفي رواية « الجرف » ، والحرف : طرف الجبل أو مسيل الماء ، والنقل : ككتف ، مكان ذو حجارة .

(١٢) الرخل والرجل : الأتني من أولاد الضأن .

مثالبم (٢١)

قال الخليلي : أفهذا الضرب من الكلام مما يجب أن يفتخر به ، ويتدفق به ؟ إنك يا أبا حيان لو رأيته عيس وهو يهذي بهذا وشبهه ، ويتفهب فيه ، ويلوي شذقه عليه ، ويقذف بالهزاق على أهل المجلس لحدث الله تعالى على العافية مما بُلي به هذا الرجل .

[الفرق بين اللفظ الثقيل والشعر]

وَبَعْدُ فما بين الشاعر وبين هذا الضرب ، الشاعر يطلب لفظاً حراً ، [٤٠ب] ومعنى بديعاً ، ونظماً حلواً ، / وكلمة رشيقة ، ومثالاً سهلاً ، ووزناً مقبولاً .

[انقضاء أيام الخير]

قلت للخليلي : فما بال الناس مع علمهم برقاعته وجنونه ، قد لزموا فناءه ، وتزاحموا على بابه ؟ فقال لي : يا هذا خلكت الدنيا من الكرم والكرام ، واصطلح الناس على قلة المباهاة بالفضائل ، وكان هذا منوطاً بالخلافة فانقضت أيام الصدر الأول بالدين الخالص ، وأيام بني مروان بالرياء والسمعة ، وأيام بني العباس بالمروءات والتوسع في الشهوات ولم يبق بعد هذا شيء . ولا بد للناس من الانتجاع ، أخصبت البلاد أم أجربت ، والحرف لا تسع الخلق ، والمرتبة الواحدة لا تحفظ النظام ، ولا بد للناس من التقسيم بين الرفعة والضعمة ، وعلى ما بينهما من الأحوال . على أن الكرم والعطاء والبذل وحب الثناء والمهزلة والأريحية أمور قد فُقدت منذ زمان وقامت عليها النوادب في كل مكان ،

[أثر العطاء]

هذا تمامه : المتكلم يحكي بلسانه وهو صاحب المأمون . قال : دخل النوشجاني على المأمون فقال : يا أمير المؤمنين ! ما في بيت مال الصدقات درهم ، وقد

كثر الغارمون ، فقال المأمون : وكيف لا يكثرون وثلاثة أرغفة بدرهم ،
وها هنا أناس لا حرفة لهم ، ولا افضال من موسريهم على معسريهم ، أما والله
لقد شهدت أيام الرشيد والخراج أقل وأرذل ، وأن فيها لأكثر من مائة يد
بالخير طويلة ، وبالعطايا سائلة ، وللمعروف باذلة ، وللأرحام واصلة .

[كرم البرامكة]

ويروى عن سابق بني هاشم في هذا أعجب كلام قال : والله لو علم الله أن
غنى فقرائكم في أكثر من زكوات أغنيائكم لفرض ذلك لهم . فتبارك الله
رب العالمين ، أين أولئك البرامكة ، وأين منهم اليوم ، كان معروفهم يسع الصغير
والكبير ، ويعم الغني والفقير ، مرة يغرف ومرة ينزف ، ما لهم هم إلا
تسميره ، ومن أولئك زبيدة بنت جعفر وابنها ، إني والله لأحسبهما فرقاً من
المال فيمن لجأ إليهما ، وطلب معروفهما أكثر من ألف ألف دينار ، ولقد
كان لمن ذكرت بطانة ، وللبطانة بطانة ، وكان لهم من المعروف والبذل في
الجار والحميم والسائل وابن السبيل ما لو أحصى ل طال ذكره ، وعظم قدره ،
فما بالعراق اليوم من يجود بدرهم ولا رغيف ، أوليس من انقلاب الزمان أن
صار عبد الله بن بشير أحد أجواده ، وأحد أبواب المعروف ، فما ظنكم بنا
وقد حشرنا في زمرة واحدة ، ثم ميّز أهل كل زمان ، فاذا نظر إلى أهل
زماننا لم يقيم في المباهاة إلا عبد الله ومالك بن شامي ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

اكتب لهم إلى البلدان ، وانظر من كان منهم محتماً فارم به إلى الأطراف
وأجنحة الثغور ، ومن قلّ ماله ، ورثّ حاله ، وقعد به العدم عن الحركة
الشاسعة فلا تجاوز به الموصل والبصرة ، وفرّق فيهم ألف ألف درهم وعجّل
سراحهم الأول فالأول .

[بين الماضي والحاضر]

ثم قال لي الخليلي : حصل الآن زمانك من زمان المأمون حين قال هذا القول، وميّز هذا التمييز، وداو بهذا الدواء ، والله إن هذا لعجب حصلنا في حديث ابن العميد على أن يقال : حمشك^(١) عميدي، وفي حديث ابن عباد على أن يقال : هذا ركاب صاحبي ، إني لأجد في صدري غليلاً لا يبرده شيء من ذهاب الكرم ، وفقد الكرام ، وقلة المبالي بذلك .

[أسلوبا الوزيرين في الكرم]

قلت للخليلي أيضاً : ومع هذا كله أين ابن عباد من ابن العميد ، فقد خبرت ذلك بملازمتك ، وعرفت هذا بتعرضك فقال لي : أما ذاك ، فكان لا يعطيك ، ولكنه كان لا يطعمك ، وأما هذا فإنه يطعمك حتى يستفرغك ثم يرميك بالحرمان ، أو بعتاء شبيه بالحرمان ، وتفسير هذا عندك يا أبا حيّان . قلت : كيف كان علم ذلك من علم هذا ؟ قال : كان ذاك يدعي الفلسفة دعوى شديدة ، ولكن لا ينادي عليها في الأسواق ، وهذا يدعي علم الدين وهو يعرضه فيمن يريد ، قلت له : كيف كان ابن العميد في أمر الطعام ؟ قال : كان ملثوث^(٢) الأنفاس عند اختلاف الأضراس ، كدرا لإحساس عند دوران السكاس ، وهذا مما يخالف ما عليه كرام الناس .

[الصاحب وأهل العلم]

قلت : فكيف كان ابن عباد لأهل العلم قال : إن كذبوه وخدعوه وموّهوا عليه ، وناقوه ، وتلقوه قربهم وأدناهم ، وأكرمهم ، وأعطاهم ،

(١) حمش : أي هيج وأغضب .

(٢) في الأصل غير واضحة ، ولعل الصحيح ما أثبتناه ، والملثوث : من ألك أي ألح ، ولعلها (مكبوث) من كبث اللحم إذا أروح .

وإن صدّ قوه، وماتنوه^(١) وثبتوا له أبعدهم وأقصاهم ، وحرّمهم ، وأخزاهم
فما ذنبي - أكرمك الله - إذا سألت عنه مشايخ الوقت ، وأعلام العصر ، فوصفوه
جميعاً بما جمعت لك في هذا المكان ، على أنني قد سترت كثيراً من مخازيه إما
هرباً من الإطالة أو صيانة للقلم من رسم الفواحش، ونثّ العِصْلَة^(٢) ، وذكر
ما يسمع مسموعه ، ويكره التحدث به ، هذا سوى ما فاتني من حديثه .

[مفارقة التوحيد للصاحب]

فاني فارقه سنة سبعين وثلاثمائة ، وما ذنبي إن ذكرت عنه ما جرّ عنه من
مرارة الخيبة بعد الأمل ، وحملني عليه من الإخفاق بعد الطمع ، مع الخدمة
الطويلة ، والوعد المتصل ، والظن الحسن ، حتى كأني خُصِصْتُ بخِصاصته
وحدّي ، أو وجب أن أعامل به دون غيري .

[حادث النسخ]

قدّم إليّ نجاح الخادم ، وكان ينظر في خزانة كتبه ، ثلاثين مجلدة من رسائله
وقال : يقول لك مولاي : انسخ هذه فانه قد طلب من خراسان ، فقلت بعد
ارتياح : هذا طويل ، ولكن لو أذن لخرّجتُ منه فقراً كالفرر ، وشذوراً
تدور في المجالس كالشمّامات والدستبويات^(٣) ، لو رُقّي بها مجنون لأفاق ،
ولو نُفث على ذي عاهة لبرأ ، / لا تمَلِّ ، ولا تُسْتَعَثَّ ، ولا تُعاب ، ولا
تُسْتَرَثَّ . فرفع ذلك اليه على وجهٍ مكروه ، وأنا لا أعلم . فقال ! طعن في
رسائلي وعابها ، ورغب عن نسخها ، وأزرى بها ، والله لينكرنّ مني
ما عرف ، وليعرفنّ حظّه إذا انصرف ، كأني طعنتُ في القرآن ، أو رميتُ
الكعبة بخرق الحيز ، أو عقرت ناقة صالح ، أو سلّحتُ في زمزم ، أو

[٤١]

(١) ماتن : عارض .

(٢) نث العِصْلَة : نشر القبح وإذاعته .

(٣) الدستبويات : واحدها دستبوية ، وهي بطيخ أصفر صغير مستطيل .

قلت كان النظام مأبوناً ، أو كان العلاّف ديصانياً ^(١) ، أو كان الجبّائي ^(٢) جبرياً ، أو مات أبو هاشم في بيت ختمار ، أو كان عبّادُ معلم الصبيان . وما ذنبي يا قوم إذا لم أستطع أن أنسخ ثلاثين مجلدة ، ومن هذا الذي يستحسن هذا التكليف حتى أعذّره في لومي على الامتناع ؟ أيُّ انسان ينسخ هذا القدر وهو يرجو بعده أن يمتّعه الله ببصره أو ينفعه بيده ؟ ثم ما ذنبي إذا قال لي : من أين لك هذا الكلام المفوّف المشوف ^(٣) الذي تكتب إليّ به في الوقت بعد الوقت ؟ فقلت : وكيف لا يكون كما يوصف وأنا أقطف من ثمار رسائله ، وأستقي من قليب ^(٤) علمه ، وأشيم ^(٥) بارقة أدبه ، وأردُ ساحل بحره ، واستوكف قَطَرٌ مُزْنَه ! فيقول : كذبت وفجرت لا أمّ لك ، ومن أين في كلامي الكُدْيَة ^(٦) والشحذ والضرع والاسترحام ! كلامي في السماء ، وكلامك في السّماد ...!

هذا أيّدك الله ، وإن كان دليلاً على سوء جدّي ، فإنّه دليل أيضاً على

(١) الديصانية : أتباع ديسان وهم فرقة من المجوس يشبه مذهبهم مذهب ماني ، ويقول ابن النديم : « وإنما بينهم خلف في اختلاف النور بالظلمة » ، راجع: الملل والنحل للشهرستاني ٨٨-٨٩ ، الفهرست : ٤٧٤ ، الجاحظ : الحيوان ٦/٥ ؛

(٢) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي من رؤساء المعتزلة وعلماء الكلام في عصره واليه تنسب طائفة الجبائية ، ولد سنة ٢٣٥ هـ وتوفي سنة ٣٠٣ هـ .

(٣) المفوف : ثوب رقيق وقيل فيه خطوط بيض على الطول . المشوف : المجلو وشوف : زين .

(٤) القليب : البئر .

(٥) شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر .

(٦) الكدية : التسول .

انحلاله وتخرقه وتسرعه ولؤمه ، والطرائف تستحيل معي عن مذهبه الذي هو عرقه النابض ، وسوسه الثابت ، ودَيْدنه المألوف ، وهذا أجزائي مجري التاجر المصري والشاذبشي ، وفلان وفلان .

[حسد الصاحب لابن العميد]

أو ما ذنبي إذا قال لي : هل وصلت إلى ابن العميد أبي الفتح ببغداد ؟ فأقول : نعم ، رأيته وحضرت مجلسه وشاهدت ما جرى له ، وكان من حديثه فيما مدح به كذا وكذا ، وفيما كفي فيه كذا وكذا ، وفيما تكلف من تقديم أهل العلم واختصاص أرباب الأدب كذا وكذا ، ووصل أبا سعيد السيرافي بكذا وكذا ، ووهب لأبي سليمان المنطقي كذا وكذا ، فيزوي وجهه ويتكره حديثه وينجذب إلى شيء آخر ليس مما شرع فيه ، ولا مما حرّك له . ثم يقول : اعلم أنك إنما انتجعتَه من العراق فاقراً عليّ رسالتك التي توسلت إليه بها ، وأسهمت مقرّظاً له فيها ، فأتمنع فيأمر ويشدّد ، فأقرؤها فينغر^(١) ، ويذّهل وأنا أكتبه لك ها هنا ليكون زيادة في الفائدة .

[رسالة التوحيدي لابن العميد يستعطفه]

بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم هبّ لي من أمري رشداً ، ووفقني لمَرْضاتك أبداً ، ولا تجعل الحرمان عليّ رسداً ، أقول وخير القول ما انعقد بالصواب ، وأجلب النفع^(٢) ما تعلّق بالمزيد ، وخير المزيد ما بدا عن شكر ، وخير الشكر ما بدا عن إخلاص ، وخير الإخلاص ما نشأ عن إتقان ، وخير الإتقان ما صدّر عن توفيق ، لما رأيت شبابي هَرَمًا بالفقر ،

(١) نغر : كفرح وضرب غضب وغلى جوفه حنقاً .

(٢) يا قوت : وخير الصدق ما جلب النفع ، وخير النفع ... الخ .

وقفري غنياً بالقناعة ، وقناعتي عَجَزاً عند التحصيل (١) ، عدلتُ إلى الزمان
أطلب اليه مكاني فيه ، وموضعي منه ، فرأيت طرفه عني نائياً ، وعنانه عن
رضاي مثنيّاً ، وجانبه في مرادي خشناً ، وإنفاقي في أسبابه سيئاً (٢) ،
والشامت بي على الحدثان متهادياً ، طمعتُ في السكوت تجلّداً ، وانتحلت
القناعة رياضة ، وتألفت شاردَ حرصي متوقفاً ، وطويت منشور أمري
متنزّهاً ، وجمعتُ شتيتَ رجائي سالياً ، وادّرتُ (٣) الصبر مستمراً ،
ولبستُ العفاف محموداً (٤) ، واتخذت الانقباض صناعة ، وقمت بالعلاء مجتهداً ،
هذا بعد أن تصفحت الناس ، فوجدتهم عند كل قريب وبعيد أحد رجلين :
رجل (٥) إن نطق نطق عن غيظٍ ودِمنة (٦) ، وإن سكّت سكّت على ضغن
وإحنة (٧) ، ورجل إن بذل كدّر بامتثانه بذله ، وإن منع حصن
باختياله (٨) بُخله ، فلم يَطُلْ دهري في أشنائه متبرماً بطول الغربة ،
وشظف العيش ، وكَلَبَ الزمان ، وعَجَفَ المال ، وجفأ الأهل ، وسوء
الحال ، وعادية العدو ، وكسوف البال ، متحرّقاً من الحنق على لئيم ،

(١) يا قوت : أهل التحصيل .

(٢) يا قوت : وارتهائي في أسبابه نائياً .

والسي : اللبن يكون في أطراف الأخلاف وينزل قبل الدرة .

(٣) يا قوت : وادعيت .

(٤) يا قوت : ضناً .

(٥) في الأصل رجلاً .

(٦) الدمنة : الحقد القديم أو الحقد الثابت للأبد .

(٧) الإحنة : العداوة والحقد .

(٨) يا قوت : حسن باحتياله .

لا أجد منصرفاً^(١) عنه ، منقطعاً من الشوق إلى كريم ، لا أجد سبيلاً إليه ،
حتى لاحت لي غرّة الاستاذ ، فقلت : حلّ بي الويل ، وسال بي السيل ،
أين أنا عن ملك الدنيا ، والفلك الدائر بالنعمة ، أين أنا عن مشرق
الخير ، ومغرب الجميل ، أين أنا عن بدر البدور ، وسعد السعود ، أين أنا
عمن يرى البخل كفراً صريحاً ، ويرى الافضال ديناً صحيحاً ، أين أنا عن
سما لا تفتّر عن الهطّالان ، وعن بحر لا يقذف إلا باللؤلؤ والمرجان ، أين
أنا عن فضاء لا يُشقّ غباره ، وعن حرّم لا يضام جواره ، أين أنا
عن منهل لا صدر لفراطه ، ولا منع لوّراه ، أين أنا عن ذوّب
لا شوب فيه ، وعن صدّ لا حدّ^(٢) دونه ، بلى^(٣) ، أين أنا عمّن قد
أتى بنبوّة الكرم ، وإمامة الإفضال ، / وشريعة الجود ، وخلافة البذل ،
وسياسة المجد ، نسيمه مشيمة^(٤) البوارق ، ونفسه^(٥) نفيسة الخلائق ، أين
أنا عن الباع الطويل ، والأنف الأشمّ . والمشرّب العذب ، والطريق
الأمم^(٦) ، لم لا أقصد بلادّه ، لم لا أقتدح زنادّه ، لم لا أنتجع جنابه ،
وأرعى مرآده^(٧) ، لم لا أسكن ربّعه ، واستدعي نفعه ، لم لا أخطب
جوده ، واعتصر^(٨) عوده ، لم لا أستمطر سحابه ، وأستسقى ربابه ، لم

[٤١ب]

-
- (١) يا قوت : مصرفاً .
(٢) يا قوت : عن صوب لا جدد .
(٣) يا قوت : بل .
(٤) يا قوت : بشيمة مشيمة .
(٥) يا قوت : ونفس .
(٦) الأمم : البين الواضح من الأمر .
(٧) يا قوت : مزاده .
(٨) يا قوت : اهتصر .

لا أستمح نيته وأستسحب ذيله ، لم لا أحج كعبته ، واستلم ركنه ،
لم لا أصلي إلى مقامه مؤتماً به ، لم لا أسبح بشائه (١) مقدساً ، لم
لا أحكم في حالي :

فتى صيغ من ماء البشاشة وجهه
فألفاظه جوده وأنفاسه مجد
لم لا أقصد فتى بان للناس في كفه من الجود (٢) عينان نضاًختان (٣) ،
لم لا أمتري (٤) معروف :

فتى لا يبالي أن يكون بجسمه
إذا نال خللات الكرام 'شحوب'
لم لا أمدح :

فتى يشتري حسن الثناء (٥) بروحه
ويعلم أعقاب الحديث تدوم (٦)
نعم ، لم لا أتهي في تقرّظ فتى لو كان من الملائكة لكان من المقرّبين ،
ولو كان من الأنبياء لكان من المرسلين ولو كان من الخلفاء لكان نفعه اللائذ
بالله ، أو المنصف في الله ، أو المعتضد بالله ، أو المنتصب لله ، أو الغاضب لله ، أو

(١) يا قوت : بينانه .

(٢) يا قوت : في كفه من البحر .

(٣) عين نضاحة : فوارة غزيرة .

(٤) امتري : استخرج ، وامتري الريح السحاب : استدرته .

(٥) يا قوت : المفال .

(٦) يا قوت : في غد .

الغالب بالله ، أو المرضي لله ، أو الكافي بالله ، أو الطالب بحق الله ، أو المحيي
 لدين الله ، أيها المنتجع قرن كله (١) ، المختبط ورق نعمته ، ارع عريض
 البطان ، متقيئاً بظله ، وكل خضماً ناعم البال ، متعوذاً بعزّه ، وعش رخي
 اللبب (٢) معتصماً بمجبله ، ولئذ بذراه (٣) آمن السرب ، واحض ودّه
 بآنية القلب ، وق نفسك من سطوته بحسن الحفاظ ، وتخير له أطف المدح تفز
 منه بأمن القيدح ، ولا تحرم نفسك بقولك : إني غريب المثوى ، نازح الدار ،
 بعيد النسب ، منسي المكان فانك قريب الدار بالأمل ، داني النجج بالقصد ،
 رحيب الساحة بالمنى ، ملحوظ الحال بالحسد (٤) ، مشهور الحديث بالدرك ،
 واعلم علماً يلتحم باليقين ، وتدرأ من الشك أنه معروف الفخر بالمفاخر ، مأثور
 الأثر بالماثر ، قد أصبح واحد الأنام ، تاريخ الأيام ، أسد الغياض يوم الوغى ،
 نور الرياض يوم الرضا ، إن حرك عند مكرمه حرك غصناً تحت بارح ، وإن
 دعي إلى اللقاء دعي لثاً فوق سابح ، وقل إذا أتيته بلسان التحكم :
 أصلح أديمي فقد حلّم (٥) ، وجدّد شبابي فقد هرّم ، وأنطق لساني
 بمدحك فقد حصر ، وافتح بصري بنعمتك فقد سدر (٦) ، واتل سورة
 الإخلاص في اصطناعي فقد سردت صحائف النجج عند انتجاعى ، وقل :
 رش عظمي فقد براه الزمان ، واكس جلدي فقد أعراه الحيدان ، وإياك

(١) قرن الكلأ : خيره .

(٢) يا قوت : الحال . اللبب : الرخاء والحال الواسعة .

(٣) يا قوت : بداره .

(٤) يا قوت : الجد .

(٥) حلم الجلد : فسد في العمل ووقع فيه دود فتقب .

(٦) سدر : تخير ، وسدر البعير : تخير بصره من شدة الحر فلم يكذب بصره .

أَنْ تَقُولَ : يَا مَالِكَ الدُّنْيَا جُدْ لِي بِبَعْضِ الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يَحْرِمُكَ ، وَلَكِنْ قُلْ :
يَا مَلِكَ الدُّنْيَا هَبْ لِي الدُّنْيَا . اللَّهُمَّ فَأَحْيِ بِهِ بِلَادَكَ ، وَانْعِشْ بِرَحْمَتِهِ عِبَادَكَ ،
وَبَلِّغْهُ مَرْضَاتِكَ ، وَأَسْكِنْهُ فِرْدَوْسَكَ ، وَأَدِمْ لَهُ الْعِزَّ النَّامِي ،
وَالْكَعْبَ الْعَالِي ، وَالْمَجْدَ التَّلِيدَ ، وَالْجَدَّ السَّعِيدَ ، وَالْحَقَّ الْمُرُوثَ ، وَالْخَيْرَ
الْمَبْثُوثَ ، وَالْوَلِيَّ الْمَنْصُورَ ، وَالشَّافِيَ الْمُبْتَوَّرَ ، وَالِدَعْوَةَ الشَّامِلَةَ ، وَالسَّجِيَّةَ
الْفَاضِلَةَ ، وَالسَّرْبَ الْمَحْرُوسَ ، وَالرَّبْعَ الْمَأْنُوسَ ، وَالْجَنَابَ الْخَصِيبَ ، وَالْعَدُوَّ
الْحَرِيبَ ^(١) ، وَالْمَنْهَلَ الْقَرِيبَ ، وَاجْعَلْ أَوْلِيَاءَهُ بِأَذْلِينَ لَطَاعَتِهِ ، نَاصِرِينَ لِأَعَزَّتِهِ
ذَابِّينَ عَنْ حُرْمَتِهِ ، مَرْفُوفِينَ عَلَى حَوَائِثِهِ ^(٢) .

أَيُّهَا الشَّمْسُ الْمَضِيئَةُ بِالْكَرَمِ ، وَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ بِالْجَمَالِ ، وَالنَّجْمُ الثَّاقِبُ
بِالْعِلْمِ ، وَالْكَوْكَبُ الْوَقَادُ بِالْجُودِ ، وَالْبَحْرُ الْفَيَاضُ بِالْمَوَاهِبِ ، قَدْ سَقَطَ
الْعِشَاءُ بِعَبْدِكَ عَلَى سَرَحِكَ فَاقْرِهِ مِنْ نِعْمَتِكَ بِمَا يُضَاهِي قَدْرَكَ ، وَزَوْجَ
هَيْئَتِهِ تَرَبُّهَا مِنَ الْغَنَى .

[لَوْمُ التَّوْحِيدِيِّ عَلَى مَدْحِهِ ابْنَ الْعَمِيدِ]

/ ثُمَّ يُقَالُ لِي مِنْ بَعْدِ : جَنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ حِينَ ذَكَرْتَ عَدُوَّهُ عِنْدَهُ بِخَيْرٍ ،
وَيَسَّنَّتْ عَنْهُ وَجَعَلْتَهُ سَيِّدَ النَّاسِ ، فَأَقُولُ : كَرِهْتَ أَنْ يَرَانِي مُنْدرِئاً عَلَى عَرْضِ
رَجُلٍ عَظِيمٍ الْخَطَرِ ، غَيْرِ مَكْتَرِثٍ لِلْقَعَةِ فِيهِ ، وَالْإِنْجَاءِ عَلَيْهِ وَقَدْ كَانَ يَجُوزُ أَنْ
أَشْعَثَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً ، وَأَبْرِيَ مِنْ أَثْلَتِهِ جَانِباً ، وَأَطِيرَ إِلَى جَنْبِهِ شِرَارَةً ،
فَيُقَالُ أَيْضاً : جَنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَتَرَكْتَ الْإِحْتِيَاظَ فِي أَمْرِكَ ، فَإِنَّهُ مَقْتَتَكَ

[٤٢أ]

(١) حرب : كَلَبَ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ .

(٢) الْحَوِيَاءُ : النَّفْسُ .

وعافك ، ورأى أنك في قولك عدوتَ طورك ، وجهلت قدرك ،
ونسيت وزنك ، وليس مثلك من هجم على ثلُب من بلغ رتبة ذلك الرجل ،
وأنت متى جسرت على هذا دربت (١) به ، وجعلت غيره في قرنه ، فإذا
كانت هذه الحالات ملتبسة ، وهذه العواقب مجهولة ، فهل يدور العمل بعدها
إلا على الإحسان الذي هو علّة المحبة ، والمحبة التي هي علّة الحمد ، والإساءة
التي هي علّة البغض ، والبغض الذي هو علّة الذم ؟ فهذا هذا .

[حسد الصاحب لأهل البيان]

وكان ابن عبّاد شديد الحسد لمن أحسن القول ، وأجاد اللفظ ، وكان
الصواب غالباً عليه ، وله رفقٌ في سرد حديث ، ونيقةٌ (٢) في رواية خبر ،
وله شمائل مخلوطة بالدّماء ، يبيّن الإشارة والعبارة ، وهذا شيء عام في البغداديين
وكلخاص في غيرهم .

[غيظ الصاحب من التوحيد]

حدثته ليلة بمحدث فلم يملك نفسه حتى ضحك واستعاده ، ثم قيل لي بعد :
انه كان يقول قاتل الله أبا حيان ! فانه نكدٌ ، وإنه وإنه ، وأكره أن أروي
ذمّي بقلمي ، وكان ذلك كله حسداً محضاً ، وغيظاً مجتأ .

[حديث أبي الحسن الجراحي]

وأروي لك الحديث فانه في نهاية الطيب ، وفيه فكاهة ظاهرة وعي

(١) دربت به : أولعت به .

(٢) النيقة : اسم من التنوق وهو التجويد في الملبس والمطعم وبقية الأمور .

عجيب ، في معرض بلاغة طريفة في ملبس فهاهة . حدثني القاضي أبو الحسن الجراحي قال : لحقتني مرة علّة صعبة ، فمن طريف ما مرّ على رأسي فيها أنه دخل عليّ في جملة من عادي شيخ الشونيزية (١) ، ودوّارة الحمار ، والتوتة ، وفقهها أبو الجعد الأنباري وكان من كبار أصحاب البرهاري (٢) فقال أول ما قعد: يقع لي فيما لا يقع إلا لغيري أو لمثلي فيمن كان كأنه مني ، أو كأنه كان عليّ سني ، أو كان معروفاً بما لا يُعرف به ، إلا أنني أنك لا تحتمي إلا حمية فوق ما يجب ، ودون ما لا يجب ، وبين فوق ما لا يجب ، وبين دون ما لا يجب فرق . الله يعلم أنه لا يعلمه أحدٌ ممن يعلم ، أو لا يعلم ، الطب كله أن يحتمي حمية بين حمتين ، حمية كلاحمية ، ولا حمية كحمية . وهذا هو الاعتدال ، والتعديل ، والتعادل والمعادلة . قال الله تعالى « وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا » (٣) وقال النبي ﷺ « خيرُ الأمور أوسطها ، وشرُّها أطرافها » والعلّة في الجملة والتفصيل إذا أقبلت لم تدبر ، وإذا أدبرت لم تقبل ، وأنت من إقبالها في خوف ، ومن إدبارها في التعجب .

وما تصنع بهذا كله ، لا تنظر إلى اضطراب الحمية عليك ، ولكن انظر إلى جهل هؤلاء الأطباء الألباء الذين يشققون الشعر شقّاً ، ويدقّون البعر دقّاً ، ويقولون ما يدرون وما لا يدرون زرقاً (٤) وحُمقاً ، وإلى قلة نصحتهم مع جهلهم ولو لم يجهلوا ، إذا لم ينصحوا كان أحسن عند الله والملائكة ، ولو نصحوا

(١) الشونيزية « مقبرة مشهورة ببغداد بها قبور جماعة من المشايخ رضي الله عنهم بالجانب الغربي » ابن خلكان ١١٧/١

(٢) البرهاري: هو أبو محمد الحسن بن علي الفقيه شيخ الحنابلة بالعراق توفي سنة ٣٢٩ هـ .
العبر : للذهبي ٢١٦/٢

(٣) سورة الفرقان .

(٤) في الأصل ذرقاً وهو تصحيف ، وزرّف في الكلام : زاد فيه وكذب .

إذا جهلوا كان أولى عند الناس وأشبه الناس ، والله المستعان .

أنت في عافية ، ولكنَّ عدوك ينظر اليك بعين الاست ، يقول : وجهه وجَّه من قد رجع من القبر بعد غدوٍ على حال ، فالرجوع من القبر خير من الرجوع إلى القبر ، لعن الله القبر ، لا يزال ولا خباز ولا دراز ولا تجواز (١) ، إنا لله وإنا إليه راجعون عن قريب إن شاء الله ، « وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت (٢) » « ولا يحقُّ المكثُّ السيِّء إلا بأهله (٣) » « وهو على جمعيهم إذا يشاء قدير (٤) » « ومن الجبال جدَّدٌ بيض وحمُر (٥) » . تأمر بشي السنة في العبادة خاصة عبادة الكبار والسادة التخفيف والتطفيف وقلة الكلام . إنا إن شاء الله عندك بالعشي ، والحق الحق ، وأقوم بما يجب على مثلك لمثلي ، وإن كان ليس لك شغل ، ولا لمثلي أيضاً مثل ، هكذا إلى باب الشام ، وإلى قنطرة الشوك ، وإلى المزرفة . أقول : لك المشوى ، أنا وانت اليوم كمثلي كمثرتين إذا عفنتا على رأس شجرة ، وكدلون إذا خلقتا على رأس بشر ، ودع ذا القارورة اليوم ، لا إله إلا الله ، وأمس كان سبحانه الله ، وغداً يكون شيئاً آخر ، وبعد غدٍ نرى من ربك العجب ، والموت والحياة بعون الله ، ليس هذا مما يباع في السوق ، أو يوجد مطروحاً على الطريق ، ولكن الانسان ولا قوة إلا بالله طريف أعشى كأنه ما صح له

(١) التجواز : برد موسى والجمع تجاوير .

(٢) سورة لقمان .

(٣) » فاطر .

(٤) » الشورى .

(٥) » فاطر .

منامٌ قط ، ولا خرج من السارية إلى الشطّ ، وكأنه ما رأى قدرة الله في
البط إذا لقط كيف يتقطّط .

والكلام في الانسان وعمى قلبه ، وسخنة عينه كثير ، لا يحمله تلّ
عقروق ، ولا يسلم في هذه الدار إلا من عصر نفسه عُصرة ينشق منها فيموت
كأنه شهيد وهذا صعبٌ لا يكون إلا بتوفيق الله وبعض خذلانه الغريب .
على الله توكلنا، واليه التفتنا ورضينا، وبه استخرنا وإن شاء خرتنا وإن شاء الله أطعمنا .
قال القاضي : فكدتُ أموت من الضحك على ضعفي ، وما زال كلامه لهوي
إلى أن خرجت إلى الناس ، وكان مع هذا لا يعنيا ولا يكلّ ولا يقف ، وكان
من عجائب الزمان .

[مسائل لغوية]

وقال لي ابن عبّاد : حدثني عن بعض لياليه ببغداد ، يعني ذا الكفّيتين ،
وعن مذاكرة الجماعة عنده ، ومشاركته لها . قلت : نعم ، حضرت ليلةً
في شهر رمضان سنة أربع وستين وثلاثمائة فسأل عن الغنى أيُقصر أم يُمدّ؟
قال ابن فارس : الغنى مقصور وهو اليسار والترّفه . والغناء بالمد ما يُسمَعُ
على الطريق المعروفة ، إلا أن الفرّاء قد حكى أن المدّ في هذا المقصور ،
وهو حجةٌ ولا سبيل إلى ردّ قوله . فقال أبو الفتح : هكذا هو ، وما أصحّ
حكايك ، ولكن قلبي لا يطمئن إلى مدّ هذا الاسم ، لأنه لم يأت في كلامهم
مدوداً ، فقال ابن فارس قد أنشد الفرّاء قول الشاعر :

سَيُغْنِيَنِي الَّذِي أَغْنَاكَ عَنِّي

فَلا فَقْرٌ يَدُومُ وَلَا غِنَاءُ

فقلت : عندي في هذا شيء وما دَخَرْتُهُ إِلَّا لِمِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ ، وقد
حَانَ وَقْتُهِ . فقال : هَاتِ ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، إِنَّهُ لِحَبَابٌ بِالْفَائِئِدَةِ مَا عَلِمْتَ . قلت :
الشعر على غير هذا الوجه ، والبيت الذي يتلوه يشهد له وهو :

سَيُغْنِيَنِى الَّذِى أَغْنَاكَ عَنِّى
فَلَا فَقْرِىْ يَدُومُ وَلَا غِنَاكَ
تَجَنَّبْتَ الذُّنُوبَ لِتَصْرِمَنِى
دَعِى الْعَلَاتِ وَاتَّبِعِى هَوَاكَ

فقال لي : أَحْسَنْتَ وَأَجَدْتَ ! مَنْ أَنْشَدَكَ هَذَا ؟ قلت : أَبُو اللَّيْلِ الْعَلَوِى
بِالْمَدِينَةِ فِي مَجْلِسِ أَمِيرِهَا أَبِي أَحْمَدَ الْعَلَوِى الْعَقِيقِ . قَالَ فَحَدَّثَنَا عَنْ أَبِي اللَّيْلِ هَذَا
وَعَنْ غَيْرِهِ بِشَيْءٍ . قلت : سَمِعْتُ شَيْخًا عَنْهُ مِنْ بَنِي حَرْبٍ قَدْ أَنْشَدَ أَيْبَاتًا لَمْ أَعْلَقْ
مِنْهَا إِلَّا بَيْتًا وَاحِدًا وَهُوَ :

فَتَى خُلِقَتْ أَرْوَاحُهُ مُسْتَقِيمَةً
لَهُ نَفَحَاتٌ رِيحُهُنَّ جَنُوبُ

وَكَانَ مَعْنَا إِذْ ذَاكَ أَبُو صَالِحِ الرَّازِىِّ الصُّوفِى ، وَكَانَ مَفُوءَهَا ، جَدِلاً
فَقَالَ لَهُ : مَاذَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ : أَرْوَاحُهُ مُسْتَقِيمَةٌ ؟ قَالَ : أَرَادَ / أَنْ أَخْلَاقَهُ
لَا تَحُولَ عَنِ الْخَيْرِ ، وَعَادَتُهُ لَا تَزِيغُ إِلَى الْقَبِيحِ ، وَأَنَّهُ عَلَى دَيْدَنِهِ فِي الْكَرَمِ ،
وَخَصَّ الْجَنُوبَ لِاسْتِدْرَارِهَا السَّحَابَ ، وَجَعَلَ نَفَحَاتِهَا مَنَافِعَ لِهَذَا الَّذِى مُدَّحٍ بِهِ .
فَقَالَ : زِدْنَا مِنْ حَدِيثِ هَؤُلَاءِ الْمَدِينِيِّينَ ، قلت : وَسَمِعْتُهُ - أَغْنَى الْحَرْبِ -
يَقُولُ لِلْأَمِيرِ أَبِي أَحْمَدَ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ !

مثالب (٢٢)

لِني بوليّة^(١) 'تمرع جنابي فإنني

لما نلت من وسمي نَعْمَاك شاكرُ

قلتُ : أعد عليّ بنسخ قافيتك . قال : أما ثقفته ؟ قلتُ : ما أدري ما تقول .

قال : لعلك من هذه الفرقة الطافية . قلت : لعلّه .

وسمعت هذا الحربي يقول ، وكان يُكنى أبا الخصيب ، لسيد حيّه ، وهما بالعقيق

على ضفة الوادي وقد مدّ^(٢) وهما ينطقان بما أحصل ولا أحصل حتى قال

أبو الخصيب لصاحبه : يا هذا ! اسل عن طارفك وتالدك تسد بين صاحبك

ووافدك ، أما سمعت في هذه القوافي الأول :

ولو كنت تُعطي حين تسأل سامحت

لك النفس واحلولاك كل خليل

فرددت القافية وقلت : واستحلاك كل خليل ، فقال لي منكراً : ما هكذا

لغتي . فقال ذو الكفایتين : كيف كان إدراكهم لا يقع بالإعراب ؟ قلت :

سألت أبا الخصيب : هل أقول : إن قربي جعفرأ ؟ قال : نعم ، فما تبغي ؟ قلت :

أفأقول : إن بعدي جعفرأ ؟ قال : لا ، فما تبغي ؟ قلت : فما الذي يمنع من جوازهما ؟

قال : بينهما مُسَيِّفة لا تُسلك ، ورَمِيْلَة لا تُعلّى ، وما أعلم الغيب ، وإني على

بيّنةٍ مما قلت ، وعلى ريب مما سألت . فسمع ابن عبّاد هذا كله على تغيط

ما قصدت إثارته عليه ، ولا علمت أن لي متقصّي^(٣) من نبلي منه ، وكان ذلك

كله سبب الحرمان .

[رسالة ابن طرخان الى ابن العميد]

ولقد ظهر لذي الكفایتين بمدينة السلام فضل كبير على أنه لم يشخص ولا

(١) أي أمطرتني معروفاً بعد معروف . والولي: المطر يسقط بعد المطر، أو المطر بعد الوسمي .

(٢) مد : أي سال . (٣) المتقصي : مبلغ الغاية .

مَعْتُوباً عَلَيْهِ ، ولقد كتب اليه ابن طرخان (١) الوراق رسالة طويلة أطلعني على فصل منها يقول فيه : وإنك أيها السيد المهام ، دخلت هذا البلد إما غرّاً بما تُري وتُرى ، وإما على أن تبين فضلك لأهله ، وإما لأن تستفيد منهم ما ليس عندك ، فإن كان دخولك على غرارة فما هذا بمشاكل لمرتبك في هذه الدولة التي غرّتها بخلوة بيدك ، وجمعتها (٢) مفروقة بمدرى (٣) تدبيرك ، وأذاها بمماط بذبك ، ودواؤها مأمون بطبك ، وعدوها مكبوت بصولتك ودولتك ، ووليها قرير العين بحسن إياالك (٤) وكفالتك ، وأما أن تبين فضلك فاعلم أنهم لا يعترفون بفضلك إلا موصولاً بأفضالك ، ولا يسمون لك مرادك فيهم إلا بأن يدركوا أملهم منك ، كان ذلك طوعاً أو كرهاً ، سلماً أو حرباً . وأما لأن تستفيد منهم ما ليس عندك ، فهذا لا يكون مع إذالة (٥) القاصدين ، والاحتجاب عن الطامعين ، والتكبر على الحاضرين ، ولو حسن التكبر بأحد لحسن بك لأبوتك الشريفة ، ولغرتك الصبيحة ، ولكفايتك الظاهرة ، ولفضائك الكبيرة ، ولكن زراية التكبر على صاحبه أطرّد لحاسنه من تداركه بتكبره من غيره ما يزيد تجلده ، والناس لا يرضون إلا بالغاية ، والغاية أن يظلم الرئيس نفسه تكراً على زائره ، وتجرع الغيظ من كل من قرع بابه ، ولمس ركابه . وأنا - أعلى الله كعبك - أحصي أشياء جعلها أصحابنا جوالب للعتب عليك ، والكلام من ورائك ، وليس لي فيما أقول إلا الفوز بجمال النصيح ، وإلا

(١) أبو الحسن علي بن حسن يقول عنه ابن النديم « حسن المذهب في الغناء وله بضاعة في

الأدب » الفهرست ٢٢٢

(٢) الجملة : مجتمع شعر الرأس .

(٣) المدرى : المشط .

(٤) الإيالة : السياسة .

(٥) أذاله : أهانه .

الليد بالتنبية على الكرم ، وإلا إشار سلامة عرضك على قوم همهم المحك في كل حال ، وإلا التعرض لذكرك لهم بالجميل بعد الرحيل من هذه الرباع . فمن تلك الأشياء سهوك الذي وقع قد أكد عليك في قبول من تقبل ، وإيصال من توصل ، وإبعاد من تبعد ، وتفضيل من تفضل بقول من حولك ، وحكم من أطاف بك استرسالاً مع الأنس بهم ، وثقة بما سلف لهم . وذهب عليك - أكرمك الله - أن هؤلاء الذين تنظر بأعينهم ، وتقبل وترد بأهوائهم ماخلوا من حسدٍ / لمن يخفُّ على قلبك ، ويحلى بعينك ، ويلتاطُ بنفسك^(١) ، والعامّة تقول : القاصُّ لا يحبُّ القاصَّ ، ولو كان قلبك لكل من اسمه عندك لصيته البعيد ، وسؤالك لمن لا شهرة له قلبك بحسن التآتي في التقريب ، لكان حدُّك حينئذ مقبولاً بما يظهر لك من الزيادة والنقص ، وكانت الحجة تقوم بينك وبين من قد ضرّى على مالك ، أو وضع في نفسه أن ينال مراده منك بالخدع . على أن التغافل في هذا الباب أدلُّ على الكرم ، كما أن الاستقصاء فيه أجلبُ للنكد ، فهذا هذا .

[٤٣أ]

وشيء آخر ، وهو أصعبُ مما تقدّم ، وذلك أن حجابك قد بدّد شمل الزوّار عنك ، وقسم ظنونهم بك ، وطرح في قلوبهم اليأس منك ، ولست بأهل لذلك منهم ، كما أنهم ليسوا بأهل لشدة الحجاب منك ، وقلّة رافعي أخبارهم اليك . وشيء آخر ، وهو أصعبُ مما تقدّم ، والسهو فيه لاحقٌ بالظلم . لم يجبُ - أدام الله دولتك - أن لا يصل برُّك إلا إلى الفاضل ، وإلا إلى الكامل ، وإلا إلى الذي هو في الشعر مُفلق ، وفي الكتابة بارع ، وفي الفلسفة غاية ، وفي الكلام نهاية ، وفي الفقه آية ، وفي النحو مذكور ، وفي الطب مشهور . وهذا ظلم لأن الله تعالى جعل لكل شيء قدراً ، وأظهر له خطراً ، وكلُّ متاع وثمنه ، وكلُّ بدنٍ وسمّنه ، والمتناهي كان في

(١) التاط بنفسك : لصق بنفسك وأحببته .

الأول مبتدئاً، ثم في الثاني متوسطاً، ثم في الثالث الذي لا رابع له ، وقاصدوك
بفضائلهم كالعارفين عليك بامتعتهم ، وأنت تشترى كل متاع بقيمته ،
وتعدله ببذله ، فهكذا ينبغي أن تفعل بأبناء الأمل ، وأصحاب العمل ،
فليس يجمُلُ أن يحظى بصلتك وبرِّك وجائزتك ونظرك أبو سعيد السيرافي،
وأبو سليمان السجستاني ، وعلي بن عيسى الرماني ، وأصحاب القلائس ،
ويُحَرِّمَ بعض ذلك فلان وفلان ، ممن ليس لهم سَمْعٌ ^(١) هؤلاء ولا حالهم ،
على أنك قادرٌ على إلحاق الصغار بالكبار بالاصطناع والتفضل ، فان الرجال
هكذا يتلاحقون ، وفي حلبة الرؤساء يتسابقون ، فكُن سبباً للساكنات
حتى ينطق ، وعلة للساكن حتى يتحرَّك ، وباباً للنائم حتى يستيقظ ،
وطريقاً للخامل حتى ينتبه ، وجداً سعيداً للميت حتى يحيا . فأما من عدا
هذه الطبقة فقد سلف له بغيرك ما هو له أشكر ، وبه أبصر ، وله أنصر ،
على أنك إذا عممت الجميع بالخير كنت أشدَّ اقتداءً بالله ، وأجَنَحَهُمْ إلى
هُدى أولياء الله ، وآخذهم بعادة خلفاء الله .

وشيء آخر ترجحت بفكري في طيِّه ونشره ، فرأيت طيِّه خَمْشاً
لوجه النصيحة ، وذكره بالإطالة فتحاً لباب النصيحة ، فذكرته مختصراً ،
فقد يُفْهَمُ من الكلام القصير المعنى ، العريض الطويل ، وهو حديث
المائدة والطبق ، وما يحصر الأكل ويُجمع عليه الرفيع والوضيع والنزّه
والجشع ، فجدد الاهتمام بذلك فان القالة فيه طائفة ، والحال فيه دائرة ،
والحاجة إلى التحزُّم فيه ماسّة ، والتغافل عنه مجلبة للذم . وقد رأينا

(١) السمع : الذكر الجميل وحسن السمعة .

قوماً كراماً تهاونوا في هذا الباب ، إما رفماً لأنفسهم عنه ، وإما شغلاً
بمهماتٍ آخرٍ دونه ، فأكلتهم الألسنة ، وأعلقتهم الملامة ، وأحوجتهم إلى
الاعتذار الطويل بالاحتجاج الكثير . والكرم والمجد لا يثبتان بالدعوى ،
ولا يسلّمان بالحجة ، ولكن يشيعان بالفعل الذي نطقه كالوحي في
الحال التي تنتصب للعين ، ولا يؤنفن من ضعة الأكلة ، فان لؤم
الأكلة دليلٌ ناصعٌ على كرم المُطعم ، وهذا بابٌ يزلّ فيه الرئيس ،
ويُظلم فيه الخدم ، فان الرئيس لا يقدر على أن يتولى كلَّ ذلك بنفسه ،
ويراعيه بلحظه ولفظه ، إلا أنه متى أحكم الأساس فقد أمن البأس ، وأرضى
جمهور الناس .

وشيء آخر لا بدّ من الإفاضة فيه على وجه الذكرى ، أن لقاءك
الناس بالبشر بأسرهم لك ويرضيهم عنك ، فتكلف ذلك إن لم يكن التهلّل
سجّيةً ، وبالمزاج المُستعد ، / وما أكثرَ ما يلحق المتخلق بذى الخلق . [٤٣ب]
وبعدُ فبين عبوس وجهك ، وقد ظهرت للناس لتركب ، وبين عبوسه
وقد رجعت إلى دارك لتنزل فرقاً ، أعني أنك ربما عذرت في العبوس
في الثاني لأن النهار قد نصّف ، ولأنك قد تجشّمت إلى ذلك
الوقت مصاعب الدولة بالأمر والنهي ، والقبض والبسط ، ولست
تعذرُ في غرة نهارك ، وأنت جامٌ (١) ومتوجّهٌ ومنتصبٌ للتدبير
في الأمور .

وشيء آخر قد يسبق إلى عينك إزدراء من عليه مرقعةٌ ، أو عليه

بِذَاذَةٍ^(١) وقد اعتراه عيٌّ إما للهيبة ، وإما لسوء العادة . فلا تصدِّق العين ،
فإنها تكذب أحياناً ، واعمل على أنك تعتقده بفضلك ، فإن كان من أهل
الفضل فهو شقيقك بالطبيعة ، وإن كان من أهل النقص فهو مستحق منك
الرحمة ، والإحسان إلى مثله شكرٌ منك لله على ما خصَّك به من دونه .

[رسالة أخرى ، لابن طرخان]

هذا ما حصل لي من ذلك الفصل ، ثم إنني سنة سبعين وجدت هذه الرسالة
في مسوِّدة ابن طرخان فيما يباع من ميراثه فكان في أولها :

السعادة أيها الأستاذ الجليل ضَرْبان ، والسعيد رجلان ، وإحدى السعادتين
للدنيا ، والثانية للآخرة ، وأحد السعידين من هو سعيدٌ في هذا المكان ،
والثاني هو السعيد في مكان آخر ، ومن كمال فضيلة أحد السعידين أن يُعاش
الناس بالمعروف ، ومن تمام إحدى السعادتين أن تتصل بالآخرى . ولما رأيتك
أيها الأستاذ سعيداً في هذه العاجلة بالمال والولاية والعز والمرتبة ، آثرت أن
تكون سعيداً في تلك الآجلة بالإحسان والمعروف ، والبرِّ والمكرمة ،
فكتبت حروفاً قصدت بها إذكارك لا تعليمك ، لأنك تجلُّ عن التعليم لما
أوجب الله لك علينا من التعظيم ، وإنما ساغ الازدكار وحسن التنبيه لأشغال قد
اكتفتك من تهذيب الدولة ، وأعباء قد تحملتها في حماية البيضة ، وأمورٍ أنت
وليها في بث المعدلة في الرعيَّة ، وإقامتها على سواء المحجَّة ، ولو سكت عن
هذا كله لأمكن ، وكان لا يتشعَّت لك حال قد قولى الله صلاحها ، ولا
ينآد^(٢) عليك مستقيم قد أذن الله بدوامه ، ولكن كنت أحرم القوي اليك ،

(١) البذاذة : الهيئة الرثة .

(٢) ينآد : من أود ، أي انحنى وانعطف .

ويُفوتُ النظرُ إلى مثلي ، ومحرومي الذعُ لقلبي من فائتك ، لأنك سيّدُ وأنا عبد ، وأنت رئيس وأنا مرؤوس ، فنعمتُ دالاً على نفسي بما قدمته من نفسي ، فإن كنتُ لم أخرج من حد الأدب المرضي ، وعادة أهل الحكمة العالية ، فما أولاك بعرفان ذلك لي ، وإن كنت قد خرجت عن ذلك بعُجبٍ حالٍ بيني وبين صوابي ، وخطأ قعد بي عن مرتبة أصحابي ، فما أولاك بستر ذلك علي ، وما بسط الله باعك ، وما وسّع ذرعك إلا ليقينك خطأ غيرك بشكل صوابك ، وإلا ليغمد إساءتهم بإحسانك ، وإلا ليغلب الظن في الجميل ، ولا يغلب الظن فيما خالف ذلك . وأنت كالسماء ذات الآفاق المسارحة ، والكواكب المزدهرة ، والحركات اللطيفة والآثار الشريفة ، والأسرار المكنونة والعجائب المثيرة ، والغرائب المشهورة ، فلكل ناظر اليك تعجب ، ولكل عين نحوك تقلب ، ولكل عقل عنك بحث ، ولكل قلب فيك أمل ، ولكل أمل عندك رجاء ، ولكل عمل عندك جزاء ، وأنا أسأل الله الذي رفعك إلى هذه الذروة والقلّة إلا يحطك إلى شيء من الذلة والقلّة .

هذا ما صحّ لي بالاستخراج من مسوّدته أتيت به على ما ترى .

[قصيدة النمري في مدح ابن العميد]

وأروي لك ها هنا قصيدة أبي عبد الله النمري ^(١) يمدح بها أبا الفتح، وكان يُعجب بها ويحفظها وينشدها ، ومرادي بذلك تكثير الفائدة ، وتحليل الحديث بجمع مرة ، وبنفع مرة ، وهي :

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن علي النمري ، انظر يتيمة الدهر ٣٥٨/٢ تحقيق محيي الدين

عبد الحميد ، ط التجارية .

سرتِ النجائبُ بالنجائبِ ترمي الكواكب بالكواكب
ترمي 'تجاهات المشا رق من 'تجاهات المغارب
قصداً إلى ملك تحككم في رغائبه الغرائب^(١)
ملك تبوأ من خـزـيـة في النواصي والدوائب^(٢)
حيث السوابق والسوا ابغ' والنجائب والجنائب^(٣)
[يهب المنعمة الكوا عب والمطهمة السلاهب^(٤)]
في سورة الجحد التليـد وسورة القلب الغوارب
يابن العميد عميد دوة لته الموطدة المراتب
الأملي اللذ تحـدته الشواهد بالغرائب
زرناك من أرض البصيص رة شاحبين على شواحب
نرد المناهل كالجـا هل والسباسب كالسكاسب^(٥)
نطوي الجبال إلى جبال العلم والحلم المغالب
الآن قد قرأ القرا ر بنا وأطلبت المطالب
[لا ريّ دون الري والبحر الغطامط ذي الغوارب
بحر جواهره طوا ف في سواحه رواسب^(٦)]

(١) اليتيمة : « رغباً ... الرغائب » .

(٢) » : « ... من علاه ... »

(٣) » : « حيث السوابغ والسوابق ... » .

(٤) زيادة في اليتيمة .

(٥) اليتيمة : « السبائب » .

(٦) زيادة في اليتيمة .

[٤٤أ]

/ لا دونها لجج الكوا
 يرمي بنا تيارها
 والبحر لا تندى به
 لما نهضت إلى الرجا
 وتناثرت عبراتهم
 ندى يدي وحلتي
 فجعلته مالا وقل
 ولئن تلافيتي يد ال
 وأمت في الظل الظلي
 ليشرقن أجبي
 ويحلمين لآلئاً
 ولأقضى من العشي
 حتى يقال أعاده ال
 كم من طباء بالبصية
 إنس ووحش يشتهر
 أدم يقاسم الأرا
 فلأنسها [أغصانه
 ولوحشها (٢)] غض الجنى
 نصطاد وحشياتها
 رب لا ولا حجج الكواذب (١)
 قبل الأبعد والأقرب
 إلا السواحل والجوانب
 وحننت البيض الكواعب
 ن علي كالدر النقائب
 دمع الأجمة والجباب
 ت ندى الدموع بذى المواهب
 أستاذ من أيدي النوائب
 لم ولم تسعيني السواغب
 بمواهي شتى المذاهب
 أضعاف أدمعها السواكب
 رة كل حق حق واجب
 أستاذ مكربة الضرائب
 رة في المقاصر والسباسب
 ن سوى الذوائب والحقائب
 ك جناه والقضب الرطائب
 تجلو به بُرد السحاب
 عبث المغازل (٣) والملاعب
 وتصيدنا الأنس الخراعب

(١) اليتيمة : « ... دونها اللجج ... ولا اللجج الكواذب » .

(٢) زيادة في اليتيمة .

(٣) اليتيمة : « ... عبث المغازل ... » .

يَارُبُّ يَوْمٍ لِي كَظْلِكَ	لِيكَ أَوْ كَظْلِكَ أَوْ يَقَارِبُ
رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَغَضَتْ	ضَمَّتْ عَيْنُ وَاشِيهِ الْمُرَاقِبِ
قَصُرَتْ لَنَا أَطْرَافُهَا	قَصَرَ الْقِنَاعُ عَنِ الذَّوَابِ
وَتَبَرَّجَتْ لَذَاتِهِ	لِلخَاطِبِينَ وَاللَّخَوَاطِبِ
نَزَلَتْ بِهِ حَاجَاتُنَا	بَيْنَ الْمَحَاجِرِ وَالْحَوَاجِبِ
يَا لَيْتَ سَعْدًا مِنْ سَعْوِ	دَيْكَ رَدِّ أَيَّامِي الذَّوَاهِبِ
مَلِكٍ يَضِيءُ بِوَجْهِهِ	وَتَرَى بِهِ الظُّلُمَ الْغِيَاثِ
لَوْ سَامَهُ أَعْدَاؤُهُ	مَا يَرِيهِمْ وَالْيَوْمَ عَاصِبِ
وَهَبِ الذَّوَابِلَ لِلْمُطَا	عَنِ الْقَوَاضِبِ لِلْمُضَارِبِ
وَمِنْ السَّخَاءِ مَذَاهِبُ	يُعَدِّدْنَ فِي جَمَلِ الْعَجَائِبِ
لَمَّا رَأَى الطَّالِعُ الـ	مَأْمُونُ مَأْمُونِ الْمَعَايِبِ
وَيَرَاهُ رُكْنَ الدَّوْلَةِ الـ	غُرَاءِ رُكْنًا ذَا مَنَاكِبِ
وَمُظَفَّرِ الْأَقْلَامِ وَالـ	أَعْلَامِ مَيْمُونِ النِّقَاطِ
كَأَيِّهِ خَيْرُ أَبٍ وَأُنْجِبِهِ	إِذَا عُدَّ الْمُنَاجِبِ
رَدَّ الْأُمُورَ إِلَيْهِ رَدُّ	دَ مَفُوضِينَ عَلَى التَّجَارِبِ
حَتَّى إِذَا انْتَضَمَتْ لَهُ	بِثَقُوبِ آرَاءِ ثَوَاقِبِ
وَكَفَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ	عُرَى الْكِتَابَةِ وَالْكِتَائِبِ
بِكَفَايَتَيْنِ أَقَامَتَا	أَوَدَ الْمُسَالِمِ وَالْمُحَارِبِ
اشْتَقَّ مِنْ أَعْمَالِهِ	لِقَبًا لَهُ بِكَرِ الْمُنَاقِبِ
مِثْلَ الْفَرِيدِ عَلَى الْقَوَا	ضِبِ وَالْفَرِيدِ عَلَى التَّرَائِبِ
لِلَّهِ تَوْفِيقُ الْإِمَامِ	مِ الْعَدْلِ فِي الْقَبِّ الْمُنَاسِبِ
يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْجِيَا	دَ وَقَادَهَا قَبًّا شَوَازِبِ

أَغْنَيْتَنِي كُلَّ الْغَنَى	وَكَسَبْتَنِي أَسْنَى الْمَكَايِبِ
شَرَفًا تَلْقَبُهُ الْعَدَا	سِرْفًا فَيَالِكَ مِنْ مُعَايِبِ
وَكَسَوْتَنِي حُلَلًا صَقَلْ	نَ خَوَاطِرِي صَقَلْ الْقَوَاضِبِ
حُلَلًا كَدِيحًا جِ الْخَدَوِ	دِ مَطَرُ زَاتٍ بِالشَّوَارِبِ
فَلْتَشْكُرْنِ رِيَاضُنَا	جَدْوَى سَحَابُكَ الصَّوَابِ
وَلِنَنْظُمَنَّ لَكَ الْقَصَا	ئِدْ كَالْقَلَانِدِ لِلْكَوَاعِبِ

[أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّمْرِي]

وَالنَّمْرِي هَذَا مَلِيحُ الشَّعْرِ وَالْأَدَبِ وَالْخَلْقِ ، وَلَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى ذِي
الْكَفَايَتَيْنِ مِنَ الْبَصَرَةِ وَصَفَ بَعْضَ مَا عَنَاهُ فَقَالَ :

لَمَّا رَأَيْتُ كَرَمَهُمْ أَطْمَأً (١)
وَشَجَرَ الْبَلُوطِ خَضِرًا عَمًّا
وَفَتِيَّةً عَنِ الْفَصِيحِ صُمًّا
ذَكَرْتُ بِالْبَصَرَةِ نَخْلًا جَمًّا
وَفَتِيَّةً بِيضَ الْوَجْهِ شَمًّا
نَادَيْتُ يَا لَلْهِمَّ فَرَجَ غَمًّا
مَا أَسْرَعَ الشَّيْءُ إِذَا مَا حُمًّا

(١) فِي الْأَصْلِ : كَرَامِ الْأَصْمَا ، وَأَطْمَ : عَلَا وَغَلَبَ .

[حديث عن ابن العميد]

فأما الجملة التي تمت في أمر أبي الفتح ذي الكفایتين فقد كنت في أول الكتاب قد وعدت بروايتها ، وهذا موضعها على ما سنح الرأي فيه ، ولعلها تفيد ، وإن لم يكن من خاص ما في هذه الجملة لأن هذه الرسالة قد صارت كتاب خرافة.

[استطراد الى الكلام عن الوزيرين]

وذاك أن القصد الأول لم ينحرف إلى هذه الفنون والشعب ، ولكن الحديث ذو شجون ، وله نزوة من القلب على اللسان ، وديب على اللسان من القلب ، والاحتراس منه يقل ، والغلط فيه يعرض ، وحفظ الكلام على سننه من الكلف الشاقة ، والأمور الصعبة ، واللسان فيه أكثر انصافاً من القلم ، واللفظ أعدل من الخط ، وبعد وقبل فالكلام في نشر العيب ، وكشف القناع ، وتدليس العرض ، وهجو الإنسان ، ووصفه بالخباثت أكثر استمراراً ، والمتكلم فيه أظهر نشاطاً ، وأمرناً عادةً ، وأوقد هاجساً ، وأحضر عاطساً ، وهذا لأن الشر طباع ، والخير تكلف ، والطينة أغلب .

وقد قال بعض فتيان خراسان : الإحسان من الإنسان ذلة ، والرحمة من القادر أعجوبة ، والظلم من المذل مألوف . وقد قيل لبعض من انتجع مأمولاً ، وأدرك حاجته منه ، كيف انقلبت عن فلان ؟ فقال : منعي لذّة هجائه ، وأكرهني على حسن الثناء عليه ، والقلوب مجبولة على حُب

الإحسان، والألسنة تابعة للقلوب كما أن العيون ناطقة عن الضمائر ولهذا قال الشاعر :

تحدثني العينان ما القلب 'كاتم'

ولا جنّ بالبغضاء والنظر الشّرّ

أي لا حائل ولا ستر ، واللحظ رائد ، والقلب شاهد ، والرائد لا يكذب أهله ، والشاهد لا يكذب نفسه . وقلت لأبي سليمان شيخنا ببغداد، وكان يتهدى كلامه وينساح على ما يسمع منه: لم صار السبّ والهجاء وذكر كل عورة وفحشاء أخفّ على من حُرّم مأموله ، ومنع ملتصقه من الوصف الحسن ، والثناء الجميل ، والمدح الأغرّ المحجّل ، والتقريض البليغ المتقبل / [٤٤ب] على من صدقه ظنه، وتحقيق رجائه ، وحضرته أمنيته ، فقال : لأن الذي يمدح لعلم من نفسه عندها كالعتيد ، والذي يثلب يأخذ لنفسه ما ليس عندها كالمستقبل فالفصل بينهما كالفصل ما بين الغارم ما يملكه ، وبين الغانم ما يطلبه ، وهذا كما قال ، وهو راجع إلى شفاء النفس ، وبرد الغليل ، وإلى بلوغ الغاية ، والاستيلاء على النهاية ، ولولا أن هذين الرجلين - أعني ابن عبّاد وابن العميد - كانا كبيريّ زمانهما ، وإليهما انتهت الأمور ، وعليهما طلعت شمس الفضل ، وبهما ازدانت الدنيا ، وكانا بحيث ينتشر الحسن منها نشرًا ، ويؤثر القبح عنها أثرًا ، لكنت لا اتسكع في حديثهما هذا التسكّع ، ولا أنحي عليها بهذا الحد ، ولكنّ النقص ممن يدّعي الكمال أشنع ، والحرمان من السيد المأمول فاقرة ، والبخل ممن يتبرأ منه بدعواه عجيب (١) . ولو أردت مع هذا كله أن تجد لهما ثالثاً من جميع من كتب للجبل والديلم إلى وقتك هذا المؤرخ في الكتاب لم تجد .

(١) في يا قوت ٢٣٢/٦ بزيادة: والجهل من العالم منكر والكبرة ممن يدعي العصمة جائحة.

[عودة الى الحديث عن ابن العميد]

كان من الحديث الذي زللنا عنه قليلاً الى هذا الموضع ، أن ركن الدولة لما مات في أول سنة ست وستين وثلاثمائة اجتمع أبو الفتح ذو الكفائتين وعلي بن كآمة (١) وتعاهدا وتعاقدا وتوافقا وتحالفا وبذل كل واحد منهما لصاحبه الاخلاص من المودة في السر والجهر ، والذب في الظاهر والباطن ، والتوقير عند الصغير والكبير ، واجتهدا في الأيمان الغامسة (٢) ، والعقود المؤرّبة (٣) ، والاسباب المغارة القتل ، ودبراً أمر الجيش ، ووعدا الأولياء ، وردّ النافر ، وركنا الحافظ الحاضر ، وعانقا الخطب العاقر ، واستبر (٤) جل ذلك أبو الفتح خاصة بمجدّ من نفسه ، وصريّة من رأيه ، وجودة فكره ، وصحة نيته ، وتوفيق ربّه . فلما ورد مؤيد الدولة الريّ من أصبهان ، وعان (٥) الأمر متّسقاً ، ولحق كل فتح مرتقاً بما تقدم الحزم به ، ونفذ الرأي فيه (٦) أنكر الزيادة الموجبة للجند ، وكرها ودمدم (٧) بها فقال له أبو الفتح : بها نظمت لك الملك ، وحفظت الدولة ، وصنت الحريم ، وإن خالفت هذه الزيادة هواك أسقطت باليد الطولى (٨).

(١) في ياقوت : أحد أمراء الديلم والأعيان .

(٢) الأيمان الغامسة والغموس التي تغمس صاحبها في الإثم والنار .

(٣) في ياقوت : الموثقة والأرربة ، العقدة التي لا تنحل حتى تمحل .

(٤) استبر الشيء : اختبره وجربه .

(٥) في ياقوت : صادف ..

(٦) في ياقوت : ونفذ من الرأي الصائب عنده .

(٧) في ياقوت : بذكرها .

(٨) في ياقوت : فأسقطها فاليد الطولى لك .

[بداية الصاحب في أمور الدولة]

وكان ابن عبّاد قد ورد ، وحطبه رطب ، وتنوره بارد ، وزرقه (١) غير نافذ ، هذا في الظاهر فأما في الباطن فكان يخلو بصاحبه ويوثبه على أبي الفتح بما يجد إليه السبيل من الطعن والقندح ، فأحسّ بذلك كله ابن العميد فألب الأولياء على ابن عبّاد (٢) ، وهم بقتله ، وقال للأمير : ليس من حق كفايتي في الدولة وقد انتكث حبلها ، وقويت أطماع المفسدين فيها أن أسام الخسف ، والأحرار [لا] يصبرون على نظرات الذلّ وغمزات الهوان ، فقال له في الجواب : كلامك مسموع ، ورضاك متبوع ، فما الذي يُبرّد فورتك منه ؟ قال : ينصرف إلى أصفهان موفوراً ، فوالله لئن أنصفته في مطالبته برفع حساب ما نظر فيه ليعرقنّ جبينه ، وليغدقنّ حنينه ، ولئن أحسّ الأولياء الذين اصطنعهم بإلي وإفضالي ، بكلامه في أمري ، وسعيه في فساد حالي ليكوننّ هلاكه على أيديهم أسرع من البرق إذا خطف ، ومن المزن إذا نطّف ، فقال له : لا مخالف لرأيك ، والنظر لك ، والزمام بيدك .

[تلتطف الصاحب]

وتلتطف ابن عبّاد في عرض ذلك لأبي الفتح وقال : أنا أنظلم منك اليك ،

(١) الزرق : الطعن مصدر زرق .

(٢) في ياقوت بزيادة : « حتى كثر الشغب ، وعظم الخطب » .

وأتحمل بك عليك ، وهذا الاستيحاش العارض سهل الزوال إذا تألفت الشارحة
من حلمك علي بشائع كرمك .

ولتي ديوان الانشاء ، واستخدمني فيه ، وربطني بين يديك ،
وأحضرني بين أمرك ونهيك ، وسميتي برضاك فاني صنيعة والدك ، والجدة
بهذا صنيعة لك ، وليس بجميل أن تكر على ما بنى ذلك الرئيس فهوره
وتنقضه ، ومتى أجبتني إلى ذلك ، وأمتني أكون خادماً بحضرتك ،
وكاتباً يطلب الزلفة عندك ، في صغير أمرك وكبيره ، وفي هذا إطفاء
الثائرة التي قد تأرثت بسوء ظنك ، وتصديقك أعدائي علي . فقال في
الجواب : والله لا تجاورني في بلد السرير ، وبحضرة التدبير ، وخلوة
الأمير ، ولا يكون لك إذن علي ، ولا عين عندي ، وليس
لك مني رضا إلا بالعود إلى مكانك ، والسألو عما تحدث
به نفسك .

[فرار الصاحب]

فخرج ابن عباد من الري على صورة قبيحة ، خرج متكرراً بالليل ،
وذاك أنه خاف الفتك والغيلة ، وبلغ أصفهان ، والقي عصاه بها ، ونفسه
تغلي ، وصدره يفور ، والخوف شامل ، والوسواس غالب ، وهم
أبو الفتح بانفاز من يطلبه ويؤذيه ، ويهينه ويعسف به ، فأحسن
هو بالأمر .

فحدثني ابن المنجم قال : وعمل على ركوب المفازة إلى نيسابور لما
ضاق عطشه ، واختلف على نفسه ظنه .

[ثورة خراسان]

[٤٥]

وإنا لفي هذا وما أشبهه حتى بلغهم أن خراسان / قد أزمعت الدُّلوف^(١) اليهم ،
وتشاورت في الإِطلال عليهم ، فقال الأمير لأبي الفتح : ما الرأي ؟ قد غي النبا
ما تعلم من طمع خراسان في هذه الدولة بعد موت ركن الدولة ، فقال أبو الفتح :
ليس الرأي إلي ولا إليك ، ولا الهمُّ علي ولا عليك ، ها هنا من يقول :
أنت خليفتي ، ويقول لي : أنت كاتب خليفتي ، يُدبّر هذا بالمال والرجال ،
وهو الملك ، قال : فاكتب اليه وأشعره بما قد منينا به ، وسلكه دواء هذا
الداء ، وأبلغ في ذلك ما يوجب الحزم الصحيح ، ويؤثّر بالسعي النجيج ،
فكتب وتلطّف ، وصدر في الجواب أن هذا الأمر عجب ، رجلٌ مات
وخلّف مالا وله ورثة وابن ، فلم يُحمل اليه شيء من إرثه زُويّاً^(٢) عنه ،
واستشاراً به دونه ، ثم خوطب بأن يغرم شيئاً آخر من عنده قد كسبه بجده ،
وجمعه بسعيه وكدحه ، هذا والله حديث لم يسمع مثله ، ولئن استفتي الفقهاء
في هذا لم يكن إلا التعجب والاستطراف ، ورحمة هذا الوارث المظلوم من
وجّهين : أحدهما أنه حرم ماله بحق الإرث ، والآخر أنه يطلب بإخراج
ماليس عليه ، وإن أبي قولي حاكمت كل من سام هذا إلى من نرضى به .

فلما سمع مؤيد الدولة هذا ، وقرأه أبو الفتح قال : ما ترى ؟ قال : قد
قلتُ وليس لي سواء ، أقول : هذا الرجل هو الملك والمدبّر ، والمال كله
ماله ، والبلاد بلاده ، والجندُ جنده ، والكلُّ عليه ، والمهناً له ، والاسم
والجلالة عنده ، وليس ها هنا إرثٌ قد زُوي^(٢) ، ولا مال استؤثر به دونه ،

(١) دلف : مشى مشياً قارب الخطو ، وقيل : مشى مشياً فوق الديب .

(٢) زوى الشيء عنه زويّاً : جرفه وقبضه .

والنادرة لا وجه لها في الجدد ، وفيما لا يتعلق باللعب ، أما خراسان فكانت منذ عشرين سنة تطالبنا بالمال ، وتهددنا بالمسير والحرب ، ونحن مرة نسالم ومرة نحارب ، ونحن في خلال ذلك نفرق المال بعد المال على وجوه مختلفة ، فأحسب أن ركن الدولة حيّ باق ، هل كان له إلا أن يدبّر بماله ورجاله ، وذخيرته وكنتزه . أفليس هذا الحكم لازماً لمن قام مقامه ، وجلس مجلسه ، وألقي إليه زمام الملك ، وأصدر عنه كل رأي ، وأورد عليه كل دقيق وجليل ، وهل علينا إلا الخدمة والنصرة والمناصرة بكل ما سهل وصعب ، كما كان ذلك عليه بالأمس من جهة الماضي .

[الحاجة إلى المال]

فقال الأمير : إن الخطب في هذا أراه يطول ، والكلام يتردد ، والمناظرة تربو ، والحجة تقف ، والفرصة تقوت ، والعدو يستمكن ، وأرى في الوقت أن نذكر وجهاً للمال حتى نحتج [به] ، ثم نستمد في الثاني منه ، ونرضي الجند في الحال ، ونخزم في الأمر ، ونظهر المرارة والشكيمة بالاهتمام والاستعداد ، حتى يطير العين^(١) إلى خراسان بجندنا واجتهادنا ، وحزمنا واعتمادنا ، فيكون في ذلك مكسرة لقلوبهم ، وجمّاً لأطباعهم ، وباعثاً على تجديد القول في الصلح ، وإعادة الكلام في المواعد ، وردّ الحال إلى العادة المعروفة فقال : أسأل الله بركة هذا الامر ، فقد نشيت^(٢) منه رائحة منكورة ، وما أعرف للمال

(١) العين : الجاسوس .

(٢) نشي : اشم .

وجهاً . أما أنا فقد خرجت من جميع ما كان عندي مرة بما خدمتُ به الماضي
تبرعاً حِداً^(١) موت أبي ، ومرة بما طالني به سرّاً ، وأوعدني بالعزل
والاستخاف من أجله ، ومرة بما عزمْتُ في المسير إلى العراق في نصرة الدولة ،
وهذه وجوه استنفدت قُلي وكثري ، وأتتْ على ظاهري وباطني ، وقد
غرمتُ إلى هذه الغاية ما إن ذكرته كنت كالمتمنٍّ على أولياء نعمتي ، وإن سكتُ
كنت كالمُتسهم عند من يتوقع عثرتي وهذا هذا .

وأما أحوال النواحي فأحسن حالنا فيها أننا نرجئها إلى الأولياء في نواحيها
مع النفقة الواسعة في الوظائف والمهمات التي تنوبها . وأما العامة فلا أحوجَ الله
إليها ، ولا كانت دولة لا تثبتُ إلا بها ، وبأوساخ أموالها .

[الاستدانة من ابن كامة]

فقال الأمير ، وكان ملقناً^(٢) : هذا ابن كامة وهو صاحب الذخائر
والكنوز ، والجبال والحصون ، ويده بلاد ، قد جمع هذا كله من نعمتنا ،
وفي مملكتنا وأيامنا وبدولتنا وهو جامٌ^(٣) ما شيكٌ^(٤) ، ومختوم ما فُضَّ
مذ كان . ما تقول فيه ؟ قال : مالي فيه كلام ، فإن بيني وبينه عهد

(١) الحدثنان : أول الأمر وابتدأؤه .

(٢) الملحق : السريع الفهم الذكي .

(٣) جام : أي جامع .

(٤) شيك : آلمه بالشوك كناية عن نقص المال . ولعلها : جام ما سبك أي إناء من
فضة لم يعد سبكه بعد كسره والمقصود لم يصب بأذى .

ما أخيس^(١) به ولو ذهبت نفسي ! فقال : اطلب منه القرض لا يبلغ حد الحاجة ، فإن الحاجة ماسة إلى خمسمائة ألف دينار على التقريب ، ونفسه أنفع لنا ، وأردت على دولتنا من موقع ذلك المال ، وبعد فرأيه وتديره واسمه وصيته وبداره إلى الحرب فوق المطلوب .

قال : فليس ههنا وجهه سواء ، والرأي أن يطالع فارس بهذا لا يكون لخبر من ثم . فقال : أنا لا أكتب بهذا فإنه غدر ، قال : يا هذا فأنت كاتي ، وصاحب سري وثقي ، / والزمام في جميع أمري ، ولا سبيل إلى إخراج هذا الحديث إلى أحد من خلق الله ، فإن أنت لم تتول حارّه وقارّه ، وغثه وسمينه ، ومحبوبه ومكروهه ، فمن قال أيها الأمير ! لا تسمني الخيانة فإني قد أعطيته عهداً نقضه يذرّ الديار بلاقع ، ومع اليوم غد ، ولعن الله عاجلة تفسد آجلة . فقال : إني لست أسومك أن تقبض عليه ، ولا أن تسيء إليه ، أشر بهذا المعنى على ذلك المجلس وخلاك ذم ، فإن رأي الصواب فيه توّلاه دونك كما تراه ، وإن أضرب عنه أعاضنا رأياً غير ما رأينا ، وأنت على حالك ، لا تنزل عنها ، ولا تبدل بها ، وإنما الذي يجب عليك في هذا الوقت أن تكتب بين يديّ حرفين انه لا وجه لهذا المال إلا من جهة فلان ، ولست أتولى مطالبته به ، ولا مخاطبته عليه وفاء له بالعهد ، وثباتاً على اليمين ، وجراً على الواجب ، ولا أقلّ من أن تجيب الى هذا القدر ، وليس فيه ما يدلّ على شيء من النكث والخلاف والتبديل . فما زال هذا وشبهه يتردد بينها حتى أخذ خطّه بهذا النص على أن يصدره إلى فارس .

(١) خاس بالعهد : غدر ونكث .

[اطلاع ابن كامة على خيانة ابن العميد]

فلما حصل الخط ، وجنّ الليل وسئل ابن كامة وحضر وقال له الامير :
أما عندك حديث هذا المختّث فيما أشار به على الملك في بابك ، وأورد عليه في
أمرك ، من إطماعه في مالك ونفسك ، وتكثيره عنده ما تحت يدك وناحياتك
مع صاحبك ؟ فقال علي بن كامة : هذا الفتى يرتفع عن هذا الحديث ، ولعلّ
عدوّاً قد كاده ، ويبيني وبينه ما لا منفذ للسحر فيه ، ولا مَسَاغَ لظنّ
سبىء فيه . قال : فما قلت ما سمعتُ إلا على تحقيق ، ودع هذا كله يذهب
في الريح ، وهذا كتابه إلى فارس بما عرّفْتُكَ وخطُّه . قال عليّ : فاني
لا أعرف الخطّ ولكن كاتبي يعرف ، فان أذنتَ حَضَرَ ، قال : فليحضر ،
فجاء الخشعمي الكاتب وشهّد أنّ الخطّ خطُّه ، فحال عليّ بن كامة عن
سجّيته ، وخرج من مسكه^(١) ، وقال : ما ظننت أن هذا الفتى بعد الايمان التي بيننا
يستجيز هذا ، قال الامير : أيها الرجل إنما أطلعك الملك على نيّة هذا الغلام فيك ،
لتعرف فساد ضميره لك ، وما هو عليه من هنات أخّر ، وآفات هي أكبر
من هذا وأكبر ، وقد حرّك خراسان علينا ، وكاتب صاحب جرجان ،
والقى إلى أخينا بهمدان - يعني فخر الدولة - أخبارنا ، وهو عين ها هنا لبختيار
وقد اعتقد أنه يعمل في تخليص هذه البلاد له ، ويكون وزيراً بالعراق ،
وقد ذاق ببغداد ما لا يخرج من ضرره إلا بنزع نفسه .

(١) المسك : بفتح الميم الجلد لأنه يمسك ما وراءه من اللحم والعظم ، وبضمها : العقل .

[وشاية أبي نصر المجوسي]

وكان المجوسي أبو نصر قد قدم وهو يفتل الجبل ويبرم ، ويؤخر مرة
ويقدم أخرى ، ويهاب مرة ويقدم . وكان الحديث قد بُيِّت بليل ، واهتم
به قبل وقته بزمان ، فقال علي بن كامة : فما الرأي الآن ؟ قال : لا أرى
أمثل من طاعة الملك في القبض عليه ، وقد كنا على ذلك قادرين ، ولكن
كسرهنّا أن يُظنّ أنا هجمنا على نصيحنا وكافينا ، وعلى ربيب نعمتنا ، ونأشئ
دولتنا ، فهدّنا عندك العذر ، وأوضحنا لك الامر ، قال : فأنا أكيفكموه ،
ثم كان ما كان .

قال الخليلي : وكل هذا جرّة عليه الاستبداد بالرأي ، والغرارة والتواني
وقلة التجربة ، والركون إلى وصيّة الميت ، وسوء النظر في العواقب ، ومجانبة
الحزم والرأي الثاقب ، وكان أمر الله مفعولا .

ورأيت الخليلي والهروي والشاعر المغربي وجماعة من خلطاء أبي الفتح
كابن فارس وابن عبد الرحيم يخوضون في حديثه وقالوا : كان الرأي كذا
وكذا ، فقال المغربي : أجود من هذه الآراء كلها إن كان يضرب عنق المجوسي
جهاراً أتى الدهر بما أتى وما كان ليكون أشدّ مما كان ولعله كان يطرح هيئته ،
ويصير سبباً إلى خلاص .

ودهبنا في القول كل مذهب ، وفي الجملة القدر لا يسبق ، والقضاء
لا يملك ، ومن استوفى أكله استوفى أجله ، والكلام فضل ، والرأي الدبري^(١) .

(١) الرأي الدبري : هو الذي يسنح أخيراً عند فوت الحاجة .

مردود ، ومن ساور الدهر غلب ، ومن لجأ إلى الله فقد فاز فوزاً عظيماً .
ما وصلنا - حاطك الله - حديثاً بحديث ، وكلمة بكلمة إلا لتكثر الفائدة
ويظهر العلم ، ويكون ما صرّفنا القول فيه مرفوداً بالحجة الناصعة
والامتناع المونق ..

[التوحيدى يخاطب القارىء]

أيها السامع ! قد سمعت صريح الحديث ودعيته ، وعرفت مسخوطه
ومرضيته ، فان كان الله قد ألهمك العدل ، وجبّ اليك الانصاف ، وخفّف
عليك الرفق ، ووفّر نصيبك من الخير ، ورفع كعبك في الفضل ، فقد
رضيتُ بحكمك ، وأمنتُ عداوتك ، ووثقتُ بما كتب الله لي على لسانك ،
وجعل حظي منك . واعلم أنك إن كنت تريد الاعتذار فقد أسلفتُ الواضح فيه ،
وإن كنت تطلب الاحتجاج فقد أتى البيان عليه ، وإن كنت تغضب لابن عباد
أو لابن العميد فقد شحنت هذا الكتاب من فضلهما وأدبهما وكرمهما ومجدهما بما
إذا ميّزته وأفردته ثم اجتليته وأبصرته واقع نفسك ، وشفى غليلك ، وبلغ
آخر مرادك ، وإلا فعرفني من جمع إلى هذا الوقت عشر ورقات في مناقبها
وآدابها ومكارمها وما ينطق عن اتساعها وقدرتها ويدعو إلى تعظيمها وتوفية
حقوقها ومعرفة أقدارهما وهممها ممن لها عليه الاصبع الحسنة ، واليد الخضراء ،
والنعمة السابغة ومن لم يذكر إلا بهما ، ومن لم يُعرف إلا في أيامهما ، ومن لو
لم يلتفت إليه واحد منها لكان يحرس في الدروب ، أو يلقط النوى في الشوارع ،
أو يوجد في أواخر الحلمات ..

وَدَعَ الشعر جانباً فإِذَا ذَاكَ عَنْ حَسْبِ دَنِيٍّ ، وَمَذْهَبِ زُرِّيٍّ ، وَطَمَعَ
خَسِيسٍ ، وَمَقَامِ مَذَلٍّ وَمَوْقِفِ مَخْجَلٍ ، وَلَكِنْ هَاتِ رِسَالَةَ مُحَرَّرَةٍ ، وَأَدِيَاءَ
فَاضِلًا ، وَعَالِمًا مَذْكَورًا تَجَرَّدَ لِنَصْرَتِهَا ، وَدَلَّ عَلَى خَفِيِّ فَضْلِهَا ، أَوْ عَجَبَ مِنْ جَلِيِّ
فَعْلِهَا ، فَإِذَا كُنْتَ لَا تَجِدُ ذَلِكَ فَدَعِ الْكَلْبَ يَنْبِجُ ، فَإِذَا الْكَلْبُ نَبَّاحٌ ، عَلَى أَنِّي
- حَفَظَكَ اللَّهُ - لَا أَبْرِيءُ نَفْسِي فِي هَذَا الْكِتَابِ الطَّوِيلِ الْعَرِيزِ مِنْ دَيْبِ
الْهُوَى ، وَتَسْوِيلِ النَّفْسِ ، وَمَكَايِدِ الشَّيْطَانِ ، وَغَرِيبِ مَا يَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ ، فَإِنْ
وَقَفْتَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَرِّ (١) بِالْعَذْلِ عَلَيْنَا ، وَسَلْ فِي اللَّائِمَةِ
مِنْ أَجْلِهِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَحْزَنَ جِلْدَةً لَا تَدْمِي بِشَفَرَتِكَ ، أَوْ تَنْسَمَ
إِلَى جَمَّةٍ لَا تَقْشَعُرُ ذَوَائِبُهَا بِرِيحِكَ ، وَأَنْ تَمْتَحِنَ جَوْهَرًا لَا يُحَاصُ (٢)
عَيْنُهُ بِنَارِكَ .

وَاسْتَيْقِنَ أَنَّ مِنْ رَكَبِ سَنَامِ هَذَا الْحَدِيثِ كَمَا رَكِبْتَهُ ، وَسَبَّحَ فِي غَامِرِ هَذِهِ
الْقِصَّةِ كَمَا سَبَّحْتَ ، وَقَالَ مَا قُلْتَ ، وَعَرَّضَ بِمَا عَرَّضْتَ فَغَيْرَ بَعِيدٍ أَنْ يُحْكَمَ لَهُ
وَعَلَيْهِ ، بِمِثْلِ مَا يُحْكَمُ بِهِ لِي وَعَلَيَّ ، وَإِذَا كَانَ الْحُكْمُ لَازِمًا ، وَهَذَا الْقِيَاسُ
مُطَرَّدًا ، فَالْرَضَا بِهَا عِزٌّ ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهَا شَرَفٌ وَإِنِّي لِأَحْسَدُ الَّذِي يَقُولُ :

أَعُدُّ خَمْسِينَ عَامًا مَا عَلَيَّ يَدٌ

لِلْأَجْنِيِّ وَلَا فَضْلٌ لِدُنِيِّ رَحِمٍ

(١) العبارة غير واضحة في الأصل ، ولعل الصحيح ما أثبتناه .

(٢) خوصت العين : أي غارت .

الحمد لله شكراً قد قنعت فلا
أشكو لثيماً ولا أطري أخا كرم.

لأنني أتمنى أن أكونه ، ولكن العجز غالب ، لأنه مبدور في الطينة ، ولقد
أحسن الآخر أيضاً حين يقول :

ضَيِّقَ الْعُذْرَ فِي الضَّرَاعَةِ أَنَا
لو قنعتنا بقِسْمِنَا^(١) لَكَفَانَا
مالنا نَعْبُدُ الْعِبَادَ إِذَا كَا
نَ إِلَى اللَّهِ فَقَرُّنَا وَغِنَانَا

وأدعوها هنا بما دعا به بعض النساء : اللهم صُنْ وجوهنا باليسار ،
ولا تبتذلها بالإقتار ، فنسترزق أهل رزقك ، ونسأل شرار خلقك ، فنبتلى
بحمد من أعطى ، وذم من منع ، وأنت من دونهما وليُّ الإعطاء ، ويبدك خزائن
الأرض والسماء ، يا ذا الجلال والإكرام .

انتهت رسالة أخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد .

الفهارس

- ١ - الأعلام
- ٢ - القوافي
- ٣ - الأماكن والبلدان
- ٤ - الاقوام والمذاهب
- ٥ - أسماء الكتب

1872

8

1. 1872

2. 1872

3. 1872

4. 1872

5. 1872

١ - الأعلام

- | | |
|---------------------------------------|---|
| أبو اسحاق النصيبي ١٩٦، ١٤٢ | ١ |
| اسماعيل « عليه السلام » ٢٩٠ | |
| أبو الأسود الدؤلي « ظالم بن عمرو » ٦٤ | |
| أشجع السلمي « أبو الوليد » ٣٢ | |
| الأشل « الكاتب » ١٠ | |
| أبو العباس أحمد بن الطيب ١٦٣ | |
| ابن الأعرابي « محمد بن زياد » ٢٤٦، ٦١ | |
| ٣١١، ٢٧٩ | |
| ابن الأعرج النمري ٢٧٠ | |
| أعشى همدان ١٧١ | |
| أفلاطون ٢٤١، ٢١٥ | |
| الأقطع « المنشد الكوفي » ١٢٨، ١٢٧ | |
| ابن الإمام الطفيلي ٢٦٠ | |
| أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ٢٤٢ | |
| ابن الأنباري ١٦ « ح » ٢٠٤ | |
| ٣ | |
| البحثري « الشاعر » ٢٥٣، ١٢٦، ١١٩ | |
| البخاري ١٧٦ | |
| بختيار ٣٥٨ | |
| البيهي « الشاعر » ٢٠٩، ١١٥ | |
| البربري « الخطاط » ٢١٩ | |
| ابراهيم بن العباس الصولي ٥١، ٣٩ | |
| ٢٦٠، ٢١٩ | |
| ابراهيم « عليه السلام » ٢٩٠، ٢٤٤ | |
| ابراهيم المسلم ٢٦٤ | |
| ابراهيم المرزبان ٣٠٣ | |
| ابليس ٣١ | |
| الأبهري المتكلم « أبو سعيد » ١٣٨، ٨٦ | |
| أحمد بن محمد « ابن ثوبة » ١٥٨، ١٥٦ | |
| ١٦٣ | |
| أحمد بن أبي دؤاد القاضي ١٩١، ٥١، ٣١ | |
| أحمد بن بندار ٢٣١، ٢٢٩ | |
| أحمد بن الطيب ١٥٧ | |
| أبو أحمد العلوي ٣٣٧ | |
| أبو الحسن إسحاق الطبري ١٥١ | |
| الأخفش ١١٥ | |
| ادريس بن أبي حفصة ٢٠٦ | |
| أرسطوطاليس ٢٤١، ٢١٧، ٢١٥ | |
| أبو اسحاق الصابي ٢٧٣، ٢٠٩، ٩٨ | |
| ٢٧٤ | |
| أبو اسحاق الفارسي ٢٣١ | |

ت

ابو تمام «الشاعر» ٣٠٠، ١١٩
 التميمي «الشاعر» ٣١٨، ٢١١
 التميمي «الشاعر المصري المعروف
 بالرغيب» ٨٣
 التميمي «المعروف بسطل» ٢٠٤
 أبو حيان التوحيدى ٢٧، ١٨، ١
 ٣٣ «ح» ٣٨ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ٥٧
 ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٨٢
 «ح» ٩٠ ، ١٠٢ ، ١٣٧، ١٢٦
 ١٩١ «ح» ١٩٥ «ح» ٢٠٣ ، ٢٠٤
 ٢٠٧ ، ٢٩٣ ، ٣٠٥ ، ٣١١
 ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢
 ٣٣٤ ، ٣٥٩

ت

ابن ثابت ١٩١، ١٧٦، ١٤٨، ١٢٠
 ابن ثابت «الكاتب الهمداني أبو
 الفضل» ٢١٦
 ابن ثابت الجويني ١٥٣
 ثعلب ١١٥ ، ١٧٣ ، ٢٦٦
 الثقيف المتكلم ٢٤٥
 ابن التلاج المتكلم ١٣٦ ، ١٤٣
 ابن أبي الثياب البغدادي ٢٢٨

البرقوقي ٧ «ح»

برهان الصوفي ٣٣

بروكلهان ٦ «ح»

البراز «غلام الصاحب» ١٣٧

بشار بن برد ٤ «ح» ، ٣٢

بشر الحافي ٣٣

البصري 'جعل' ١٤٣، ١٤١، ١٤٠

بصلة براليك ١٠٦

ابن البغل ٢٢٨

ابن البقال «الشاعر» ٢٧٠، ١٣٢

ابن بقية «محمد بن بقية الملقب بنصير

الدولة» ١٦

ابن بقية «أحمد بن ثابت بن بقية البغدادي

المحدث» ١١٣

أبو بكر الرازي ١٣٨

أبو بكر الجرفادقاني ٨٥، ٨٤

أبو بكر الصديق ١٩٣، ١٥٣، ٥٤

أبو بكر الصيمري ١٥٧

البلخي ١١٧

بلقيس ٢٩٠

بليناس اليوناني ٢٩١

ابن بنان الوراق ١٤٢

أبو جعفر الوراق ٢١٠
 أبو جعفر الخازن ٢٢٨
 أبو الفتح جعفر بن القرات ٢٧٣
 الجفائي «الحافظ» ٢٠٦
 ابن الجلبات «الشاعر» ٢٠٨، ١٦٤
 أبو الحارث حمّيز أو حمّين ١٠٦، ٥٢
 الجواليقي ١٥٦
 أبو الجوزاء الرقيّ ٩٠
 أبو جهل ٥٤
 أبو الجيش الخراساني «شيخ الشيعة»
 ١٤٠ ، ١٣٨
 الجيلوهي «الشاعر» ١٣١ ، ١٣٥
 ١٧٥ ، ١٨٧

ح

الحاتمي «أبو علي محمد بن الحسن بن
 المظفر» ١٦ «ح» ٢٠٨، ١٦
 الحاجب النيسابوري ٢٥٣
 حامد بن العباس ١٣٠
 الحامدي الشاعر ٨٠
 أبو حامد المروروذي «أحمد بن بشر»
 ١٣٧ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٩١
 ١٩٢ ، ٣١٣
 أبو حامد الصاغاني ٨١
 حميشة اليزيدي ٦٢
 ابن الحجّاج «أبو عبدالله الحسين بن
 أحمد» ١٠٣

ج

الجاحظ «عمرو بن بحر أبو عثمان»
 ٣١ ، ٢٢ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٥٢
 «ح» ١٠٦ ، ١٢١ ، ٢١٨ ،
 ٢٣٧ «ح» ٢٩٧
 جحشويه ١٢٢
 جحظة «أبو الحسن أحمد بن جعفر
 البرمكي» ١٠٥ ، ١٠٦
 الجرجاني ٢٢٥
 الجرجاني «محمد بن الفضل»
 ١٦ ، ١٨
 الجرمي «أبو عمر صالح بن اسحاق»
 ١١٥
 جريح المقل «الشاعر» ٢٨٧ ، ٢٤٩
 ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢١٦
 جرير «الشاعر» ١٧٥
 الجريري ٨٠
 جستان «الوزير» ٢٢٩
 أبو الجعد الأنباري ٣٣٤
 جعفر بن حرب الهمداني ١٠٨
 أبو جعفر العتي «الوزير» ١٠٦
 جعفر بن مبشر الثقفي ١٠٨
 جعفر بن يحيى البرمكي ٣٢ «ح»

ابن حماد ٤٧
الحسن بن وهب ١١٩
أبو الفرج الكاتب «حمد بن محمد»
٢٧٨
حمزة المضاف ٥١ ، ٢٣٥
ابن حمزة ١٧٣
أبو حنيفة ١٥٢ ، ٢١٨
الحواش ١١٩
أبو حيان البصري ٢٠٩
أبو حيان الدارمي ٢٠٥

خ

ابن خارجة ٢٧٩
ابن أبي خالد الخطاط ٢١٩
الخالع ١٦٤
الخثعمي الكاتب «محمد بن عبد الله» ١٠٠
١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥
١١٦ ، ٣٥٨
الخرائطي ٧٤
الخراساني ١٢٣
ابن أبي خراسان «الفقيه الشافعي» ٧٢
أبو الخريش ٢٣٦
الخشوعي ١٥٤
أبو الخصيب الحربي ٣٣٨

حجاج «الكاتب» ١١١
الحربي «أبو الخصيب» ٣٣٧
حرثان ٢٤٢ ، ٢٤٣
الحراني ٨٢
الحزنبل «أبو عبد الله محمد» ٦١
حسان بن ثابت ٧ «ح» ٦٧
الحسن بن رجاء ٥١
الحسن البصري «أبو سعيد الحسن بن»
يسار «٤٨ ، ١٦٨ ، ٣١٢»
الحسن بن رشيق القيرواني ٢٦٢
الحسن البرهاري «أبو محمد» ١٩٥
٣٣٤

أبو الحسن الهمداني القاضي ٦٦
أبو الحسن الجراحي ٣٣٣ ، ٣٣٤
أبو الحسن بن شاذان ١٨٤
أبو الحسن بن المنجم ١١٢
أبو الحسن الأنصاري ٢٧٠
أبو الحسن البغدادي ٥١
أبو عمران الحسني ١٧٣ ، ١٧٤
١٧٦ ، ١٨٣
أبو موسى المعلم «الحسني» ٢٦٤
٢٦٥
الحسين المتكلم «أبو عبد الله» ١٧٢
٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٣٠٧
أبو الحسن العامري ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٩٣

٩٣ ، ٢٢٨ ، ٢٩٣ ، ٢٧٨
٣٥١ ، ٣٥٤ ، ١١٧
روين « صديق ابن العميد » ٢٢٠

الزرقان بن بدر ٣١١
زبيدة بنت جعفر البرمكي ٣٢٣
الزبيدي « صاحب طبقات النحويين » ١١٤
الزبير بن العوام ١٩٦
الزعفراني « الشاعر » ٧٤ ، ٩٩ ، ٧٨
١٤٦ ، ١٩٥ ، ٢٠٤ ، ٢١١
الزعفراني « رئيس الزعفرانية » ٦٨ ، ٦٩
أبو زكريا الصيمري ٢٠٠
زكي مبارك ١٩٧ « ح »
زهير بن أبي سلمى ٢٤٣
زياد « ابن سليمان الأعجم » ٦١
ابن الزيتات « محمد بن عبد الملك الوزير »
١١٩ ، ١٩١

ابن الزيتات « المتكلم » ١٣٠
زيد بن علي ١١٧
أبو زيد الكلبي ٨٠

س

ابن أبي السباب ٢٨٢
سحبان وائل ٢٣٧
سحيم بن وثيل الرياحي ٣١٠
سعد « مولى أبي بكر » ١٧٦
ابن سعدان « الوزير » ٢٠٨
مثالب م (٢٤)

الخضيري ١٦٩
أبو جعفر الخطيب النيسابوري ٢٨٢
الخليل بن أحمد ١٤٨
الخليلي ٨٨ ، ٨٩ ، ٢١٦ ، ٢٣٦
٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤
٣٣٩ ، ٣٥٩
الخوارزمي « أبو بكر » ٧٧ ، ٧٨
١٣١ ، ٢٤٦ ، ٢٦٥ .

د

الدامغاني « غلام الصاحب » ١٣٧
١٦٧ ، ١٦٨
دعبل الخزاعي ١٠٦ « ح » ٣٠٠
أبو دلف الخزرجي ١٢١ ، ٢٨٩
٢٩١ ، ٢٩٢
دعيميص الرجل ١٧١
ديك الجن « عبد السلام بن رغبان » ١٠٩

ر

الرازي « غلام الصاحب » ١٣٧
ابن الرازي ٣٠٤
راس الجالوت اليهودي ١٩٨
الرازي « الخليفة » ٥٦ « ح »
أبو راغب « فقي من آل أبي جعفر
العتبي » ١٠٦
ابن الراوندي « أبو الحسن أحمد بن يحيى »
١٢٦

ابن الربيع ٩٥
ركن الدولة البويه ٥٦ ، ٩١ ، ٩٢

سهل بن هارون « ابن راهبون » ٥٠
سديويه ١١٥ ، ٢١٨

س

ابن شاذان ١١٧ ، ١٧٣
ابن شاذان « الزعيم » ٢٣٨
الشاذبائي ١٩٩ ، ١٣٤ ، ٧٢ ، ٣٢٧
شارل بلات ٢٩٧ « ح »
ابن الشجري ٤ « ح »
الشمردل ١٨٤
شمسويه ٢٢٥
الشياني « القاضي عمر بن الحسن »
٥٦ « ح »
ابن أبي شيان ١٣٨

ص

الصاحب بن عباد ٧ ، ٣٦ ، ٥٤
٥٦ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٣ ،
٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ،
٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٨ ،
٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٦ ،
٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٢ ،
١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨

سعيد بن حميد « أبو عثمان » ١٠٢ ، ٥١
٢٣٧

أبو سعيد الأبهري ٢١١
أبو سعيد « الحسن بن أبي الحسن » ٣٠٠
أبو سعيد السيرافي « الحسن بن عبد الله »
المرزبان « ٤٨ ، ١١٤ ، ١٦٣ »
٢٣١ ، ٣٢٧ ، ٢٠٤ ، ٢٤١
٢٦٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣
سقراط ٢١٥

السلامي « صاحب تاريخ طبرستان » ٣٦٥
أبو السلم « الشاعر » ٨٧
أبو السلم نحية بن علي ١٨٦
سلمان البصرة « أبو فرعون الأعراي »
١٠٤

سليمان بن علي ١٤٨ ، ١٤٩
سليمان بن علي الهاشمي ٥٠٠
أبو سليمان السجستاني « محمد بن طاهر »
المنطقي « ١٤٣ ، ١٦٩ ، ٢٠٠ »
٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٧٠ ، ٢٠١
٣٩٩ ، ٣٢٧ ، ٣٤١ ، ٣٥٠
ابن سمكة ١٥٧

سنان بن ثابت بن قرّة الحراني ٥٠٠

صالح الوراق ١٢٨	١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
أبو صالح الرازي ٣٣٧	١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
صفوان بن المعطل ١٧٧	١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ،
صقلاب ١٢١	١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
الصولي « أبو بكر » ٥١ ، ٣٩	١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
٥٢ « ح » ، ١٣٧ ، ١٧٥ ،	١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،
٢٠٦ ، ٢٠٧	١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،
ض	١٨٩ ، ١٩٠ ، ٩٥ ، ١٩٧ ،
الضبي ٢٠٩	١٩٨ ، ٢١٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ،
الضرير النحوي ١٧٣	١٧٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢٢٩ ،
ط	٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ،
ابو طالب الجراحي ٢١٤ ، ٢١٣	٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
ابو طالب العلوي ١٣٣ ، ٧٠	٢٦٦ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٩٢ ،
ابو طاهر الحنفي ٦٩	٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ،
ابو طاهر الوراق ٢٢٩ ، ٢١٧	٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ،
ابو طاهر الانماطي القطان ٢١١ ، ١٥٤	٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ،
الطبري (ابو صادق) ١٧٢	٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ،
ابن طرارة ١٣٨ ، ٨٠	٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٩ ،
	أبو صادق الطبري ٢١٠
	صالح « عليه السلام » ٢٩٠
	صالح بن عبد القدوس ٢٥١

ابن عبدان الاصفهاني ٢٤١
 ابن عبد ربه « ح » ٥٠
 ابن عبد الرحيم ٣٥٩، ٣٢٠، ٢١٩
 عبد الرزاق بن الحسين البغدادي « ابن
 ابي السباب » ٢٨٠، ٢٧٩
 العبيسي ١٧٦
 عبد العزيز بن نباتة السعدي ٢٢١
 عبد العزيز بن يوسف ٢٠٨
 عبد كان الكاتب ١٩٧
 عبد الله بن بشير ٣٢٣
 عبد الله بن دينار ٣٤
 عبد الله بن العباس ١٤٩
 عبد الله المعلم ٩٨
 عبد الله بن محمد الاحوص ٢٩٨
 ابو عبد الله الحصري ٣٠٦
 ابو عبد الله المذهب ١٤٠
 ابو عبد الله المصري ١٣٦
 ابو عبد الله البصري ١٣٧
 ابو عبد الله النمري « انظر الحسين »
 ابو عبد الله الزعفراني ٩٠
 ابو عبد الله البصري ١٤٣
 عبيد الله بن زياد ٦٤

ابن طرخان « غلام الصاحب » ١٣٧،
 ٣٤٣
 ابن طرخان « الفيلسوف الفارابي » ١٤١
 ابن طرخان الوراق « ابو الحسن علي
 ابن حسن » ٣٣٨
 طلحة ١٩٦
 ابو الطيب النصراني ٧٨

ع

عائشة « السيدة » ١٩٦
 ابو عاصم البصري ١٦٩
 عامر بن الظرب العدواني ١٤
 العباداني ٧٠
 عبادة ١٠٢، ١٠٥، ١٢٢
 عبّاد ابن أحمد ٢٠٩
 عبّاد ١٠٦
 ابن عباس ٥٤
 ابن العباس بن بندار ٣٠٢، ٣٠١
 العباس بن عبد المطلب ١٤٩
 ابو العباس القاضي الضرير ٩٠
 العباس بن الحسن ١٣٠
 ابو العباس الضبي ١١٩

علي بن ابي طالب ١٩٦، ١٩٤، ١٤٩، ٦٤
 ابو علي الاسكاف ٣٠٧
 علي بن الحسن العلوي ١٠٢
 = = الحسن الكاتب ١٢٥
 = = سليمان الاخفش ٧٦
 ابو علي الصاغاني ٢٢٨
 علي بن عيسى « ابو الحسن » ١١٤
 = = = الحشوي ١١٩
 = = = ١٣٩، ١٣٨
 = = = الوزير ٣ ٥٠٠، ٢
 = = = الرماني ٢٤١، ٢٧٠
 = = القاسم العارض ٢٩٣
 = = المنجم ٢٤٨
 = = القاسم الكاتب ٨٨
 = = كامه ٣٥٨، ٣٥٦، ٣٥١، ١٠٠
 ٣٥٩
 علي بن محمد ابو الحسن « البديهي » ٨٤
 علي بن هشام ٥١
 العامري ٢٠٧
 العُماني ١٦٧
 ابو عمرو « كاتب فخر الدولة » ١٤٢
 عمرو بن الأهم ٣١١

عبد الملك بن نوح ٢٦٥
 عبد الملك بن محمد الرقاشي « ابو قلامه »
 ٢٠٦
 عبد الملك بن مروان ٣٠ « ح » ٦٤،
 ٢٤٣ ٢٤٢
 ابن عبد الوهاب ٢٩٧
 ابو عبيد الكاتب النصراني ٩٣
 العتايي ٣٠٣، ١٩٦
 ابو العتاهية « الشاعر » ٢٠
 العتي « محمد بن عبد الله » ٢٤٢، ٤٣
 عدي بن حاتم ٢٤٨، ٦٤
 العروضي « ابو محمد » ٤٧
 عروة بن الورد ١٤٦
 عز الدولة البويهبي ١٦ « ح » ، ٣٧،
 ١٤٠، ١٣٩
 المسجدي ٢٥٢
 عضد الدولة « ح » ٧٧، ٦٨، ٦٦، ١٨
 ٢٧٥
 ابن العطار ١١٧
 عقيل بن علفة ١٧٥
 ابو العلاء المعري ١٢٦
 العلاّف ٣٢٦

عيسى بن صبيح ١٠٨
عيسى بن فرخان شاه ٣٣
عيسى بن مريم « المسيح » ١٨١، ٢٩٢
ابو عيسى المنجم ١١٢
ابو العيناء ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٩، ٥١، ١١١
العوني ١٩٥

ف

ابن فارس ٢١٢، ٩٧، ٥٤، ٢٢٨
٢٧٣، ٣٣٦، ٣٥٩
ابن فارس « أبو الحسين أحمد » ١١٧
الفتح بن خاقان « أحمد بن غرطوح الوزير »
١١٩

ابو الفتح بن المنجم ٢
ابو الفتح الرازي ١٤٢
فخر الدولة الاصبهاني ١٤٢
فخر الدولة البويهبي ٣٥٨
الفراء ١٢٦، ٣٣٦
ابن الفراء ٤ « ح »
ابن الفرات « ابو الفتح الفضل بن جعفر »
١١٩

ابو الفرج البغدادي الصوفي ١٨٥
١٨٨، ١٨٦

عمرو بن العاص ١٤٧
= = عبيد ١٠٧، ٢١٢
ابو عمرو الاندلسي ٢٦٢
العمري ٥
العميد « والد ابي الفضل بن العميد »
٢٣٥، ٢٣٦
ابن العميد « ابو الفتح » ٥٥، ٨٩، ٣٩
٢٢٦، ٢٥٤، ٢٦٧، ٢٩٣، ٢٩٧، ٣٠٠
٣٢٧، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٩
٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٩
ابن العميد « ابو الفضل » ٧، ١٠، ٨٦
٥٤، ٥٦، ٦٣، ٨٠، ٨٨، ٨٩، ٩٢، ١١٨
١٨٦، ١٩٠، ٢٠٢، ٢٠٣، ٣١٣، ٢١٦
٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٧
٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٣٩
٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢
٢٥٣، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣
٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٨٧
٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٢
٣٠٣، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٣
٣١٤، ٣١٦، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٥٠، ٣٥١
٣٥٢، ٣٥٩ .
ابن عياش ١١٩

ك

- ابن أبي كانون ١٤١
الكسائي ١٢٦
ابن كعب الأنصاري ١٣٨
ابن كعب ٢٧٠
ابن كلس « صاحب مصر » ٨٣
الكلوازي « صاحب الديوان » ٢١٩

ل

- ليبد العامري ٦
أبو الليث العلوي ٣٣٧
ليكونت « ج » ٣١ « ح »
أبو الغادي الصوفي ٢٣٥
ابن الغازي « غلام الصاحب » ١٣٧
الكاكب الأعرج الاصفهاني « أبو غالب »
٢٧٨ ، ٨٧ ، ٢٨٩
الغوري ٢١٨

م

- مالك بن شاهي ٣٢٣
المأمون « الخليفة » ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٢٤
المأموني ٨٧ ، ٢١٠

الفرغاني ١٤٣

- الفضل بن سهل ٥١
الفضل بن يحيى ١٧٥
أبو الفضل الكيمائي ٢٥٣
أبو الفضل الملمعي ٢٥٦
أبو الفضل الهروي ٢١١
فيروزان المجوسي ٧٤

ف

- أبو القاسم « أخو الصاحب بن عباد » ٢٥٥
أبو القاسم الواسطي ١٤٣
القرميسيني ٧٦
ابن قزيعه ١٣٨
قس بن ساعدة ٢١٨ ، ٢٣٧
ابن القصّار الفقيه ٩٩
ابن القطان القزويني الحنفي ٦٩
ابن القطان « أبو الحسن الفقيه » ١٢٤
القلاسي ٩٩
ابن قنّاش المصري ١٣٣
القنبري ١٩٥
قويري ١٥٧

محمد بن العباس « ابو الفرج » ١٥١
 محمد بن عبد الوهاب الجبائي « ابو علي »
 ٣٢٦
 محمد بن عبد الله بن طاهر ٧٢
 المرزباني « محمد بن عمران » ٣٩
 محمد بن علي بن الحسين موسى « ابن بابويه »
 ١١٧
 ابو بكر محمد بن فرح ٢٦٠
 ابو محمد الفرغاني الحنفي ١٤٠
 محمد بن القاسم ٣٣ « ح »
 محي الدين عبد الحميد « ح » ٣٤٤
 ابو محمد التباتي ١٩٢
 ابو محمد بن المنجم ١١٢
 ابو محمد « كاتب الشروط » ٧١
 ابو محمد المهلي ١٥٢
 محمد بن محمد الدقاق القاضي « ابو بكر » ٢٠٤
 محمد بن يحيى ٥٢
 محمد بن يوسف « ابو الحسن العامري » ٨٢
 محمد « تلميذ ابي حنيفة » ٢١٨
 الخزومي ابو سعد ٥
 المرار الفقي ١٧٣
 ابن المراغي ٢١٠، ١٧٤، ١٦٧
 المراغي « ابو عبد الله المغلسي » ١١٥، ١١٤

سماني « صاحب المانوية » ٣٢٦
 المبرد « ابو العباس محمد بن يزيد » ٥١٠
 المبرمان « ابو بكر » ١٧٠
 ابو بشر متى بن يونس ٢٧٣
 المتقي « الخليفة » ٥٦ « ح »
 المتني ٢٣٢
 المتوكل « الخليفة » ٣١، ١٦ « ح » ٣٣٤
 « ح » ١٠٢
 ابو الحاشي ٢٣١، ٢٣٠
 محرز المدلجي ٧٨
 المحسن التنوخي « صاحب نشوار المحاضرة »
 ١٣٣ « ح »
 محمد بن ابراهيم « صاحب الجيش بنيسابور »
 ٧٧
 ابو محمد الاندلسي ٢٦٠
 محمد الجهم البرمكي القاضي ٣١
 محمد بن الجراح ٢٥٠
 محمد بن المرزبان ١٥٣
 ابن شنب « محمد » ١٤٦ « ح »
 محمد بن زكريا ٢٨٩
 محمد بن صالح الهاشمي ١٤٠
 محمد بن عبد الله ^{صلى الله عليه وسلم} ٥٤، ٤١، ٣٣، ٦٦
 ٣٠٢، ١٧٧، ١٧٥، ١٤٧، ٦٥
 ٣٣٤، ٣١١، ٣١٠

ابن المقفّع « عبد الله » ٥٠
 ابن مقلة الكاتب « محمد بن علي بن الحسين »
 ٢١٩، ١١٩، ٤٧
 ابن مكرم الكاتب ٣٩
 مموّيه الشاعر ٢٢
 ابن المنجم ٣٥٣
 المنصور « الخليفة » ١٠٨
 المنصوري القاضي ٣٤
 المهلب بن ابي صفرة ٦١، ٣٠
 المهلي الوزير ٢٥٨، ١١٨
 مؤيد الدولة البويهي ٩٥، ٨٧، ٣٤٥
 موسى عليه السلام ٢٩٠، ١٦٨

ن

الناطقة الذبياني ٣٠٥، ١٠٣
 الناشء الشاعر ١٩٥
 ابن ناصح ٢٠٥
 النافع الشاعر ١٩٥
 ابن نباتة ١٦٤
 ابن نهان ١٣٨
 نجاح « خازن كتب الصاحب » ٣٢٥، ٢٦٢
 النجار ١١٧
 نحية بن علي « ابو السلم » ٢٥٨، ٢٥٧
 ٣١٧، ٣١٦، ٢٥٩

مرداويج الجبلي ١١٨
 المرزباني ٢٦٦، ٢٦٠
 المرزبان بن محمد « ملك الديلم » ٢١٤
 المرقش الاكبر ٣ « ح »
 مريم بنت عمران « عليها السلام » ٢٩٠
 امرؤ القيس ١٠٣
 مروان بن المهلب ٣٠
 مزبّد « ابو اسحاق » ١٠٢
 المستعين « الخليفة العباسي » ٥١ « ح »
 مسكويه « ابو علي احمد بن محمد » ١٨
 ٣٠٦، ٢٢٨، ١٣٧
 مسلم الاعرابي « أبو السلم » ١٤٧
 مسلم بن الوليد ٤٥ « ح » ٢١٨
 المسيني ١٢٠، ١٨٤، ٨٨، ٧٦
 مطرّف « ابو نصر مطرف بن احمد » ١١٨
 ابن المعتز « الخليفة » « ح » ٢٥٥، ٣٣
 المعتصم « الخليفة » ٣١ « ح »
 معد بن عدنان ١٤٩
 ابن معروف ١٩٨
 معز الدولة بن بويه ١٥٦، ١٦
 المغربي « الشاعر » ٣٥٩
 المقتدر بالله العباسي ١١٩
 ابن مقسم العطار النحوي ٢٦٦

ابن النديم «صاحب الفهرست» ٣٣٩ «ح»
النصبي «ابو اسحاق» «غلام الصاحب»
١٣٧

ابو نصر المجوسي ٣٥٩

النضر بن الحرث ٢٥١

النظام المعتزلي ٢٢٦، ٢١٨

النعمان بن المنذر ٢٩ «ح»

نوح «عليه السلام» ٢٩٠

النوشجاني ٣٢٢

هـ

هارون الرشيد ٣٢ «ح»

ابو هاشم ٣٢٦

هبة الله المنجم ١١٢

ابو الهذيل العلاف ٢٠٥

الهروي «ابو الفضل» ٧١، ٨٠

الهروي ٢٢٨، ٢٢٥، ١١٩، ٩٢، ٨٩؛

٣٥٩، ٢٥٥

هشام بن الحكم ١٥٦، ١٥٤

ابن ابي هشام ٣٠٤

ابو هفان «عبد الله بن احمد بن حرب»

٢٤٥، ١٠٢، ٤٤

ابو هلال العسكري ٣٠٠

الهمذاني «غلام الصاحب» ١٣٧، ١٣٢

ابن هندو ٢٥٣

و

الواثق «الخليفة» ٢٠٥، ٣١

الواسطي ١٣٧

واصل بن عطاء «ابو حذيفة» ٣١٣، ١٠٧

الوراق الطرسوسي ١٧٤

ابو الوفاء المهندس البوزجاني ١٣٩، ١٣٨

٣١٥، ٣٠٨

الوليدي ١٨١، ١٧٨

ي

يزيد بن معاوية ٢٠٦

يزيد بن الصعق ٣٠٥

اليزيدي «ابو عبد الله بن محمد» ٦٢

ابن ماسويه «يوحنا» ١٢٢

يوسف «عليه السلام» ١٨٠، ١٦٧

٢٩١، ٢٩٠

ابن يوسف ٧٧

ابو يوسف «صاحب كتاب الخراج» ٢١٨

١ - القوافي

الصفحة	القافية	الشاعر	الصفحة	القافية	الشاعر
	١		١٤٥	بتأنيب	شاعر
٤٦	ابنائها	شاعر	٥٥٢	اعجابه	شاعر
٢٣٦	عناء	شاعر	٧٦	تعب	الاخفش
	ب			ت	
٢٩	المهذب	النابعة الديباني	٢٤٠	الموتى	شاعر
٢٦	وألباب	شاعر	٢١٦	المنابت	مسكويه
٦٥	ذبا	=	١٨٢	شئيت	شاعر
٤٤	طلبه	=	٢٦٦	ذمته	البصير الشاعر
٣٨	فاغضب	=		ت	
٣٣٧	جنوب	=	٣١٠	تحرith	شاعر
١٨٧	حادثه	=		ج	
٢٠٩	اعتبا	=	٦٠	ويعرج	شاعر
٢٧٢	مذهب	=		ح	
٢٧٢	حاطبه	=	٤٦	للفضائح	شاعر
٢٦٦	بصوابه	ابن مقسم العطار	٢٥٠	وقاح	=
٢٤٦	قريب	نظير بن منظور الفقعسي	٢٩٧	كالفتاح	=
٢٦٧	انبوبا	ابو الفتح بن العميد	٢٨٢	سافح	ابن ابي السباب
٢٦٧	الكواكب	ابو الفتح بن العميد	١٢٣	الأباطح	عقبة بن كعب
٣٣٠	شحب	شاعر			
٢٢٦	يذوب	ابو الفضل بن العميد			

الصفحة	القفية	الشاعر	الصفحة	القفية	الشاعر
٢٥٩	تشورها	شاعر	د		
٢٥٥	عارها	الهذلي	٢٧	الجميد	شاعر
١١٠	الاقدار	شاعر	١٧٢	بجملود	=
٥٨	وخير	عمرو بن الاهتم	٢٦	انجد	=
٦١	عسري	شاعر	١١١	المردى	=
٦٤	السكر	=	٥٨	يُحَمَّدُ	=
٦٤	الصبرا	=	٦٣	يُمَجَّدُ	=
٣٨	الحمار	=	٦٥	أقود	=
٥	الدهر	=	٤	سعيد	=
٥	البخر	=	٣٣٩	مجد	=
٣٣٨	شاكر	ابو الخصيب الحربي	٣٠٨	الولائد	=
١٨٤	وينحفر	الشردل	١٧٦	باسناد	=
٢٠٦	خساره	ابو حيان البصري	١٠٣	شديدا	ابن الحجاج
٣٥٠	الشزور	شاعر	١٠١	قصدا	شاعر
٢٤٥	الكفار	شاعر	٧٥	يجدي	شاعر
٢٦٧	بختيار	الصاحب بن عبّاد	٢٤٢	الثرائد	حرثان
٢٦٣	ساحر	شاعر	ف		
٣٠٥	الذرة	شاعر	١١٦	وبغذاذ	شاعر
٢٧٤	عطّارا	ابو اسحاق الصابي	ر		
٢٨٤	والاثار	= = =			
٢٨٢	حرار	ابن ابي السباب	٢٧٢	خيرها	شاعر

الصفحة	القافية	الشاعر	الصفحة	القافية	الشاعر
٢٥١	غمر	صالح بن عبد القدوس	٢٦٣	بيؤسي	ابي رشيق القيرواني
٢٥١	بالدهر	= = = =	١٧٥	أبا العباس	شاعر
١٧٣	متنور	شاعر	٣١٧	الناس	حسان بن ثابت
١٤٦	وزور	عروة بن الورد	٢٣٧	اليُبُس	ابن أبي الثياب
١٦٤	منشورا	شاعر	٢٤١	حسيس	ابن عبدان الأصفهاني
١٦٥	بالنظر	=		س	
١٣٥	بشر	=	١٨٦	يطيش	شاعر
١٢٠	والنسر	=		ص	
١٠١	مختار	=	٢٤٢	خمائصا	الأعشى
٦٨	هجر	مجهول		ض	
١٠٥	اكفهر	أبو فرعون الأعرابي	١٩٢	بعض	ابن الرومي
٢٤٤	ذخر	شاعر	٢٢٨	فرضا	ابن البغل
٢٤٥	البشر	أبو هفان	١٠٣	رابض	ابن الحجاج
٢٠١	الفقير	عروة بن الورد		ع	
	ز		٢٦	المطامع	شاعر
١٨٧	يجوز	الصاحب بن عباد	٢٦	الأصابع	شاعر
	س		١٥	ضائع	عامر بن الظرب
٢٥٥	أطلس	شاعر	١٠٩	وقّع	شاعر
١٩	والناس	الخطيئة	٣٠٢	الصقيع	شاعر
٣	يابس	الأول			

الصفحة	القافية	الشاعر	الصفحة	القافية	الشاعر
٣١٠	ويسمع	شاعر	٦	وَعَجَلْ	لبيد
٢٥٠	البدائع	شاعر	٦٠	نقولا	شاعر
٢٥٣	مصراعاً	أبو الفضل بن العميد	٤٥	جليل	شاعر
	و-		٣٩	لا تبالي	شاعر
٢٩٢	يخلف	شاعر	٥	مشغول	أبو سعد الخزومي
	ق		٥	سبيل	= = =
٢٦	الورق	شاعر	٤	الرحل	شاعر
٢٦	فتتفق	أعرابي	٤	حامل	=
٧	صدقا	حسان بن ثابت	٤	مزحل	=
٧	حمقا	حسان بن ثابت	٣٣٨	خليل	=
٥٩	ينحرق	شاعر	١٨٨	اعاقله	=
٦٥	الشرق	=	٢٠٥	سبيل	أبو حيّان الدارمي
٤	حمق	=	٢٠٦	وكل	شاعر
١٨٢	متفرق	=	٢٧٢	الملاحل	=
١٨٧	لماق	=	٢٧٢	قيلها	=
١٨٧	القلق	الصاحب بن عباد	٢٧١	مختالا	=
٧٥	جلّق	شاعر	٢٤٥	يطول	=
٨٧	مرموقاً	=	٢٦٢	التنزيل	أبو عمرو الاندلسي
	ك		٣١٦	انتقالها	شاعر
٣٣٧	غناك	شاعر	٣٠٢	آكله	ابن بNDAR
			٢٩٧	البطل	شاعر

الصفحة	القافية	الشاعر	الصفحة	القافية	الشاعر
٢٥٠	والبخيل	=	١٦٦	عظيم	=
١٤٤	البرزل	=	٩٠	العجّمْ	=
١٦٦	مثله	=	١٠٧	التمام	=
٦٧	فضلاً	حسان بن ثابت	٩٣٠	الحرم	=
٢٤٣	يغلوا	زهير بن أبي سلمى	٢٢٣	كردما	=
م			ن		
٣٠٨	الزحام	شاعر	١٧٠	وتعذرنا	شاعر
٥٩	معلوم	علقمة بن عبدة	٦٠	يغني	ذو الاصبع العدواني
٤٢	المذمّم	شاعر	٥٨٠	بأثمان	حاجب بن حبيب
٤١	الدم	=		الأسدي	
٤	بقائم	=	١٨٣	حيناً	شاعر
٤	بقائم	بشار بن برد	٣٦٢	لكفانا	=
٢٧٢	يتكلما	شاعر	٢٦١	دخان	ابوبكر محمد فرح
٢١٠	اقوام	=	٢٦٠	لم تكن	شاعر
٢٠٥	المكرم	ابو حيان الدارمي	٣٠١	الضياون	حسان بن ثابت
٣٦١	تدوم	شاعر	٣٠٥	اللسان	يزيد بن الصعق
٣٠٠	قسمة	ابو تمام	٣١٠	الشؤون	سحيم بن وثيل الرياحي
٣٠٠	قسمة	دعبل	٢٩٩	مكان	الأحوص
٢٧٨	المعدم	ابو الفرج الكاتب	١٦٤	ابن سيرين	شاعر
٢٥١	وهام	النضر بن الحرث	ي		
١٧٤	ونعم	شاعر	١٤	المساويا	عبدالله بن معاوية
١٤٣	الأدم	=	٣٠٩	حيّا	شاعر

٣ — الأماكن والبلدان

١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٦٧ ،

١٧٠ ، ١٥٤ ، ٢٠٣ ، ٢٢٧ ،

٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٩٣ ، ٣٢٧ ،

٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٣٦ ، ٣٥٨

ت

التوتة « محلة » ٣٣٤

ج

جرجان ٣١٥ ، ٣٥٨

جيان « مدينة » ٢٦٢

جيروفت « بلد » ١١٥

خ

خراسان ٣٠ ، ٣٤ ، ٦١ ، ٩١ ،

٩٢ ، ١٤٣ ، ٢٧٩ ، ٢٩٢ ،

٣٢٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ،

٣٥٨

الخلد ١٢١

خوارزم ٧٧

الخندق « مكان » ١٢١

١

أصفهان ٦١ ، ١٤٢ ، ١٦٧ ، ٢٣٢ ،

٣٠٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣

أرجان ٣٤ ، ٢٢٩ ، ٢١٤ ،

٢٢٩ ، ٢١٦

أذربيجان ٣٠٣

اسداباذ ٦٧

اشيلية ٢٦٢

—

باب الشام ٣٣٥

البصرة ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٤ ،

٤٨ ، ٥٠ ، ٦٤ ، ٨٠ ، ١٣٣ ،

١٤٨ ، ١٩٤ ، ٣٢٣

باب المسلحة « سوق » ٨٧

بغداد ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٤ ،

٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٧٤ ،

٧٥ ، ٧٧ ، ٩٣ ، ١٠٥ ،

١٠٨ ، ١١٤ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ،

—

دار بانو که ۱۲۱

دَوَّارَةُ الْحَمَارِ (محلة) ٣٣٤

دير قنّی بالعراق ۲۷۳

الدينور ١٤٢

الربد ۱۲۱

الرملة « مدينة » ١١٩

روپی «قریة» ۱۱۷

الري^٣ ١١٣٠٩١٠٠٨٧٠٨١٠٧١

٦٣٠٦٢٢٨٦٢١٣٦١٤٤٦١٧

R. 7629 V. 629 M. 62 Y.

5

مسامراۛ ۛۛۛۛ

السَّمَّارِيَّة « محلة » ٣٣٦

سمرقند ۹۰

ساوة ٦٦

شہ

الشام ٢٨٠

مشت طولة « مدينة » ٢٦١

الشونيزية « مقبرة » ع ٣٣٣

سی

الصيصة ١٤٢

٦

طالبان ۹۰،۵۶

طبرستان ۲۶۵

الطائف ٦٧

الطيب « مدينة » ٣٠٠٠

ع

العراق ٢١٣، ٢٠٣، ١٤٢، ٦٤، ٣.

المعجم « بلاد » ٢٠٩

عقرو قوف « تل » ۳۳۶

العقيق ۳۳۸

ف

فارس ۳۵۸،۳۵۷

۱۰۰۲ فَمِيد

ق

قالن « قصبة » ۱۱۵

ق.م. «مدينة» ٥٦، ١١٥، ٢١٧، ٢٢٥

مثالب م (۲۵)

مكة ١٠٨	قنطرة الشوك «محلة»
الموصل ٣٢٣	قوهستان ١١٥
ن	ك
نجران ٢٦٢	كرمان ١١٥
نيسابور ٣٥٣، ٣١٦، ١٨٢، ١١٥، ٧٧	الكوفة ٣٠٠، ١٩٤، ٦١، ٦
ه	م
هراة ١١٥	ماذارايا ٤٠٠
همدان ٣٥٨، ٢٠٨، ٦٦	المدينة ٣٣٧، ١٠٧، ٤٨
الاهواز ٣٠٠	مدينة السلام ٢٠٧، ١٣٢، ٥٨
و	المرج ٣١٥
ورامين ٢٤٨، ٧١	حران ١٠٠
واسط ٣٠٠	الزرقفة «مكان» ٣٣٥، ١٢١
ي	مزلة «مدينة» ٢٤٨
اليامة ٣٢	مصر ٢٨٠، ٢٠٩
	مقبرة معروف الكرخي ٣١٢

٤ - الأقبام والمذاهب والفرق

الجبائية ٣٢٦	آل الجراح ١٣٠ ، ٢١٥
الجعفرية « مذهب » ١٠٨	آل برمك ٢٥٠
بنو حرب ٣٣٧	آل العميد ١١٢
الحنابلة ٣٣٤	آل الفرات ١٣٠
الخوارج ٣٠ « ح »	آل مكرم ٤١
الديسانية ٣٢٦	آل المهلب ١٠٤
الديلم ٥٦ ، ١١٧	آل وهب ٢٥٠
الرازيون ٢٣٩	الأزارقة ٣٠ « ح »
الرافضة « مذهب » ٥٥ ، ٢٦٠	بنو إسرائيل ٢٩٠
بنو زيار ٢٨٥	الاشناني « مذهب » ٥٦
الزيدية ١١٧	الاعتزال « مذهب » ١٩٦
بنو سلمة ٣٣	الإمامية « مذهب » ٢٦٥
الصابئة « دين » ٩٨	بنو أمية ٢٤٢
بنو العباس ٣٢٢	الأنباط ٤١
العلوية ١٩٥	أهل البيت ٢٦٦
الفرس ٢١٨	أهل الشام ٣٠
الكرامية ١٥٥	البرامكة ١٣٠ ، ٣٢٣
المجوس ١٩٩	بنو ثوبة ١٠٦ ، ١٢٢

بنو هاشم ٣٢٣	المرجئة ٣٠٨
يأجوج ومأجوج ٢٩٠	بنو مروان ٣٢٢
اليزيديون ١٠٦	المعتزلة ١٠٨ ، ٣٢٦
اليهود ١٩٩	بنو المنتجم ٥١ ، ١١٢
	النصارى ١٩٩



٥ - فهرس أسماء الكتب

- | | |
|----------------------------------|----------------------------------|
| ديوان الحماسة للبحري ٤ «ح» | الأصمعيات ٢٦ «ح» ٣١٠ «ح» |
| » » لأبي تمام ١٨٣ «ح» | الأغاني ٥ «ح» ١٤ «ح» ٥٢ «ح» |
| » زهير بن أبي سلمى ٢٤٣ «ح» | ١٠٦ «ح» |
| » المعاني لأبي هلال العسكري | أمالي ابن الشجري ٤ «ح» |
| ٣٢ «ح» ٣٠٠ «ح» | أمالي المرتضى ١٢٣ «ح» |
| رسالة الترييع والتدوير للجاحظ | الامتع والمؤانسة ١١٧ «ح» |
| ٢٩٧ | الأوراق للصولي «كتاب» ٥٦ «ح» ١١٢ |
| الرسالة الخاتمة ١٦ «ح» | البصائر والذخائر للتوحيدي ٣٨ «ح» |
| سمط الآلي ٣٣٥ «ح» | ٢١٧ |
| شذرات الذهب لابن العماد ١٠٣ «ح» | تاريخ بغداد ٤٤ «ح»، ١٠٥، ٨٤ «ح» |
| شرح شواهد سيديويه ١٧٠ «ح» | ١٠٨ |
| الصدقة والصديق للتوحيدي ٣٣ «ح» | تاريخ الحكماء للقفطي ٤٧ «ح» ٨٠ |
| طبقات النحويين للزبيدي ١١٥ «ح» | ١٢٢ «ح» |
| الفرج بعد الشدة للتنوخي ١٣٣ «ح» | تمة اليتيمة للثعالي ٨٠ «ح» |
| الفصل في الملل والنحل لابن حزم | تجارب الأمم «كتاب» لسكويه |
| ٦٨ «ح» | ١٨ «ح» |
| كتاب الفصيح لأحمد بن زيد بن سيار | الحيوان للجاحظ ١٠٦ «ح» |
| المعروف بشعلب ١١٥ | ديوان حسّان بن ثابت ٦٧ «ح» |
| فوات الوفيات للصفدي ١٠٢ «ح» | |

- | | |
|----------------------------------|-------------------------------------|
| معجم الأدباء لياقوت الرومي ١٠٢ ، | الفهرست لابن النديم ٥ «ح» ٤٣ «ح» |
| ١٠٣ «ح» ١٠٥ «ح» | ٦١ «ح» ١١٧ «ح» ١٢٢ «ح» |
| المفضليات للضي ٣ «ح» ٥٨ «ح» | القاموس المحيط ٥٢ «ح» |
| ٦٠ «ح» | كتاب الخيل لأبي عبيدة ١٨ «ح» |
| الموشح للمرزباني ٥ «ح» ٣٩ | كتاب سيبويه ٢٦٤ «ح» |
| النثر الفني لزكي مبارك ١٩٧ «ح» | كليلة ودمنة ٥٠ «ح» |
| نشوار المحاضرة للتنوخي ١٣٣ «ح» | كتاب محمد بن الجهم البرمكي ليكونت |
| ابن خلكان ١٠٥ «ح» ١٠٧ «ح» | ٣١ «ح» |
| ٢٢١ «ح» | مختصر الجرمي لأبي عمر صالح بن إسحاق |
| يتيمة الدهر للثعالبي ٨٤ «ح» ، | البيجلي الجرمي ١١٥ |
| ١١٢ «ح» | المستجد من فعلات الأجواد ١٣٣ «ح» |
| | معجم الشعراء للصولي ٣٩ «ح» |

فهرست الكتاب

ص	ص
١٥- الإسراف في المدح والذم..	١ - مقدمة المؤلف.
الحرمان والتأميل.	٢ - باب أدب النفس .
١٦- الحرمان والشم.	٣ - الإنسان الكامل .
المادح والممدوح ..	٥ - الشعراء والحكمة .
١٧- ثمن المدح.	٦ - الشعر والنثر .
١٨- العطاء والمنع ..	٧ - أسباب تأليف الرسالة .
بين التوحيدى ومسكويه ..	٨ - التزام الصراحة.
١٩- البذل والمنع .	- وضع الأمور في نصابها
٢٠- الطاعة والتوفيق .	٩ - نتائج الإحسان والإساءة
الحاسن والمساويء .	١٠- العتب على ابن العميد.
٢١- الدين والخلق والعلم .	- ذكر محاسن الوزيرين
٢٢- أنصبااء الناس من الأركان	ومساوئهما .
الثلاثة .	١١- التوفيق بين المعنى والمبنى.
٢٣- جزاء التقصير .	صلاح الماضي .
السعادة في العطاء .	١٢- فساد الحاضر
٢٤- دواعي القول ..	حسن الاستعداد للقول .
٢٥- مساويء الطمع .	١٣- موقف الناس من المدح
مساويء الفقر .	والذم .
٢٧- التوحيدى وممدوحه .	١٤- الهوى والرأى .
التزید والتقصير في المدح	
والذم ..	

ص	ص
٥٨ — التوحيدى والصاحب.	٢٨ — التوحيدى والوزيران .
٥٩ — دوافع حقد التوحيدى .	٣٠ — أبو سعيد الحسن ومروان
٦٣ — التوحيدى وابن العميد .	ابن المهلب .
٦٤ — شروط السؤدد .	٣١ — المتوسط والمتناهي .
٦٥ — معاملة الناس بالمثل .	رسالة للجاحظ .
٦٦ — التزام التوحيدى للبرهان	٣٢ — أخلاق الناس .
والعيان .	٣٣ — ابن فرخان شاه وأبو العيلاء.
رقاعة الصاحب وسخفه .	٣٤ — محمد بن طاهر .
٧٢ — الصاحب وابن أبي خراسان.	رسالة لابن دينار .
الصاحب والشاذبائى .	٣٦ — هجاء الصاحب .
٧٣ — صورة هزلية .	٣٩ — ابن مكرم وأبو العيلاء .
الصاحب والقلام .	٤٢ — من رسالة للجاحظ .
٧٤ — الصاحب وفيروزان المجوسى.	٤٣ — تحذير العتي .
رأى الزعفرانى فى الصاحب.	٤٤ — بين أبى هفان وابن مكرم.
٧٦ — رأى المسينى فى الصاحب .	٤٧ — رسالة العروضى فى ابن مقلة .
٧٧ — رأى الخوارزمى فى الصاحب.	حمد المحسن وذم المسيء .
أبو بكر الخوارزمى .	٥٠ — رسائل .
٧٨ — رأى الزعفرانى فى الصاحب.	٥١ — الشعراء والصدق .
الخوارزمى والصاحب.	٥٣ — غرض رسالة الورىين .
رأى أبى الطيب النصرانى	٥٤ — نزاهة التوحيدى وحياده .
فى الصاحب .	٥٥ — صفات الورىين .
٨٠ — رأى ابن العميد فى الصاحب.	٥٧ — احتمال تكذيب التوحيدى.
رأى الصاحب فى الطب .	

ص	ص
أنواع الكتاب .	٨١ — صاحب وعلم النجوم .
٩٦ — مكان صاحب .	٨٢ — قلة دين صاحب .
٩٧ — رأي في القرآن .	مساويء صاحب .
٩٨ — ولع صاحب بالسجع .	٨٣ — رأي التميمي الشاعر في
٩٩ — صورة هزلية .	الصاحب .
١٠٠ — مخازي صاحب .	عطاء صاحب .
١٠٢ — نوادر مجونية .	٨٤ — حديث أبي بكر الجرفادقاني .
١٠٤ — أحاديث صاحب .	٨٦ — شتم صاحب للأبهري .
١٠٦ — رسالة أبي راغب العتيبي	٨٧ — حديث المأموني .
إلى صاحب .	٨٨ — صاحب والسجع .
١١١ — نوادر صاحب .	استرقاع ابن العميد صاحب .
عودة إلى مخازي صاحب .	أبو الفضل بن العميد .
١١٢ — صاحب وبنو المنجم .	٨٩ — ابن العميد والصاحب .
١١٣ — علم صاحب .	طالع صاحب .
١١٤ — ادعاءات صاحب .	٩٠ — التوحيدي عند صاحب .
١١٥ — صاحب والعروض .	الصاحب والشاب السمرقندي .
الصاحب والنحو .	٩٢ — ركن الدولة والخراساني .
١١٦ — سخف صاحب .	مقارنة بين صاحب وابن
الصاحب وأهل القصص	العميد .
والحديث .	٩٣ — كتابة صاحب .
١١٨ — ابن العميد وابنه في نظر	٩٥ — الأسلوب المثالي .
الصاحب .	

ص	ص
١٣٣ — ركاكة الصاحب .	١١٩ — تفاخر الصاحب .
١٣٤ — حديث الشاذباشي .	١٢٠ — المسيبي والصاحب .
١٣٦ — بين العامة والحجاب .	كلام بذيء .
حديث ابن الثلاث المتكلم .	١٢١ — التقيح عند الصاحب .
١٣٧ — مناظرة في مجلس عز الدولة .	انكار الجبر .
١٤٠ — البصري جعل .	١٢٢ — الصاحب وبنو ثوابة
١٤١ — حديث ابن أبي كانون .	دفع التهم .
١٤٢ — حديث ابن بنان الوراق .	كلام المجانين .
أبو اسحاق النصيبي .	١٢٣ — الابتلاء بالصاحب .
١٤٣ — حديث أبي سليمان السجستاني .	١٢٤ — فلسفة الحق .
الفرعاني والمعتزلة .	١٢٥ — انقطاع الصاحب .
١٤٤ — عودة الى الصاحب .	علي بن الحسن الكاتب
١٤٥ — كفاءة الصاحب .	والصاحب .
١٤٦ — الصاحب والنحو والشعر	١٢٧ — الصاحب والأقطع الصوفي .
١٤٧ — حسد الصاحب للموهوبين .	١٢٨ — نواذر الأقطع .
حسد الصاحب للشعراء .	١٢٩ — حفظ شعر الصاحب .
١٤٨ — غرور الصاحب .	تصرف مشين .
حسده للمجيدين .	١٣٠ — حية ابن الزيات المتكلم .
الخليل وسليمان بن علي .	١٣١ — رأي الجيلوهي في الصاحب .
١٥٠ — مسألة نحوية .	١٣٢ — غرور الصاحب .
١٥١ — أبو حامد المروزي .	
تعريفات شتى .	

ص	ص
١٧٥ — مسائل نحوية وفقهية .	١٥٣ — عبث أبي حامد .
الحث على الكرم .	١٥٤ — مناظرة بين الخشوعي
المدح والهجاء .	والصاحب .
١٧٦ — تساؤل ينيء عن جهل .	٥٥ — بين ملحد وموحد .
هجاء الصاحب .	١٥٦ — نواذر عن التشبيه .
خبث اللسان وطيب القلب .	١٥٧ — الهندسة في رسالة الى ابن
١٧٧ — تجهيل السائل .	ثوابة .
مسائل .	١٥٨ — جواب الى ابن ثوابة .
١٨٢ — مسائل لغوية ونحوية وشعرية	١٦٤ — الكلام المكسر .
١٨٤ — الاقتراف والاعتراف .	١٦٥ — صورة هزلية .
١٨٥ — الصاحب وأبو الفرج الصوفي	١٦٦ — عجب الصاحب .
١٨٦ — أبو السلم والوزيران .	١٦٧ — خلق القرآن .
١٨٧ — رأي الجيلوي في الصاحب .	تفسير آية .
شعر الصاحب .	١٦٨ — تفسير آيات .
١٨٨ — كلام الصاحب في الزهد .	١٨٩ — حد الظلم .
ابن العميد في نظر الصاحب .	الرزق والمرزوق .
١٩ — كلام الصاحب في العلم والحكمة .	صفة المتكبر .
١٩٠ — تشنيع الصاحب على ابن العميد	١٧٠ — معرفة لغة العرب وأقوالهم .
١٩١ — تعليل الالقاب .	١٧٢ — عمرو بن عبيد .
تعليل المخاطبات .	أقوال للصاحب .
١٩٢ — الصداقة والمصارفة .	١٧٣ — تفسير لغوي .
	١٧٤ — نواذر للصاحب .

ص	ص
٢٢٩ — حادث محزن .	١٩٣ — الحماقة والرقاعة والرعونة والجنون .
٢٢٥ — مفاضلة بين الوزيرين .	١٩٥ — صاحب واحتقار الناس .
٢٢٦ — أدب ابن العميد .	بذاءة لسان صاحب .
٢٢٧ — أبو الفتح بن العميد والعامري	١٩٦ — أبو اسحاق النصيبي .
٢٢٨ — ابن العميد وأعلام عصره وحاشيته .	١٩٧ — صاحب والتاجر المصري .
٢٢٩ — افساد صاحب للعطاء .	١٩٨ — صاحب واليهودي .
٢٣٠ — بخل ابن العميد .	٢٠٠ — معادة صاحب ونحسه .
٢٣٢ — أبو الفضل بن العميد وأبوه .	٢٠١ — الانسان والاجرام السماوية .
رسالته الى قاضي أصفهان بالتبرؤ من ولده .	٢٠٢ — سوء طالع ابن العميد .
٢٣٥ — جواب القاضي على الرسالة .	٢٠٣ — التوحيد والصاحب .
٢٣٦ — الأصل والفرع .	٢٠٤ — بعض من سمي أبا حيّان .
٢٣٨ — الشيخ الطبري .	٢٠٧ — مفارقة التوحيد للصاحب .
٢٣٩ — أبو الفتح وابنه .	الصاحب والتفسير .
٢٤٠ — عود الى بخل ابن العميد .	٢٠٨ — صاحب وأعلام عصره .
٢٤١ — ابن العميد والفلسفة اليونانية .	٢١٢ — ابو الفضل بن العميد .
٢٤٢ — السمعة الطيبة .	٢١٣ — ابن العميد وأبو طالب الجراحي
٢٤٤ — حب الثناء .	٢١٦ — صبر ابن العميد على ابن ثابت .
٢٤٥ — هجاء صاحب .	٢١٨ — حديث الغويري عن صاحب .
٢٤٦ — غضب صاحب .	٢١٩ — طباع الوزيرين .
	ابن العميد والشاعر .

ص	ص
٢٦٦ — شعر في الحجاب .	٢٤٧ — الجنون والحمق والسيادة .
استطراد .	٢٤٨ — العقل والبخل والحمق .
٢٦٧ — ابو الفتح بن العميد وشعره .	غلبة البخل على المتفلسفين .
٢٧٠ — تفقده لأعلام زمانه .	٢٥٢ — ابن العميد وجريح المقل .
٢٧١ — مجالس ابن العميد .	٢٥٣ — ابن العميد والبحثري .
٢٧٣ — رأي ابن العميد في الصابي .	موعظة أبي الفضل الكيمائي
٢٧٤ — رأي الصابي في ابن العميد .	لابن العميد .
٢٧٥ — نموذج من رسائل ابن العميد	٢٥٤ — اللغة والكناية
٢٧٦ — كلام لابن العميد يرويه	٢٥٥ — تفسير بيتين .
الصاحب .	فقر لابن المعتز .
٢٧٨ — ابو الفرج الكاتب وابن العميد	٢٥٧ — الوزيران بين الحب والبغض
٢٧٩ — رسالة ابن أبي السباب الى	٢٥٨ — الصاحب في نظر الناس .
ابن العميد .	كلام أبي السلم .
٢٨٢ — قصيدة ابن أبي السباب في	٢٥٩ — أبو السلم يهجو ويمدح .
ابن العميد .	غضب الصاحب .
٢٨٧ — رأي جريح المقل في ابن العميد	٢٦٠ — أشياء لا حقيقة لها .
حديث أبي غالب الاصبهاني .	محفوظات الصاحب .
٢٨٩ — كتاب ابن العميد لأبي دلف	٢٦٤ — الصاحب وحسين المتكلم .
الخزرجي	تعصب الصاحب للسيرافي .
٢٩٢ — وصف بغداد .	٢٦٥ — تعلل الصاحب بالحجاب .
	الصاحب والإمامية .

ص	ص
٣٠٨ — صدر بيت .	٢٩٣ — نكتة .
إعجاب أبي الفضل بالغزل .	الفرق بين المتشابهين .
٣٠٩ — التجربة والاعتبار .	الكلام بين الجد والهزل
٣١٠ — عواقب الطعن بالوزيرين .	٢٩٤ — ولوع العرب بالكلام .
٣١١ — بين الغضب والرضى .	٢٩٧ — نبوغ ابن العميد .
موقف التوحيد من المتكلمين	النفس والذاكرة .
والمفلسين .	٢٩٩ — السجستاني وابن العميد .
٣١٣ — بين التزكية والتجريح .	٣٠٠ — بخل أبي الفتح بن العميد .
٣١٤ — مواضع الهجاء والثناء .	٣٠٢ — ابن بندار وأبو الفضل .
٣١٥ — صاحب كما يراه أبو الوفاء	٣٠٣ — أبو الفضل والطبيب .
المهندس .	اعتذار .
٣١٦ — أبو السلم الشاعر والوزيران .	الصاحب والشراب .
٣١٨ — كلمات غريبة .	٣٠٤ — حرج الصدر والنفس .
٣٢٢ — الفرق بين اللفظ الثقيل	شيطان صغير .
والشعر .	الطلاقة والانطلاق .
انقضاء أيام الخير .	٣٠٥ — حقد الصاحب على التوحيد .
أثر العطاء .	٣٠٦ — الصاحب ومسكويه .
٣٢٣ — كرم البرامكة .	الصاحب وأبي عبد الله
٣٢٤ — بين الماضي والحاضر .	الحصري .
أسلوب الوزيرين في الكرم .	٣٠٧ — دعاة الصاحب .
الصاحب وأهل العلم .	تبشير الصاحب .

ص	ص
٣٥٢ — بداية الصاحب في أمور الدولة .	٣٢٥ — مفارقة التوحيدي للصاحب .
٣٥٣ — فرار الصاحب .	٣٢٧ — حسد الصاحب لابن العميد .
٣٥٤ — ثورة خراسان .	رسالة التوحيدي لابن العميد يستعطفه .
٣٥٥ — الحاجة إلى المال .	٣٣٢ — لوم التوحيدي على مدحه ابن العميد .
٣٥٦ — الاستدانة من ابن كامة .	٣٣٣ — حسد الصاحب لأهل البيان .
٣٥٨ — اطلاع ابن كامة على خيانة ابن العميد .	غيظ الصاحب من التوحيدي .
٣٥٩ — وشاية أبي نصر المجوسي .	حديث أبي الحسن الجراحي .
٣٦٠ — التوحيدي يخاطب القاري .	٣٣٦ — مسائل لغوية .
٣٦٣ — الفهارس .	٣٤٣ — رسالة أخرى لابن طرخان .
٣٦٥ — الأعلام .	٣٤٤ — قصيدة النعمري في مدح ابن العميد .
٣٧٩ — القوافي .	٣٤٨ — أبو عبد الله النعمري .
٣٨٤ — الأماكن والبلدان .	٣٤٩ — حديث عن ابن العميد .
٣٨٧ — الأقوام والمذاهب .	استطراد إلى الكلام عن الوزيرين .
٣٨٩ — أسماء الكتب .	٣٥١ — عودة إلى الحديث عن ابن العميد .

تصويب

صفحة	سطر	
٢٠	١٧	ما يحبطها
٢١	١	ما يغطيها
٣٠	٢	مغيظ
٣٩	١٣	خيراً
٥٥	٨	دانوا لهما
١١٨	٣	أمن العدل
١٦٠	١٤	فرجوت مع ذكره للاسلام خيراً
١٦٢	٨	باللوح
٢٣٠	٧	أذن
٢٤٨	٦	ابن
٢٤٩	٢٢	جريح
٢٥٥	١٠	الهذلي
٣٦١	٩	يخاص

Epitre

MATĀLIB AL WAZĪREIN

(Les défauts des deux ministres)

Par

Abū Hayyān At - Tawhīdī

(Ecrivain arabe du IV^e siècle de l'Hégire X^e S.)

Editée et Annotée

Par

Ibrahim Kailani

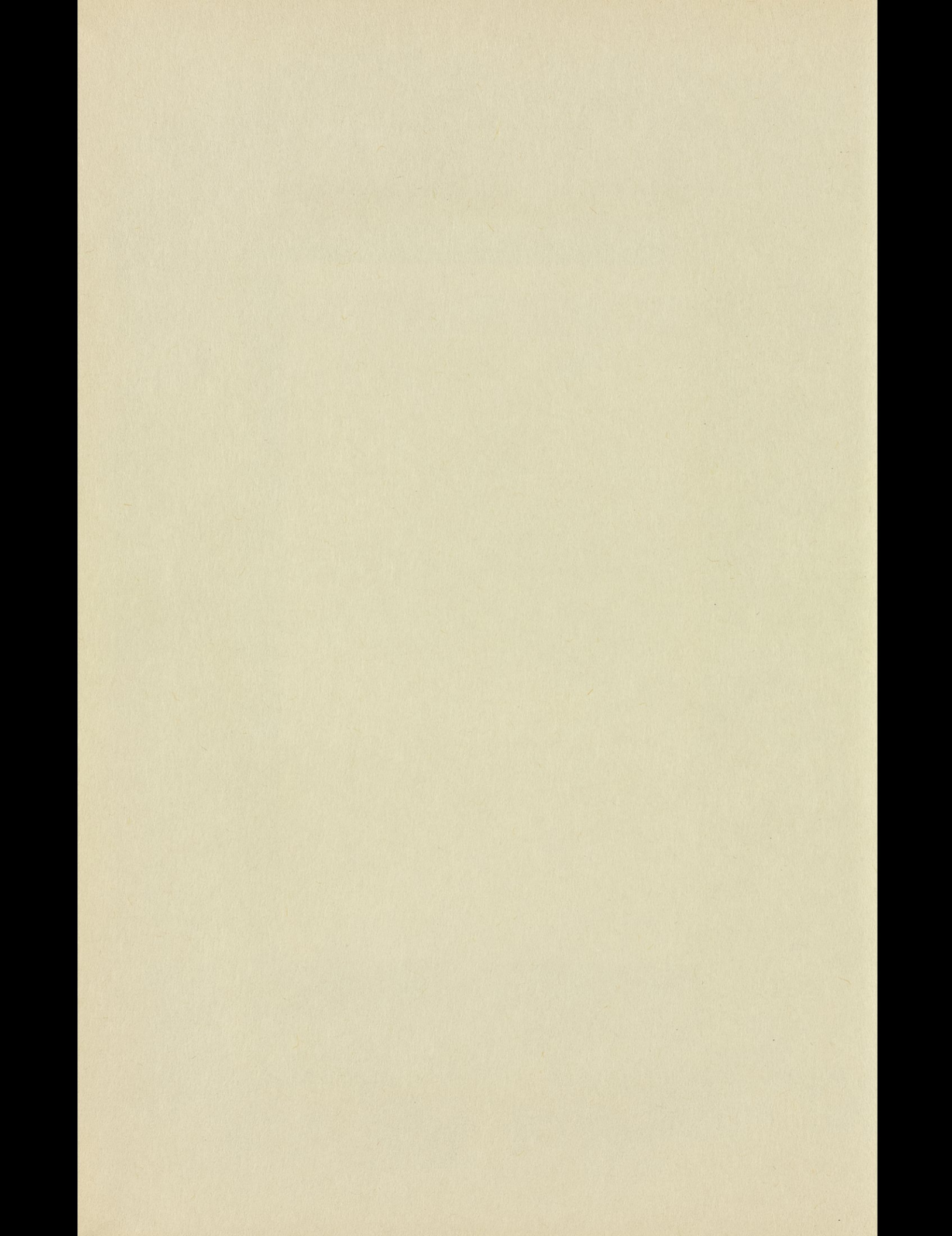
Directeur au Ministère de la Culture

a Damas (syrie)

D A M A S

1 9 6 1





DATE DUE

MAY 31 2002

FEB 23 2002

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0114806169

893.7T199

T

09149783

JUL 15 1993

